العميد الركن محمد ضاهر وتر

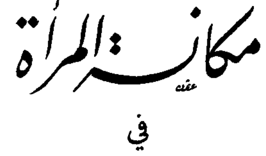
مكانة المرأة

في

الشؤون الإدارية والبطولات القتالية

مؤسسة الرسالة

العميد الركن محمد ضاهر وتر



مؤسسة الرسالة

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سورية - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٢٩٥٥٠١-٢٤١٦٩٢ ص ب ١١٧٤٦٠ برقياً: بيوشران


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ
نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿﴾

(قرآن كريم)

مقدّمة

طغى الحديث عن (المراة) على اقلام والسنة الكتاب والفقهاء واللغويين والاطباء وعلماء النفس ، حتى ضاقت الكتب والمؤلفات بقارئيها . بعضهم انصفها ، وبعضهم غلا في قيمتها ، فقال غير الحق فيها ، وبعضهم حاف عليها فسلبها حقوقها ، وتمادوا في ذلك .

القضية النسوية قديمة منذ ذرا الله الجنسين الذكر والانثى ، فلا هي انتهت ، ولا هي وقفت عند حد ، وما زالت حتى الآن تظهر على مسرح الحياة وما فيها ، تارة بعنف ، وتارة ببطء ، تتقاذفها الامواج الشديدة احيانا واللطيفة احيانا أخرى .

المراة نصف الحياة ، ولها الحق أن تستمتع بالحياة . فاذا لم تدخل المجالات كافة وتشارك الرجل كانت الحياة مبتورة وقاتمة ، فالمجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي والصحي والتعليمي والتشريعي والعسكري مجالها وبالشكل الذي تستطيع فيه تقديم امكاناتها وطاقاتها .

ان الذين صوروا المراة شيطانة وجنية توسوس بالشر ، وتجلب الضر ، هم اناس بعيدون عن فهم المراة فهما حقيقيا ، فالمراة مبعث الخيرات والبركات ، اذ هي التي اتت بالعظماء والحكماء ، وهي التي تربعت على عرش الامومة كما تربعت على غيره بكل فخر واعتزاز .

وابت المراة الا ان تطالب بحقوقها ، عندما قوي ايمانها بهذه الحقوق ، وعندما تسلحت بالوعي والعلم ، وقيض الله لها انصارا ينتصرون ، فاذا هي قد شاركت الرجل ، واصبح لها الدور الكبير في بناء المجتمع . غير ان المراة في بعض الامصار والاقطار من العالم لاتزال دون ذلك .

فتشوا عن المراة ، بل اسألوا عنها ومحصوا ، فهي في الصحف المطهرة ، والكرام البررة ، والامومة الرحيمة ، والحنان الدافىء ، والنبع الصافي ، فهي في الاسعاف والمواساة ، كما هي في حومات النضال والمواقع الحربية تصول وتجول غير آبهة بالموت . فهي في الصفوف الاولى تعرض نفسها للقتل ، كما هي في الصفوف الثانية تداوي ، وتنتج ، وتقدم للمعارك جميع الامدادات المختلفة . فهي في الشؤون الادارية اساسها ، وفي الحرب سعيرها .

تحتل المراة مكانة مرموقة في الشؤون الادارية ، فهي في المصانع ، وخلف الآلات تديرها ، وهي في الزراعة ترافقها من الحراثة الى الزراعة فالحصاد فالدراسة فالتخزين فالاستهلاك ، وهي في المناجم ، كما هي في البحث والتنقيب عن المعادن ، وهي في الامداد تقوم بنقل الامدادات منذ العصور الاولى اذ كان على عاتقها نقل المياه والتجهيزات الاخرى الى مسافات بعيدة ، وهي في الابحاث العلمية ووضع الخطط الادارية ، وهي في الخدمة الطبية تواسي وتضمد الجراح وتقدم الادوية اللازمة للجرحى والمصابين ، وهي التي تبعث القوة المعنوية في العناصر المقاتلة ، وهي التي برزت وتبرز عبقريتها في التدريب والتعليم ، واظهرت في هذه الناحية تفوقها وجدارتها حيث تقوم على تربية الابطال وتعليمهم منذ نشأتهم ، وتفتيح اعينهم للحياة ، فهي التي حوت البطل في بطنها وضمته في حجرها ، وارضعته من ثديها ، ثم دفعت به الى معركة البطولة والاباء والعزة والكرامة .

ان باب الشؤون الادارية باب واسع ، ومواضيعه متفرعة ، فهو يبدا بالاعداد المادي والصناعي والزراعي والبشري والمعنوي ، وينتهي باصغر نقطة ادارية في ساحة المعركة . وما دام الوضع هكذا فان على المراة ان تلج هذا الباب من كل فروعه واختصاصاته لتقدم للمجتمع شيئا ما . وان اهم ماتتزود به المراة لولوج هذا الباب هو العلم والعلم وحده يستطيع ان ينهض بالمراة ويجعلها في مصاف الامم الراقية . فالتعليم الالزامي ومحو الامية ، والتعليم المهني ، والتأهيل للوظائف المتعددة لاختصاصات الشؤون الادارية ، والتخصص الذي ينطلق من الحاجة والواقع كل ذلك يسهل على المراة ان تبني وان تنتج وان تدافع ، وان تشارك الرجل في التطور ، وان تقيم المؤسسات الاجتماعية ،

وان تمثل في مختلف الهيئات والمجالس ، وان تنطلق كمارد جبار تساهم في تأسيس الشؤون الادارية جنبا الى جنب مع الرجل .

تنطلق المراة في عملها الاداري من البيت فهي صنو الرجل وشريكته في كل الاعمال الادارية البيتية ، فهي تشترك في تهيئة الطعام والملابس . وتأمين الخدمة الطبية ، وتأمين الايواء والسكن للعائلة ، والتعليم للابناء ، وعملية التوفير والادخار ، وتخطيط الميزانية وتوزيعها على اوجه الصرف المختلفة ، والتقييد بالصرف والاستهلاك بما يتناسب مع الدخل . وتنتقل المراة من البيت الى الخارج لتعمل في الوظائف الادارية المختلفة كعاملة في مصنع ، او فلاحة في مزرعة او محاسبة في دائرة او في مصرف ، او خازنة في مستودع ، او ممرضة في مستشفى او طبيبة ، او مهندسة في منشأة . وكذلك فان المراة تعمل في مسرح العمليات ، وفي مؤخرة القوات ، او مؤخرة العمليات ، او المؤخرة المركزية عملا اداريا قد يختلف من عمل الى آخر . ومن خلال هذه الاعمال يمكن للمراة ان تساهم بقسط وافر من المسؤولية ، وفي العمل في الشؤون الادارية ، وفي الدخل القومي ، ومشروعات التنمية ، وفي الاعمال الدفاعية والصحية والانتاجية ، وفي تطوير الاقتصاد .

ان حقوق المراة مصانة فهي كالرجل سواء بسواء . وتبرز هذه الحقوق في العلاقات المدنية والادارية كالتجارة والتعامل وما شابه ذلك . وتخضع المراة للقواعد والقوانين والانظمة ، كما تتمتع بجميع المقومات الشخصية فلها اسمها وموطنها . وان حق الحرية الفردية حق طبيعي للمراة كما هي للرجل تماما تمارسها دون ان تلحق الضرر بالآخرين . وعلى الدولة ان تحمي هذه الحرية وتنظمها ، وتحد لها حدودا ، وان تمكن المراة من ممارسة هذه الحرية دون المساس او الاعتداء على حرية الآخرين . وقد تختلط الحرية بالحق . والحق يمارسه الرجل والمراة على السواء على ان لاتتعارض هذه الممارسة مع الطبيعة الجنسية والذاتية لكلا الجنسين ، وان يتمتع كل منهما بحقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ولقد اعترى هذه الحقوق بعض المفاهيم الحديثة ، والمذاهب الاقتصادية ، وكان اهمها المذهب الماركسي الذي قاس حرية الفرد بمقياس المادية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية .

فالمراة محرومة من حقوقها طالما انها خاضعة في ظروفها الاقتصادية الى البيت ، والى الراسمالي ، والى صاحب العمل ، والى الرجل . ومن الجدير بالذكر ان المراة قد نالت معظم حقوقها وذلك عندما نص ميثاق الامم في « سان فرانسيسكو » عام ١٩٤٥ على المساواة بين الرجل والمراة . ثم انبثق عن المؤتمر لجنة فرعية لحقوق المراة ، وظلت المراة تناضل وتناضل حتى الآن فهل وصلت الى شاطىء السلام والطمانينة ؟

للمراة طبيعة خاصة ، وتكوين اساسي . فهي شقيقة الرجل ، وهي الطمانينة والسكن ، وهي الصاحب بالجنب لاصاحبه اقرب منها ، وهي المودة والرحمة ، فهي للرجل اقرب من الرجل . عشرتها بالمعروف ، وصحبتها بالمالوف ، ومداراتها نعيم وارف ، والتعاون معها شعار مابعده شعار . لقد نشات علاقات تراحمية فيما بين الجنسين يعجز اي انسان عن وصف هذا التراحم ، فالمراة مع الرجل وليست ضده ، والمراة نصف الحياة يكملها الرجل . فالمراة فيما خلقت له اقوى من الرجل والرجل اقوى من المراة فيما خلق له ، والواحد منهما يتمم الآخر ليؤديا رسالة مشتركة في هذه الحياة ، فلا حياة بدون نساء ، ولا حياة بدون رجال . وستتوقف الحياة بتوقف احدهما . فالمدنية والحضارة والتطور والعمران مدين للرجل والمراة معا . واني اعتبر أهم من هذا وذاك تلك السلالة التي انبثقت منذ ملايين السنين وامتدت الى يومنا هذا تترا وتتبع بعضها بعضا . ولولا هذه السلالة المشكلة من الجنسين لانتهت الحياة ، وتنتهي ايضا باعتمادها على الجنس الواحد .

وبصدد كلامنا عن الحقوق والحرية والتخصص فان للمراة لها ما للرجل وعليها ماعليه ، وقد مال كثير من الكتاب والادباء والباحثين الى اعتبار المراة انها اختصاصية فالذي تحسنه لايستطيع غيرها ان يحسنه ، وهي التي تتخصص بعمل لايستطيع غيرها ان يتخصص به ، فالمراة امراة ، والرجل رجل ، فالفرق الطبيعي واضح بين المراة والرجل وبين الذكر والانثى . فالقانون الفطري يجعل المراة تتبوأ الوظائف الخاصة بها . ولقد لخص الكاتب الكبير عباس محمود العقاد حقوق المراة وتخصصها ، وميزان هذه الحقوق بكلام جامع وجزل حين قال : « فميزان حقوق المراة الخاصة هو

واجباتها الخاصة . وواجباتها الخاصة هي الواجبات التي تحسنها ولا يحسنها غيرهـا ولا تحسن عملا افضل منها ... وهي الامومة وتنظيم الحياة البيتية . عمل اذا تركته لم يخلفها الرجل عليه ولم تتول عملا آخر اجدر منها بولايتها. ذلك هو ميزان واجباتها وحقوقها . ويقول الاستاذ اميل زيـدان « كثيرا مايستغرق الباحثون في جزئيات مباحثهم فيغفلون علـى الحقائق الاساسيـة البسيطة في حين انهم لو استرشدوا بها لتوصلوا الى النتائج الصحيحة التي يمكنهم الاعتماد عليها . وهذا ماحدث في مسالة المراة[1]: فلقد غفل الكثيرون عمـا توحي به الطبيعة وهي خير المرشدين ، من الحقائق البدهيـة الاولى ، واسترسلوا في تفاصيل ليست بذات شان فضلوا الطريق القويم . اما تلك الحقائق البدهية الاولية التي اشير اليها فهي ثلاث :

١ ـ ان الرجل والمراة يؤلفان شطري الانسانية ، وهذا وجه تشابههما .

٢ ـ ان الرجـل غير المراة ، فقـد اعد كل منهما لمهـام معينـة ، وهـذا وجـه اختلافهمـا .

٣ ـ ان الرجل والمراة مكملان الواحد للآخر وهذا هو وجه ائتلافهما .

فلكون الرجل والمراة متشابهين ينبغي ان يشتركا في اللذات المادية والمعنوية التي هي ميراث الجنس البشري . ولكونهما مختلفين يجب ان يتخصص كل منهمـا للعمل الذي جعل لاجله . ولكونهما مكملين الواحد للآخر يتحتم على كل منهما ان يرمي الى راحة الآخر وسعادته . فاذا ادركنا هذه الحقائق ، وادركنا نتائجها استطعنا ان نصيب بالحكم في شان المراة ومكانتها في الهيئـة الاجتماعيـة » كما لخصت الكاتبة الكبيرة الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » مساواة المراة ، وتصحيح المفاهيم ، ووضع الموازين والقيم ، وتوضيح الحقوق والواجبات المتكافئة ، واتحاد الرجل والمراة في شركـة لخلية ورحلة واحـدة يسود فيها الانسجام والتكامل فقالت : « ومجتمع الحريم كان يتصور ان مساواة المراة بالرجل تعني قلب الاوضـاع ومسخ الجنس واختـلال الموازين والقيم . وما يزال بيننا نسـاء ـ يتوهم « انهن عصريات » ينظرن الى المساواة هـذه النظرة الرجعية ، ويطالبن بأن تتماحى

كل الفروق بينهن وبين الرجال ، فلا تسأل امرأة عن سلوكها او اعمالها الا بقدر مايسأل الرجل . وجاوزن في ذلك المدى فطالبن بحذف نون النسوة ! بحيث يعلو من تساءل عما اذا كان للمرأة بمقتضى حق المساواة ان تعدد الازواج ؟ ومن يدري لعل من بين المطالبات بحذف نون النسوة في لغتنا ، من تساءل لماذا تنفرد المراة وحدها بعبء الحمل والارضاع ، ولا يكون على الزوج ان يشاركها العبء وبمقتضى حق المساواة فيحمل هو ويلد ويرضع مرة ، وتحمل هي وتلد وترضع اخرى .

والمرأة الجديدة حقا ، قد تحرر فهمها لهذه المساواة ، فلا يتشابه الامر عليها ، ولا يلتبس عندها بالمسخ الذي يلغي الفروق الطبيعية بين ذكر وانثى ، والفروق الاجتماعية بين رجل وامرأة . المساواة لاتتجاوز عندها الحقوق والواجبات المتكافئة ، ويبقى الرجل رجلا والمرأة مرأة لايمسخ احد الجنسين فيكون بين بين ! » .

التخصص في الحياة اساس فطري اذ يوجد الرياضي والكيميائي والطبيب والاداري والفني ... الخ ولكل من الاختصاصات المتعددة ميزات يتميز بها الانسان المختص . وقد درجت الجيوش في العالم على عمل انتقاء نفسي وجسمي للعسكريين المتطوعين . فهذا يصلح للنقل ، وذاك يصلح للمدفعية ، وثالث للمشاة ، ورابع للدبابات ، وخامس للصواريخ ... وبهذا التخصص الفطري والقانون الطبيعي اختص كل انسان بعمل معين . وفي هذا التنوع من الاختصاصات اكتملت الحياة بسد احتياجاتها المختلفة . واذا نظرنا الى المراة لوجدنا لديها مؤهلات طبقا لقانون التخصص الفطري تجعلها تتبوأ الوظائف الادارية . ومن اهم هذه الوظائف وظائف الرعاية (الامومة ، التمريض، الاعمال التربوية ، الاعمال الادارية) . والحقيقة ان المراة تختلف اختلافا جذريا نفسيا وفيزيولوجيا عن الرجل ، وهذا الاختلاف يوجب اتباعها وظائف واعمالا متوافقة مع هذه الطبيعة المتميزة . وما من احد ينكر على المرأة تفوقها في الوظائف المعدة لها [1] « فعلى النساء ان ينمين اهليتهن تبعا لطبيعتهن

(1) كتاب : الانسان ذلك المجهول ص ١٩٦ للدكتور الكسيس كاريل .

من غير ان يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن الا يتخلين عن وظائفهن ابدا » . واذا تشابه علينا القول والعمل فلنسأل علماء النفس والتشريح ليعلموننا ان المراة هي غير الرجل ، ووظائفها هي غير وظائف الرجل ايضا .

من الخطورة بمكان ان تنحرف المراة عن عملها الطبيعي لان ذلك يؤدي الى انحرافها عن اعمالها الاساسية ويفقد المجتمع العناية بالاطفال ، كما يفقد الحب والحنان . ان القرب الذي يحتاجه الطفل في صغره من جانب امه يؤثر في نموه العقلي والجسمي . وقد أيدت التجارب التي قام بها العلماء على الاطفال الصغار فتبين ان الاطفال الذين يعيشون في دور حضانة بعيدين عن امهاتهم هم اقل نموا من الاطفال الذين يعيشون بالقرب من امهاتهم (تجارب الدكتورين : رينيه سبيتز ، وبدوسن) . ان الحرمان من حنان الام وحبها يعقد الطفل وتنشأ عنده اضطرابات عصبية وتعقيدات نفسية تؤثر على المجتمع ، وبالتالي تؤثر على المستوى الفكري والانتاجي . واذا كان بالامكان التوفيق بين القرب المصاحب ، وبين عمل المراة نكون قد ابتكرنا أعظم ابتكار ، وصنعنا اجمل صنيع .

ان المراة تتعرض لكثير من الآلام تمنعها من مزاولة عملها ، او على الاقل تقلل طاقتها الانتاجية . فهي تتعرض لآلام الطمث لمدة سبعة ايام او اكثر في الشهر ، ولا احد ينكر ذلك . وهي تتعرض ايضا لآلام الحمل لمدة تسعة اشهر ولا احد ينكر ذلك ، وهي تتعرض لآلام الوضع وآثاره لمدة شهرين ، ولا احد ينكر ذلك . ماذا تعرضت المراة لهذه الآلام ولهذه الاوجاع ، فهل تبقى اعصابها واعضاؤها وملكات تفكيرها عادية وسليمة ؟. كلا ان المراة ستنقطع عن العمل وعن الانتاج ، وعن العمل المرهق الذي يتطلب جهدا عضليا ، او تفكيرا مركزا . وبهذا توجد فترات انقطاع او فتور في العمل يؤدي الى نقص الانتاج وتعطيله . واذا سألنا هل بالامكان القضاء على هذه الآلام ؟ كلا .. ان الآلام ستكون سببا في التدني . ولكن هناك وقت يمكن ان تكون هذه الآلام قليلة او معدومة ولكن في الوقت نفسه لا تستطيع به المراة ان تؤدي واجب العمل كما يطلب منها . ان سن ١٠ ــ ١٥ سنة ، وسن ٤٥ ــ ٦٠ سنة هي سنون

الضعف والشيبة والامل واليأس التي لاتنتج فيها المراة الا قليلا . اما سن العمل والانتاج فهو السن التي تكون فيها المراة معرضة للآلام ، وهي بنفس الوقت مستعدة للانتاج البشري لا للانتاج المادي . وما على الامم الا ان تختار الانتاج الذي يعجبها بشريا كان ام ماديا . وحسبك ان الانتاج البشري هو الانتاج الحقيقي والاساسي . ولقد ساعد المراه كذلك هذا التطور السريع لوسائل الانتاج الذي اعتمد على الازرار والآلات ، وهذا لا يحتاج الى جهد عضلي او تفكير مركز من المراة ، بل ان المراة تستطيع من خلال هذه الاجهزة ان تمارس عملها دون ان يؤثر ذلك على الانتاج ولو كان ذلك نسبيا .

خففوا عن المراة حملها ، فلا تحملوها مالا طاقة لها به . يكفيها ان تحمل اثقال الحمل والرضاع والتربية والاعمال المنزلية ، وبعض الاعمال الاخرى التي لا تنوء بكاهلها ، ولا تقصم ظهرها . وفوق هذا اطلقوا لها المسؤولية الاستقلالية ، فهي مستقلة عن الرجل في اقوالها وافعالها ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وملكوها ليكون لها التصرف في ملكها ، ومكنوها من حقوقها ليكون لها العزة والكرامة ، وحافظوا لها على كرامتها لتصل الى الفضائل والاخلاق الكريمة .

واغض طرفي ان بدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها

ان الذين حجبوا العلم عن المراة هم قوم جاهلون . وان الذين حرموا الزواج او قيدوه او نظموه او حددوه هم قوم ليسوا في شيء . ان الحاجة النفسية العاطفية تدفع بالانسان لان يتزوج . واذا تزوج فانه تنشأ عنده غريزة الانجاب تفرضها الحاجة ايضا . وتظل هذه الحاجة تفرض نفسها حتى تذهب الارض ومن عليها . وبهذه الحاجات النفسية العاطفية يتقدم الفرد والمجتمع نحو المدينة الحقة ، والحضارة المزدهرة . ان الانتاج البشري هو في مقدمة الانتاج لنمو الصناعة والزراعة والمرافق الاخرى من الحياة . وبهذا الانتاج تشاد الحضارة ، وتبنى الامجاد ، وتعمر الارض بكل مقومات العمران والتطور .

لقد تصدت الاشتراكية لمعالجة مواضيع المراة ، ومشاكلها الادارية

والسياسية والاجتماعية . وكان من اهم اهداف الاشتراكية هو تحرير المراة من كل اضطهاد . لقد كانت المراة قبل ظهور الاشتراكية في اوروبا والاتحاد السوفييتي مضطهدة مستعبدة ، اذ لم تعترف الحقوق الرومانية للمراة بحريتها ، ولا العصور الوسطى التي سمحت بضرب المراة ومنعت توريثها ، واساءت معاملتها . ولا القوانين النابوليونية التي جعلت المراة عبدة للزوج ، وقد وضح نابليون هذا المعنى بقوله : « ان الطبيعة قد جعلت من نسائنا عبدات لنا » . تلكم كانت المراة في ظل هذه القوانين والانظمة حتى جاءت الاشتراكية فاشتملت على مواضيع اوسع مما كانت عليه من قبل ، ووضعت حدا لعذاب المراة واضطهادها ، وبينت للمراة الطريق النضالي في سبيل الوصول الى الهدف المنشود ، وركزت على تحرير الطبقة العاملة ، واوضحت الهدف والوسيلة والاداة ، غير ان الاشتراكية لم تستطع ان تحل جميع مشكلات المراة اذ غالت في الاسباب الاقتصادية مما اثر على الحالات الانسانية ، واصطدمت بعقبات اهمها التي كانت في العالم الثالث اذ طغت العادات والتقاليد والدين على التعاليم الاشتراكية ، وضغط الراي العام ووقف امام طريق التأميم ، وحالت هذه العقبات دون اصدار قوانين جديدة للاحوال الشخصية ، او قوانين اقتصادية اشتراكية . ان تطبيق القوانين الاشتراكية يتطلب نضالا مستمرا ، واستعدادا جماهيريا يتقبل هذا التغيير ، وقوى طليعية ، واسلوبا ثوريا متدرجا ، وارادة ذاتية ، وشروطا موضوعية ، وجراة لمواجهة العقبات والتحديات ، وتنظيما اقتصاديا جديدا ، وحلا جذريا للمشكلة النوعية للمراة ، وتحررا من الاستغلال الرأسمالي والعبودية ، ومساهمة في الانتاج ، وتملكا لوسائله ، والغاء للملكية الخاصة ، وازالة للفروق الاجتماعية ، وتشييدا للمؤسسات الجماعية ، وانعتاقا من سلطة الرجال ، وهجرانا للبيت لتنطلق منه المراة الى العمل والمعامل ، وانتسابا للطبقة العاملة ، ونبذا للبغاء ، واتباعا للقواعد الصحية ، وتشجيعا للزواج الفردي ، وانصياعا للانضباط والقواعد المقررة على نحو جماعي . ويؤكد النظام الاشتراكي على الانتماء الطبقي للمراة ، ويستبعد الانتماء الجنسي ، كما يحث المراة على دخول النشاطات العامة

المتعددة ، وبذلك تتخلص من الاضطهاد والاستغلال ومن القيود البيتية ، وتؤمن لهـا بنفس الوقت الحماية . والاشتراكية اذ تحاول التوفيق بين العمل والامومة تعمل على ازالة التناقضات بينهما ، وايجاد صورة تطورية تتلاشى فيها مجمل الصعوبات . هذا هو مفهوم الاشتراكية ، ومتطلباتها بنظر الاشتراكية ، واساطين الاشتراكية .

ان الشيوعية كانت اول من نادت وطبقت الاسس التي تكفل للمراة انعتاقها من الرجل والبيت ، وفتحت لها باب العمل على مصراعيه خارج البيت ، ونظمتها ضمن طبقة البروليتاريا ، وامنت لها المؤسسات الجماعية (مطاعم ، مغاسل ، دور الاطفال ... الخ) لتتفرغ للعمل في المعامل والمصانع ولتشارك في الانتاج . ولم تكن الاشتراكية الا وليدة الشيوعية ، فاعطت المراة ما اعطته الشيوعية ، الا ان تطبيق الاشتراكية قد تفاوت من بلد الى آخر ، فالدول الاوروبية الاشتراكية كان نصيبها من التطبيق موفورا ، واما في الدول الاخرى فقد كان نصيبها من التطبيق قليلا او كثيرا ، وذلك حسب الاستعداد الجماهيري والنضال والجرأة في التطبيق . ففي بعض البلاد الاشتراكية يقف الراي العام بكل قوته ليحارب تلك النظم ، وليقف سدا منيعا امام انعتاق المراة من الرجل والبيت اذ لايقر ولا يعترف للمراة ان تكون بعيدة عن ابنها وعن منزلها وعن زوجها الا في حدود مرسومة رسمتها المفاهيم الروحية ، والعادات الموروثة . وفي بعض البلاد تارجحت المراة بين البيت ، وبين العمل خارج البيت ، فلاهي اتقنت البيت ، ولا هي اتقنت العمل . وفي بعضها الآخر تفردت المراة بادارة المنزل وبتربية الاولاد واصبحت هذه المهنة علما قائما بذاته يدرس في المدارس الابتدائية والمعاهد العالية واطلق على هذا العلم « الاقتصاد المنزلي » او « الادارة المنزلية » ، ويدرس في هذه المعاهد والمدارس البيت النموذجي ، وكيفية العمل به ، وتحديد ميزانيته ، وانتقاء الوجبات الغذائية مع احتياجات الجسم من العناصر الحرورية ، واعداد الطعام والوجبات ، وطرق تقديم الطعام ، واعداد المائدة ، وكيفية تناول الطعام ، واجراء الزيارات والاحتفالات ، وكيفية المحافظة على اثاث البيت والعناية به وتنظيفه ، والتخلص من الحشرات ، والعناية بالملابس والمفروشات ،

وكيفية التخزين ، والشروط الواجب مراعاتها عند التخزين ، وكيفية المحافظة على صحة الاسرة جميعا ·بيا وجسميا ونفسيا ، وكيفية التعاون مع الرجل في شؤون البيت على اساس من البر والمحبة والتعاون .

ان المراة تتحمل في كل الانظمة سواء كانت شيوعية ام اشتراكية ام راسمالية ام غير ذلك عبء الاعمال الادارية فتراها في المعامل والمصانع مع اختلاف الانظمة التي تعمل بداخلها تقوم بالاعمال الادارية ، وتراها في مؤخرة البلاد تقوم بجميع الاعمال الامدادية والانتاجية ، وتراها في المجال الاقتصادي في المزارع وخلف الآلات على اختلافها ، وتراها في مؤخرة القوات تقوم بالتداوي والاسعاف والتمريض . في كل هذا تقوم المراة ، ومن اجل هذا تناضل ، وفي سبيل حقها تدافع ، وعن وطنها وكرامتها تذود وتقاتل .

ــ ١٥ / ١ / ١٩٧٨

المؤلف

* * *

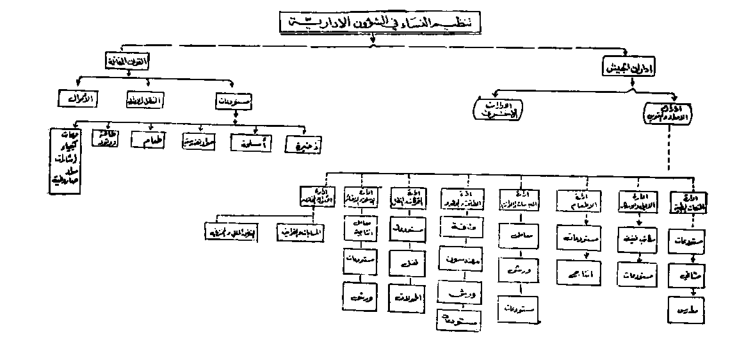
الفصل الأول

تنظيم المراة في الشؤون الادارية وكفاءتها الادارية في التخطيط والتنفيذ

لقد احتلت المراة الجانب الكبير في الشؤون الادارية حتى اضحت تعمل في اغلب الوظائف الادارية المدنية والعسكرية ، فهي في البيت وفي المصنع وفي مسرح العمليات وفي مؤخرة القوات حتى ان عملها شمل الجانب الاداري في السلم والحرب ، تقوم بالامداد والخدمة الطبية والخدمة الفنية واعداد الطعام ، وتقديمه وصنع الملابس ، وتربية الاطفال والقيام بعمليات التخزين المختلفة ، وتنظيم البيوت والمؤسسات الجماعية .

لقد اقتحمت المراة الميادين المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والادارية والعسكرية وهي وان نجحت فيها جميعا فانها كانت الرائدة ايضا في تنظيم الشؤون الادارية واعمالها . وسنستعرض في مقالتنا هذه الجانب الاداري لدى المراة مبينين اهمية المراة في هذا الميدان ، وطول باعها في هذا العمل ، فهي منذ فجر حياتها تقوم بالاعمال الادارية القاسية والصعبة تنقل الامتعة عند الانتقال من مكان الى آخر في العصور البدائية وهي نفسها التي تنقل الآن الذخائر والعتاد تحت ازيز الرصاص ودوي القنابل ، وهذه معركة (ستالينغراد) خير شاهد على قوة المراة الادارية، ولقد كان للفتيات السوفييتيات شرف السبق(1) في انقاذ (ستالينغراد) من الغزاة الالمان، وتلك حقيقة لا يماري

(1) اسماعيل مظهر في كتابه « المراة في عصر الديمقراطية » ص ١٨٠ .


تنظيم النساء في الشؤون الادارية
ادارات الجيش
مستودعات
ذخيرة
أسلحة
طعام
مستودعات
مشاغل
معامل
مهندسون
ورش
مستودعات
معامل
ورش
مستودعات
مستودعات
ورش

فيهـا الا العميان فقد قمن بتموين المدينة خلال الليل وتحت جنح الظـلام ، وحملن اليها الذخيرة والميرة تحت وابل الرصـاص والقنابل، ولولاهن لتداعى ذلك الحصن الذي حمى روسـيا كلها من السـقوط .

وفي العصور الاولى من حياة العرب كانت المراة تحمل على ظهرها قربة الماء من مسـافات بعيدة الى بيتها او الى المقاتلين ، فتلك فاطمة الزهراء يظهـر اثر القربة في نحرها ، وبحز الرحى في يدها .

اولا ـ تنظيم النساء في الشؤون الادارية :

لقد دلت الاحصـاءات على مايلي :

١ ـ إن نسـبة الرجال في الشؤون الادارية لاتزال أكثر من النسـاء ولا سـيما في القوات المقـاتلة .

٢ ـ ازدياد عدد النسـاء في عام ١٩٧٠ حيث شكلن نسبة كبيرة وبخاصـة في بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية ، وكندا فقد قبلت هـذه الدول تطوعهن في جميع ادارات وهيئات الجيش وشعبه المختلفة ، وبلغ عـدد المتطوعات في الجيش الكندي (٢٤٠٠) امراة ، وبلغت النسـبة ٩٨ر٢٪ ، وفي الدنمارك حوالى (٢٤٠) امراة ، وفي فرنسـا (٨٣٠٠) امراة ، وبلغت النسـبة ١ر١٪ ، وفي بريطانيا (١٥٣٠٠) امراة بنسـبة ٤ر١٪ ، وفي هولندا (١٢٠٠) امراة بنسـبة ١ر١٪ ، وفي الولايات المتحدة الامريكية (٦٠٥٠٠) بنسـبة ٧ر٢٪ .

٣ ـ ان السـبب الذي دعا المراة للتطوع في ادارات الجيش ، وفي الشـؤون الادارية للقوات المقاتلة هو المتطلبات الاضافية للقوة البشرية العسكرية. ففي اسرائيل مثلا تتعاظم الحاجة الى استخدام المراة في الشؤون الادارية والاعمال القتالية على السـواء، وقد اعتمدت اسرائيل بالاضافة الى التطوع على مبدا التجنيد الاجباري ، حيث اصبحت النسـبة لاتقل عن الرجال في جميع المجالات حتى الاعمال العسكرية،ورغم ذلك فان النسـاء لـم يعملن في القطعات والوحدات بشكل كبير ، انما كان وجودهن الفعلي في

اعمال الشؤون الادارية على مستوى القوات المقاتلة ومؤخرة البلاد .
ومما قاله مردخاي غور رئيس اركان الجيش الاسرائيلي بمناسبة برنامج الشباب يوم ١٩٧٦/٤/١٣ « ان جيش الدفاع الاسرائيلي يمر حاليا بمرحلة جديدة في مجال اضطلاع المجندات بمهام جديدة مثل العمليات والمراقبة الجوية والاشارة والاستخبارات والامداد والتموين » .

٤ – اشتركت المراة في الحروب الماضية فكانت تواسي المرضى وتضمد الجرحى كما انها في الوقت نفسه اشتركت في القتال اشتراكا فعليا ، وفي تاريخ العرب برزت نسوة قاتلن وقتلن ، وكذلك في تريخ الرومان ، وتاريخ الفرس ، والامم الاخرى ، ومما يلاحظ في هذه الحروب قديمها وحديثها ان الصفة الاساسية للمراة ، والوظيفة الرئيسية لها هي القيام بالتمريض والاسعاف ، والخدمات الطبية المختلفة للمقاتلين .

في ابان الحربين العالميتين ، وفي اعقابهما نزلت النساء بشكل جدي للعمل في الوظائف الادارية حيث شكلن نسبة ٧٥٪ من العاملين في المصانع والمزارع والاعمال الادارية الاخرى ، فحللن محل الرجال الذين كانوا يعملون اعمالا ادارية او محل الذين ذهبوا الى جبهات القتال ، وبهذا اتاحت المراة للرجل ان يقاتل في الصفوف الاولى وبرهنت له على انها قادرة ان تدير المصنع ، وان تزيد الانتاج وان تقوم باتقان الاعمال الادارية الموكلة اليها وقد تبين ما يلي :

آ – استلمت المراة اغلب الوظائف الادارية في المعامل والادارات والمصانع والمزارع وغير ذلك من الاعمال الادارية (كاتبات وضاربات على الآلة الكاتبة اعمال الشؤون المالية الخ ...) وتم تشكيل عدد من الهيئات النسائية اثناء الحربين العالميتين الاولى والثانية وبعدها « نساء ادارة القوى الجوية » في الولايات المتحدة الامريكية « ونساء القوى الجوية المساعدة » في انكلترا وغيرها من دول العالم .

ب – اختصت المراة بالتمريض ونجحت فيه نجاحا باهرا ، وهكذا استوعبت المستشفيات عددا كبيرا من النساء يفوق عدد الرجال .

جـ ـ كانت نسبة النساء اللاتي اشتغلن في الجيش كمقاتلات قليلة ، فحتى الآن تم قبول عدد منهن كضباط في الجيش ، فالولايات المتحدة الامريكية مثلا طوعت في سلاح البحرية حوالي (١١٠٠٠) امراة واطلقت عليهن اسم « النساء الضباط » .

د ـ شكلت ادارات نسائية مهمتها القيام بالخدمة العسكرية مثل «الادارية النسائية القومية»، والادارة المساعدة الاقليمية فيانكلترا، و«الهيئة النسائية المساعدة للجيش» فيالولايات المتحدة الامريكية، وبلغ عدد نسائها في ١٩٤٣ مايقرب من (٢٠٠ر٠٠٠) امراة .

ه ـ يلاحظ ان المراة شكلت نسبة كبيرة في ادارة الخدمات الطبية ، وفي اعمال التمريض ، فكان لدى بريطانيا عام ١٩٤٥ حوالي (٢٠٠ر٤٣٧) امراة منها (٢١٠٠٠) امراة في التمريض ، وفي الولايات المتحدة الامريكية حوالي (٢٦٥٠٠٦) امراة منها ٦١٪ في التمريض ، وفي بريطانيا بلغت نسبة النساء في القوات المسلحة ٥ر٨٪ ، وفي امريكا ١٨ر٢٪ ، ويسير الاتجاه الآن الى رفع نسبة النساء العاملات في القوات المسلحة ، ويتوقع ان تصل في الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٩٧٨ الى ٥ر٧٪ وقد وصل العدد في فرنسا الى ٧٠٠٠ امراة موزعات على الاسلحة المختلفة ، ومن بينهن ٤٠٠ امراة برتبة ضابط ، وقد ترقت امراة واسمها « فاليري فنالديه» الى رتبة جنرال ، وهذه أول سيدة في فرنسا تترقى الى هذه الرتبة ، وقد صدر مرسوم عن رئاسة مجلس الوزراء بترقيتها ، وتعمل الآن في مجال الشؤون الادارية في الجيش ، فهي قد عملت في القوى الجوية . ثم الخدمات الطبية ، ثم الآن تعمل مستشارا فنيا بقيادة النقل الجوي العسكري .

٦ ـ تزداد عدد النساء في الشؤون الادارية على مستوى القوات المسلحة بشكل ملحوظ في جميع دول العالم عدا القليل منها ، فقد كان في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٠ حوالي (٢٢٠٠٠) امراة ، ارتفع هذا العدد في عام ١٩٦٣ الى (٣٢٨٠٠) ، وقفز في عام ١٩٧٢ الى (٤٥٦٠٠) ،

ووصل في عام ١٩٧٣ الى (٦٠٥٠٠) ، وحافظ عدد النساء على وضعه في بريطانيا ، ففي عام ١٩٥٠ كان عدد النساء (٢٣٧٠٠) ثم نقص هذا العدد واصبح في عام ١٩٥٩ حوالي (١٥١٠٠) ، وفي عام ١٩٦٤ حوالي (١٥٨٠٠) وفي عام ١٩٧٢ حوالي (١٥٣٠٠) ، وفي عام ١٩٧٣ حوالي (١٤٩٠٠) ومن الملاحظ ان عدد النساء قد تضاعف اثناء الحرب العالمية ، فبلغ في بريطانيا عام ١٩٤٥ حوالي (٤٣٧٢٠٠) ، وفي الولايات المتحدة الامريكية حوالي (٢٦٥٠٠٠) بينما هبط هذا العدد في عام ١٩٥٠ اذ بلغ في بريطانيا حوالي (٢٣٧٠٠) ، وفي الولايات المتحدة الامريكية حوالي (٢٢٠٠٠) ، واذا اخذنا عدد النسوة اللاتي يعملن في المجهود الحربي ، وفي الشؤون الادارية على مستوى الدولة وجدنا ان هذه الاعداد تتضاعف فتصل نسبة الممرضات في وزارة الصحة السورية ١٠٠٪ من عدد الموظفين ، ونسبة الموظفات الاداريات حوالي ١٧٪ والكتابة والآلة الكاتبة الى ٣٥٪ ، وفي وزارة العدل السورية بلغت نسبة عدد الموظفات كضاربات آلة كاتبة وعاملات هاتف حوالي ٨٣٪ .

٧ ـ المراة حتى الآن عملت في كل الاعمال الادارية، فعلى المستوى الاداري في القطاع المدني بلغت النسبة ٣٠ـ٥٠٪ من عدد الموظفين الاداريين من الرجال والنساء ، واكثر ماتسلمت المراة اعمال الطب والتمريض والسكرتارية والاعمال المكتبية . وعلى المستوى العسكري بلغت نسبة النساء من ١ ـ ١٠٪،ففي المانيا وبعض الدول الاخرى لم تدخل النساء في الخدمة العسكرية بعد ، اما في بريطانيا فقد بلغت نسبة النساء ١٩٤٥ حوالي (٨ر٥٪) وبلغت في الولايات المتحدة الامريكية في ١٩٧٤ حوالي ٢٪ ؛ وبلغت في الاتحاد السوفييتي مايقرب من هذه النسبة . وقد عملت المراة ضمن القوات المسلحة في الاختصاصات الادارية .. ممرضات في المستشفيات ، طبيبات ، امينات مخزن ، كاتبات وضاربات على الآلة الكاتبة ، اعمال السكرتارية ... الخ .

وتوزع عمل النساء في القوات البرية والبحرية والجوية فقد قبلت فرنسا في عام ١٩٧٢ حوالي (٩٥) امراة في القوى البرية و (١٤٥) امراة في

القوى الجويـة ، و (٣٠) امراة في القوى البحرية ، وتتوقع فرنسا ان يصل هـذا العدد في عام ١٩٧٦ الى اكثر من (٣٧٥٠٠) امراة في القوى البرية بما فيها ادارة الخدمات الطبية ، و (١٥٠٠) امراة في القـوى الجوية و (٤٠٠) امراة في القوى البحرية ، وبلغ عدد النساء في الولايـات المتحدة الامريكية في عام ١٩٧٣ حوالي (٢١١٠٠) امراة منها (٢٠٣٠٠) امراة في القوى الجوية ، وتتوقع الاوساط العسكرية ان يزداد ويتضاعف هـذا العدد في عام ١٩٧٨ . ومن الملاحظ ان القوى الجوية تمتص الجزء الاكبر من النساء وذلك لاشتمال هذه القوى على عدد كبير من وظـائف الشؤون الادارية وقد بلغ عدد النساء المتطوعات في الدانمارك في عام ١٩٧٤ حوالي (٢٤٤) امراة موزعات على القوى البرية (١٢٠) والقوى البحرية (٤٦) والقوى الجوية (٧٨) .

وقد تدرجت المراة في الرتب العسكرية وان كان هنالك بعض القيود على ترفيعها وقيادتها ، في فرنسا اعدت خطة لتحصل النساء علـى حقوقهن في الترقي والحصول على الرتب العسكرية المختلفة ، وستحصل المراة بموجب هـذا التخطيط في عام ١٩٨٠ على الرتب العسكرية وسيكون في الجيش امراة واحدة برتبة عميد ، و (٩) برتبة عقيد ، (١٥) برتبـة مقدم ، و (٤٢) برتبة رائد . والمراة في هذا تقود النساء ولها الامرة على بنات جنسها فقط ، اما في الدانمرك فقد سن قانون يسمح للمراة بموجبه ان تنتسب الى الجيش وتترقى حتى رتبة رقيب اول ، واما في الولايات المتحدة الامريكية فقد وصلت المراة الى رتبة فريق وهي الآن تعمـل في هيئة التمريض البحرية ، واما في بريطانيا تتدرج المراة في الرتب كالرجال ولها القيادة على من دونها رتبة من الرجال والنساء الا في القوى الجوية فهي تعاون الرجل في مهامه حيث يقود التشكيل رجل تعاونه امراة في القيادة . وفي تركيا انتسب عدد كبير من النساء الى الكليات الحربيـة والبحرية والجوية كطلاب ضباط منذ عام ١٩٥٥ ، وقد تقـرر وجود النسـاء في الخدمات الطبية اذ يبلغ عددهن حوالي (٢٤٤٤) امراة ويخدمن في الشؤون الادارية والفنية ، والاقسام الادارية ، والاتصالات ، والنقل ،

والخدمة الطبية ، والهندسة الاليكترونية ، وتخطط كندا ليصل العدد في عام ١٩٨٣ الى ١٩٨٤ الى (٨٠٠) امراة .

لقد ساهمت المراة في البلدان الاشتراكية في القتال مع الرجل وذلك بانضوائها تحت لواء وحدات الانصار ، واختصت بالاعمال الادارية كالتمريض ، والاشراف والعمل في المزارع الاشتراكية ، والقيام باعداد الطعام ونقله ، وتربية الاطفال ، وتطوير الحركات النسائية والجمعيات الخيرية ...

فقد استطاعت المراة الكوبية ان تدخل الجيش وتحصل على الرتب العسكرية شانها في ذلك شان الرجال ، الا ان نسبة الرجال لاتزال متفوقة، وقد عملت المراة الكوبية اثناء الثورة واثناء الحرب في الشؤون الادارية كتنظيم الاتصال ، ونقل البريد ، والتمريض ، والتعليم ، والخياطة ، وغسل ملابس الجنود ، ونقل السلاح الى المقاتلين ، وحماية الثورة ، والدفاع عن مكاسبها ، وتنظيم الملاجىء . واما المراة الفيتنامية فقد انخرطت في الاعمال القتالية ، وحلت محل الرجال في كل الاعمال الادارية حيث تدربت على الآلات الزراعية ، وعملت في المصانع ، وفلحت الارض ، ورصفت الطرقات ، وهيأت الطعام ، وخاطت الملابس ، وضمدت الجراح . واما المراة الصينية فقد انتقلت من المنزل الى المصنع ، ومن الاقتصاد الفردي الى الاقتصاد الجماعي ، وزرعت الارز ، ودعت الى التقشف ، استغنت عن الكماليات واكتفت بالقليل . واما المراة السوفياتية فعملت في المصانع بصورة متواصلة لزيادة الانتاج ، وتابعت العمل في المشافي،وقامت بدور كبير في الدفاع المدني وفي اعمال الشؤون الادارية بصورة عامة .

٨ ـ ان المراة الريفية اقدر على ممارسة الشؤون الادارية في المنزل والحقل من المراة الحضرية ، فالمراة الريفية تشارك في زراعة الحقل ، وفي العمل مع زوجها كما تقوم في الوقت نفسه بتربية اولادها وادارة منزلها .

ثانيا ـ وظائف المراة في الشؤون الادارية :

غزت المراة وظائف الشؤون الادارية على المستويين المدني والعسكري ، واصبحت تشكل النسبة الكبيرة في هذه الوظائف ولو اردنا ان نقسم عمل المراة في وظائف القوات المسلحة في الوقت الحاضر لوجدناها تمثل الوظائف التالية :

١ ـ وظائف الشؤون الادارية (كاتب امين مخزن ، رئيسة قسم المهمات أو التعيينات او الوقود او الملبوسات او المستودعات ، ضاربة آلة كاتبة ، النقل ، الامداد ، الخدمات الطبية ، الاتصالات السلكية واللاسلكية ، ورش المعامل والمصانع العسكرية ، الدفاع المدني بجميع فروعه ، ضباط مكاتب ، العمل في الافران العسكرية ، تنظيم المرور .. الخ .

٢ ـ الوظائف الفنية : تصليح آلات واجهزة دقيقة ، تصليح وسائط النقل ، تصليح الوسائط الفنية للمهمات والوقود ، خياطة البسة وتجهيزات ، عاملات رادار ، الهندسة الالكترونية ، العمل في المصانع على الاجهزة الدقيقة ... الخ .

٣ ـ الوظائف القتالية : تم تنظيم المراة في مصلحة خفر السواحل ، ففي الولايات المتحدة الامريكية تطوعت (٣٢) امراة في هذه المصلحة في عام ١٩٧٣ ، ثم تم قبول دفعات متتالية بعد هذا التاريخ ، وقبلت اول امراة كطالب ضابط طيار عام ١٩٧٣ وتطوعت امراة في بارجة بحرية ، ودخلت امراتان مدرسة المظلات وتخرجتا ، وفي الدانمارك اشتركت المراة في التدريب والقتال ، وكذلك في فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفييتي على ان المراة وان دخلت الوظائف القتالية (رامي ، شرطي ، مظلي ، خفر سواحل ، سائق دبابة ... الخ

فلا يسمح لها بمزاولة جميع الوظائف القتالية ، فدستور الولايات المتحدة الامريكية الباب العاشر منه الفصل (٥٥٥) القسم (٦٠١٥) ينص على ما يلي : « لايجوز تعيين النساء للعمل في الطائرة المقاتلة او في السفن الحربية ما عدا سفن المستشفى او سفن النقل » كما يلاحظ ان المراة

قد نجحت في الاستخبارات ، وفي تتبع المعلومات ، لدى دخولها وظائف الاستخبارات بشكل واسع .

وستنتج مما تقدم ان وظائف الشؤون الادارية هي الوظائف المعنية التي تغزوها المراة ، حتى ان اغلب ادارات القوات المسلحة في بعض الجيوش يتالف معظمها من النساء ، ولا سيما ادارة الخدمات الطبية . وتشكل المراة في هذه الوظائف اكبر نسبة ، ثم تاتي بعدها الوظائف الفنية فالوظائف القتالية ، على ان المراة وان دخلت التشكيلات المقاتلة ، والقوات البرية والجوية والبحرية فانها تحتل في هذه التشكيلات وهذه القوى الوظائف الادارية فيها . وقد اعطت بعض الدول الى هذه الناحية اهميتها فأولتها الاهتمام اللازم وذلك بأن اسندت الوظائف الادارية الى النساء ودفعت بالرجال الى الوظائف القتالية في نطاق الاستفادة من القوى البشرية في الامكنة المناسبة ، وفي مواجهة المتطلبات الاضافية لكلا الجنسين في الخدمة العسكرية .

٤ ـ دخلت المراة القوات المسلحة اما بصورة مستقلة على شكل هيئات نسائية مساعدة مثل « الهيئة النسائية المساعدة للجيش » التي شكلت في عام ١٩١٧ في بريطانيا وكذلك « الهيئة النسائية للقوى الجوية الملكية » و « الهيئة النسائية لسلاح البحرية الملكية »،وفي الولايات المتحدة الامريكية شكلت « متطوعات مصلحة الطوارىء » و « النساء في قوات رماة البحرية الامريكية (المارينز) »،وفي عام ١٩٤٨ شكلت « نساء ادارة القوى الجوية »،وفي فرنسا شكلت « الادارة النسائية القومية » و « الادارة النسائية للقوات المسلحة »،وفي الدانمارك شكلت ثلاث هيئات نسائية وكذلك في هولندا وغيرها من الدول . واما بصورة شعب مستقلة ضمن ادارات الجيش اذ خصص في كل ادارة من ادارات الجيش فرع نسائي يقوم بكافة الوظائف الادارية المطلوبة . واما انها دخلت بصورة مختلطة كما جرى في سلاح البحرية الامريكية ، وطائرات النقل ، وسفن المستشفى ، او النساء اللاتي دخلن في الشرطة العسكرية،

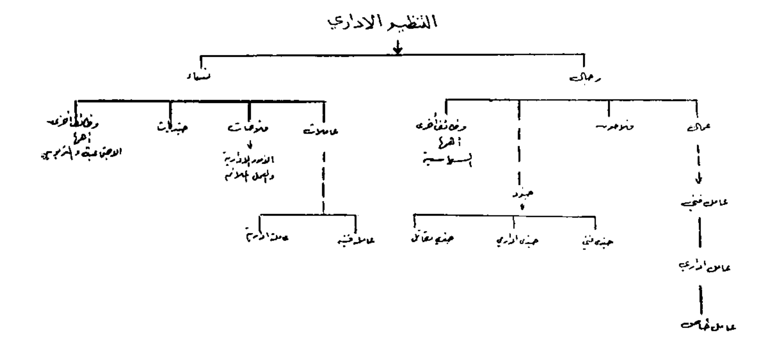
وفي المظـلات . وتقول « نانسـي ل. غولدمان » الباحثـة الاجتماعيـة في جامعة شيكاغو والتي تختص بهذه الدراسات تكشف المعلومات الواردة من الدانمارك والولايات المتحدة الامريكية حيث يتدرب النسـاء والرجال جنبـا الى جنب .

٥ ـ ان المراة سيكون لها مجال اكبر في الوظائف الادارية عندما تواجـه الدول المتطلبات الاضافية للقوى البشرية ، وتشتد الحاجة اكثر فاكثر الى الرجل ليكون في الانسـاق الاولى ، وفي الوظائف القتاليـة تـاركا للمرأة الانسـاق الثانية والوظائف الادارية ، ان المتطلبات الاضافيـة ستكون كبيرة وملحة في الدول المتقدمة ، وفي الدول الصناعية ، وفـي الدول الضعيفة بمواردها البشرية وحينئذ تضطر هذه الدول لاستخدام النساء في الاعمال الادارية ، واستخدام الرجال في الوظائف القتالية ، وهذا ماينطبق على اسرائيل اذ ان مواردها البشرية قليلة ولهذا كانت المتطلبات الاضافية ملحة لكي تشترك المراة في القوات المسلحة وخاصة في الوظائف الادارية وحتى في الوظائف القتالية،ويبدو واضحا الدور المهم للعنصر النسائي في الدول المتقدمة والمتطورة صناعيا وتكنولوجيـا كبريطانيا التي تستخدم النسـاء بصورة متزايدة وكالولايات المتحـدة الامريكيــة وغيرها ، بينما نجد العكس تماما في الدول النامية كدول افريقيا وبعض دول آسيا حيث لايوجد العنصر النسائي في القـوات المسلحـة الا نادرا .

٦ ـ التنظيم الاداري للنسـاء يعتمد اول مايعتمد على مساعدة ومساهمـة هذه الطاقة الكامنة في الموارد البشرية في جميع الفعاليات المدنية والعسكرية على السـواء .

ينطلق هذا التنظيم من المبادىء التالية :

آ ـ تـرك جميع الفعاليـات والطاقـات في وزارات وادارات الدولـة ومؤسسـاتهـا .


التنظيم الاداري
رجال
نساء
عمال
متطوعون
جنود
رفع ثقافة أفراد
السياسية
عامل فني
عامل اداري
عامل خاص
جندي فني
جندي اداري
جندي مقاتل
عاملات
متطوعات
جنديات
رفع ثقافة أفراد
الاجتماعية والتربوية
الامور الادارية
والعمل اللازم
عاملة فنية
عاملة ادارية

ب ـ تطوير هذه المشاركة ، والتدريب على الاعمال الادارية بصورة مستمرة ، والحصول على نتائج ايجابية تتناسب مع التطور في البلاد الاخرى من العالم .

جـ ـ ان يبذل الجميع جهدهم لانجاز الاعمال .

د ـ مراعاة الاختصاص والتدريب عليه واحترامه وضرورة ملاءمته للقدرة الذاتية للعامل والعاملة .

هـ ـ التنظيم الاداري يجب ان تديره الطليعة من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والثوريين .

و ـ اتباع القواعد العلمية في كل تنظيم اداري ، والعمل على اعادة تنظيم الزراعة والصناعة وغيرها على اسس علمية صحيحة .

يقول لينين : (نحن لسنا بالخياليين ، فنحن نعلم ان أول فاعل أو أول طباخة نصادفها ليسا بقادرين فورا على المشاركة في ادارة الدولة . نحن متفقون مع « الكاديت »، ومع « براشكوفسكايا ») ، ومع «تسيريتليي» وغيرهم حول هذه النقطة . ولكن مايميزنا عن هؤلاء المواطنين هو اننا نطالب بالتخلي كليا عن الفكرة القائلة بأن الموظفين الاغنياء ، وابناء العائلات الميسورة هم القادرون وحدهم على توجيه دفة الدولة والقيام بالعمل اليومي للادارة . اننا نطالب بأن يتدرب العمال والجنود الواعون على ادارة الدولة وان يبدأ ذلك دون تأخير، أي أن يبدأ دون تأخير اشراك جميع الشغيلة وجميع المواطنين الفقراء .

٧ ـ اسهام النساء في التنظيم الاداري وفي كل الاعمال القيادية « وبدون مساهمة النساء مساهمة فعالة لايمكن ان تكون هناك ثورة اشتراكية »(١) كتاب لينين والمراة تعريب زينب بنوة ص ١٣، ويمكن للاشتراكية ان تخلص المراة من نير العبودية وذلك بنقلها من الاستثمارات الجماعية ، والى

---

(١) كتاب لينين والمراة تعريب زينب بنوه ص ٩٥

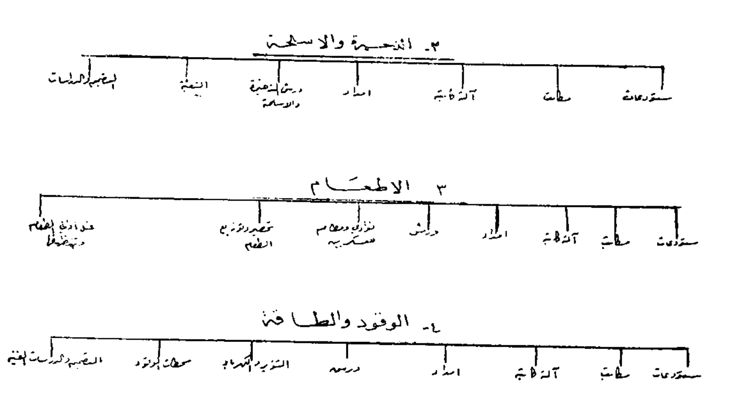
العمل الجماعي في الارض ولكن « حتى الآن لم تستطيع اية جمهورية ان تحرر المراة ، ولكن سلطة السوفيات تتقدم لمساعدتها . ان قضيتنا لاتقهر لان الطبقة العاملة التي لايمكن السيطرة عليها تنهض في جميع البلدان وهذه الحركةانما تعني نهوض الثورة الاشتراكيةالتي لاتغلب[1] ».

٨ ـ على مستوى الشؤون الادارية في القوات المسلحة تقوم المراة بدور كبير في هذا المجال فهي تنوع الاعمال الادارية ، وبعضا من الاعمال الفنية والقتالية ، واهم الاعمال الادارية التي تقوم بها هي : بعث القوى المعنوية في الجنود المقاتلين ، والاهتمام بأفراد القوات المسلحة ، والامداد بأنواع المواد التموينية ، وتوزيع الاغذية والانصبة الامدادية ، والعمل في المطاعم وفي الندوات والنوادي العسكرية ، وفي المستودعات والالبسة والخياطة ... الخ ويقول لينين « ان المراة قادرة ايضا على ان تعمل زمن الحرب ، عندما يحتاج الجيش للمساعدة ، وان تقوم بالتمريض في صفوفه ، ويجب ان تلعب في كل هذا دورا فعالا لكي يشعر الجيش الاحمر انه ينال الاهتمام والعناية،ويمكن للمراة ايضا ان تعمل في مجال التموين وتوزيع التغذية وتحسين التغذية العامة وفي مضاعفة المطاعم الشعبية المنظمة حاليا بشكل واسع في « بتروغراد » هذه هي المجالات التي تعطي قيمة حقيقية لعمل العاملات على مستوى التنظيم . ان اشتراك المراة كذلك ضروري جدا في تأسيس المشاريع الضخمة التجريبية ومراقبتها كي لا يكون مثل هذا العمل عمل شخص واحد ، اذ لايمكن تحقيق هذه المشاريع دون اشراك عدد كبير من الشغيلات ، ويمكن للعاملة ان تتلاءم مع مثل الاعمال التالية ، كمراقبة توزيع الاغذية ، والاعتناء بتنظيم افضل للتموين . ان العاملة اللاحزبية قادرة على هذه المهمة ، وان انجاز هذه المهمة سيساعد في الوقت ذاته واكثر من اي امر آخر على توطيد المجمع الاشتراكي .

ثالثا ـ تنظيم المراة في الجيش :

ينطلق تنظيم المراة في الجيش من الاعتبارات التالية :

(١) نفس المصدر السابق ص ١١١ ـ ١١٢ .


٢- الذخيرة والاسلحة
٣ الاطعام
٤- الوقود والطاقة

هي التي تسيطر على الحروب ،بل ان هناك قوة علمية طغت على قوة الجسم ، ويمكن للمراة ان تقوم بأعمال عسكرية او غير عسكرية دون الحاجة الى قوة عضلية كبيرة كما يمكن ان تتساوى مع الرجل في مضمار العلوم العسكرية ، ولقد اثبت العلم ان المراة اقدر من الرجل في سرعة الكتابة ، وسرعة الملاحظة وتتبع العمل اليدوي ، وهي بهذا تتكيف مع واقع العلوم المتطورة اكثر من الرجل ، كما اصبح بوسع المراة ان تمارس الاعمال التي يمارسها الرجل عدا قليل من الاعمال التي تتطلب الجهد العضلي . ولهذا بات من الواجب ان تؤهل المراة تأهيلا عاليا تستطيع بموجبه ان تقوم بالعمل المسند اليها دون اية صعوبة ، ويمكن القول بان التطور في هذا العصر كان لصالح المراة التي ظهرت الى جانب الرجل تؤدي دورها كاملا غير منقوص ، ومن صفات هذا التطور السرعة والتعقيد والتقنية العالية ، وهذه امور تتطلب من المراة ان تكون على درجة كبيرة من العلم والفهم والادراك .

ومن صفات هذا التطور انه كان سريعا لدرجة انه يبطل العتاد والاسلحة الحديثة بمجرد خروجها من المعامل والمصانع ، وعلى المراة ان تكون مستوعبة لهذا التطور السريع ومستعدة لمسايرة هذا التطور كما ان من صفات هذا التطور التعقيد والتقنية الامر الذي يتطلب اناسا مبدعين مفكرين ومهندسين لكي ينافسوا غيرهم ويسبقوهم ، ومن الصفات ايضا السهولة في الاستخدام للذين اتقنوا تشغيل هذه الآلات والمعدات ، لذا ينبغي على المراة ان تتسلح بالعلم والاطلاع والادراك .

٣ ـ تفجير القوى الكامنة في العنصر البشري : بما ان النساء يشكلن نصف المجتمع فان الطاقة المتوفرة لديهن كبيرة ويجب الا تبقى مهدورة ضائعة، لان تعطيل هذه الطاقات تؤدي الى خسارة كبيرة في الانتاج وبالتالي رفع نسبة المستهلكين ، وان تفجير هذه القوى وتشغيلها يعطي المراة مكانة سامية يجعلها تتبوأ مكان الصدارة في كثير من الاعمال لا سيما الادارية منها التي اتسعت حتى شملت معظم الاعمال المدنية والعسكرية ، فهي رئيسة ، وقائدة للجيش ، ومربية ، وممرضة ورافقة التطور

سائرة في طريق التقدم ملتزمة بالعلم والمعرفة غزت الفضاء واخترقت المدارات ، ووطئت بقدميها اديم القمر ، ثم ان اقاظ هذه القوى في المراة يمنحها شخصية قوية ويعودها الاعتماد على النفس دون الاتكال على الآخرين ، ويساعدها على تنشئة اولادها ، ويدفعها بعيدا عن براثن الفقر والعوز ، ويقوي فيها الاخلاق ، ويجعلها صحيحة الجسم سليمة العقل والتفكير .

٤ ــ باب العمل مفتوح على مصراعيه لكل امراة وعليها ان تجد العمل المناسب لها متمشيا مع رغبتها وطاقتها وظروفها .

يمكن ان تعمل المراة في قيادة مؤخرة الجيش في الوظائف التالية :

في التنظيم والتعبئة في البنك المركزي اي في الحسابات المالية ، وفي مركز البريد . وفي التحركات ، وفي هيئة تحرير الصحف ، وفي الادارة السياسية ، وفي مصلحة الطبوغرافيا ، وفي التسليح ، وفي المركبات وفي فروع الامداد المختلفة او مصالح التعيينات والمهمات والخدمة الطبية والوقود او النقل او في اركان المؤخرة ، او في المطاعم ، او في نقطة جمع التقارير او الضابطة او قسم المرور . بعمليات التخزين والمؤسسات الجماعية .

وكمحصلة فان المراة استطاعت ان تدخل ميادين العمل المختلفة من كل ابوابها . وان تعطي نتائج قيمة في عملها ، الا انه من الملاحظ من الاحصاءات ، والواقع العملي للمراة انها طرقت ابواب العمل الاداري بشكل اوسع من اي عمل آخر ، واستطاعت ان تبذ الرجل في بعضها ، فالرجل دونها في الاسعاف والتمريض وفي بعض الاعمال الادارية الاخرى ، فالمراة هي اللبنة التي تكمل بناء الحياة الذي ابتداه الرجل ، والمراة هي المحور الذي دار حوله الرجل ، فكان كل عمل يكمل بوجودهما ويتطور باتحادهما وتعاونهما . هي نفسها التي والعناد تحت ازيز الرصاص ودوي القنابل ، وهذه معركة (ستالينغراد) خير شاهد على قوة المراة الادارية ، ولقد كان للفتيات السوفييتيات شرف السبق[1] في انقاذ (ستالينغراد) من الغزاة الالمان ، وتلك حقيقة لا يماري

[1] اسماعيل مظهر في كتابه « المراة في عصر الديمقراطية » ص ١٨٠ .

يكون الصرف تبعا للواردات وعلى اساسها ، ويجب ان يحسب ضمن الميزانية شيء من الاموال ترفع للتوفير مهما يكن هذا التوفير قليلا ، وان يكون كل من الزوج والزوجة لديهما معلومات عن كيفية الادخار لان في الادخار تنمية للدخل القومي ، ورفاهية للبيت السعيد . ان الذين لايفكرون بوضع ميزانية ، ولا يحددون الصرفيات ، ولا يوفرون انما هم قوم فوضويون سرعان ماتنتاب بيوتهم هزات مالية تؤثر على العلاقة الزوجية ، وعلى مستقبل الاولاد .

٤ ـ تعليم الاولاد على نهج سليم يؤدي بهم الى الاخلاق ، والى ان يكونوا اعضاء نافعين في هذا المجتمع قادرين على العطاء . وتعليم الاولاد يجب ان يشمل الناحية النفسية ، والجسمية ، والعقلية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وان يأخذ من كل ناحية نصيبا بالقدر الذي يكفل له تنميته وتطوره ، وبالقدر الذي يمكن ان يؤدي من خلالها رسالة المجتمع واهداف امته .

٥ ـ المحافظة على صحة الاسرة : وفي هذا الصدد يمكن القول : باتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب والسكن الصحي الذي يتخلله الهواء ، وتدخله الشمس ، والملابس التي يجب ان تكون ملائمة للشروط الصحية ، ومن المفروض ايضا ممارسة الالعاب الرياضية الملائمة ، والتعرض لاشعة الشمس ، والنوم المبكر ، والتمتع بمناظر الطبيعة ، واجراء الرحلات المتعة ، ومطالعة الكتب المفيدة ، واتباع قواعد النظافة في الطعام والشراب واللباس والبيت ، والاثاث ، والجسم ، والتعود على السباحة ، وعمل كل مامن شأنه ان يعود على الاسرة بالصحة والسلامة العقلية والجسمية ، وقديما قيل : « العقل السليم في الجسم السليم ».

٦ ـ توزيع الوقت على الاعمال المنزلية : من المهم جدا توزيع الوقت وضبطه على الاعمال البيتية . وهناك عمل يومي من اهم اجزائه تهيئة الطعام ، وترتيب الاسرة والغرف ، وقراءة بعض الصحف والمجلات ، والاستماع الى بعض الاحاديث في المذياع ، وغسل الاواني وتنظيفها ، وتخييط بعض

١ ـ المتطلبات الاضافية للجيش في اسنانه وفي ذيله ، وتشتد الحاجة أكثر في الذيل ومن المؤكد في الوقت الحاضر انه لايمكن الاستغناء عن العنصر النسائي في مؤخرة البلاد في المصانع والمزارع ، وعمليات الاسعاف والانقاذ والتمريض وحملات التبرع ورفع الروح المعنوية للجنود المرابضين على الخطوط الامامية ، ومواساة المنكوبين ، وتكريم اسر الشهداء ، والاشراف على مدارس ابنائهم . كما تقوم المرأة بدور مهم في اعمال الدعاية على مستوى المنظمات المحلية والدولية ، وتشرح للوفود الاجنبية والمحلية عدالة القضية ومشروعية الحرب ، وبربرية العدو،كما كانت تفعل تماما المرأة العربية اثناء حرب تشرين ١٩٧٣ حيث كانت تقوم بتوضيح الاعمال الوحشية للعدو وقصفه للسكان المدنيين وتدميره للمدن كمدينة القنيطرة والسويس والاسماعيلية وغيرها . وكانت تلك المدن محج الوفودالنسائية.

٢ ـ التطوير الذي طرأ على وظائف القوات المسلحة ، والثورة التقنية التي برزت في الاعمال العسكرية فشملت انواع القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية واستخدمت قوات جديدة كقوات الصواريخ ، وظهرت طرق جديدة في التكتيك والعمليات والاستراتيجية ، وتغيرت وسائل القيادة ، وتبدلت البنية التنظيمية للقوات ، ودخلت « المتممات » على نطاق واسع في السلاح والعتاد ، ونمت القوات المسلحة الى حد تستطيع معه استيعاب هذا التطوير ، وازدادت قوة النار والحركة والمناورة العالية والمدى والتركيز والدقة اذ تستطيع قذيفة صاروخية م/د ان تصيب الهدف من طلقة واحدة ولمسافة بعيدة كما امكن استخدام العتاد والسلاح في جميع الظروف الجوية ، كما برز دور الدفاع الجوي كدفاع فعال ضد الطيران ، وولدت حرب جديدة اطلق عليها الحرب الالكترونية ، وغدت اشعة الليزر تحتل المرتبة الاولى والمهمة في تحديد الاهداف والتقاطها وتدميرها وفي مجال التدريب ، وسيحدث سلاح الليزر انقلابا كبيرا في عالم الاسلحة التي سيحل محلها .

ان التطور الذي مر ذكره كان لصالح المرأة فلم تعد القوة الجسدية

اعمال الشؤون الادارية على ... المقاتلة ومؤخرة البلاد .

ومما قاله ... رئيس ... الاسرائيلي بمناسبة برنامج الشباب يوم ١٣ / ... ١٩٦٦ ... الاسرائيلي يمر حاليا بمرحلة جديدة في مجال اضطلاع ... بمهام جديدة مثل العمليات والمراقبة الجوية والاشارة والاستخبارات والامداد والتموين » .

٦ ـ اشتركت المراة ... الماضية في ... واسي المرضى وتضمد الجرحى كما انها في الوقت نفسه اشتركت في ... اشتراكا فعليا . وفي تاريخ العرب برزت ... قاتلن وقتلن ... في تاريخ الرومان ، وتاريخ الفرس . والامم الاخرى . ومما يلاحظ في عهد الحروب قديمها وحديثها ان الصفة ... للمراة . و ... لها هي القيام بالتمريض والاسعاف ، والخدمات الطبية المختلفة ...

في ابان الحربين العالميتين ، وفي اعقابهما نزلت النساء بشكل جدي للعمل في ... الادارية حيث شكلن نسبة ٧٥٪ من العاملين في المصانع والمزارع والاعمال الادارية الاخرى ، فحللن محل الرجال الذين كانوا يعملون اعمالا ادارية او محل الذين ذهبوا الى جبهات القتال ، وبهذا اتاحت المراة للرجل ان يقاتل في الصفوف الاولى وبرهنت له على انها قادرة ان تدير المصنع ، وان تزيد الانتاج وان تقوم باتقان الاعمال الادارية الموكلة اليها وقد تبين ما يلي :

آ ـ استلمت المراة اغلب الوظائف الادارية في المعامل والادارات والمصانع والمزارع و... ذلك من الاعمال ... على الالة الكاتبة ... المالية الخ ... عدد من الهيئات ... الثانية ... العالميتين الاولى والثانية بعدها « نساء ... في ... المتحدة الامريكية « ونساء ... في ... من دول العالم .

ب ـ اختد ... ونجحت فيه ... اهرا . ... استوعبت ... عددا كبيرا من ... عدد الرجال .

تنظيم الشؤون الادارية في المنازل اشتغلن في الجيش كمقاتلات قليلة ،

يقصد بتنظيم الشؤون الادارية المنزلية هو تحضير وعمل كل الاجراءات التي يتطلبها المنزل من اعداد للطعام ، وتنظيم ... حوالي ... الكفاءة ... اجراء والطبيب ... للضباط ... الصحة و ...

للاسرة ... شكلت المحاربات ... الخدمات العسكرية مثل الامان والوقاية من الاخطار ... السبل الكمبيلة ... والطمأنينة ... الهيئة ... في الولايات المتحدة الامريكية

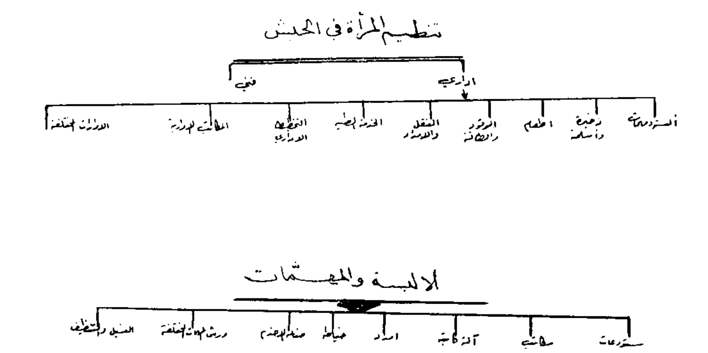
١ ـ ... وبلغ عدد ... في ١٩٤٣ ... امراة .

٥ ـ يلاحظ ان المراة شكلت نسبة كبيرة في ادارة الخدمات الطبية ، وفي اعمال التمريض ، فكان لدى بريطانيا عام ١٩٤٥ حوالي (٢٧٬٤٣٧) ... المراة في التمريض ، وفي الولايات المتحدة الامريكية حوالي ٣٦٥٠٠٦ امراة منها ٦١٪ في التمريض ، وفي بريطانيا بلغت ... للنساء في القوات المسلحة ... في امريكا ١٨٫٢٪ ... الاتحاد ... نسبة النساء العاملات في القوات المسلحة ، ويتوقع ان تصل في الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٩٧٨ الى ٥٫٧٪ وقد وصل العدد في ... ٧٠ امراة موزعات على الاسلحة المختلفة ، ومن

٢ ـ التعاون الوثيق والتفاهم بين المراة والرجل في ... بينهن ... امراة برتبة ضابط ، وقد ترقت امراة واسمها « فاليري ... » الى رتبة جنرال ... ومما يزيد في هذا التعاون والتفاهم هو ... الوظيفية ... على العقبات ... الجوية ... وتكون اساسا ... واساسا ... النقل الجوي العسكري ... التفاهم بين المراة والرجل ضرورة ملحة ، و...

٦ ـ اهم ... المتطلبات الاولية ... فقد كان في

٣ ـ ... افضل السبل للانفاق ، ولتحديد ابواب الميزانية لكل المصروفات ، فالصرفيات يجب ان لاتتجاوز بحال من الاحوال ارقام الواردات ، وان
الولايات المتحدة الامريكية عام ... العدد في عام ١٩٦٣ الى (٣٢٨٠٠) ، وقفز في عام ١٩٧٢ الى ...


تنظيم المرأة في الجيش
اداري
فني
المستودعات
ذخيرة وأسلحة
الطعام
الوقود والطاقة
النقل والامداد
الخدمة الطبية
التخطيط الاداري
الادارات المختلفة
الالبسة والمهمات
مستودعات
ملابس
آلة كاتبة
امداد
خياطة
صناعة الاحذية
الغسيل والتنظيف

تصنع وتخزن القديد ، والحبوب ، والسمن ، والجبن ، والدبس ، والزبيب ، والشعير ، وغير ذلك من الاطعمة المختلفة .

واما عن البيت واثاثه فقد كانت المراة في منزلها تقوم باعمال النسيج والحياكة ، وبصنع البسط والحصير والنمارق والمكانس كما تقوم بنظافة البيت والاشراف على ترتيب اثاثه .

واما عن تربية الاطفال واعدادهم فقد كانت المراة فيما مضى تعتني بأولادها منذ الحمل . فهي تختار وقت حملها اذ تبتعد عن الوقت الذي يعقب الطهر مباشرة ، كما كانت تبتعد عن الرجل قبيل الحيضة وكانت المراة تردد قائلة « والله ما حملته تُضعا ولا وضعا » تشير بذلك الى انها لم تحمل به في هذين الوقتين : عقب الطهر وقبيل الحيضة . ومن اقوالهم ايضا « واذا تزوجت فاسأل عن الفض ومنبته » ويقولون « الام وعاء الولد » . ولم تكد تنتهي فترة الحمل حتى تأتي فترة الارضاع فهي حريصة كل الحرص على تطبيق القواعد الصحية وهناك بعض القبائل كانت تلتمس لها مرضعات في غير القبائل المنتمية اليها للحصول على صفاء الفكر وفصاحة اللسان وقد قال العرب : « لاتسترضعوا الحمقاء والعمشاء فان اللبن يعدي » وتظل المراة تختار لابنها المراضع حتى يبلغ عامين ، ثم تتولى بنفسها العناية به ، فهي تعتني في نظافته وتسوسه وتربيه نفسيا وعقليا وجسميا . ومن اقوالهم « ولا انمته تئدا ، ولا أبته على مأقة » . فلا ينام الولد الا مسرورا ، وهي تغني الاغاني التي تدل على زرع الشجاعة والكرم والوفاء وفصاحة اللسان . ثم اذا شب تعلمه كل مايناسبه . وقد قيل : « لايسود الا من تكاملت فيه ست خصال : الشجاعة والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان» .

١ ـ اعداد وتهيئة الطعام :

ان الطعام ضروري للجسم ليستطيع تأدية العمل المطلوب منه . وتختلف الوجبات الغذائية من وقت لآخر ، كما تختلف من شخص الى شخص لاعتبارات كثيرة اهمها : نوع العمل ، والسن ، والجنس . فالعامل الذي

والصحون والاواني والملاعق التي تستعمل ، فتقوم المرأة فتنظف الصحون

او الطاولة ، ثم تقوم بغسل الاواني ، فتضع كل غرض في محله ، وترتب

بيتها بحيث يعود كما لو كان قبل الطعام . وكذلك العمل [illegible]

من [illegible] الملاحف ، وترتيب الاسرة ، وتهوية الغرف وغير

ذلك من الاعمال [illegible] وهكذا بالنسبة للاستحمام والاعمال الاخرى .

كالتمريض ، والاشراف [illegible] المزارع [illegible] باعداد

٩ ــ القدرة على تخطيط الاعمال المنزلية والقدرة على [illegible] والجمعيات

وحل المشاكل و[illegible] الصعوبات . من المعلوم ان التخطيط يلعب دورا

رئيسيا في تنفيذ الاعمال المنزلية ، و[illegible] هذا التخطيط يمكن ان

لصاب الاسرة بضائقة مادية [illegible] ان يدخل الجيش وتحصيل على الرتب [illegible]

[illegible] التخطيط [illegible] الرجال [illegible]

الاختيار والطوارئ والتوفير ، وبالمقابل [illegible] الادارية

[illegible] ونقل [illegible] على الخدمات حتى [illegible]

[illegible] ملابس الجنود ، ونقل السلاح الى [illegible] الاولاد [illegible]

والدفاع عن مكاسبها ، [illegible] الملاجئ . واما المرأة [illegible] فقد

انخرطت في الاعمال [illegible] وحلت محل الرجال في [illegible] الاعمال الادارية

حيث تدربت على الآلات الزراعية ، وعملت في المصانع ، وفلحت الارض ،

ورصفت الطرقات ، وهيأت الطعام ، وخاطت الملابس ، وضمدت

الجراح . واما المرأة الصينية فقد إنتقلت من المنزل الى المصنع ، ومن

الاقتصاد الفردي الى الاقتصاد الجماعي ، وزرعت الارز ، ودعت الى

التقشف ، استغنت عن الكماليات واكتفت بالقليل . واما المرأة السوفياتية

فعملت في المصانع بصورة متواصلة لزيادة الانتاج ، وتابعت العمل في

المنافي وقامت بدور كبير في الدفاع المدني وفي اعمال الشؤون الادارية

بصورة عامة [illegible]

[illegible] السلامة والامان ينبغي

٨ ــ ان المرأة الريفية اقدر على ممارسة [illegible] كما ان التمديدات الصحية

من المرأة الحضرية [illegible] كثير من الاطعمة او المواد او جدران

البيت او غير ذلك . وكذلك المصاعد التي ان لم تكن صحيحة او غير

ثالثاً : وظائف المرأة في الشؤون الادارية :

غزت المراة وظائف الشؤون الادارية على المستويين المدني والعسكري ، واصبحت تشكل النسبة الكبيرة في هذه الوظائف ولو اردنا ان نقسم عمل المراة في وظائف القوات المسلحة في الوقت الحاضر لوجدناها تمثل الوظائف التالية :

١ ــ وظائف الشؤون الادارية : كاتب امين مخزن ، رئيسة قسم المهمات او المعينات او الوقود او الحيوانات او المستودعات ، ضاربة آلة كاتبة ، للنقل ، الإمداد ، الخدمات الطبية ، الاتصالات السلكية واللاسلكية ، ورش المعامل والمصانع العسكرية ، الدفاع المدني بجميع فروعه ، ضباط مكاتب ، العمل في الافران العسكرية ، تنظيم المرور .. الخ .

٢ ــ الوظائف الفنية : تصليح آلات واجهزة دقيقة ، تصليح وسائط النقل ، تصليح الوسائط الفنية للمهمات والوقود ، خياطة الالبسة وتجهيزات ، عاملات رادار ، الهندسة الالكترونية ، العمل في المصانع على الاجهزة الدقيقة ... الخ .

٣ ــ الوظائف القتالية : تم تنظيم المراة في مصلحة خفر السواحل ، ففي الولايات المتحدة الامريكية تطوعت (٣٢) امراة في هذه المصلحة في عام ١٩٧٣ ، ثم تم قبول دفعات متتالية بعد هذا التاريخ ، وقبلت اول امراة كطالب ضابط طيار عام ١٩٧٣ [illegible] المراة في بارجة بحرية ، ودخلت [illegible] وكما اشتركت المراة في [illegible] بريطانيا والاتحاد السوفييتي على [illegible] الوظائف القتالية [illegible][1] [illegible] واسقني الماء ، واخرز عزبه[2] [illegible]

انقل النوى على راسي من ثلثي فرسخ ، حتى ارسلني الي ابو بكر [illegible] فكفتني سياسة الفرس ، فكانما اعتقني»

فلا يسمح لها بمزاولة جميع الوظائف القتالية ، فدستور الولايات المتحدة الامريكية الباب العاشر منه الفصل (٥٥٥) القسم (٦٠١٥) ينص على ما يلي « لا يجوز تعيين النساء للعمل في الطائرة المقاتلة او في السفن

(١) الناضح : البعير الذي يحمل الماء .

[illegible]

ثم يتناول « الفوطة » ويضعها على ركبته . واذا تحدث فمن الواجب ان يكون حديثه شيقا ، ويشرك معه الحاضرين ، كما ويجب عدم احداث اية ضجة اثناء التقطيع او الاكل او اثناء المضغ . فاذا وجد في الطعام شيء غير مستساغ فلا يظهر اشمئزازه ، بل يتركه ويأكل غيره ، ويجب عدم التعليق على نوع الطعام . وتترك المائدة عند انتهاء الجميع من طعامهم .

يحتاج طهي الطعام الى خبرة ومهارة ، والى دورات عديدة للتخصص بالطهي . في المنزل تقوم ربة البيت بطهي الطعام وتساعدها في ذلك مساعدة ربة البيت . تحاول ربة البيت ان يكون الطهي حسب المواصفات اللازمة . ان الطعام يجب ان يكون مستساغا غير زائد في ملوحته ولا قليلها ، وان يكون ناضجا ... ان الطهي اهم المراحل في اعداد الطعام . فالطعام الشهي يرجع الى الطاهي الجيد الذي يستطيع بفنه وخبرته ان يجعل من الطعام طعاما لذيذا للآكلين .

ان تحضير المواد التي تتألف منها الوجبة ضروري قبل الطهي . ومن مواصفات هذه المواد ان تكون نظيفة ومغسولة غسلا جيدا ، وغير فاسدة ، وان تكون من النوع الجيد ، وان تكون بالمقادير المقررة من كل مادة من المواد الداخلة في الوجبة ، وان يكون الطاهي نظيفا في ملابسه ، ويديه ، وخاليا من الامراض والعلل ولا سيما الامراض المعدية ، ومقلما لاظافره ومقصرا لشعره ، وان يغسل يديه قبل الطهي ، وان تكون ادوات الطهي والمواعين نظيفة وخالية من الصدا او الاوساخ ، وان تكون هذه الاوعية متوفرة وجاهزة ليسهل سكب الطعام بعد طهيه ، وليسهل توزيعه .

ان اهم مرحلة من مراحل اعداد الطعام هي ان تعاد كل الاطباق والادوات الى مكانها في المطبخ وذلك بعد تنظيفها وتنشيفها . وينظف الموقد والحوض والرخامة ، وتغطى الاطعمة المكشوفة ، وتنظف الارضية ، وتفرغ الاوعية ، وتغسل الاكواب والفناجين وباقي الادوات والاواني .

٢ ــ الملابس والاثاث :

الملابس هي التي تظهر جمال المراة والرجل والاولاد ولهذا يجب ان

الملابس ، وتدوين النفقات اليومية ، وتبادل الزيارات ، والاجتماع مع الزوج للتباحث في امور البيت والعمل والمستقبل ، وتدريس الاولاد ، وتهيئة واعداد طعام الفطور ، الغداء ، العشاء ، وبعض الاعمال الاخرى ، اما العمل الاسبوعي فيمكن ان يخصص يوم لغسل الملابس ، وآخر لكيها ، وثالث لتنظيف البيت ، ورابع لاستقبال الزائرين ، وخامس لزيارة الاصدقاء ، وسادس للنزهة وسابع ... ويقال ان اليزابيت زوجة الملك جورج السادس كانت تستيقظ في وقت محدد ، ثم تتزين ، ثم تقرا او يقرأ عليها الصحف والاخبار العالمية والمحلية ، واثناء الحرب كانت تهتم بالامور والاخبار الحربية ، ثم تاتي وتتصفح البريد ، وترد على بعض الرسائل الهامة ، ثم تاتي غرفة الطعام فتلتقي بالملك فيتناولان الطعام ، ثم تذهب الى مكتبها فتعالج شؤون المملكة . وفي الساعة الحادية عشرة تستمع الى محادثات ابنتيها بعد الدراسة حيث تقصان عليها اعمالهما اليومية ومشاكل دراستهما . وفي الساعة الواحدة تتناول طعام الغداء مع من تدعوهن من سيدات الدولة ، ثم ترتدي بعد الظهر مايناسب المقابلات او الزيارات فتزور الجرحى ، او تحضر الحفلات . وفي الساعة السادسة مساء تعود الى القصر وتستطلع البريد ، ثم تتناول العشاء مع رجال الدولة . كل ذلك كان بنظام وبتوقيت ، وهكذا فان المراة اذا وزعت وقتها على اعمالها تستطيع ان تنجز عملها في الوقت المحدد ، وان تدرك كل اعمالها المخططة .

٧ ـ الالمام الكافي بكل الاعمال المنزلية لتوفير الوقت والجهد ، وللوصول الى درجة عالية من الاتقان والمهارة ، وهذا مايفسر ضرورة تاهيل المراة تاهيلا علميا يتناسب مع الاعمال البيتية المطلوبة منها ، وقد درجت بعض الدول على فتح العديد من المعاهد والمدارس التي تقوم بتعليم المراة الاعمال النسوية التي تحتاجها في حياتها البيتية .

٨ ـ اعادة البيت الى ماكان عليه بعد تنفيذ الاعمال اليومية فيه ، اذ انه بعد الطعام مثلا يكون قد تعرض لبعض الاوساخ ، ونتج كذلك بعض

يعمل في المناجم يصرف جهدا كبيرا ، اما العامل الذي يعمل في النسيج فيصرف جهدا اقل ، فالجهد الكبير يحتاج الى غذاء اكبر . والطفل يحتاج بطبيعة الحال الى غذاء اقل من الغذاء الذي يصرف للكبار اذ ان لكل سن غذاء معين . والمرأة تحتاج الى قيمة غذائية اقل من الرجال اذ تحتاج المرأة من الحريرات في اليوم مابين ١٨٠٠ – ٢٤٠٠ حريرة بينما يحتاج الرجل بالمقابل مابين ٢٣٠٠ – ٢٥٠٠ حريرة ، تزداد هذه الحريرات في الرجل والمرأة عندما يقومان بعمل شاق او مجهود اكبر . وهكذا فان الوجبات الغذائية يجب ان تكون مناسبة الاعتبارات المار ذكرها ، وان تكون شهية ، وفي حدود الميزانية المقررة ، وان تحتوي على العناصر البروتينية والدهنية والسكريات والنشويات والاملاح المعدنية والفيتامينات . وان أهم المواد التي تحتوي على العناصر الضرورية للغذاء هي : اللبن والخضراوات والفواكه والحبوب وانواع الحلوى والمواد الدهنية . وهناك القوائم المعدة للاطعمة في وجبات الافطار والغداء والعشاء التي تؤمن الوحدات الحرورية ، وتؤمن النشاط اليومي .

هناك عدة طرق لتقديم الطعام على المائدة . وافضل هذه الطرق هي ماكانت ملائمة للظروف والمناسبات والمطعمين ، وما كانت سهلة ومبسطة لان المرأة في الوقت الحاضر لديها كثير من الاعمال الكثيرة والواجبات الاخرى في العمل . وان اهم الطرق هي الطريقة الرسمية التي يدعى فيها الى الحفلة عدد كبير من المدعوين ، وهي تحتاج الى امكانيات كبيرة من الادوات والاطعمة ، كما وتحتاج الى مكان كبير ليتسع لهذا العدد من الطاولات والاطباق العديدة . وتستخدم هذه الطريقة في المطاعم واثناء الحفلات . وتأتي بعد هذه الطريقة الطريقة العائلية التي تعتمد على ان كل فرد من افراد الاسرة يخدم نفسه بنفسه حيث تجهز السفرة ويحلق المطعمون حول المائدة ويتناولون طعامهم بنظام خاص ، ويرفعون الاطباق بنظام خاص . وتشترك المرأة مع الرجل في هذه العملية ، ومن ميزات هذه الطريقة ان كل شخص من المطعمين يعتمد على نفسه ، ثم يتساوى الجميع في الخدمة ، ويتناول كل شخص مايعجبه من انواع الطعام . والطريقة الثالثة هي طريقة الطبق الواحد ، وفيها تجهز الاطباق على المائدة . ولا تحتاج لوقت او عمل كبيرين . وهذه الطريقة في الوقت الحاضر متناسبة

مع روح العصر . اذ تحضر الاطباق وتملأ من المطبخ . توضع بجوار [illegible] على مائدة الطعـام ، ويبدأ الجميع [illegible] الاسرة الاستزادة [illegible] . الا سكب مايحتاجه من الطبخ ، او مـن وعاء بجانب ربة الاسرة . وهناك طريقة رابعة تدعى « البوفيه » التي تشبه الى حـد ما طريقـة الطبق الواحد اذ يوضع الطعام في صحون ويوضع على مائـدة « بوفيه » . ثم يختار الطاعم اصناف الاطعمة المراد الاكل منها . وهذه الطريقة تستخدم عند اتساع [illegible] وعند وجود ضيوف .

يقدم الشاي في بلادنا بعد الافطار ، وفي نهاية الغداء او العشاء ، ويقـدم الشاي ايضا مع البسكويت او « الكعك » ، او الشطائر . كما يقدم ايضا للجندي عند الصباح ، وفي المساء [illegible] عملية ما . [illegible] ويزداد هـذا الاستحقاق اثناء المعارك الحربية ، وعند اجراء [illegible] في [illegible] والمدارس العسكرية . وتقدم القهوة بنفس طريقة تقديم الشاي [illegible] بعض الاختلافات القليلة . ويطهى الشاي في الجيش [illegible] وعاء كبير مخصص للشاي ثم يوزع على الجنود بواسطة اكواب تكون محضرة معهم ، او يوزع على طاولات وفي داخل المطاعم الموجودة ضمن الثكنات ، ويختلف توزيع الشاي وتقديمه في الجيش اذ انه في حالة السلم تتوفر كل الامكانيات في المطاعم ، اما اثناء الحرب فيملأ العسكري [illegible] لئلا يكتشف تجمعهم من قبل العدو .

يتم [illegible] المائدة بالمفارش او « الفوط » والزهور ، والصحون اللازمة ، والاكواب ، والاطباق الفردية . ويراعى في هذه الادوات النظافة والترتيب . كما يراعى وجود ممرات بين الطاولات ليتسنى للمدعوين اخذ امكنتهم المخصصة لهم . وهناك عدة طرق لوضع الطاولات .

ومن القواعد ان يجلس الشخص في المكان المخصص له من المائدة ، والا يحدث ضجة اثناء الجلوس . وتجلس ربة الاسرة في رأس المائدة ، وفي مواجهتها رب الاسرة . ويجب ان يجلس الجميع في وضع مستقيم دون تكلف ،

لقد كان التدبير المنزلي في العصور الغابرة هو التدبير الذي يجمع كل الاعمال الادارية ، ويؤمن الاحتياجات الضرورية ، ويضع الاساسيات الاولية لكثير من الصناعات التي نجدها في الوقت الحاضر . فالمراة هي التي كانت تعد الاكل . واشهر الماكل التي كانت شائعة لدى العرب الثريد [1] والجزيرة [2] والعصيدة [3] والبسيسة والبهط [4] والفالوذج [5] والحيس [6] وغير ذلك . يمتاز طعام المراة قديما بانه بسيط وغير معقد ، ولا يكلف المراة من الوقت والعمل بالاضافة الى عدم ثقله على المعدة ، غير ان المراة كانت تتعب في اعداد وجبات الطعام للضيوف ، وكان من عادة العرب اكرام الضيف والاجهاد في اكرامه . يروى ان هشام بن عبد مناف كانت له جفان ياكل منها الضيوف وهي مقامة ليل نهار ، حتى ان الصبي ليغرق فيها . كما يروى عن حاتم انه نحر فرسه اكراما لضيفه عندما لم يجد مايقدمه سواها . وبعضهم كان يشعل النار ليلاً ليهتدي بها القادمون والضيوف . حتى أن بعضهم وصل به الكرم الى ان هم بذبح ابنه ليقدم للضيوف ، ثم كان من كرم الولد ان قال لابيه : يا ابت اذبحني ويسر لهم طعما . ان المراة هي التي كانت تقوم بتنفيذ واعداد الطعام للضيوف فكانت تأخذ على عاتقها صنع الخبز من جمع الدقيق وتنظيفه وغربلته وطحنه ثم خبزه . وكان الطحن يتطلب من المراة الجهد والتعب ، وكذلك الخبز الذي يتطلب جمع الحطب ، او روث الانعام ووضعه في التنور ثم القيام بصناعة الخبز ، ولا تزال المراة في بعض ريفنا حتى الوقت الحاضر تقوم بخبز الخبز وبصناعة الخبز . والمراة كانت تخزن من كل طعام في موسمه ويبقى لديها من جميع الانواع التي تحتاجها خلال السنة ، فكانت

---

(١) الثريد خبز في مرق اللحم .

(٢) الجزيرة لحم مقطع يغلى مع ماء ويذر عليه الدقيق .

(٣) العصيدة ماء ودقيق مغليان .

(٤) البهط الارز يطبخ باللبن والسمن .

(٥) الفالوذج طعام فيه عسل .

(٦) الحيس التمر المغلي باللبن والسمن .

يكون اللباس مناسبا للسن وللجسم ، وأن يكون ثمنه غير مرتفع ، متناسبا مع دخل الاسرة ، غير ضيق بحيث يمنع دوران الدورة الدموية ، وان يكون لونه وشكله مناسبا لجسم المراة ولون البشرة وان يكون مناسبا لنوع العمل الذي تقوم به المرأة اذ يختلف اللباس من عاملة النسيج الى عاملة المطعم الى الطيارة .. وان يكون مريحا لايمنع الحركة ، متمشيا مع تقاليد وعادات البلاد .

ان انواع الملابس عديدة منها للنوم ومنها للاستقبال ومنها للحفلات ومنها للعمل . ومن المفروض ان تبتعد المراة ماامكن عن تعدد الملابس ، لان في ذلك ارهاقا لميزانية الزوج والزوجة ، وابتعادا عن فهم روح العصر وروح التطور ، ويكفي ان يكون الزوجان او الاولاد لديهم من كل نوع بذة او بذتين فقط يعملون على تجديدها كلما دعت الضرورة ذلك .

تقوم المراة في المنزل بدور امين مخزن بالنسبة لالبستها والبسة زوجها واولادها ، فهي تقوم بغسلهم كلما دعت الحاجة لذلك ثم تقوم بكيهم وطيهم ووضعهم في مكان بحيث لاتجهد نفسها عند الحاجة اليهم . ومن المناسب في هذه الحال عند بلوغ الاطفال السابعة ان يقوموا هم بأنفسهم بخلع ملابسهم ولبسها ، وبعد فترة يجب ان يغسلوا ثيابهم ويحفظوها ، ثم يعودوا اليها عند حاجتهم اليها وتقوم الام في هذه الفترة بمراقبة وكشف خطيئاتهم ثم تنبههم عليها بصورة رقيقة بحيث لاتجرح شعورهم ، ولا تحط من قيمة عملهم اذا عملوا . ومن المناسب ايضا ان يتعود كل طفل ان يضع ملابسه في مكان معين من خزانة الالبسة ، او في خزانة خاصة به ، وان يتعود على النظام والترتيب . ومن اجل هذا تقوم الام بين حين وآخر بالتفتيش على ملابس اولادها من حيث الترتيب والنظافة ، ووضع الملابس في امكنتها المعدة لها ، اذ من المفروض ان يضع الاحذية في مكان والملابس في مكان آخر ، او ان يضع الاحذية في اسفل الخزانة والملابس الخارجية في علاقة ضمن الخزانة ، والملابس الداخلية على رفوف الخزانة او في ادراجها . وكذلك فان على المراة ان تقوم بدور المراقب والمدير في المنزل ، وبدور المعلم في كل مايتعلق بحفظ

الملابس ووقايتها من الوسخ والعث والفساد او التعرض لنار المكواة عند الكي ، ومراعاة التعليمات لكل نوع من الملابس عند تنظيفه (نايلون ، اصواف ، قطن ، حرير ... الخ) اذ ان لكل نوع من انواع الالبسة طريقة خاصة في الغسل ، وماء ذو درجات متفاوتة في الحرارة ، ومنظف خاص لكل نوع ... ويمكن تقسيم العمل بالنسبة لغسل الملابس وكيها وترتيبها وتفصيلها وخياطتها .

ان اثاث البيت ضروري للتخفيف من برودة الشتاء ، واظهار زينة البيت . وفي كل الاحوال فان اثاث البيت يجب ان يكون من النوع الجيد ذي الثمن الرخيص ، وان تفرش الارض ولا تفرش الجدران ، وان تفرش الاسرة بفرش مريحة بعيدة عن الظهور والتعالي . ان من البيوت مايفرش بمبلغ (٥٠) خمسين الف ليرة سورية ومنها مايفرش بقيمة (٥) خمسة آلاف ليرة سورية . والفرق واضح بين البيتين قيمة المفروشات الا ان البيت المفروش بقيمة اقل يظهر وكأنه منسجم بفرشه وترتيبه وبساطته ، فهذا يعود الى المراة وحسن تدبيرها وذوقها وخبرتها في فرش بيتها . وان تقسيم المنزل الى غرفة نوم ، وغرفة مكتبة ، وغرفة طعام ، وغرفة ضيوف يساعد ربة المنزل في ان تضع من اثاث البيت مايناسب هذا التقسيم . ففي غرفة النوم توضع « التواليت » و « الكمودينا » وبعض ادوات الزينة ، وبعض الملابس اما في غرفة المكتبة فيمكن ان يوضع في داخلها الكتب التي يجب ان تكون مصنفة ومرتبة بحيث يسهل الرجوع اليها كلما دعت الحاجة الى ذلك ، اما غرفة الطعام فيمكن ان يوجد في داخلها خزانة لحفظ الاواني ، وبعض الصور التي تتناسب مع الطعام ، اما غرفة الضيوف فيمكن ان يوجد بداخلها الاثاث الذي يصلح لاستقبال الضيوف من « كنبايات » وسجاجيد ، وغيرها . اما المطبخ فان اهم مايوجد فيه خزانة لحفظ الطعام وبراد ، ونملية ، وبعض المواعين لحفظ الحبوب وانواع الطعام على اختلافها ، ويراعى في ذلك الا يكون بجانب الطعام المواد التي تفسد غيرها كالكاز والمبيدات ...

ان المحافظة على اثاث البيت والملابس مهمة صعبة على ربة الاسرة .

فهي تقوم بتنظيف الحجرات والاثاث ، واعادة ترتيب غرف النوم ، واعداد الاسرة ، وغسل الشراشف والملابس الشخصية ، واجراء الاصلاحات اللازمة ، وتنظيف الخزن وما الى ذلك . تقوم بكل هذه الاعمال مراعية الشروط الصحية والتهوية والاضاءة ، عاملة كل هذه الاعمال بشروط مناسبة للعمل ، واهم هذه الشروط الا تمشي حافية ، والا تقف على قطعة مسطحة من الخشب، والا تنظف او تغسل وهي مقوسة الظهر ، وان تحذر المواد الكيميائية التي يمكن ان تؤثر على يديها ، وان تستخدم المواد المنظفة السهلة التي لا تؤثر على الجلد ، وان تتبع القواعد العامة في التنظيف لكل قطعة او سجادة او آنية او بلاط او جدار او نافذة . ومن المهم جدا ان تعد المرأة خطة للقيام بالاعمال المطلوبة منها يوميا او اسبوعيا او شهريا لتتمكن من توزيع الوقت على الاعمال المتطلبة .

النظافة ضرورية للبيت كما هي ضرورية للمرأة والاولاد والاسرة بالكامل ، وان الاهتمام بالقواعد الصحية يترك اثرا طيبا في نفوس الزائرين ، وتوقي من الامراض العديدة التي قد تفتك بالصحة اذا اهمل الاخذ بها . وقد اوصت امرأة ابنتها فقالت : « لاتنسي نظافة بدنك . فان نظافته تحبب زوجك اليك. ونظافة بيتك تشرح صدرك ، وتنير وجهك ، وتجعلك جميلة ومحبوبة ومكرمة عند زوجك ، ومشكورة من اهلك ومن ذويك واترابك وزائرتك » . ومن النظافة ايضا ابادة الحشرات والتخلص من الروائح الكريهة .

٣ ـ الميزانيـــة :

الغاية من وضع الميزانية للبيت هي : الوقوف على المصاريف ، والدخل السنوي ، والتوازن فيما بينهما . ويختلف الدخل من اسرة الى اسرة ، كما يختلف الصرف ايضا . ان وضع الميزانية يعتبر من الاعمال التخطيطية للاسرة . كما ان بعض الاسر قد تصرف مبالغ اكثر من الايرادات وبذلك تتعرض لازمات مالية ، كما ان بعضها الآخر يقتر على نفسه وذلك على حساب التغذية وبذلك تتعرض صحة الاسرة للمرض . وحقيقة ذلك ان يكون الانفاق بين بين ، وفي هذا يفضل اختيار الطريق الوسط بين الانفاق والاقتار ، كما ان بعض

الاسر لاتجد ماتنفعه فهي قد أعوزها الفقر ، وطغى عليها . ان مثل هذه الاسر يجب ان تبحث عن العمل والكسب لكي تجد ماتنفقه ، فاذا لم يتوفر ذلك وجب على الدولة ، او على المجموعة من الناس ان تقوم بالصرف على مثل هـذه الاسر . وعلى كل حال فانه ينبغي وضع ميزانية للبيت مهما تكن واردات هذا البيت . ومن المستحسن في هـذا السبيل ان أورد بعض الامثلة لوضع ميزانية اسرة ما .

آ ـ المصاريف والنفقات السنوية

البيان	السعر	خلال شهر	الجداء	تاريخ الاستحقاق
الغداء (الطعام)	يوميا ١٥ ل.س	٤٥٠ ل.س	٥٤٠٠ ل.س	الاول من كل شهر
الملابس		١٠٠ ل.س	١٢٠٠ ل.س	كل ثلاثة اشهر
كهرباء		٣٠ ل.س	٣٦٠ ل.س	كل شهر
بوتوغاز		٨ ل.س	٩٦ ل.س	كل شهر
ادوات تنظيف		٥٠ ل.س	٦٠٠ ل.س	كل شهر
مواصلات	يوميا ٥٠ق.س	١٥ ل.س	١٨٠ ل.س	يوميا
مصروفات شخصية واجتماعية	يوميا ٢ ل.س	٦٠ ل.س	٧٢٠ ل.س	اسبوعيا
نفقات تطبيب وعلاج		٦٠ ل.س	٧٢٠ ل.س	شهريا
التعليم والكتب المدرسية والمطالعة		٦٠ ل.س	٧٢٠ ل.س	شهريا
التلفون		١٥ ل.س	١٨٠ ل.س	شهريا
تدفئة		—	٣٠٠ ل.س	خلال فصل الشتاء
الاحتياط		٥٠ ل.س	٦٠٠ ل.س	—
المجموع			١١٠٠٠ ل.س	

ب ـ الدخل المالي السنوي للاسرة

التبيان	الدخل الشهري	الدخل السنوي	ملاحظات
راتب الزوج	٦٠٠ ل.س	٧٢٠٠ ل.س	
راتب الزوجة	٤٠٠ ل.س	٤٨٠٠ ل.س	
ايرادات متفرقة		١٥٠٠ ل.س	
المجموع		١٣٥٠٠ ل.س	

ويلاحظ ان المبلغ الذي يمكن ان تنفقه الاسرة في الشهر هو بحدود (٨٦٥) ل.س . والمبلغ الباقي هو نتيجة طرح المصروف من الدخل اي : ١٣٥٠٠ ـ ١١٠٠٠ = ٢٥٠ ل.س . هذا المبلغ هو للادخار . وفي حال زيادة المصروفات عن الدخل ينبغي على الاسرة ان تضغط مصروفاتها بحيث تتناسب مع الدخل ، وليكون دائما مبلغا فائضا للادخار مهما يكن هذا المبلغ . وقد يتعذر تطبيق هذه الميزانية بكل دقة ، الا انه في كل الاحوال تعطينا صورة قريبة ، وتخطيطا ماليا للاسرة . ان عدد افراد الاسرة يلعب دورا كبيرا في تحديد الصرفيات ، فكلما زاد عدد افراد الاسرة كلما ازدادت النفقات ، وكذلك كلما كبر الاولاد كلما ازدادت نفقاتهم . والبيت النموذجي هو الذي يستطيع ان يوازن بين الدخل والنفقات .

٤ ـ إعداد الاولاد :

ان الاولاد هم ثمرة الفؤاد ، وبناة المستقبل ، وعنوان الانتاج البشري الذي يفوق كل انتاج . فهم اساس الحضارة ، وعدة هذه الحياة . ولهذا فلا بد لنا ان نعد الاولاد اعدادا قويا يستطيعون به ان يكونوا نفعا للمجتمع ، وتطويرا له .

ان الاعداد للاولاد يبدأ منذ الزواج واقتران الزوجين احدهمـا بالآخر ، فاختيـار الزوج اختيارا صحيحا هو من اولى واجبات الازواج نحو اولاده . ان اختيار النطف ينبغي ان يكون متبادلا قبل الزواج . ومن الواجب علـى المراة حين حملها ان تعتني بصحتهـا وتتبع تعليمات الطبيب الصحية في ذلك ، لان الاعتناء بصحتها هو اعتناء بصحة الجنين . وحين وضعه ، وبعد الوضع يجب ان يعنى بالوليد عنايـة خاصة جسـميا ونفسـيا ، وطبقا لارشادات الاطباء الاخصائيين . وحين يبلغ السنتين يجب ان يربى التربية الصحيحـة التي تعرفه على من حوله . ودور الام مهم جـدا حتى يبلغ السابعة . فان بلغها فتشترك هي والمدرسة والاب بتربيته والاشراف عليه . وان بلغ الرابعة عشر بدأ اهتمامه بنفسـه ، وفي هذه السن يجب على الزوجين ان يكونا حذرين في تربيته ، وتعتبر هذه المرحلة من اهم وادق مراحل الولد اذ يكون دور الاب والام في هذه المرحلة توجيها وارشادا . وينحصر دور الاب والام في اعـداد الاولاد بمـا يلـي :

آ ـ اختيار الزوجين لبعضهما على اساس الحب المتبادل .

ب ـ التعاون بين الزوجين لتكوين أسرة صالحة ، وتكريـس جهودهما لتربيـة الاولاد على اسـس علمية صحيحة .

جـ ـ الاعتناء بصحة المراة حين تحمل من الناحيتين النفسية والجسميـة ، والابتعاد عن كل مايؤذيها او يضرها ، فان فعلت فانها اذا لمن المعتدين على ولدها وعلى اسرتها ومجتمعها .

د ـ تدريب الطفل وتعويده على الحياة الاجتماعية والخلقية ، وتفتيح مواهبه الكامنة ، وتعويده على العادات الحسنة ، وتلقينه المبادىء الاخلاقية ، وصقلـه على المرح وحسن المعاشرة والقدرة على التكيف ، وتـوسيع افقـه ومعلوماتـه .

هـ ـ الاعتناء بتغذيته وانتقاء الاغذية المناسبة ليشتد أسره ، ويقوى عوده .

و ـ الاعتناء بملابسـه كي تكون مريحة ولائقـة ونظيفة .

ز ـ السعي لتعليمه من الحضانة وحتى التعليم العالي ، وتوفير الجو الملائم للتعليم .

ح ـ اتفاق الزوجين ومرحهما ، كل ذلك يعكس الصورة الصحيحة على الاولاد فيجعلهم يقدمون على الحياة بكل امل وتفاؤل ، ويسعون الى العمل بكل ثقة واطمئنان ، ويقدمون لمجتمعهم كل بذل وعطاء .

ط ـ عزل كل الادوات المضرة في المنزل وابعادها عن الاطفال كالتوصيلات الكهربائية والمآخذ ، والتوصيلات الصحية ، والامواس ، والمكواةالكهربائية الساخنة ، وغير ذلك .

ي ـ ايجاد الجو الملائم للعب ، والعبث بالالعاب ، واطلاق حريتهم في ذلك ليمارسوا الالعاب المحببة اليهم . ومن هنا تتفتح عبقرية الطفل ، ويستدل على مواهبه وامكانياته .

ك ـ تعويده وتعليمه كيفية الاكل واللبس والسير والنوم والتنظيم والتعاون والمحبة والعطف والرحمة . فالام مدرسة كبرى وعالم كبير تستطيع ان تؤدي لولدها واسرتها ومجتمعها وللانسانية جمعاء الشيء الكثير .

تكسب الوراثة الطفل العادات التي كان عليها الوالدان . والولد يولد ومعه استعداد فطري استجمعه من امه وابيه ، واستعداد كسبي تعلمه من امه وابيه ودائرة المجتمع الكبرى ، ثم ينشأ الاولاد على هذين العنصرين . والتربية لها دور كبير في تقويم اعوجاج الطفل ، وتشذيب سلوكه ، وهكذا يشب الاولاد وينشأون تنشئة طيبة كلها فضيلة ، فالطفل كالفرسة الصغيرة ان احسنت تربيته وتعليمه نشأ فاعطى لامته ، وان اسأت تربيته نشأ على الفساد فلم يعط لنفسه ولا لامته . فتعويد الطفل العادات الفاضلة سوف تنطبع في مخيلته ويجري عليها في سلوكه ، سيما وان الطفل ميال بغريزته الى التقليد . فاذا قلد ابويه كان هذا التقليد اساسا للمستقبل ، ورسوخا للفضيلة . ولا شك ان الطفل في اغلب الاحيان يعيش مع امه اكثر من ابيه ، فهو قد رافق احشاءها قبل ان يفتح عينيه للنور والحياة ، وهو الذي قد

أحتواه حجرها حين كان صغيرا ، وسقاه ثديها حين كان رضيعا . ثم بعد ذلك يظل ملازما لها اكثر من ابيه . فالى المرأة يعود الفضل الاكبر في تربية الطفل واعداده اعدادا مثاليا . فشجاعة الطفل تعود لامه ، وكذلك علمه وتربيته وسلوكه . ان للمرأة غرائز طبيعية تجعلها أقدر من الرجل على صنع الابطال والحكماء والعظماء .

لقد قسم لورانس وماري فرانك عمر الطفل الى مراحل . فهو منذ ولادته الى الثلاثين شهرا يتعلم من امه الاكل والتنفس والنوم ، فهي تعده وتعلمه ، وهو في حياته الاولى هذه يحس بلمسة حنانها وعطفها ويسمع صوتها ويقبل عليها ، كما انه في هذه المرحلة يقضي اغلب اوقاته في النوم والطعام والبكاء ، ومن المفضل ان يتعود الوقت في كل اعماله . حين يبلغ من العمر نصف عام يبدأ في الاهتمام بما حوله فيأخذ الملعقة . ومن المفيد ان تعطيه واحدة ليعبث بها ، كما لايستطيع ان يتناول طعامه بمفرده ، ولكن الولد يفضل دائما الزجاجة او صدر امه . فالطفل في هذه المرحلة ثابت لايريد ان يغير مااعتاد عليه فهو قد قسم عمله ووقته وقت للاكل ، ووقت للنوم ، ووقت للنزهة ووقت ... وحينما يبلغ العام يبدأ في النطق ؛ ثم يزداد اهتمامه باللعب وبما يقع تحت بصره . وان تهديد الطفل في هذه السن يولد فيه الخوف ، ويولد فيه الاحجام والتذمر والبكاء ، واني انصح بعدم التعرض للطفل بل يجب اطلاقه وارشاده بنفس الوقت الى الاشياء الخطيرة وغير الخطيرة ، والضارة والنافعة . اما المرحلة التي تمتد من الثانية الى الخامسة فهي مرحلة يستطيع بها الطفل ان يقوم بالاعمال التي لاتتطلب مهارة اذ يقوم بنقل غرض ما من مكان الى آخر ، ويحاول معرفة الاشياء عن طريق لمسها او ضربها او فحصها او ما الى ذلك . في هذه السن تنمو عضلاته ويحاول ان يجرب قوته في كل شيء يراه فهو يحمل الكرسي ثم يصفها ، ويلبس الحذاء ويقلد الآخرين . فاذا عمل شيئا من هذا القبيل فلا نسخر منه بل نشجعه على العمل الكريم ، وننهاه عن فعل الشر ونحذره منه ، يحاول استخدام كلمات جديدة في لغته يعبر بها عما حوله . ان مساعدته على النطق وعلى العمل في هذه المرحلة ضروري ليقوى تفكيره ويشتد جسمه . أما المرحلة التي

تمتـد من الخامسـة الى الثانية عشرة فهي مرحلة الصخب والحركة ، وعلى الوالدين ان يكونا صابرين وموجهين . وتحاول الام بصورة خاصة ان تقـوم الانحراف الذي قد يظهر على طفلها فتكافئه وتشجعه على العمل الحسن ، وتنذره وتؤنبه على العمل القبيح حتى يعلـم ان الحسن حسن وان السـيء سيء ، اذ ان كثيرا من الامهات يقدمن على توبيخ بل وعلى ضرب أولادهن دون ان يشعر الاولاد السبب الذي من اجله ضربوا . ومن المفيد جدا ان تطلب الام من الولد ان يقوم ببعض الاعمال التي تقوي فيه روحه وجسده وفكره ، فالطفل في هذه السن لايستطيع ان يقبل بالوقت بل المهم ان يعمل فهـو في حركـة دائمة وعمل دائم لايصيبه فتور ولا نصب . عند ذهابه الى المدرسـة يتعرف على أولاد جدد وعلى معلمين جدد ، يحاول ان يتعرف عليهم ، ويقارن بين من كان يجده في البيت وبين من وجده في المدرسة . ثم تظهر على الطفل حب الاستطـلاع فهو يريد ان يعرف كل شيء ، تراه مندفعا لعمـل او الاستماع لحديث غيره ، وعلى الام ان تستفيـد من كل هذه الطـاقات فتدفعه الى ان يكون عضوا نافعا في المجتمع ، وان تعرفه على هوايات مفيدة يستطيعها بنفسـه . اما سن المراهقـة فهي السن التي يجب على الام ان تـروض اطفالهـا وان تلاحظ نموهم وتغيرات اجسـامهم فتعلمهـم على كل حالـة ، وترشدهم الى كل تغيير ، وان تزيل عنهم المخاوف والشكوك وان تقنعهم بأن هـذا التغيير هو عمل طبيعي وانه دليل على التطور . الطفل في هـذه السن يبدو عليه الكسل وعـدم تحمل المسؤولية ، كما يبـدو عليه الفوضى احيانا ، والشكوى والتعب والتذمر والارهـاق والخجل أحيانا اخـرى . ان بعض الامهات ينظرن الى مثـل هذه الاعمـال وكأنها خروج من العادة والمألوف ، مع انهـا في الواقع طبيعيـة وعادية . والطريقـة المثلى ان تتجنب الام تحديات اطفالها ، وتصبر على الشيء غير المألوف ، وان تتقصى وتبحث دوافع هـذه الاعمـال لتتمكن الام من تجنبها ومعالجتها معالجـة صحيحة . ان الولد يتأثر في هذه المرحلة بابيه وامه وعلاقتهما مع بعضهما ، كما يهتم بالمظهر والملبس والحياة الاجتماعية وغيرها .

على المستوى الدولي اهتمت المرأة بطفلهـا فعقدت عدة اجتماعات دولية

ومحليـة وكلها تبحث في رعاية الطفل وثقافته وتربيته ورفع مستوى الام والاب من جميع النواحي . كما اهتمت الدول شرقهـا وغربها في مواضيع الطفل المختلفـة ، وكذلك فان الوطن العربي اهتم بالطفل اهتماما خـاصا ، فعقدت المراة العربيـة الاجتماع تلو الاجتمـاع ، واخص بالذكر منها ذلـك الاجتماع الذي عقد في الكويت في الفترة ١١ ــ ١٣ كانون الثاني ١٩٧٥ ، والذى تركز البحث فيه على النقاط التالية :

آ ــ رعاية الطفولة جزء هام من مهمات المراة .

ب ــ ثقافة الطفل وتربيته تبدأ وهو جنين في بطن امه ، وتمتـد الى البيت فالمدرسة فالحيـاة الكبرى .

ج ــ غرس القيم والعادات في الطفل والتى تمكنهمن الاسهام في الكفاية الانتاجية والتنمية . وان يتعود على تحمل المسؤولية ، وان تكون له القدرة علـى الابداع ، وعلى المشاركة في جميع الفعاليات .

د ــ الاهتمام برفع مستوى الاب والام من النواحي الصحيـة والثقافيـة والاجتمـاعيـــة .

هـ ــ ابراز دور المراة في تنشئة الاجيال الصاعدة ، وتقوية التعاون بين الهيئات والمنظمات العالمية المتخصصة لتثقيف الطفل ، وتقديم خدمات الامومة والطفولة ، والاهتمام الجدي باحتياجات الطفل وحمايته من الغزو الفكري المستورد ، وربطه بوطنه العربي وبتراثه التاريخي ، وانشاء جهـاز مـركزي لـه .

تبدأ العنايـة بغذاء الطفل عندما يكون جنينا وذلك عن طريق تغذيـة امه بما يكفل لهـذا الجنين النمو . وعندما يأتي الى الحياة يستقبل غـذاءه من ثدي امـه ، وغذاء الطفل له قيمته في تطور الطفل ونموه العقلي والجسمي ، وكثير من الاطفال يموتون من سوء التغذية ، وافضل الغذاء هو ماكان من الام ، فهو نظيف ومعقم ونوعي . ويقول الاطباء ان لبن الام يكثف حسب عمر الطفل فيكون في البدايـة رقيقا ثم يغلظ بالتدريج ، وكذلك فان حرارته ثابتـة ،

وبالاضافة الى ذلك فان ارضاع الطفل من امه يغذيه نفسيا ويساعده على التلاؤم مع حياته الجديدة . ان الايحاء النفسي للام يؤثر على الولد قربا او بعدا منها ، فاذا كان الولد في غرفة ووالدته قريبة منه فان هذا القرب يساعده على التكيف للحياة الجديدة ، وقد اثبت العلماء النفسيون والاطباء والاجتماعيون حقيقة ذلك . وتختلف مدة الرضاعة ووقتها . وقبل الرضاعة على الام ان تغسل الحلمة بالماء الفاتر والقطن ، وعليها ان تتناول المواد التي تدر الحليب مثل حليب البقر والسوائل وبوجبات متعددة . لقد ركزت على فترة الرضاعة لما لها من اهمية ، اما الفترات الاخرى فلا تقل اهمية ، والمهم في تغذية الطفل ان يكون ملائما لسنه ، حاويا على الحريرات اللازمة .

٥ ـ التخزين :

التخزين المنزلي هو ضرورة لكل اسرة . وقد عرفه كتاب « عالم المرأة » للمؤلفات : سكينة الزبدي ، لولو جيد ، كوثر كوجك بقولهن : « التخزين هو وضع الادوات والمواد المختلفة بالسكن في المكان المناسب لها بطريقة صحيحة بحيث يسهل الوصول اليها عند الحاجة في اقل وقت وبأقل جهد ممكن » . ويمكن اضافة كلمة التحفظ او صيانة الاثاث والمواد بطريقة تضمن القضاء على العث والفساد لهذه المواد ولهذا الاثاث ، ومن اجل ذلك لابد من وضع الاثاث في مكان تتوفر فيه التهوية بعد ان يكون هذا الاثاث قد نظف تنظيفا جيدا ، وبحيث تضاف له او ترش عليه مادة « النفتلين » للقضاء على العث ولمنع اقتراب الحشرات الضارة اليه ، كما يقتضي التحفظ بعد الاثاث عن الرطوبة والمياه والمواد القابلة للاشتعال ، وان يكون ملفوفا او مطويا بصورة صحيحة . ان التخزين يوفر الوقت والجهد ، كما يوفر المواد الغذائية في مواسمها على مدار العام الامر الذي يضغط من النفقات ، ويجعل المواد البيتية متوفرة في كل حين . ومن المعلوم ان التخزين البيتي له صعوبات كبيرة وتتركز هذه الصعوبات في كثرة المواد المخزنة في مساحة صغيرة من البيت . ان اية مادة من المواد لها شروطها في التخزين . فاذا اخذنا القمح مثلا فانه يجب

ان تتوفر في خزنه النظافة والتهوية واماكن يوضع فيها بعيـدا عن الحشرات والمواد الضارة او التي تصدر عنها رائحـة مضرة بالقمح ، وان تضاف لهـا المواد الكيماوية ... وغيرها من الشروط التي تجعل القمح محفوظا لمدة طويلة . وكذلك الرز والبقول والمواد العديدة والتي يمكن ان تصل الى اكثر من مائـة مـادة ، وما ينطبق عليه القول في هذه المواد ينطبق على الانواع العديدة مـن الاثاث والتجهيزات المنزلية الاخرى ، ولكل مادة من المواد الغذائية ، او اي نوع من الاثاث والتجهيزات شروطـه في التخزين ، ومن هنـا تنشأ الصعوبات امام المرأة في التخزين . ويمكن ذكر اهم شروط التخزين وهي كما يلي :

آ ـ ان تكون المواد الغذائية جافة لئلا تتعرض للتلف السريـع ، فاذا كان البرغل مثلا رطبا نشر في الشمس حتى يجف ، واذا كانت المربيـات مخلوطة بالمياه ، فانه يجب التخلص من هذه المياه اما بتعريضها للنار او بتجفيفهـا في الشمس ، وهكذا فان لكل مادة شروطها وان كان هـذا الشرط متقـاربا في اغلب المواد الغذائية ، وان الرطوبة يمكن أن تضـر باغلب المواد الغذائية .

ب ـ ان لكل مادة او اثاث او لباس او آنية طريقة خاصة لخزنها ، فخزن الملابس والسجاد يختلف عن خزن ادوات الطعام واواني المطبخ ، وكذلك الادوات الزجاجية والكتب وما شابه ذلك .

جـ ـ ان تكون المواد المخزنة المراد استعمالها استعمالا كثيرا قريبـة التناول وتحت اليد ، ومن السهل الوصول اليها .

د ـ ان يكون مكان التخزيـن مناسبا لمواد التخزين ، فلا تخزن مثلا المواد الغذائية في غرفة النوم ، ولا يخزن السجاد والبسط والنمـارق في غرفـة المطبخ وهكذا ...

هـ ـ يجب ابعاد المواد الغذائية عن المواد ذات الرائحة الكريهة والتي تضـر الطعام او يلحق ضررها بهذه المواد مثل زيت الكاز والنفتلين ومـواد التنظيف وغير ذلك .

و ـ ان تعطي المرأة بعضا من وقتها للتفتيش على المواد الغذائية والملابس المخزنة لتدارك العطب قبل ان يمتد للمواد والالبسة الباقية .

ز ـ ان تتوفر في المكان التهوية الدائمة والاضاءة . وعلى المرأة ان تراقب ذلك حتى ولو كان في ايام الشتاء .

ح ـ ان يكون المكان خاليا من الحشرات ، ومحكم الاغلاق لكي لاتتسرب الحشرات اليه ...

ط ـ لكل مادة مخزنة مدة معينة ومحددة لاستهلاكها ، لذلك يجب الأنتباه الى هذه المدة ، واستهلاك المادة المخزنة قبل انقضاء المدة المحددة للتخزين ، وان توضع هذه المادة في الاستهلاك مباشرة ، ثم تجدد المادة ان كان ذلك ضروريا .

ي ـ ان تتعاون الاسرة كلها في التخزين ، اذ يخزن كل فرد امتعته وملابسه الخاصة به طبقا لقواعد التخزين وفي الامكنة المخصصة له من البيت ليسهل الوصول اليها عند الحاجة ، ولنساعد ربة البيت في الاعمال التخزينية .

ك ـ من المفضل ان تدون لائحة بالمواد المخزنة ليسهل التعرف عليها عند استعمالها ، كما يفضل لصق ورقة بمحتويات الوعاء على الوعاء نفسه .

ل ـ عادة تحفظ البقول والحبوب لفترات طويلة ، اما الخضراوات فلا يمكن خزنها لمدة طويلة لسرعة الفساد الذي يصيبها في فترة قليلة ، وعلى هذا الاساس يمكن استهلاك المواد الغذائية الطازجة اولا بأول ويوما بعد يوم ، وكذلك استهلاك المواد ضمن المدة المحددة لها في التخزين ، وأما اللحوم فلا يمكن خزنها ايضا لمدة طويلة الا اذا وضعت في كيس من النايلون وحفظت في الثلاجة بدرجة حرارة اقل من الصفر ، وكذلك فان البيض والزبدة والجبن وغيرها لها شروط خاصة في التخزين . وبصورة عامة فان التبريد يساعد على التخزين الطويل كما تستخدم البرادات المتنوعة لهذه الغاية ، وكذلك فان التمليح يساعد ايضا في التخزين

ويستخدم التمليح في المواد كالزيتون والخيار والجبن وغيرها ، والتسكير الذي يساعد ايضا في المواد كالمربيات والشراب وغيره ، والتجفيف في المواد كالملوخية والفاصولياء والزبيب وغيرها ، والتقديد في المواد كاللحوم وغيرها .

تنظيم الشؤون الادارية في المؤسسات الجماعيـة :

لقد احدثت هذه المؤسسات لتحل محل المراة في المنزل ولتوفر لهـا الجهـد والوقت ، ولتوجهها الى الانتاج ، ولتنقلهـا من الحيـاة الفرديـة الى الحياة الجماعية . فبدلا من ان تغسل المراة في منزلها احدثت مؤسسة تتولى هي الغسل الجماعي للملابس ، وبدلا من ان تقوم المراة بتحضير الطعـام واعداده في المنزل تولت مؤسسات جماعية هذه المهمة ، واصبح الرجل والمراة والاولاد يتناولون طعامهم في هذه المؤسسات ، وهكذا فان هذه المؤسسات على اختلاف وظائفها قد اخذت كل الاعمال المنزلية من المراة ، واطلقت لهـا الحرية لتخرج منه وتنخرط في الحياة الاقتصادية ، ولتؤدي واجبها الاجتماعي.

كان اول من نادى بهذه المؤسسات الدول الشيوعية ثم اعقبتها الدول الاشتراكية ، ولقد طبقت وانشئت هذه المؤسسات تطبيقا كاملا في الـدول الشيوعية وتطبيقا نسبيا في الدول الاشتراكية .

ان الهدف من تنظيم واحداث هذه المؤسسـات هو :

١ ـ انعتاق المرأة من سلطـة الرجل .

٢ ـ انعتاق المراة من البيت .

٣ ـ تفريغ المراة للحياة الانتاجية ، والعمل في المصانع والمعامل .

٤ ـ منح المراة حريتها وانطلاقها لتؤدي واجبا مهما في الحياة الاقتصاديـة والاجتماعيـة .

٥ ـ تربية الطفل تربية جماعية في مؤسسات جماعية يتوفر فيها الاخصائيون في التربية وعلم النفس والاجتماع والعلوم الاخرى ، كما يتوفر في هذه

المؤسسات جميع الالعاب والادوات التي تحفز الطفل للعمل ، وتفسح له المجال لاكتشاف مواهبه وقدراته . ويتوفر في هذه المؤسسات كل ماهو ضروري ، فمن اجل الطعام تنشأ المطاعم الجماعية ، ومن اجل تربية الطفل تنشأ دور الاطفال الجماعية ، ومن اجل غسل الملابس وتنظيفها تنشأ المغاسل الجماعية . والمؤسسة قادرة بفعل تنظيمها وامكانياتها وقيادتها ان تلبي كل الاحتياجات .

٦ ـ نقل كل اعمال المراة التي كانت تعملها في السابق كالخياطة والغزل وتربية الاولاد وغيرها الى مؤسسات جماعية .

٧ ـ تدمير الاسرة القديمة تدميرا كاملا ، وتحديث المؤسسات طبقاً لمفاهيم الشيوعية .

٨ ـ ان الغاية الاساسية في تنظيم الشؤون الادارية في المؤسسات الجماعية هي الانتقال الى الاشتراكية فالشيوعية التي هي اعلى درجات التنظيم في هذه المؤسسات .

واذا قسمنا الشؤون الادارية التقسيم التقليدي الذي سبق ان قسمناه في المنزل :

١ ـ **اعداد وتهيئة الطعام** : لقد انتقلت هذه الوظائف الى المؤسسات الجماعية ، واصبحت هذه المؤسسات تمارس عملها بواسطة اخصائيين ، وبواسطة اشخاص مؤهلين للقيام بالاعمال المختلفة التي تتطلبها هذه المؤسسة. فالمكان قد اتسع لعدد كبير ، والطاولات قد ازداد عددها ، والمطعمون قد ازداد عددهم ، والوقت قد ضبط ، والنظام قد طبق تطبيقا صارما . فنشأت المطاعم الجماعية ، وتخصص لها الطباخون والاندال والجهاز الاداري المتخصص والمدير العام . فتقديم الطعام يقدم بالطريقة الرسمية او اذا صح التعبير بالطريقة الجماعية وهي ان المطعمين يجلسون حول عدد من الطاولات ويتناولون طعامهم بانفسهم او بواسطة اشخاص يقومون بنقل هذا الطعام الى الطاولات ، اما تحضير الطعام فيحضر

حسب الطرق الفنية والطبية ، وتساعد الآلة في تحضير واعداد الطعام . وهكذا فان مراحل اعداد وتحضير الطعام قد نظم على اسس جماعية بدلا من انه كان ينظم على اسس فردية ، وبهذه الطريقة من التنظيم تفرغت المراة لعملها والرجل لعمله .

٢ ــ **الملابس والاثاث** : لقد انتقل معظمه الى المؤسسات الجماعية . فالمصانع هي التي تنتج الملابس والاثاث بدل المراة في السابق التي كانت هي تقوم بصناعة الغزل والنسيج البيتي ، وتقدم لها ولاولادها مايلزمهم من الملابس ، كما تقدم لبيتها مايلزمه من الاثاث وتقوم بكل الاعمال المتطلبة ، مما يرهقها جسميا . اما في الوقت الحاضر وفي ظل النظام الشيوعي فقد اصبحت المراة تعمل في المعامل والمصانع وتقضي اغلب اوقاتها في الانتاج بعيدة عن البيت واعماله ، وبعيدة عن العمل الفردي الذي كانت تعمله ايضا . لقد تنوعت الملابس بفضل المعامل العديدة المنتشرة ، كما ان الانتاج ازداد أضعاف مما كان عليه في السابق .

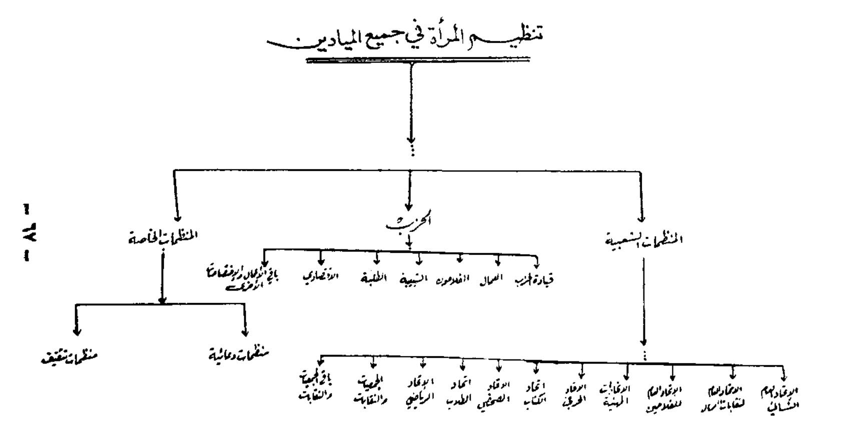
٣ ــ **الميزانيـــة** : بقيت الميزانية ، الا ان صرفيات الميزانيـة لاتنفق ضمن البيت ، بل تنفق على المؤسسات الجماعية لقاء تناول الطعام بأسعار رمزية ، ولقاء شراء الملابس من المؤسسات التي تنتج اصنافا عديدة من الملابس ، ولقاء غسل الملابس ولقاء العديد من الخدمات التي تقدمها الدولة . ان العديد من الخدمات تقدمها الدولة بصورة مجانية كالخدمة الطبية والتعليم وغير ذلك . وعلى كل حال فان الميزانية للبيت لابد منها ، بل لابد لكل شخص من افراد الاسرة ان ينظم ميزانية لنفسه تحسب فيها الواردات والصرفيات ومقدار الوفر ، ولم تعد الميزانية في ظل هذه المؤسسات ترهق المراة وتحسب لها الحسابات المختلفة من النفقات والواردات . ان وضع الميزانية على المستوى الفردي او الجماعي انما توضع لتوازن الواردات والصرفيات ومقدار الوفر . وبهذا فان المراة اصبح لها ميزانية مستقلة ، كما ان الرجل وكذلك الاولاد ، وانتقلت ميزانية البيت الى ميزانية المؤسسات .

٤ ـ **اعـداد الاولاد :** انتقل معظمه الى المؤسسات الجماعية ، ولم يبق منـه الا رمزا . فاختيـار الزوجين بقي على ماهو ، بل اوصت القوانـين الشيوعية على ان يكون الزواج مبنيا على التفاهم ، واعطيت المـراة حقوقها المالية والادارية اثناء الحمل والرضاع محافظة لها على صحتها وصحة جنينها ، اما تربيـة الطفل وغذاؤه والعابـه ومسلياته فقد استلمته المؤسسات الجماعية التي تتمثل في دور الاطفال .

٥ ـ **التخـزيـن :** لقد فرغ البيت من كثير مـن المواد الغذائيـة ، والادوات المنزلية ، والاثاث ولم يبق سوى القليل القليل الذي يكفي لراحة الاسرة ولتقديم الرفاهية ، فلم تعد الحاجة مثلا الى تخزين البرغل او الرز او المواد الغذائية الاخرى ، بل انتقل هـذا التخزين الى المؤسسـات الجماعية حيث يقوم على تخزين كل صنف اخصائيون يكرسون كـل اوقاتهم لتخزين هذه المواد والادوات بشروط خزن مناسبة .

لقـد دخلت المراة الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بعـد ان تركت البيت ومستلزماته . ولا شك في ان للمراة دور كبير ومهم في هـذه الميادين . ولقد اكدت جميع المؤتمرات النسائية المعقودة حتى الآن على تشجيع المراة الدخول في هـذه الميادين . وكان أهم المواضيـع التي تطرق المؤتمر الدولي الذي عقـد في برلين عام ١٩٧٥ هي المساواة والتنمية الاقتصاديـة ، ومجالات تحقيق السلام . ان المحور الذي يدور عليه نضال المراة والتـي تطمع ان تبلغه هي المساواة والمساواة وحدها ، وهجر البيت والتفرغ لاعمال الانتـاج .

واللوحـة الآتية تبين تنظيم المراة الشيوعية والاشتراكية فيجميعالميادين.


تنظيم المرأة في جميع الميادين
المنظمات الشعبية
الحزب
المنظمات الخاصة
قيادة الحزب
العمال
الفلاحون
الشبيبة
الطلبة
الانصاري
باقي الأعمال والمنظمات الأخرى
منظمات دعائية
منظمات تثقيف
الاتحاد العام النسائي
الاتحاد العام للنقابات العمال
الاتحاد العام للفلاحين
النقابات المهنية
الاتحاد الحرفي
اتحاد الكتاب
الاتحاد الصحفي
اتحاد الأدباء
الاتحاد الرياضي
الجمعيات والنقابات
باقي الجمعيات والنقابات

الفصلُ الثاني

الخدمـة الطبيـة

الخدمة الطبية

للمراة دور كبير في اسعاف المرضى ، وتقديم المعالجة الطبية والنفسية لهم ، ولها قوة السحر في شفاء المصابين وقديما قيل : ان من البيان لسحرا ، كما ان لهـا باعا كبيرا في تأسيس الجمعيات الخيرية وتقديم الخدمة للذين فقدوا آباءهم وامهاتهم . ان المراة مارست الحياة الطبية في وقت مبكر من حياتها فهي مع وليدها في حمله ورضاعته طبيبة وممرضة . ولقد اثبت العلماء ان لدى المراة استعدادا فطريا في الحنان الذي هو من متطلبات الطب والتمريض ، وفي الملاحظة التي هي الاساس في تماثل المريض للشفاء . ولقد دلت الاحصاءات في التمريض على ان المراة تشكل نسبة كبرى من عدد الممرضين تفوق نسبة الرجال . وان نسيت المراة فلا انس مواقفها القتالية فهانيك « جان دارك » في صفحات التاريخ تقود الجيوش ، وتعبىء الرجال للقتال ، وتلك نسيبة المازنية التي انتضت سيفها في غزوة احد وصمدت صمود الرجال وهي مثخنة بالجراح ، وهذه الفدائية الفلسطينية والفدائية الجزائرية التي قاتلت فكان لها سبق القتال ، وكافحت ولا تزال تناضل حتى تظفر ، او تهلك دون مطلبها . منذ القديم كانت المراة محترمة في الطب ، فقد اقيمت لها النصب التذكارية . وهناك نصب تذكارى خاص بالسيدة « بيسيشت » اذ كانت هذه السيدة رئيسة الاطباء في عصرها . ولقد برزت المراة كذلك في كثير من الاعمال والمجالات ولا سيما في الاستطلاع والمخابرات ، وكتب التاريخ ملاى باقاصيص النساء وقدرتهن على هذا العمل ، وتقول وداد سكاكيني [1] « لم اكد اتمثل اوزار الحرب ورزاياها حتى اخذني التامل في بنات جنسي فرايت منهن في بلاد المغرب من لففن الرؤوس بالبياض ، ووضعن على السواعد رباطا من الصليب الاحمر ، فضمدن الجروح ، وحسمن النزيف ، وسارعن للنجدة والاسعاف ، ثم هزني الاعجاب بتضحية النساء اللائي حللن في مختلف المصانع والمصالح محل الرجال . وعادني التامل في ساح الشرف ومجال البطولة فرايت منهن في قديم الدهر « جان دارك » تقود جيشا لانقاذ امتها من الهوان اذ اذكر قومها طأطأوا لها الرؤوس وقالوا

(1) كتاب انصاف المراة ص ٣٠ ــ ٣١ .

عليها السـلام ، ثم قفل الزمان راجعا وضن بالانداد فاذا الحرب الكبرى الثانية تفتح شدقيها لابتلاع الناس فيكون للمراة فيها غير المواساة والحدب على الجريح مهمة يعجز عنها الرجال ، وتضؤل حيالها معامع القتال ، والتوصل الى خطط التعبئات وادارة الوقيعات » . فاذا لقد عملت المراة في الاسعاف ، وفي المعامل والمصانع ، واحتلت الشؤون الادارية محل الرجال ، وقادت الجيوش ، وتزعمت قومها في السياسة ، وقامت بمهمة كبرى عجز عنها الرجال الا وهي الاستخبارات .

المراة في الاسعاف والمواساة :

كانت النساء يسمين فيما مضى « بالاواسي » وفيهن يقول قيس بن الخطيم عندما طعن وجرح :

يهون علي أن ترد جراحها عيونَ الاواسي اذا حمدت بلاءها

وكان الكثير الكثير من النساء اللائي قمن بعمل عظيم في هذه المهنة في المستشفيات ، وفي ساحات القتال ، وتقول وداد سكاكيني بهذا المعنى [1] « ثم اذاكرة ضحوة النهار من غزوة احد ؟ اصحرت اليها نسيبة المازنية فكانت تأسو الجراح وتسقي العطاش » . ولما اتت ام سنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يارسول الله اخرج معك في وجهك هذا ، اخرز السقاء ، واداوي المريض والجريح ان كانت جراح ــ ولا تكون ــ وابعدالرحل.. فقال رسول الله اخرجي على بركة الله فان لك صواحب قد كلمنني واذنت لهن من قومك ومن غيرهم . فان شئت فمع قومك وان شئت فمعنا . قلت : معك . قال : كوني مع ام سلمة زوجتي فكنت معها . وهذه حمنة بنت جحش حضرت احدا وكانت تسعف وتداوي ، وكذلك كانت ام ايمن ايضا التي حضرت احدا . وهذه كعيبة بنت سعد الاسلمية التي كانت قد ضربت خيمة في المسجد في موقعة خيبر واخذت تداوي الجرحى ، وكان من الذين قامت باسعافهم سعد بن معاذ حين رمي في اكحله . وكانت أم الربيع بنت معوذ تغزو ايضا مع الجيوش وتداوي ، وتسعف وتواسي وقد قالت : كنا

---

(١) كتاب انصاف المراة ص ٣٧ .

نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسقي القوم ونخدمهم ونداوي الجرحى ، ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة . ومما يلاحظ على المراة :

١ ـ انها كانت تقوم بالاسعاف في مكان الاصابة ، ثم يرحل المصاب الى الخلف في خيمة وهناك تشد العظام وتركب الجبائر ، وتخيط الجرح ، وتقوم بكل الاعمال المتطلبة للمصاب ، فان لم يشف نقل الى الخلف في المساجد وهناك تنفذ الاعمال الطبية الاختصاصية ، وقد اشتهر كثيرات منهن زينب طبيبة بني اود التي كانت تشتهر بالجراحة . واذا قارنا بين مايجري الآن في ارض المعركة لوجدنا ان الرجل هو الذي يقوم باسعاف المصاب في مكان الاصابة ثم ينقله الى النقاط الطبية المتتالية ليتلقى الاسعاف المناسب على مراحل ، ولا تجد النساء الا على مستوى النقاط الطبيـة للفرقة والمستشفيات والمستوصفات ، بينما كانت المراة في العصر الجاهلي والعصر الاسلامي ، والعصور القديمة هي التي كانت تقوم بكل المراحل من نقاط الاصابة وحتى المستشفيات الاختصاصية والعمليات الجراحية ، وان كانت المستشفيات في الوقت الحاضر اكثر تطورا في العتاد وفي الطب ، وفي المعالجة .

٢ ـ كانت المراة تتنقل خلف المقاتلين حتى اذا جرح احدهم اسرعت اليه فضمدته ، واذا عطش أسرعت اليه تقدم له الماء ، وان احتاج الى خياطة لجرحه نقلته الى الخيمة وقامت بخياطة الجرح ، وان احتاج الى لفيفة أو جبيرة شدت على ساقه أو يده ، وقامت بما يلزم من تقديم الخدمة الطبية المناسبة . يقول عبد الله عفيفي [1] : « اسو الجراح وشد العظام وخياطة الدم دون النزيف . ونفاذهن في ذلك شبيه بنفاذ الرجال في اساليب القتال ، ومقارعة الابطال لحاجتهن اليه اذا اتقدت الحرب واشتجرت السيوف ، ونفذت الرماح الى اعطاف الصدور . فهناك يقتمرن الموقعة حاملات اداوي المياه ، والى جانب كل منهن مانحتاج اليه من الجراح من لفائف وجبائر ، وما سوى ذلك » . ففي حرب القادسية

---

(١) كتاب المراة العربية في جاهليتها واسلامها جزء اول ص ٨٣ .

كانت النساء ترافق الرجال فكان على قبيلة [1] بجبلة الف امراة وعلى قبيلة النخع سبعمائة امراة . وتقول وفيقة حمدي الشـاعر « كانت المراة بمجموعها تخرج وراء الثائرين .. تحمس..تغني اغاني البطولات».

٣ ـ كانت المراة تصحب معها اثناء المعارك بعض الادوية والادوات الطبية التي كانت معروفة آنذاك . فكانت تصحب (الجبائر) وهي صفوة النـار .. وادوات الكي ، وادوات المياه لتسقي العطاش ، وصفوة الحصير التي كانت تستخدم في قطع النزيف ، كمـا كانت تصحب بعض الادويـة المصنوعة من الحشائش والاعشاب .

٤ ـ انها كانت تقوم بالامداد ، حيث تصنع للمقاتلين الطعام ، وتنقله بمفردها وعلى كتفيها ، وكانت اكثر ماتقوم بامداده المياه . ويروى عن عائشـة بنت ابي بكر الصديق انها كانت ترى وهي مستمرة على ساقها تنقـل قرب المياه على متنها ثم تقوم بافراغه في افواه القوم ثم تعود لتملأ القرب مرة ثانية ثم تعود وتسقي العطاش حتى تنتهي المعركة . وهكذا كـانت ام سليم والربيع بنت المعوذ ، وام عطية وغيرهن من نساء العرب . وقد قال عروة بن الزبير « مارايت احدا اعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة » . وكانت النسـاء ينقلن الامداد والمياه من مسافات بعيدة على اكتافهن . وتقول وفيقة حمدي الشاعر [2] « في تلك الفترة الدامية من تاريخنا (أي تاريخ الثورة الفلسطينية) كانت القروية تحمل الطعام على راسها تحت وابل من الرصاص ومن قنابل الطائرات » .

٥ ـ كانت تقوم بمهمة التمريض اذ بعد أن ينقل المصاب الى الخلف الى المدينة هناك تقوم على تمريضه المراة ، فتقدم له كل مايلزم من انواع التمريض، وتسهر على راحته ، وتقدم له المواساة حتى ينسى أوجاعه ومرضه ، ثم تقوم بالاشراف على المعالجة والتطبيب .

---

(١) راجع تاريخ الطبري .

(٢) كتاب كفاح المراة ص ١٢٥ .

٦ ــ انها كانت تخلي الجرحى غير القادرين على متابعة القتال ، كما كانت تقوم على اخلاء القتلى .

٧ ــ كانت المراة تقوم برد الفار او الذي نكص على عقبيه في المعركة . اذ كانت تتسلح بالعصي فمن حاول الهرب ضربته بالعصا ، ثم ان بعض النساء كن يطلقن ازواجهن اذا هم هربوا من المعركة ، وكان البعض منهن تعير اخاها او اباها او زوجها او قريبها . ومن قولهن :

والدر في المخانق	ان تقبلوا نعانق
او تدبروا نفارق	فراق غير وامق
عرس المولي طالق	والعار منه لاحق

ومما يروى عن ام سليم انها كانت في معركة حنين حاملا متقلدة خنجرها ، ولما سئلت قالت : اني ابقر بطن من يدنو مني ، **واقتل الطلقاء واضرب اعناقهم ان انهزموا** . فتلك كانت المراة تقوم بدور الشرطة العسكرية في وقتنا الحاضر فقد اخذت على نفسها جميع مهام المؤخرة ، ورد الفار ، وقتله ان لزم الامر ، ومحاسبته حسابا عسيرا .

ان المراة تقوم على اسعاف المريض ، وتضميد جراح المقاتلين ، وتطبيب المصابين ، واشتهرت من النساء العرب كثيرات في علم الطب والمداواة ، فهاهي عائشة بنت ابي بكر الصديق ، وها هي اخت الحفيد ابي بكر بن زهر التي اشتهرت بالطب وبمداواة النساء ، وكانت تقوم بتطبيب نساء المنصور ابي يوسف يعقوب بن يوسف عبد المؤمن ، وها هي زينب طبيبة بني اود التي كانت تشتهر بالجراحة المعروفة آنذاك وكانت اختصاصية بالعين وادوائها ، ومن النساء اللاتي اشتهرت في الطب سلمى بنت عبده يوسف القساطلي (١٨٧٠ ــ ١٩١٧) واختصت في الطب النسائي والتوليد ، ولها مقالات واسعة في الطب نشرتها في القاهرة ودمشق ، وكانت تجيد اللغات العربية والانكليزية والفرنسية ، ولها حظ وافر من الذكاء وقوة الذاكرة .

ان المواساة من طبيعة المراة ، والحنان من خلقها ، وقوة الملاحظة من حدسها ، فهي من « الاواسي » حقا ، تواسي الجرحى والمصابين في العمليات

الحربية ، كما تواسي الفقراء والمحتاجين ، وهي بذلك العمل الانساني في السلم والحرب انما تقوم بواجب عظيم تتميز به عن الرجال . وتقول لجنة الدراسات المركزية في الاتحاد العام النسائي السوري في كتابها « نساء من التاريخ [1] » : « غرست في نفس هذه السيدة العظيمة (هدى الشعراوى ١٨٧٩ — ١٩٤٧) منذ صغرها نزعة انسانية عجيبة فهي تعطف على الفقراء والمعوزين ، وتساعدهم بشتى الوسائل ، ولا تدخر في البذل عليهم من مالها الكثير ، ولا من جاهها الملحوظ » . تزعمت هذه المرأة الحركة النسائية تطالبت بالحقوق ، وقادت النساء الى مكانتهن الحقيقية ، فاتخذت من نفسها مكانا للعمل الانساني ، فدافعت عن حقوق المرأة ، وعن حقوق الضعفاء ، وعن حقوق المظلومين ، ودوى صوتها في مشارق الارض ومغاربها ، وسمع بها كل مسمع . فدافعت عن عرب فلسطين ، وشكلت الاتحاد النسائي العربي ، وحضرت المؤتمرات النسائية العالمية ، وفتحت المدارس المتعددة . وهي قبل ان تذهب انفاسها الاخيرة استكتبت بتطوع المرأة خلف الجيوش كممرضة ومحاربة ومقوية للروح المعنوية ، ومتبرعة وفدائية . فهي [2] « ام لكل البؤساء والمرضى والمحرومين الى آخر يوم من حياتها ، قلبها الكبير كان هو مطلع كل تلك الاشعاعات السخية العميقة التي سطعت في شتى نواحي الحياة القومية في مصر ، ومعنوياتها القومية هي التي جعلتها مركز الدائرة لمعظم الجمعيات النسوية الكبرى ، والملهمة الاولى لكثير من حركات القادة من الرجال » .
وتلك نازك العابد بيهم التي كانت تهتم بالاعمال التي كانت تهتم بها هدى شعراوي ، فقد حاولت تاسيس اول جمعية عربية نسائية عام ١٩١٤ في سوريا ، ثم تعرقلت المساعي بسبب قيام الحرب العالمية الاولى ، واشتركت اثناء الحرب باعمال التمريض . ولما وضعت الحرب اوزارها قامت وقلبها يخفق لاولئك الذين فقدوا آباءهم فأسست عام ١٩١٦ جمعية « نور الفيحاء » ، وانشات باسم هذه الجمعية « مدرسة بنات الشهداء العربية » ، وساهمت في انشاء فرع للصليب الاحمر الدولي باسم « جمعية النجمة الحمراء » ،

(١) كتاب « نساء من التاريخ » ص ٩١ .
(٢) كتاب « نساء من التاريخ » ص ٩٦ .

وبنت بنفسهـا « ملجأ اليتامى » و « دار جرحى الحرب » ، واشتركـت في بناء المستوصفات والمستشفيات . وفي بيروت اسست جمعية « عصبة المراة العاملة » و « جمعية اخوان الثقافة » و « جمعية تامين العمل للاجئي فلسطين» . وكانت اثناء الثورة السورية الكبرى ١٩٢٨ تنتقل من جريح الى جريح تداوي وتواسي وتقدم الاعانات اللازمة الى المنكوبين . وفي نهاية حياتهـا اسست « ميتم لبنات الشهداء في لبنان » . واشتركت مع نازك العابد كثير مـن النسوة كانت أشهرهن ماري عجمي التي اشتهرت بالاضافة الى الاعمـال الانسانية والخدمة الطبية بالكتابة والصحافة ، فهي قد كتبت الى الشهيـد والسجين وكلها كتابة تنم عن المواساة ، وتعبر عن العطف والحنان كتبت تقول : « اخي السجين اكتب اليك على ضوء القنديل ، ولكن ماينفع النور اذا كـان القلب مظلما ، فالى سجنك لا الى حديقة والى تعزية لا الى مسامرة » . وكتبت تخاطب الشهـداء : « أما تبرحون غارقين في رقادكم ايها النائمون ؟ اما تعبت اجنابكم وملت من اللصوق بالرمال ؟ قوموا فقد نمتم نوما طويلا . . » واشتهرت في سوريا ايضا وكانت مثال البر والمواساة ، والحدب على ابناء الشهـداء واليتامى الحاجة سامية المدرس فاضاءت بعملها طريق العمل الانساني وهي الآن تشرف على مدارس ابناء الشهداء في القطر العربي السوري .

لقد عملت المراة في المجالات المتعددة من المواساة ، فهي قـد اسست الجمعيـات الخيرية ، ورعت طفولة الفقراء وابناء الشهداء ، وقدمت المواساة لهم ، فلقد تأسست في سوريا عدة جمعيات كلها تدعو الى المواساة ومن اشهر هـذه الـ ميـات « جمعية نقطة الحليب » وكان هدفها رعاية الاطفـال الفقراء واعطاؤهم الغذاء الكافي وكانت رئيسة هـذه الجمعية فاطمة ديـاب ، كذلك فقد تاسست جمعية « خريجات دور المعلمات » وكان هدفها رعايـة ابناء الشهداء ، وتقديم كل مايلزم لمتابعة الدراسة ، وتتراس هـذه الجمعية منيرة علي المحايري ، وتأسست « ندوة المراة » وكان هدفها رعاية الموهوبات الفقيرات وتقديم المواساة والعون المادي لهم . وكذلك فقد تاسس في القاهرة عـدة جمعيات ونوادي على منوال ماتاسس في القطر العربي السوري واشهر النوادي « نادي سيدات القاهرة » وكذلك كان في الاقطار العربية الاخرى .

حديث المراة له مغزى طبي ومعالجة نفسية وقوة معنوية هائلة ومصدر من مصادر الوحي :

لحديث المراة وقع سحري في نفوس الرجال ، فحديثها يشفي المصابين ويهون على الجرحى آلام جراحهم ، كما ان حديث المراة له قوة معنوية تؤثر في نفوس المقاتلين فتجعلهم اشداء على الاعداء . فكم من مريض تحسنت حالته من كلمة طيبة من ممرضة هونت عليه آلامه ، وشحذت فيه عزيمته . واعادت فيه القوة والعزيمة ، وكم من مصاب في ساحات القتال لم يعبأ بجراحه ولم يبال باصابته بل اندفع كالليث الكاسر بمجرد سماع حديث امراة نفخت فيه القوة ، واكسبته الجراة والشجاعة والاقدام ، وهذا مايفسر بخروج النسوة في العهود القديمة خلف الرجال تزغرد وتغني وتسمع المقاتلين صوتها فاذا هم قد اقدموا على القتال واذا هم قد قذفوا انفسهم في اتون المعركة بكل صلابة وجراة . المراة المحدثة البارعة تستطيع انقاذ الكثير من الارواح فها هي شهرزاد انقذت بناء حواء من فتك شهريار بحديثها الممتع الذي سلب منه كل انواع الشر ، واستمع اليها بكل احاسيسه وشعوره فوثق بها واطمأن اليها ، فانقلب من فتاك الى انسان ، ومن وحش الى آدامي . وهذه كليوباترة ملكت قلب انطونيو . المراة المحدثة تملك قلب زوجها ، والمراة المحدثة في القتال تعيد الى المقاتل نشاطه وقوته ، والمراة المحدثة في المصانع تجعل الرجال يزيدون في انتاجهم ، فالمراة بحديثها في كل مجال تستطيع ان تضفي عليه كل الخير ، ويروى عن نساء العرب انهن كن محدثات بارعات وكانت من اشهرهن عائشة بنت ابي بكر الصديق . واذا كان حديث المراة له من القوة والسحر فان على المراة ان تتصف بصفات اهمها :

١ ـ ان تكون متعلمة مثقفة تستطيع ان تؤثر بثقافتها وعلمها في الرجال ، فاذا كانت المراة جاهلة لم تستطع مهما اوتيت ان تبرع في التحدث ، ان الثقافة الواسعة ، والاطلاع ، والتجارب تعطي المراة قوة التحدث ، وفصاحة البيان ، واجادة اللفظ ، ومسايرة التطور ، ومرونة الحياة ، وادارة الرجال .

٢ ـ ان يكون لديها معرفة بالرجال فان لكل رجل حديث ، فالمقاتل له حديث خاص به ، والعامل له حديث ، وكل رجل ذي وظيفة له حديث يختلف به عن الآخر ، وان امهر النساء واقدرهن من كانت تستطيع ان تعرف نفوس الرجال فتعطي كل رجل حقه من الحديث ، فاذا هي مالت عن ذلك كان حديثها قاتلا ، وبدلا من ان يعمل في الشفاء فانه يعمل على المرض ، وبدلا من ان يعمل في السعادة فانه يعمل على الشقاء ، ولهذا فان على المراة ان تكون استاذة في علم النفس تستطيع ان تعطي الحديث النفسي للمريض النفسي بما يناسب حالته ، وبما يجعله قادرا على العطاء .

٣ ـ ان يكون حديث المرأة هادفا ، والا اعتبر لغوا من الكلام لا فائدة فيه . ان الحديث كالدواء يشتمل على عناصر معينة من ضروب الكلام ، فان هو خلا من هذه العناصر كان كالماء الذي لم يخالطه اية مادة من المواد الطبية ، واذا قل الحديث عن الجرعة المحددة لم يؤثر في السامع ، واذا زاد عن الحد فيحتمل ان يكون له مفعول مضاد ويؤذي السامع . وعلى هذا فان تحدثت المراة وجب ان يحتوي حديثها نقاطا معينة تهم السامع ، وان يحتوي ايضا الحد المعتدل فلا زيادة ولا نقصان . ان هذه العناصر الثلاثة اذا احتواها حديث المراة استطاعت ان تملك قلب الرجل ، واستطاعت ان تأخذ به الى حيث ارادت .

٤ ـ ان يكن الحديث في الخير لا في الشر ، وفي السعادة لا في التعاسة والشقاوة ، وفي راحة النفس لا في تعبها ، والحديث بوجه عام يجب ان يكون مفيدا للمتحدثين ، او مفيدا للاخرين ساعيا لاسعاد البشر وزوال همها وتعبها ، قاصدا فائدة الفقراء والمحتاجين ، راعيا لصالح المجتمع، مؤمنا لهم سعادتهم اينما كانوا اذ تسعى المراة ان تداوي الرجل في حديثها ، وان يكون هذا الحديث مصدرا للخير مغلاقا للشر ، وبهذا تستطيع اسعاد نفسها اولا واسعاد الرجال ثانيا واسعاد المجتمع من الرجال والنساء ثالثا . ان الثرثرة من طباع المراة غير المثقفة التي

ارادت قتل وقتها باللغو ، وهذه اعظم خطيئة ترتكبها المرأة في عدم الفائدة من الوقت ، فهذا الوقت يجب ان يصرف في الخير ، وفي الجد والنشاط ، وفي العمل والانتاج ، وفي التقدم والتطور .

لقد تنوع حديث المرأة فهناك النجوى والتحاور والتنادر ، وهناك المساجلة والمطارحة ، وهناك السلوى والمؤانسة ، وهناك النقد والادب والبلاغة والشعر ، وغير ذلك من ضروب الكلام . انه ومهما تنوع الحديث وعلا فانه يحدث في الرجل تحريضا يساعده على ترقيق احساسه ، ورفع معنوياته ، وشحذ فكره ، واكسابه الشجاعة والاقدام ، واعطائه ألدواء الشافي لكل داء ، ومنحه شعورا برجولته وبكرامته ، ودفع الحزن عنه ، ومواساته في اتراحه واحزانه ، ومشاطرته في افراحه ، كما يساعد الحديث ايضا على تطبيب الرجل ، وعلى المعالجة النفسية ، وعلى نسيان الم الجراح والاقدام في كل معركة يخوضها . وتقول وداد سكاكيني في كتابها انصاف المرأة [1] « على ان لحديث المرأة في نفس الرجل مهما كانت ثقافته مشحذة لفكرة ورهافة لذوقه وشعوره بل هي سلوى له ومؤانسة . فكيف اذا كان الحديث من مثقفة لبقة ، تحسن التحاور والتنادر ، وتتقن المساجلة والمطارحة ، وهذا سر مجالس الادب عند نساء العرب » كما تقول ايضا « فكم غلبت بلاغات النساء في الحديث كل خليفة داهية وعامل جبار مثل ماكان من هند بنت عتبة ، وليلى الاخيلية واسماء وعائشة بنتي الصديق ، ولكم سحرت عائشة بنت طلحة ، وولادة بنت المستكفي الباب الكبراء والشعراء بسرعة البديهة والذكاء ، وبراعة النقد والادب ، واذا ذكرنا هؤلاء لمعت في الخاطر مجالس حافلة لسكينة بنت الحسين وعطائها ، فكانت تنقد شعرهم وتجزل لهم العطايا ، فذاع صيتها في الحديث وفصل الخطاب » . ومي « وكأن « ميا » كانت استهلالة فنية لطلاوة الحديث النسوي » . وسهير القلماوي ، وغيرها من النساء اللاتي اشتهرن في ضروب الحديث .

للحديث فن يلتزمن به المتحدثات ، فلا ترفع المحدثة صوتها فوق صوت

---

(١) كتاب انصاف المرأة ص ٢٩ .

زوجهـا ، ويكون صوتها بين اولادها وسطا ، وبين مجتمعها مسموعا ، يطـرق صوتها آذان الناس ، وان يكون الكلام واضحا خاليا من اللكنة والرته ، وغير ملحون ، يسمعه السامع بأحرفه وكأنها تعد عدا او ترتل ترتيـلا ، فـلا يوجد في المرأة عي اللســان ولا تأتأة . وان يكـون الحديث ملائما للمجتمعين فلا تتحـدث للرجال الاميين كما تتحدث للرجال المتعلمين ، ولا تتحدث لزوجهـا كما تتحدث لرجل غريب ، ولا تتحدث لمقاتل كما تتحدث لعامل .. وهي ان تحدثت فلا تخرج من فيها ريقها وبصاقها لتنثره على الناس ، وان تكـون حركاتها عند الحديث ملائمة لمعنى الحديث ، فلا تتحرك الا للضرورة ، وان تكون حركتها فقط دالة على حديثها ، والا كان الحديث عبارة عن مســرح يمثـل فيه من لايحسن التمثيل . وان يكون جلوسها او وقوفها معتـدلا فـلا تقف وهي متكئة على مسند او ان وقفتها كانت غير عاديـة ، ولا ان تجلس وتتكيء على اريكة ، او على جنبها ، او جالسة بوضع غير طبيعي ، ان كل ذلك يؤذي المستمعين فيملون منهـا ، وينتبهون الى جلوسها ووقفتها غير الطبيعيـة فيميل انتباههم الى الشيء غير الطبيعي فيها ، ولا يدركون شيئـا مما تقوله او تتحدث به . وان يكون حديثها غير متعال على الناس تمجد نفسها ، وتثني على شخصها وان ترى نفسها فوق محدثيها ، فهي ان فعلت ذلـك هرب الناس من حولها ، وتفرقوا وتسللوا من مجتمعها ومجلسها ، فخفض الجناح ، ولين الكلام والتواضع هم من فن الحديث . وان يكون لباس المحدثة محترما ومقبولا بين الناس ، فلا تكون عريانة ، او تلبس لباسا غير مألوف ، ولا ان يكون اللباس مشقوقا او ممزقـا ، انما يجب أن يكون اللباس من احسن الالبســة مكويا نظيفا . ومن الجدير بالاهمية ان تكون المحدثة ايضا نظيفـة ذات رائحة طيبة ومقبولة، فان كانت غير ذلك كرهها المستمعون وتمنوا مفارقتها، واكثر ماتكون النظافة في السبيلين ، وفي الفم لان الرائحة الكريهة تتركز في المرأة في هذه الامكنة ، والرائحة الكريهة منفرة بطبيعتها . وبصــورة مختصرة فان غض الصوت ، والكلام الواضح المسموع الملائم للمستمعين ، والجلوس او الوقوف المعتدل ، وعدم الاعتداد بالنفس ، والتواضع ، ولبس اللبـاس الطبيعي المحتشم ، والرائحة الطيبة كل ذلك من فن الحديث يضاف الى ذلك

الثقافة ، واللباقـة ، والحس المرهف ، والشكل المقبول والذكاء الحـاد . والفرق واضح بين فن الحديث ولغو الكلام . واشتهر بفن الحديث نسـاء عربيات اشهرهن عائشة ، وعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين واشتهر مـن النسـاء الاوروبيات « مدام دوسفينيه » و « دوستال » و « روكاميه » وكلهن من فرنسا ، كما اشتهر نساء كثيرات من العالم [١] . « وما فن الحديث الا مرآة لثقافة المراة وذوقها ، ودليل وعيها ولباقتها ، ولا يكون سحره حلالا الا اذا اشتمل على الخير والهدى ، وادخل المسرة المشروعة على النفوس فكان جمام الروح ، ومراح العقول من نكد الدنيا وهموم الحياة » . لقـد راى عمرو بن العاص مرة معاوية بن ابي سفيان يداعب ابنته فتضايق ابن العاص وقال : إنهن يلدن الاعداء ، ويبعدن الاقرباء ، ويؤدين الضغائن . فقال معاوية : لاتقـل .. فما ندب الموتى ، ولا تفقد المرضى ، ولا اعان على الحزن مثلهن ..

المراة تبعث في نفوس المقاتلين الروح المعنوية العالية ، ومن ذلك قـول وداد سكاكيني [٢] « فتمثلت من اولئك العربيات اسرابا كن طلائع او روادف للاخبار والزحوف يضربن الدفوف ، ويصفقن بالكفوف ، ويصحن منشـدات هاتفات حتى يحتـدم الكفاح وتهيج الحماسة في النفوس ، فاذا رآهن الجنود وسمعوا تلك الاهازيج اللاهبـة والزغاريد الصاخبة هبوا هبوب الريـاح ليضبوا على الاعداء كانضباب البلاء » فالصنوج والمزاهر والمزامير والدفوف والطبول والطنابير والغناء النسـائي تقوم مقام الحديث كل ذلك كان يستخدم من قبل النسـاء عند بدء القتال واثناء المعارك وعند قدوم الابطال فكان يقـوي الروح المعنوية في الرجال ، ويشحذ فيهم الهمم ، ويجعلهم يتخطون الموت ، واشتهرت النسـاء في الغناء فكانت ماوية بنت عفرز تلهب المشاعر ، وتحـرض الاحاسيس . كما اشتهر غيرها بالاهازيج والاشعار اللاهبة . ولقد تعرضت المراة في سبيل تحقيق هدف تقوية الروح المعنوية للجنود الى كثير من المخاطر ، والى ان تتحمل مشقة الحرب ، وتقضي على الخوف الذي يبعثه دوي القنابل ،

---

(١) كتاب انصاف المراة للكاتبة الكبيرة وداد سكاكيني ص ٥٣ .

(٢) كتاب انصاف المراة للكاتبة الكبيرة وداد سكاكيني ص ٣١ .

وانفجار الالغـام ، وقصف الطيران ، والى ان تتحمل قساوة الطقس البـارد في الليالي المظلمة ، والسير على الاقدام لمسافات طويلة . ان وجود المرأة في المعمل يدفع العاملين فيه لان يعملوا بكل جد وعزيمة ، وان وجودها في ساحة الوغى يبعث في المقاتلين روحا سحرية تدفعهم الى اقتحام الموت غير هيابين ولا وجلين ، ويحضرني في هذه المناسبة قول احدى الفتيات الاداريات التيكانت تعمل في المصانع والمعامل بدلا من الرجال الذين غادروا المدينة الى الجبهـة فقـالت : « كنا نعمل تحت قصف القنابل بثبات وعزيمة ، ولن انسى ماحييت صديقـة لي شطرتها قنبلة العدو الى نصفين كانت اخر كلماتها لنا : « انني أثق ياصديقاتي بأنكن سوف تنتقمن لي . وكان هذا الرجاء الحار اقوى حافز لنـا على متابعة النضال » . وقول فنانة : « أمضيت وزميلاتي سني الحرب كلهـا بالجبهة ولم نكن نحارب بالطبع بالمدافع او القنابل ، وانما لرفع الـروح المعنوية بين جنودنا . كنا نمثل رغم البرد الشديد والثلج المنهمر داخل المخابىء القريبة الى الجبهة وخط النـار . كان دوي القنابل وانفجار الالغام مستمرا . وتعرضنا عـدة مرات لضربات الاعداء ولا انكر انني كنت اشعر بالخوف بعض اللحظات الا انني كنت استعيد رباطة جأشي بسرعة واستمر في عملي ممـا كان له اطيب الاثر في الحالة النفسية لابناء وطني من الجنود » .

المرأة تدفع اليأس وتعين الرجل على تحقيق المهام العظيمة ، فذلك لمـا نزل الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاف ، واشتد فرقه فقال : زملوني . ودثروني . فكانت له خديجة تسري روعه وتشد على قلبه وتقـول : « كلا والله لايحزنك الله ابدا إنك تحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين علـى نـوائب الـدهر » .

المرأة تدفع بابنها الى الموت ، كما تدفع بأخيها وزوجها غير هيابة الـى المنايا وهي راضية عن فعلها . ان مجرد كلمة تبعثها في نفوس اقاربها كالصاعقة فتلهب الحماس ، وتأخذ بالابطال الحمية . فها هي ريحانة بنت معد يكرب تطلق كلمتها مدوية الى ابنها حين عجز عن قتل قاتل اخيه فتقول : ان كنت عجزت عن هـذا فاستعن بخالك وعشيرتك . فما كاد يسمع ابنها هذا القول حتى اخذت به الحميـة وفاجا الاعداء ، واقتاد ذؤاب القاتل وقتله امـام سر أمـه فرضيت ودعت له . وهاهي اخت ربيعة بن مكرم حين رات مـن

أخيها الفرار والنكص صاحت به فقالت : اين تنتهي نفرة الفتى ؟ فما ان سمع هـذا القول حتى امتلأ غضبا وحمية فكر على القوم بشجاعة واقدام غير مبال بالموت فما زال يقاتل حتى قتل .

المراة المثقفة مصدر اشعاع والهام تدفع بالرجل لان يبلغ المجد في كـل الميادين . ويقول بهـذا المعنى « كاستيلوني » : « ان كل الايحاء انما يـأتي من طريقهـا ، وانه من خصائص المراة المثقفة ان تلهب في الرجل نار الشجاعة ، وتبعث في نفسـه الامل في حومة الوغي ، والنهي في قاعة المشورة ، والالهام في عالم الفن ، والضرب في رحاب المعرفـة ، والسمو في ميدان الفضيلة ، والتقوى في مفاوز الدين » . انها المراة التي جمعت لكل شيء قـدره ، واعطت الى كل رجل ماينـاسبه فهي كل شيء للرجال .

اسمع بالمراة وابصر فان كل ماتملكه له معنى ، وكل مايكون لها اثـر فهو تحريض لنفوس الرجال ، ودواء لدائهم ، ان حديثها ملهمة ، وصوتهـا قوة معنويـة ، وزغاريدها استحثاث للهمم ، وثيابها نشوة ، ورائحتها ظفـر ، ورؤيتها اندفاع وراء الموت واقدام وشجاعة . كل ما في المراة جمال ، وكـل اثرها كمال . فان خصلة من شعر امراة تدب النخوة في نفوس القادة فتحملهم على التعـاون ونبذ الفرقة اذ كانت الخصومة متأججة بين الخليفة الفـاطمي في مصر العاضد لدين الله ، وبين والي الشام نور الدين زنكي ، وقد أوشـك الصليبيون في القرن السابع الهجري ان يحتلوا مصر ، فضغطوا على الخليفـة الفاطمي ، ولما ضاق به المقام فكر بأن يستعين بوالي الشـام ، ولكن الخصومة كانت تحول بينه وبين الاستعانة به . فارسل العاضد لدين الله رسالة الى نور الدين زنكي يستنجده فيها ، وارفق هذه الرسالة بخصلة من شعور نساء بيت الخلافة في القاهرة ، ولما ان وصلت الرسالة وبطيها الخصلة بادر نور الدين زنكي نورا فلبى طلب الخليفة الفاطمي ، ونسي تلك الخلافات التي كـانت مستحكمـة ، تدفعه الغيرة والنخوة ، وتحرضه خصلة الشعر ، وتدفعـه المروءة والاخـلاق . هذه الخصلة من الشعر ايقظت احساسـه ، ونبهت ضميره ، فوقف في جنده يستحثهم ليلبوا نداء الدفاع عن الوطن ، ويوقفوا

زحف الصليبيين ، ويعلنوا الوحدة القتالية في الدفاع عن الكرامة العربية ، والعفة النسوية . وتلك امراة عثمان بن عفان لما قتل وهي في دفاعها عنه فقد قطعت اصابعها فبعثت باصابعها الى معاوية بن ابي سفيان فكانت هذه الاصابع المقطوعة ايقاظا لمعاوية لكي يلبي هذه المراة ، وليدافع وليثار لها وكان ذلك .. وما اكثر الامثلة في ذلك .

لاتحسبن ، كلا .. سوف تعلم ان الرجل والمراة يلتقيان ويستنجيبان بالشعور والاحساس . ان لدى الرجل شعورا فطريا على الاستجابة لنداء المراة ، وتستوي في هذا الشعور الاقوام البدائية والاقوام المتمدنة . واذا لاحظنا في الحيوانات فاننا نلاحظ ان الذكر يدافع عن انثاه ، فهذا هو الديك يدافع عن دجاجاته ، لابد انك قد لاحظت يوما هذا الدفاع ، وهكذا كل ذكر بالنسبة لانثاه ، فاذا دافع الحيوان عن انثاه افمن الحق ان يدافع الرجل عن انثاه ويستجيب لها كلما الم بها خطب ، او تعرضها خطر ؟. وقد قتل كثير دون عرضه ودون المراة ، وقد اصيب الكثير من الرجال عند الدفاع عن المراة صونا ومحافظة على المرأة وعفتها ، وتقديسا لجنسها ، واحتراما لكرامتها .

ينشأ هذا الشعور عند الرجل من المبدأ الذي يقول : ان المراة هي من الرجل . واذا كانت المراة من الرجل فهو احق الناس بالدفاع عنها وعن كرامتها . ومَن من الرجال من لايدافع عن نفسه ؟. فالدفاع عن النفس غريزة فطرية نجدها حتى عند الحيوانات والنباتات . واذا دافع الرجل عن المراة فانما يدافع عن ذاته وعن نفسه . وتقوى غريزة الدفاع عند الرجل كلما كانت المراة قريبة منه ، وان كان المبدأ انه يدافع عن المراة القريبة والبعيدة . فهذا المعتصم يلبي نداء المراة الرومانية عندما نادت « وامعتصماه » اذ اخذته الغيرة فانطلق مع جنده لاقتحام العدو وفك الاسيرة . وقد يختلف هذا الشعور من اقوام الى اقوام ، ومن بلد الى آخر ، تتحكم فيه العادات والتقاليد ، وظروف البيئة ، والحالة النفسية ، والطبيعة الانسانية . فهو عند العرب في جاهليتهم واسلامهم يعتبر ركن العروبة ، وقوام الاخلاق ، ومحور الفضيلة ، واساس الفطرة البشرية الصافية . اما عند غيرهم فهو دون ذلك .

يرفع نشاط الرجل ، وتنبعث امكانياته الكامنة ، ويأتي بالاعاجيب عندما يحس بوجود المراة ، فهي كالتيار يسري في عروقه ، فتكسبه الحركة والحياة والنور . ومن هنا كانت المراة مصدرا للقوى المعنوية ، واساسا لانتصار الرجل ، فهي ان كانت في المعركة بجانب الرجل وخلف المقاتلين سرت في اوصال الرجال النخوة والشجاعة ، واشتد اسرهم وانتصروا على عدوهم ، وان كانت في ميدان العلم تسابق الرجال للحصول عليه ، وان كانت في ميدان اقتصادي تنافس الرجال على الانتاج ، وان كانت في ميدان آخر من ميادين الحياة المختلفة تدافع الرجال في المناكب نحو هذه الميادين . اينما كانت المراة يكون الرجال . والمجتمع من الرجال الذي تهزه مشاعر المراة عندما يسمع استغاثتها ، او اغنياتها ، او تحريضها ، او يرى اشارتها ، او مسماها ، او يدرك قلبها ، ويفهم روحها ويحس بعواطفها لهو مجتمع شجاع ادرك بعض الشجاعة وتتبع مصدرها . غيرة الرجال على النساء محمودة ، ومتى فقدت الغيرة تقاعس الرجال ، ودبت فيهم روح الانهزامية والكسل ، وفقدوا عنصرا مهما من عناصر التحريض ، وعاملا من عوامل النصر » [1] وقد قلت ان المراة مصدر وحي كبير من مصادر الوحي الفني ولم اقل انها هي مصدره دون غيرها . اذ ان المراة لاتكون مصدرا لذلك الوحي الا لانها تستجيش الخاطر وتوقظ الضمير ، وتثير في القريحة بواعث التعبير . فكل مانحا نحوها في هذه الخصلة فهو مصدر من مصادر الوحي التي تملي المعاني والصيغ على ضمائر الشعراء ورجال الفنون ، فالروضة المشرقة والبحر الزاخر والسماء الرفيعة والمناظر المنيرة والشواغل النفسية على اختلافها مصادر وحي لاشك فيها ولا شك في فضلها على ذوي المواهب والملكات . ولا يتم لذي الملكة والفن وصف العبقرية مالم يكن قادرا على الشعور بتلك الروائع والمحاسن ، وقادرا على تلقي الوحي والاسهام من جانبها . وانما تمتاز المراة هنا بمفهوم اثرها في النفوس ، لان الاحساس بالمراة فطرة شائعة في الخلق ووظيفة كامنة في بنية التركيب ، وقد تسري علاقاته وتتعدد صوره حتى تمتزج بضروب الاحساس التي لاتشبهه ولا تمت اليه في الظاهر ،

(١) عباس محمود العقاد في كتابه « المراة ذلك اللغز » ص ٣٨ .

ولكنها قريبة منه عند النظر الى حقائق الاسباب » .

حقـا على المراة يتنافس المتنافسون ، فهي في ميدان القتـال تنافس عليهـا الرجال ، وبذلوا كل ما في وسعهم لكسب رضاها ، وليكون البطل المراد على شفتيها ولسانهـا ، ولتكون افعالـه في القتال افعال الابطال تمدحهـا المراة وتثني على البطل بسببهـا . فهل يحظى الرجل بتلك المراة التي الهبت على البطل جوارحه ، واثارت همه ، وجعلته يقاتل بكل ما في وسعـه ؟. ان المقاتل يتصور تلك المراة التي ربما كانت امه او اخته او خطيبته او زوجتـه او ابنته ، او المراة التي لايزال يفكر فيها . فاذا تصور ذلك برقت في نفسـه التضحيـة وحب القتال ، وتجمعت في خياله كل معاني القوة والرجولة التي تريدهـا المراة وتحبها في الرجل المقاتل اندفع كالاسـد يصول ويجول حتى اذا واتته المنية خر ساقطا على الارض دون ان يصل الى المراة التي ابتغاها ، ومـن لم تواته المنيـة عـاد منتصرا يجر ثوب الظفـر والانتصـار بالمـراة ، وعنـدها يسبق غيره في ميـدان القتـال . ومن هنـا نرى الشاعر الفـارس ابا فراس الحمداني يقول :

ورحت أجـر ذيلي في مجـــال تحـدث عنـه ربـات الجمال

هي المراة التي جعلت الرعديد ينقلب بطلا ، وجعلت البطل ينقلب مغوارا ، وهي التي غرست في نفس المقاتلين الصمود وحب القتال ، وهي التي اوحت الى المقاتلين ان يكونوا شجعانا ، وللكسالى ان يكونوا نشيطين ، وللمتخلفـين ان يكونوا ملتحقين . الكل يحاولون الوصول الى المراة ، والكل يتنافسـون عليها . لم تنل المراة قصب السبق في ميدان القتال فحسب ، بل كانت في ميدان العلم ، وميدان الادب والشعر وفي كل ميدان من ميادين الحيـاة . فالرجال يبذلون اموالهم وانفسهم وراحتهم وامنهم لكي يصلوا الى الغاية التي احبوها وابتغوها في المراة . ومتى وصلوا ادركوا اي سـر تحمله المراة ذلـك السـر الذي الهم الشعراء ، وايد الابطال ، ونفخ العظماء ، وزاد من بر الاتقيـاء . والمهم في المراة في هـذا التنافس ان تملأ هؤلاء كلهم بصرا وبصيرة ، وحبـا وايمانا ، وتضحيـة وفداء ، وان تشجعهم لان يكونوا ابطـالا مستمرين في

بطولاتهم متحلين بالعزم والعزيمـة ، والصدق والوفاء ، ومن هنا تبرز الابطال والعظماء ، وتتجلى المراة كانها لعبة يتمناها العاكفون والبادون . فهذا عنترة يريد ان يخبر ابنة عمه ببطولته فيقول :

هـلا سالت الخيل يا ابنة مالك ... ان كنت جاهلة بمـا لم تعلمي
اذ لاازال علـى رحـالة سابح ... نهـد تعاوره الكمـاة مكلـم
طـورا يجـرد للطعـان وتـارة ... يأوي الى حصد القسي عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعـة انني . ... اغشى الوغى واعف عند المغنم

ولقد كان نابليون من اشهر القادة الاوروبيين ، وقد اعتلى سدة الحكم ، ووصل الى ماوصل اليه من المجد بفضل امراة هي امه فقال « انني مديون لامي بكل ماحزته من الفخار ، وما فزت به من المجد لان نجاحي كـان ثمرة من ثمار مبادئها القومية وآدابها السامية » .

وحين قلد الفنان السوري دريد لحام عام ١٩٧٦ وسام الاستحقـاق من الدرجة الاولى تقديرا لفنه ، اعزى هذا النجاح الى امه حين قال : « ان وسام الاستحقاق الذي ضم حنان امي وروعة وطني وحكمة القائد المعلم ليس لي ما اقدمه سوى قلبي العامر بالحب والوفاء فانت الجديرة بالمحبة » .

المراة تبـدا حياتها الطبيـة مع ولدهـا :

فالمراة قبل الحمل تريد ان تختار زوجها . فهذا الاختيار هو بحد ذاتـه هو اختيار من الناحيتين الطبية والنفسية وان كان هناك بعض الاقوام تختـار هـذا الاختيار فتفضل الناحية الطبية الجسدية ، الا ان هناك بعض الاقـوام تختار الناحية الطبية النفسية ، وكثير من النسـوة اللاتي اخترن في الرجل شجاعته وكرامته وصدقه واخلاصه . فهي اذا تختار لتكون هي سليمة وولدها سليما ، ومن النسـاء في الجاهلية ماكانت تستبضع من رجل مشهور له بالقوة والعزيمة او الشجاعة والاقـدام . حتى اذا تم ذلك للمراة اتجهت بكليتهـا الى جنينها الذي لايزال في بطنهـا ، فهي تحاول ان تطبق القواعـد الطبيـة الصحيحة ليكون جنينها سليما ، وهي تتغذى من اللبن والبيض واللحـوم

والخضراوات لتوفر لجنينها النمو الطبيعي في بطنهـا ، كما هي تعرض نفسها على القابلات والاطباء بين الفينة والاخرى لتتأكد من سلامة جسمها وسلامـة مـا في بطنهـا ، وتمر الايام حتى تضع ، فاذا وضعته بدات بمرحلـة جديدة وهي الرضاعة التي هي مرحلة مهمة من عمر الطفل. وافضل الغذاء هو ما كان من حليب أمه من ثدييها لانه حليب معقم ونوعي، ان حليب الام هو أهم الاغذية التي يتعاطاها الطفل فهو ملائم لكل ادوار رضاعته . ودور الام كبـير ، فهـي تقوم بتنظيم الوجبات الغذائية ، وتحاول ان تغسل ثدييها قبل الرضاعـة اذ تطبق القواعد الطبية في غذاء طفلها ، وعلاوة على التغذية فهي تقوم باجراءات النظافة له فتغسل ثيابه وتعقمهـا ، وتبتعد في ثيابه عن كل الالبسة الضيقة كالقماط المشدود الذي يؤثر على عظام صدره ، كما تبتعد عن وضع الخـرق المائلة امام عينيه لان ذلك يؤدي به الى الحول ، وعن وضع عصبة تحيط براسه بشكل يؤثر على عظام الراس . كما تهتم باذنه وتنظيفها وعينه وكـل عضو من اعضاء جسمه،فهي تفحصه ليل نهار وفي المناسبات كلما خلعت ثيابه او غسلته ، أو غيرت له ملابسه ، فهي طبيبـة ملاصقة لولدهـا . واذا مشى اعتنت به وراقبته اذ تتركه يمشي احيانا دون معاونة ، واحيانا اخـرى تساعده بصورة غير مباشرة وتلاحظ عليه كل حركاته وسكناته ، ثم هي تعمل على تلقيحه باللقاحات المناسبة وكلما دعت الضرورة الى ذلك ، واذا مـرض فهي تسهر الليل وتضني جسمها لتقوم بتقديم الادوية المناسبة في اوقاتها .

وعلاوة على ذلك فهي تعوده على الرياضة ، وتسوس جسمه وعقلـه ، وتظـل تصقلـه حتى ينمـو ويشب . فهي لم تفـارق الحيـاة الطبية منـذ تفكيرهـا بالزواج واثناء الحمل والرضاع واثناء المشي ، وحين يشب . هكذا كـانت حياة المراة كلها حياة طبية ذات احساس وفهم حقيقي باوضاع الطب المختلفة ، وبالامراض التي تنتاب الرجال والنسـاء ، فقد تعودت منذ نعومة اظفارهـا ، وصقلت هذه الموهبة كلها مراسا وتمرنا .

ان للمراة استعدادا فطريا للطبابة ، وشعورا قويا بالتطبيب ، وملاحظة قويـة في تغيير الاوضاع الطبية على المصابين ، وهي صفات لازمـة لاعمال

التمريض والتطبيب ، فالحنان مزروع في ثناياهـا وبين قلبهـا ، وفي طيات صدرهـا ، والملاحظة نامية في فكرها وفي عينيها البراقتين ، والاستعداد كائن بفطرتها وطبعهـا . وقد اثبت العلماء ان المراة تتفوق على الرجل في هـذا المضمار ، واصبح هـذا العلم قائما بذاته يدرس في الجامعات وفي المعاهد .
ولم يسمـح للنساء حتى وقت قريب في اوروبا بممارسة مهنة الطب مـن قبل النسـاء . فهذه الولايات المتحدة الامريكية على تقدمها في الوقت الحاضر لم تسمح بمزاولة الصيدلة الا في عام ١٨٦٨ ، ولم تسمح بممارسة الطب في جميع فروعه الا في عام ١٨٧٤ ، وهذا الحال في الدول الاوربية مثل لنـدن فقد سمح للمراة الدخول في هذا المجال في عام ١٨٩٥ ، واشتهرت جامعـة زوريخ في الطب النسوي ، اما في روسيا فلم يسمح لها اطلاقا وقد صدر قانون عـام ١٨٧٦ يحرم بموجـبـه النسـاء من ممارسة الطب ، ولكن الاتحـاد السوفييتي بعـد ثورة اكتـوبر تقـدم في هـذا المجـال ، واثبتت المـراة السوفييتية جدارتها في هذا العلم ، وقد دلت الاحصاءات عام ١٩٦٠ ان ٧٦٪ من المراكز الطبية تشغله المراة في الاتحاد السوفييتي .

لقد اشتهرت المراة العربية منذ القديم في جميـع فروع الطب المختلفة وقد اوردنا اسماء عديدات من مشاهير الطبيبات في عصرهن . ولكن الذي يلفت الانتباه في المراة العربية انها كانت بالاضافة الى معرفتها في الطـب البشري كانت تعرف الطب النفسي وتداوي به ، وكان تقوم بهذا الطب بصورة خاصة الكهنة من النساء اللاتي يعتقدن ان لهن قربا من الآلهـة ، وقربا من الجن والكاهنة في ذلك العصر كانت تتبوأ مكانـة مرموقة بين المجتمـع العربي فالكاهنة هذه تستطيع ان تشفي المرضى ، وان تجد لهم الدواء الـلازم ، وان تاتي بامور خارقة تستطيع هذه القوة ان تطرد الارواح الخبيثة في الجسـم ، والارواح الشريرة من العقل . ان الامراض التي كانت تصيب الانسان عديدة تعرفت الكاهنة على قسم منها ، واهم الامراض التي كانت معروفة آنذاك هي : الاصابة بالعين ، ومس الارواح الخبيثة لجسم ما ، والسحر الذي يصيـب العقل والنفس والجسم ، ومرض الجنون والصرع وغير ذلك من الامـراض النفسيـة . كان العلاج لهذه الامراض المتعددة هي : الرقى والتعاويذ والتمائم

والنفث في عقدة يعقدها الساحر ، او النفث في فم المريض وذبح الذبائح ... كل هذه العلاجات كانت تقوم بها المرأة الكاهنة او الطبيبة النفسية كما تسمى في هذا العصر ، وقد اشتهر ممن يعملن في الطب النفسي : هند بنت الحسن الايادي ، وجمعة بنت حابس ، وصحر بنت لقمان ، وحصيلة بنت عامر الظرب العدواني ، وحذام بنت الريان ، وزرقاء اليمامة ، فلقد تنبات طريفة الكاهنة بزوال ملك عمرو بن عامر ، وخراب سد مأرب . وعفيراء الحميرية التي فسرت حلما رآه « مرثد بن عبد كلال » ، ويقال انها تنبات ايضا بظهور النبي محمد ، وفاطمة بنت الخثعمية التي تنبات بـ عبد الله بن عبد المطلب ان سيكون من صلبه نبي ورغبت ان تتزوجه . وزبراء الكاهنة وسلمى الهمذانية اللتان تنبأتا بكثير من الامور والاحوال . ويعتقد ابن خلدون ان الكهانة مرتبة من مراتب روحانية النفس البشرية ، وان المرأة تصل اليها بعد ترقيق لنفسيتها ، واتباع نظام خاص في الصفاء .

كانت الكاهنة مزودة بكثير من العلوم ، واشتهرت في قومها بقوة بصيرتها وشدة حدسها ، وصدق تنبؤاتها ، وتفسير المنامات ، وشفاء العديد من المرضى الذين انتابتهم امراض نفسية . كانت الكاهنة محترمة ويقدرها الناس والمجتمع . ويروى ان مرثد بن عبد كلال راى مناما مزعجا اخافه وأذعره ، فاحتجب عن الناس ، فجمع الكهان فسألهم عما يريد فلم يجيبوه فضاق صدره ، وتمنى في نفسه لو ان احدا يستطيع التنفيس عنه ، وشفاء مرضه ، وبينما هو في الصيد اذ رأى بيتا فعرج عليه فراى عجوزا فيه فاكرمته ونام في هذا البيت ، ثم استيقظ فراى فتاة جميلة فقالت له : ايها الملك هل لك في الطعام ؟ فاوجس في نفسه خيفة لانها عرفته ، فقدمت اليه ثريدا وانواعا من الطعام فاكل وشرب ، ثم التفت الى الفتاة فسالها : ما اسمك ؟ قالت : عفيراء فقال لها من الذي دعوته بالملك الهمام ؟ قالت : مرثد عظيم الشان حاشر الكواهن والكهان لمعضلة بعد عنها الجان . فقال : ياعفيراء اتعلمين تلك المعضلة ؟ قالت : اجل ايها الملك انها رؤيا منام ، ليست باضغاث احلام . قال الملك : اصبت ياعفيراء ، فما تلك الرؤيا ؟ قالت : رايت اعاصير وزوابع ، وبعضها لبعض تابع ، فيها لهب لامع ، ولها دخان ساطع ، يقفوها

نهر متدافع ، وسمعت فيما انت سامع وعاءاً ذي جرس صادع هلموا الى المشارع ، فردي جارع ، وغرق كارع . فقال الملك : ياعفيراء فما تاويلهــا ؟ قــالت : الاعاصير والزوابع ملوك تبابع ، والنهر علم واسع ، والداعي نبي شافع ، والجارع ولي تابع ، والكارع عدو منازع . فقال الملك : ياعفيراء أسلم هــذا النبي ام حرب ؟ فقالت : أقسم برافع السماء ، ومنزل المــاء من السماء انه لمطل الدماء ، ومنطق العقائل نطق الاماء . فقال الملك : إلام يدعو ياعفيراء ؟ قالت : الى صلاة وصيام ، وصلة ارحام ، وكسر اصنام ، وتعطيل ازلام ، واجتناب آثام . فقال الملك ياعفيراء اذا ذبح قومــه فمن اعضاده ؟ فقــالت : اعضاده غضاريف يمانون ، طائرهم به ميمون ، يغزيهم فيغزون ، ويــدمث بهم الحزون ، والى نصرة يعتزون . فلما سمع الملك بهذا ذهب الى قومه فبعث اليها بمائة ناقة ، ولكن السر في ذلك انها استطاعت ان تؤثــر على نفسيته ، وان تشفيه من الهواجس والافكار التي ينام عليها محزونا ، ويستيقظ مهموما ، فانقطع به العمل ، واورثته هذه الرؤيا هموما واحزانا . استطاعت عفيراء ان ترد له النشاط والعزيمة ، واستطاعت ان تضع نفسها موضع ثقته وموضع اطمئنانه فشفي مما هو فيه .

لقد عينت المراة في الطب اكثر من الرجل لان المراة ملاصقة للطب اكثر من الرجل كما قدمنا ، ولانها اقدر على فهم المريض من الناحية النفسيــة ، ولانها اوعى للاطمئنان من الرجل ، فالرجل يطمئن للمراة ويسكن اليهــا في معالجتها له ، ولانها مدعوة لعلاج اطفالها الملاصقين لها اكثر من ابيهم ، فهي تعتني بصحتهم كما قدمنا ، وتقوم على معالجتهم من الناحيتين النفسيــة والجسدية ، ولان لديها الرغبة التامة في المحافظة على زوجها . المراة في هذه المهنة تستطيع ان تحقق رغباتها جميعا ، وان تحتل المكانة المرموقة في المجتمع ، وان تبرهن على انها اقوى من الرجل في هذا المجال ، فالعرافة او الساحــرة تستطيع ان تؤثر على مجتمعها بهذه المهنة ، وبما تحمله من ثقافة واطــلاع ، وفكر ثاقب ، وحكمة بالغة ، تلك زرقاء اليمامة التي كانوا يلقبونها « ملكــة اليمامــة » ، وتلك هند بنت الحسن التي سئلت اسئلة فاجــابت عليهــا بكل

تفهم ودراية . سألوها : مـــن اعظم الناس في عينــك ؟ قالت : من كـــانت اليــه حاجــة .

لقد اشتهرت المرأة العربية في الطب العلمي فهي قد مارسته في عصرها الجاهلي ، واعتمدت في ذلك على الملاحظة والتجربة ، والاقتباسات العلمية من الامم المعاصرة والبائدة امثال اليونانيين والفارسيين والآشـــوريين والمصريين وغيرهم . واهم الادوية التي كانت تستخدم هي : الفصد والحمية عن الطعام والكي والحجامة وبعض النباتات والاعشاب . وقد اشتهر من النســاء في هذا الميدان « ام عطيــة » التي اشتهرت بالجراحة و « زينب الازديــة » التي اشتهرت بمعالجة العين . ومما هو جدير بالملاحظة ان المرأة العربية اهتمت بالطب والجراحة العسكرية لمرافقتها للجنود في ميــدان القتال ، وقد تأصلت هذه المهنة في نفوس العربيـــات ومارستها عمليا في الحروب التي كانت تدور فيما بين العرب انفسهم ، او بين العرب والاجـــانب ، ولا يخفى ان الطب العســكري يحتاج لكثير من المهارات في الضماد والاسعاف ، ومعالجة الجرحى ، واجراء العمليات في ســاحة المعركة ، وتحت وطأة المعارك الدائرة .

المرأة من الناحية الطبية :

المرأة لها هيكل عظمي لايختلف عن الرجل شكلا وعددا ، الا ان هـــذا الهيكل اضعف من الهيكل العظمي للرجل ، ويعزي الدكتور فخري فرج هـــذا الضعف الى عوامل الوراثة ، وضعف عضلات المرأة ، والحيض ، والحمـــل ، والولادة ، ر رضاع . ويقول : « فمهما حاولنا بأية انظمة او عادات نخلقهـــا فلن نغير هذه الطبيعة ، وسيـــستمر الرجل اقوى جسما من المرأة » . وقـــوة العظام تتأتى من قوة العضلات ، وهنـــــاك اجمـــاع بين الاطبـــاء ان من كانت عضلاته قوية كان عظمه اضخم واقوى . واما الحيض فله تأثير كبير علـــى قوة المرأة ، فهي تخسر كل شهر كمية من الدم تضعف جسمها فتؤثر بـــذلك على العظام وعلى الجسم عامة . واما الحمل والولادة والرضاع فهم يضعفون جسم المرأة ويوهنون عظمها ، فالغذاء ينتفع به اثنان اثناء الحمل واثنـــاء الرضاعة . وعند الولادة ايضا تفقد المرأة كمية من دمها مما يضعف عظمها .

ولا يخفى ان هـذه الاعمال يصاحبها آلام شديدة نفسية وجسمية . فهي تتألم اثناء الحمل . واثناء الولادة ، واثناء الرضاعة . واثناء التربية ، فهي تحمله وهنا على وهن ، وتؤدي هذه الاعمال ضعفا على ضعف . كل هـذا يزيد في اضعاف العظام عند المرأة . ان الوراثة الجنسية لها علاقة كبيرة بضعف العظام ، فالمرأة اول ماخلقت وهي على هذه الحال ، فبنيتها النسائية هي في الاصل ضعيفة ، ووراثتها النسائية هي كما ترى من ضعف ووهن .

وقـد اثبت الطب ان جمجمة المرأة اصغر حجما من جمجمة الرجل ، وقد قـام بهذه الابحاث عدد كبير من الاطبـاء اشهرهم « بروكا » و « سابي » و « رانكـه » و « فيسباخ » و « فيلكر » و « شافهاوزن » وغيرهم . وكانت النتيجـة ان متوسط حجم فراغ الجمجمة بالسنتي متر مكعب عند المرأة (١٢٢٣ر٧) وعند الرجل (١٤٩٠ر٧) . وبالاضافة الى ذلك فان عظام جمجمة المرأة اضعف وادق من عظام جمجمة الرجل ، وبالتالي فان جمجمـة المرأة اخف ، والمسافة بين فتحتي العينين عند المرأة اكبر منها عند الرجل ، وان السنين القاطعين الاماميين عند المرأة اعرض منها عند الرجل ، ووجه جمجمـة المرأة هي كوجه جمجمة الاطفال ، والحوض الذي يحوي ويركب عليه الاعضاء البولية والتناسلية كالبويضتين وقنـاتي فالوب والرحم وعنق الرحم والفرج بشفريه والبظر .. يختلف كذلك عن حوض الرجل الذي يتميز بسماكته وقوتـه . ولقد كان مخ الرجل اكبر وزنا من مخ المرأة وقد دلت الابحاث على ذلـك ، واشهر العلمـاء الذيـن قاموا بتقرير هذا الموضوع هم : « بروكا » و « بويد » و « تورنام » و « بيشوف » و « بيكوك » و « فينكر » وغيرهم .. فكان مخ الرجل في نفس السن يزيد عن مخ المرأة بمقدار يتراوح مابين ١٢٦ غرام و ١٦٤ غرام ، بل ان التعاريج التي تظهر على مخ الرجل هي اكثر بكثير من التعاريج التي تظهر على مخ المرأة . وكذلك فان قطر مخ المرأة اقصر مـن قطر مخ الرجل . واذا وجدت هـذه الاختلافات في المخ ، فانها توجد ايضا في الجملة العصبية وغيرها .. ان دم المرأة يختلف كذلك عن دم الرجـل ، فالكريات الدموية عند الرجل هي اكثر بكثير من الكريات الدموية عند المرأة . ففي المليمتر المكعب الواحد من الدم يوجد (٤ر٥٠٠ر٠٠٠) كرية دمويـة عند

المراة بينما تبلغ عند الرجل حوالي (...ر...ره) . كما ان قلب الرجل اكبر من قلب المراة حجما واثقل وزنا ، وشرايين الرجل واوردته أوسع من شرايين المراة وحوائطها اسمك من حوائط الاوعية الدموية عند المراة ، ونبض الرجل ينقص في دقاته عن نبض المراة . « وكفاءة الرئة في التنفس عند الرجل تزيد بمقدار نصف ليتر عند المراة » . وعضلات المراه هي اضعف من عضلات الرجل « لقلة الحركه ، وضعف التغذيه الناشيء عن قلة عدد الكريات الدموية في دم المراة » . والدهن في جسم المراه يتجمع في فخذيها وعجزيها وصدرها ، وجسم المراة يحتوي على كمية من الدهن . وحنجرة المراة اصغر من حنجرة الرجل ؛ واوتار الحنجرة تختلف فهي عند الرجل غليظة وعند المراة رفيعة . وجلد المراة ناعم بينما جلد الرجل خشن يكسوه الشعر في معظمه . وجسم المراة اقصر من جسم الرجل ، واكتاف الرجل اعرض من اكتاف المراة ، ووزن الرجل اكبر من وزن المراة .

ان للجسمين (الرجل والمراة) دورا ووظيفة لا يقل احدهما عن الآخر . وهذه الوظيفة تؤدى على احسن مايرام من قبل المراة في المسائل التي اختصت بها ، وتؤدى بنفس الوقت من قبل الرجل على احسن مايرام في المسائل التي اختص بها . وخير ماتضطلع به المراة من مهام هي النواحي الانسانية والوظائف الادارية في المجتمع . ان هذه الوظائف املتها على المراة الطبيعة ، والزمتها اياها ، والمراة مسيرة لما خلقت له ، ولن تستطيع المراة ان تغير من هذه الوظائف الا اذا تغيرت طبيعتها الطبية . والحقيقة ان الرجل متمم للمراة ، والمراة متممة للرجل ؛ وبهما تنهض هذه الحياة وتستكمل عمارتها ، وتشاد حضارتها ، ويرتفع بنيانها . [1] « ولقد بينا سابقا ان جسم المراة اضعف من جسم الرجل ، وطالما كانت المراة امراة ياتيها (الطمث اي — الحيض) ، وتحبل وتلد فانها ستكون دائما صاحبة جسم اضعف من جسم الرجل . واما قوة العقل فتستمر اضعف ايضا عند المراة منها عند الرجل ، لان مخ المراة من نوع احط من مخ الرجل كما بينا سابقا ولان المراة بطبيعة وظائفها البيولوجية في الحياة اصبحت « حاملة لواء

(١) المراة وفلسفة التناسليات للدكتور فخري فرج ج ٢ ص ٦٠٠-٦٠١

العطف » ، فتراها تتأثر بسرعة ، وتراها مغرمة بالتقليد كما بينا سابقا ، وتراها مغرمة بتغيير رايها وبالتقلب بسرعة كما ترى ذلك في اقبالها الشديد على كل « نوع من المودة الجديدة » التي يخترعها رجال الصناعة ، فالشخص صاحب المخ الضعيف حامل لواء العواطف الذي يتأثر بسرعة ويقلد غيره ويغير رايه من حين لحين ، ويتقلب بسرعة لايمكنه ان يكون صاحب « قوة العقل » مثل الشخص صاحب المخ القوي حامل لواء العقلية الذي لايتأثر بسرعة ولا يقلد غيره ولا يغير رايه ولا يتقلب ، والشخص الاول هي المراة والشخص الثاني هو الرجل ، فالمراة لن تكون قوية العقل مثل الرجل الا اذا تغيرت طبيعتها ووظائفها البيولوجية في الحياة ، والمراة تقدر ان تقص شعرها ، وتخلع اسنانها وتستعيض عنها باسنان ذهبية ، وتمزق « فستانها » وتستعيض عنه بفستان آخر ، وتهجر عشيقها لتبحث عن عاشق جديد ، وتصير « عضوة برلمان » بعد ان كانت غير متزوجة لسن الاربعين ، ولكنها لايمكنها ان تغير طبيعة المراة لتجعل المراة رجلا مهما جاهدت في سبيل ذلك ، وعلى هذا فسيستمر جسم المراة اضعف من جسم الرجل ، وسيستمر عقل المراة اضعف من عقل الرجل » .

وفي مجال الصحة النفسية نرى العديد من العلماء والاطباء درسوا احوال المراة النفسية ، حيث اختلفوا في ذلك ، وكل واحد منهم يدافع عن وجهة نظره ، وانظر ماذا تقول الدكتورة نوال السعداوي [1] « ان نفس الانسان هي نفس الانسان سواء كان ذكرا ام انثى ، وان الايجابية والقوة والصدق والعدل والحرية والحب هي صفات المراة الصحيحة نفسيا كما هي صفات الرجل الصحيح نفسيا . ان الصحة النفسية للمراة لاتتحقق الا من خلال الحب والعمل المنتج تماما كالصحة النفسية للرجل ، وان ثالوث النفس (الفكر ، الرغبة ، العقل) عند المراة يحتاج الى الحرية نفسها التي يحتاجها الرجل ، وان أي كبت لاي عنصر من عناصر النفس يسبب عند المراة القلق والضيق والمرض الذي يسببه الرجل ، وان المراة في حاجة الى الحرية الايجابية (وليست السلبية فحسب) لتحقق ذاتها كعضو منتج في المجتمع ولا يكفي

(١) المراة والجنس للدكتورة نوال السعداوي ص ٢٣٤

المراة الطبيعية ان تحقق ذاتها من خلال الزواج او ولادة الاطفال . ان الامومة وحدها لاتكفي المراة لتستمتع بالصحة النفسية تماما كالابوة التي لاتكفي الرجل ليتمتع بالصحة النفسية . فالمراة كالرجل تحتاج لتحقيق ذاتها الى عمل منتج في المجتمع ، تحتاج الى فعل ، تحتاج الى ان تفكر وان تكون افكارها نابعة من نفسها وليس من الآخرين ، وتحتاج الى ان تكون رغباتها صادقة نابعةمن نفسها وليس من حولها».انه ليس مايمنع المراة ان تفكر وتعمل وتنتج ، ولكن الذي يمنع المراة من ان تستمتع بصحتها النفسية هو ان يسند اليها شيء لاتستطيعه . ان الصحة النفسية تحققها المراة اذا سلكت سلوكا ملائما لطبيعتها ملائما لنفسيتها . وما هو عند الرجل هو عند المراة ولكن تختلف طبيعة كل عضو ، فالرجل رجل ، والامراة امراة ، ولن يكون الرجل يوما ما امراة ، ولن تكون المراة رجلا . ان الصحة النفسية تتحقق من اتباع المراة لوظائفها الادارية ، وهي اقدر من الرجل في هذه الوظائف ، وطاقتها في هذا السبيل اقدر فهي تتحمل الحرمان اكثر من الرجل ، كما تتحمل المرض وقلة النوم وما شابه ذلك ، ويقول الدكتور « كارفونين » في مقاله الذي نشر في مجلة « اسبوع المشافي » في كانون الثاني ١٩٦٧ : « ان القوة العضلية للمراة تؤلف فقط ٥٥٪ من القوة العضلية للرجل .. واذا ماتساوت الامور فان المراة تبدو بوضوح اكثر قابلية للتعب من الرجل . وهي لهذا السبب بحاجة الى وقت اكبر للتعويض ، غير ان هذا ينطبق فقط على العمل العضلي ، فاذا لم يكن ثمة عمل عضلي فان مقاومة جميع اشكال الحرمان وقلة النوم وتحمل الالم والمرض تكون عند المراة اقوى » .

ان امراض المراة كثيرة منها : الامراض المبيضية ، وامراض الرحم ، والاعضاء التناسلية ، والحيض ، والانجاب ، والوظيفة الحيوية ، والسرور والرغبة والامل في الحياة ، فالنسوة اللاتي حرمن من المبايض او ذوات المبايض المريضة ، او فيها بعض العيوب كتحولها عن موضعها الطبيعي او انثنائها ، انهن يكن حاملات غير نشيطات ينظرن الى الحياة نظرة التعاسة والشقاء . يرافق هذه الامراض امراض جسمية كالصداع والدوار واللمباجو ، وامراض معنوية (نفسية) كالانقباض والتحسر والندم . ان النزيف في المراة

وهو من الامراض الشائعة فيها يرافقه التهاب المهبل وغيره . ويعزى النزيف الى حالات كثيرة منها : فقر الدم والهزال ، والحالات النفسية كالنرفزة والحالات العصبية المختلفة . كما أن الحيض يعرض الرحم في مدة الحيض الى كثير من الميكروبات ، والى ارتباك في الافرازات ، والى ضعف عام ، والى ملازمة الفراش مدة يومين على الاقل ، ويسبق الحيض في بعض الاحيان القيء والاحساس بالآلام والصداع .. الا ترى معي ايها القارىء ان هذه الامراض التي تصيب المراة تؤثر على صحتها النفسية ، وعلى قدرتها العملية ، ثم الا ترى ان هذه الامراض كافية لان تسلك المراة سلوكا وظيفيا خاصا بها ؟

علم التمريض علم اختصت به المرأة :

لقد تطور التمريض بعتاده ونظامه وكوادره وادويته ، وادخلت عليه الامور العلمية والتقنية ، وبرعت فيه نساء كن رواده . فتأسست لهذا العلم المدارس ، وبنيت المستشفيات . يتصل بهذا العلم العلوم الطبيعية كعلم التشريح والطب الوقائي وهندسة المستشفيات .

ان المرأة التي تتوفر فيها شروط التمريض هي تلك المراة المملوءة حبا وحنانا ، القديرة على تخفيف آلام المصابين ببذلها واعطائها الدواء او المواساة او الفن او الاختراع . وبهذه المناسبة لابد لي من ذكر بعض الشروط وهي :

١ ــ توفر الممرضات المتميزات بالحب والحنان والعلم والمعرفة على نهج علمي صحيح .

٢ ــ بناء المستشفيات والمستوصفات والمصحات والمدارس الخاصة بالتمريض .

٣ ــ توفر الادوات والاعتدة التمريضية والادوية اللازمة لذلك .

ان الممرضة التي ترغب ان تعمل في مجال التمريض يجب ان تتصف بصفات تؤهلها لان تكون ممرضة جديرة بالاحترام ومن هذه الصفات :

١ ــ ان تكون صحيحة الجسم غير مصابة بأمراض ، ولا سيما الامراض

المعدية ، وان تكون قادرة على تحمل التنقل مع المستشفيات العسكرية ، او النقاط الطبية من مكان لآخر ، اذ يجب ان تتحمل اجتياز الطرق الوعرة ، والمشي فوق الثلوج ، وان تتعود على سماع دوي القنابل ، وازيز الرصاص ، وان تتعود رؤية الاشلاء المبعثرة في ساحة المركة ، وان تضبط اعصابها فلا تفقد لها هذه الامور اتزانها ، بل يجب ان تكون قادرة على العمل في هذه الظروف الصعبة ، وان تتصرف كما تكون في الحالة الطبيعية ، لان التصرف الخطأ مع المريض ، أو المصاب ، أو التقاعس عن عملها بسبب هذه الظروف ، او فقد اعصابها . كل ذلك يعرض الجندي المصاب في ساحة المعركة او في المستشفى او النقاط الطبية الى الموت ، وهذا مايؤثر بطبيعة الحال على القدرة القتالية للوحدة التي يتعرض افرادها للاصابة ، ولا يعودون سريعا الى ساحة المعركة . ان الدور الاول يقع على عاتق الممرضة ، فهي التي يجب ان تستيقظ من نومها الهادىء اذا دعاها المريض ، او كان بحاجة الى من يقدم لـه الدواء ، او يضمد له الجراح ، او يواسيه ، او يرفع معنوياته . . انها الممرضة .

٢ ـ ان تكون قد اتبعت الدورات المؤهلة للتمريض ، وتعرفت على ميزات التمريض العسكري والمدني .

٣ ـ ان تكون منظمة تعرف كيف تنظم المستشفيات الصحية والنقاط الطبية ، وذلك لاستقبال المصابين والاسراع في اعطائهم الدواء ، والمعاونة في اجراء العمليات الجراحية .

٤ ـ ان يكون لديها القدرة والاستعداد لاقناع المسؤولين واصحاب الثروات لجمع المال ، وتهيئة الجو الملائم بغية بناء المستشفيات والمستوصفات والمجمعات الخيرية ، وشراء كل مايلزم لها . وعليها ان تتصل كتابة او شخصيا بهؤلاء الاغنياء وان تطلب المساعدة في ذلك .

٥ ـ ان تكون خبيرة بالطهي ، وبشؤون الخدمة ، النظافة ، وبالادارة ، وبعلم

النفس ، وبمبادىء التطبيب ، وبعلم التشريح والطب الوقائي وغيره من العلوم التي تساعد على تطوير علم التمريض وفن التمريض .

٦ ـ ان تكون انسانية في كل تصرفاتها ومعاملاتها .

٧ ـ ان تكون لديها الرغبة التامة بهذا العمل .

٨ ـ الاطلاع على التطور العلمي والتقني لعلم التمريض ، ومحاولة تطويره على اسس علمية صحيحة .

٩ ـ زيارة المستشفيات العالمية ، او النقاط الطبية والاطلاع عن كثب على التطور الذي طرأ على الابنية ، او على الاعتدة ، او على الخدمة ، وذلك بين حين وآخر .

لقد برعت المراة في التمريض على المستويين العسكري والمدني ، وعشقت هذا العمل وتمنت الاماني لكي تصبح ممرضة قادرة على تقديم العطاء في هذا السبيل . فتلك « فلورنس ناتينجال » الانكليزية الاصل المولودة في ايطاليا عام ١٨٢٠ في مدينة فلورنس بايطاليا . وقد توفيت عام ١٩١٠ عن اعمال في التمريض تكاد لاتصدق . فهي قد نادت بوضع الاسس الجديدة لاصلاح التمريض ، وقامت بتأسيس المستشفيات والمصحات ، واسست مدرسة للتمريض سميت باسم (دار ناتينجال) عام ١٨٥٧ ، ونشرت مذكرات ومؤلفات حول التمريض كان من اشهرها : « مذكرات في التمريض » و « وملاحظات حول المستشفيات » و « حول التمريض » . فلورنس ابدت رغبتها في هذا العمل عندما كانت يافعة ، ويستدل ذلك من قولها : « اتدرون بماذا افكر كلما ارى هذه الغرف الصحية الجميلة ؟ انما افكر بوسيلة تمكنني من تحويلها الى مستشفى كبير ، غير ان مايشغل بالي هو امر تاثيثها لكي يرتاح فيها المرضى ويستمتعون بالهواء والنور والهدوء والرفاهية » . لقد تطوعت هذه المراة للعمل في المستشفيات ، وبرعت في تضميد الجروح ، والعناية بالمرضى والنظافة

ومواساة الجرحى . ولم تقنع ولم تقف في مكانها دون ان تتطلع الى علم التمريض فانتسبت الى دير « راهبات المحبة » حيث تدربت مدة عامين . وعلى المستوى العملي اسست « مستشفى النساء العاجزات » وتولت بنفسها ادارته ، وعملت في المستشفيات العسكرية في حرب القرم عام ١٨٥٤ حيث كانت تقوم بتضميد الجراح ، وتنظيف الجروح ، وتسهر على المصابين وتنظم السجلات اللازمة ، وقد عملت في الصفوف الاولى من النقاط الطبية ورافقت الجند وقامت بتمريضهم ، ولما انسحب الجيش اضطرت للانسحاب معه حتى وصلت الى مستشفى سكوتارى في الاناضول وهي مرهقة ذاقت ماذاقت من انواع التعب والمرض لكن حبها لهذا العمل واندفاعها حطم العقبات وقضى على الصعاب « فكثيرا ماكانت تبقى جاثية على ركبتيها تفك الاضمدة وتنظف الجروح ساعات متواصلة ، بعد الفراغ من اعمال التنظيف والطبخ حتى اذا خيم الليل كان عليها ان تسهر ، لا ان تنام لان واجبها يحتم عليها كتابة التقارير وتنظيم السجلات » . وهـذه هي « اليزابيت بلاكول » (١٨٢١ ـ ١٩٢٠) الانكليزية المولد ، المواطنة الامريكية . لاقت هذه الفتاة صعوبات كبيرة في تحقيق رغباتها بدراستها الطب في وقت كانت هذه المهنة مقتصرة على الرجال فقط ، فقد وجدت المعارضة في كثير من الكليات اذ انبها طبيب الاسرة الخاص ، ومنعها عميد كلية الطب في نيويورك من الانتساب ، ثم اقفل دونها الباب عميد كلية الطب في « فيلادلفيا » ، ولكن كل ذلك لم يزدها الا تصميما على بلوغ هدفها . فتوجهت شطر كلية « جنيفا » وهي احدى كليات الطب في نيويورك ، فدخلت الجامعة وثابرت في دراستها ثم حصلت على شهادة الدكتوراه بامتياز وتفوق . فكانت اول طبيبة حقا . رغم قساوة المجتمع ، ووقوف الرجال امام رغبات هذه الطبيبة ، وتعتبر رائدة النسوة في الطب ، وهي أول من مهد الطريق ، وكان خلفها كثير من النسوة انتسبن الى الكليات العديدة في الطب وفروعه . ثم لما خرجت الى الحياة العملية حاربها الناس فقاطعوا عيادتها . فالفت مؤلفا بسيطا عن تاريخ حياتها والهمتهم ، فاقبلوا اليها يزفون ، فكسبت عطف الناس . ثم اشتركت بعد ذلك مع اختها في تاسيس كلية للطب في نيويورك سميت « كلية اليزابيت » عام ١٨٦٦ غايتها تدريس الفتيات اللاتي

وقف امام تعليمهن المجتمع آنذاك . ثم فتحت مستشفى وزودته بأحدث الآلات والاعتدة . ان هاتين السيدتين نموذج يحتذى لكل النسوة اللاتي يرغبن سلوك هذا السبيل ، ولم تكن الصعوبات او العقبات تقف امامهن بل تخطينها ونجحن في عملهن .

لقد دلت الاحصاءات على ان نسبة الممرضات في المشافي وفي الاعمال الصحية المختلفة على ان النساء اكثر عددا من الرجال . ففي عام ١٩١٢ بلغ عدد الممرضين في الجمهورية العربية السورية ١٧٤ بينما كان عدد الاناث ٦٨٥ . وفي عام ١٩٦٨ بلغ عدد الممرضين من الذكور ٢٨٧ ، بينما كان عدد الاناث ٧٤٣ . ويتفاوت هذا العدد في كل بلد من بلدان العالم وقد تبلغ نسبة الاناث في بعض البلدان الاوروبية حوالي ٩٠٪ كالاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية وانكلترا وغيرها .

ان الممرضات قد عملن حتى الآن في المشافي والمستوصفات والمصحات بفروعها المختلفة ، وفي مؤخرة الجيوش والنقاط الطبية للتشكيلات ، الا ان النسبة الكبيرة من الممرضات يعملن في المشافي المركزية والاختصاصية .

لم تأل المراة جهدا في سبيل تطوير الخدمة الطبية ، فهي في المواساة قديرة ، كما في التطبيب والتمريض ، ولقد حضرت المراة المؤتمرات المتعددة من اجل هذا الهدف . وعلى المستوى العربي عقد عدة مؤتمرات كان من اهمها المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في القاهرة عام ١٩٤٤ ، وقد تضمن عدة نقاط طبية نذكر اهمها :

١ ـ انشاء وحدات طبية متنقلة مجهزة بالادوية تزور كل قرية مرة كل اسبوع .

٢ ـ انشاء الحمامات والمطاعم الشعبيةفيالمدن والقرى في كافة الاحياء والقرى.

٣ ـ انشاء مدارس متنقلة لاتزيد مدة الدراسة فيها عن بضعة اسابيع تتلقى فيها الامهات التدريب الصحي فيما تتطلبه حالتهن الصحية اثناء الحمل وبعده ، والاكثار من هذه المدارس وتعميمها .

٤ ـ انشاء وتعميم مستشفيات الولادة وعيادات خاصة بالامراض التناسلية في القـرى .

٥ ـ انشاء وتعميم مكاتب حكومية للنشر تهتم بترجمة اصول التغذية .

٦ ـ الاكثار من ملاجىء الايتام وابناء السبيل وايجاد مصحات لاولي العاهات الجسدية في الاطفال ، وتعميم معاهد ومصحات الاطفال .

* * *

الفَصْلُ الثّالِثُ

اللبـــاس والاطعـــام

اول ما اشتغلت به المراة وفكرت فيه واطعمت غيرها منه هو الاكل ، ذلك كان قبل اللباس ، واللباس اتى متأخرا عن الطعام . تعلمت المراة الطعام منذ فجر حياتها ، واحبت الطعام وهي صغيرة ، ثم مالت اليه في ايام حملها ، وطلبت المزيد منه في ايام الحمل والرضاع . اما اللباس والتفنن به فقد بدأ بعد الطعام واعقبه عندما اطعمت حواء آدم « فاكلا منها فبدت سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » . لقد كان اللباس ستـرا للسوءة في الانسان ـ الذكر والانثى ـ ويقول عباس محمود العقاد في كتابه المراة في القرآن الكريم « فالمراة تشتغل باعداد الطعام منذ طبخ الناس طعاما قبل فجر التاريخ ، وتتعلمه منذ طفولتها في مساكن الاسرة والقبيلة ، وتحب الطعام وتشتهيه ، وتتطلب مشهياته وتوابله في اشهر الحمل خاصة ، كما تتطلب المزيد منه في ايام الرضاع . وصناعة التطريز وعمل الملابس ـ كصناعة الطهي » . ان اللباس قديم قدم خلق آدم وحواء حين اخذا يخصفان على جسمهما من ورق الاشجار ، ثم هبطا الى الارض وبهبوطهما زاد اللباس تعقيدا وتكلفا ، المكان في الجنة لم يعد ليقبل اناسا بلباس ، واللباس هو من عادات اهل الارض . ثم انتاب الناس بعد ذلك عدة ظروف واحوال بعض النساء تطول في لباسها ، وبعضهن تقصر ، وتتفنن المراة في لباسها من فرق الراس حتى القدمين ، فلكل عضو لباسه فلليدين حلي وملابس كما للرجلين كما للوجه ولباقي الجسم .. ثم مر على اللباس عصور قبل الميلاد لاندري كيف ان المراة كانت تلبس لباسها ، ولكن الذي وصل الينا ان كل قبيلة او قوم يلبسون حسبما يحلو لهم ، الى ان جاء عصر العبرانيين فاخترعوا البرقع واللباس الذي يحجب المراة عمن سواها ، ولا يظهر من جسمها اية بقعة . وجاء في الاصحاح الثامن والثلاثين والاصحاح الثالث والاصحاح الرابع والعشرين قولهم : « فنزلت عن الجمل (اي رفقه) وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائي ؟ فقال العبد : هو سيدي فاخذت البرقع وتغطت » . ويقول بولس الرسول : « فان كانت ترخي شعرها فهو مجد لها .

(١) عباس محمود العقاد في كتابه المراة في القرآن الكريم ص ١٥ .

لان الشعر بديل من البرقع » ويقول عباس محمود العقاد [1] « وكانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلقى الغرباء وتخلعه حين تنزوي في الدار بلباس الحداد » . ومن هذا نرى المرأة وكأنها تحب الطعام وتعمل بـه ، وتطلب اللباس لتتستر به فان العورة تسيء بمنظرها الآخرين .

اللبـاس بمعنـاه الواسع :

اللباس هو ستر العضو او المكان الذي ان ظهر أساء للناظرين . وبهـذا التعريف نتوصل الى مفاهيم جديدة في اللباس . ان ستر عورة المرأة بلباس تلبسـه فوق العورة يغطي ويمنع الاساءة الى الناظرين . وهذا هو اول لباس ظهر في التاريخ ويمكن ان نطلق عليه (لباس العورة) . ان النظر الى العورة يؤذي العين ، وهذا الاذى يتأتى من المنظر السيء فاذا نظرت الى قمامة او مكان متسخ ، او بقعـة من الارض فيها وباء فمن الطبيعي ان تغمض عينيك عنـد رؤية هذا المنظر ، وتحاول ان تبتعد عنه ، فان العين لاتستقر على منظر قبيح او وسخ . وكذلك فان النفس تشعر باشمئزاز وقرف ، فيعكس ذلك كله على الصحة النفسيـة والجسدية . ومن هنا ولهذا العذر كان ستر العورة ضروريا بل وملزما لمن كان مكشوف العورة ان يسترها ، ولتشابه العـورة في اتسـاخها وفي قبح منظرها ماكنا قد بيناه ، ذلك ان العورة موطن الاقـذار ، وخروج البول والغائط والدم الفاسد ، والامراض والجراثيم وما الى ذلك ، اذ كيف يصح للانسان ان ينظر الى هذا كله ؟ وقد ثبت علميا ان العين تسر برؤية المناظر الجميلـة ، وينجلي البصر ، وتزال الامراض من العين بفضـل المنظـر الحسن ، ولهـذا نرى البدوي يتمتع برؤية الصحراء ، وبرؤية لباسها الجميـل في الربيع اللباس الاخضر الموشى بالالوان الجميلـة ، ومن هـذا التمتع والرؤيا الجميلة نرى عينيه سليمة قادرة على الرؤيا وتمييز الاشيـاء اكثر من الحضري الذي لم يعتد ان يرى هـذه المناظر الا لماما وفي اوقـات متفاوتة ، وكذلك فان ابن السـاحل يتمتع برؤية البحر والمياه مما يبعث على

---

(1) عباس محمود العقاد في كتابه المرأة في القرآن الكريم ص ١٠١ .

أستقرار عينه بهـذه المناظر الجميلة . واعتقد ان كل شيء تسكن اليه العين وتقر لـه هو لباس في حد ذاته جميل واجمل الالبسـة بالنسبة للعين هو الاخضر والمياه والمنظر البديع الذي يدل على صفاء وهدوء . ولا يقتصر الضرر عند رؤية العورة على العين فحسب بل يتعدى الضرر الى اكثر من ذلـك ، فيتأثر نفسيا وتتوتر اعصابه ويحمله ذلك المنظر الى ان يهيج غريزيا ، فـاذا وصـل الى هذه المرحلة اما ان يستطيع ان يقضي وطره فتنتقل اليه الامراض لاسيما ان المرأة تحمل امراضا ، وان لم يستطع حمل من كبت النفس وغيظها ماينكد له عيشـه ، ويقوض له دعائم حياته النفسية ، واذا قوضت دعـائم النفس فانها تنعكس على حياته العامة والخاصة وعـلى الانتـاج وعلى الدولة .
وهـذا هو سر تفسير ضرورة الزواج اللذي يبنى على الاختبار ، فان رأى الرجل المرأة اختارها واختارته ، وحينئذ يكون في هذا الاختيار بعد عن المرض الذي أصيب به صاحب الشهوة العرضية ، وبعد أيضا عن مرض التعقيد النفسي ، وبالزواج يضمن الصحة النفسيـة والجسدية . وما دامت العورة تسيء الى ناظريها فانه من الاولى ان تكون مستورة لتكف اذاها عن الناس . ومـن الناس من يقول : اننا نرى العورة ولا يؤذينا منظرها .. نقول : ان هؤلاء الناس قليلون واستثنائيون ، ولا تجري ولا تطبق القاعدة على الشواذ ، فكثير من الناس كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء فشذوا عن السلـوك السوي ، ونأوا عن الطريق المستقيم ، وبهـذا الشذوذ وبهذا البعد عن الشيء الصحيـح والسليم يدللون على انفسهم بانهم قوم اصابهم الاذى في نفسيتهم وجسدهم ، يمكن ان يقال عنهم بانهم وصلوا الـى حالة من الجنـون وهم لايعلمون ، فقد زين لهم سوء عملهم وهم لايدرون وهذا هو اعلى درجـات الجنون والانحراف . ومن الناس من يقول هنالك نواد للعراة يرى بعضهم بعضا ولا يصيبهم أذى . من قال هـذا ؟ ان العراة الذين يرتادون تلك المحلات هم قوم مريضون جسديا ونفسيا . تفكيرهم غير سليم ، اعينهم ملأى بالامراض ، قلوبهم مقفلة ، تفكيرهم مشلول ، عاطلون عن العمل ، يلعبون ويسرحون كالانعام، لقـد انتفت عنهم الصفـة الانسانية . واسأل الاطباء وعلماء النفس عنهم ، وعلماء الاجتماع ينبئوك عن امراضهم .

ان المعنى الثاني من معاني اللباس هو ستر الزوجين لبعضهما ؛ فالرجل لباس للمراة ، والمراة لباس للرجل . اذا حصل الزواج بين الاثنين لبس احدهما الاخر . فما دامت المراة غير متزوجة فهي بذلك لم يكن اللباس عليها كاملا ، وكذلك الرجل وبهذا متى تزوجت المراة بالرجل سترها الرجل اي أنه ستر وغطى بلباسه الزوجي جميع مساوىء النفس الانسانية . اذا كانت المراة ايما تتعرض لكشف سيئاتها وذلك بعملها الذي تعمله مدفوعة الى ذلك بقوة الغريزة ، وبقوة الشهوة ، وبقوة السيطرة البهيمية ان تنجرف مع هذه الاهواء والميول ، فياتي الرجل عن طريق الزواج فيستر لها هذه المناظر النفسية ، وهذه العيوب الشهوانية ، فتنطفىء نيران الاساءة . وبهذا فان الرجل يلبس المراة ، وبالمقابل فان المراة تلبس الرجل ويستر كل منهما عيوب وسيئات الاخر . ولهذا نرى الزواج ضرورة سترية ، ووقوفا امام المناظر السيئة التي تسيء بظهورها الى الآخرين فيرتكب الرجل والمراة بهذه المناظر حماقات ، وتقوض دعائم المجتمع . ان الزواج ستر للقوى النفسية السيئة ، وللميول الشيطانية ، وهو لباس يلبسه المرء ليتقي به الاساءة الى نفسه والى الآخرين .

المعنى الثالث هو عزلة النساء عن الرجال والرجال عن النساء . وهذا المعنى اعتبر المراة كلها اساءة للناظرين ولا سيما للرجل ، ولم يستثن منها عضوا او مكانا . وهنا ايضا وبهذا المعنى قيدها بالرجل فهي مرتدية لباسها طالما هي بعيدة عنه ونستطيع ان نقول : ان لباس العزلة منع عنها اساءة الرجال ومنع اساءتها عن الرجال . ولكن الظروف الحياتية تحتم ان يجتمع الرجال مع النساء كأن تكون هذه الظروف ظروف عمل ، او حرب ، او سياسة او ماشابه ذلك ، وحينئذ يكون هذا الاجتماع بقصد العمل وبقصد تادية مهمة مقدسة ، ويبقى هذا التقارب موجودا مادامت المهمة قائمة ، فاذا زالت المهمة رجعت المراة الى عزلتها ، والرجل الى عزلته . يغالي بعض الرجال في هذا اللباس فيضنون بالمراة ويحبسونها ويقيدونها بالقيود التي تمنعها من الذهاب او الاياب وان كان ذلك بمهمة ضرورية . كان اليونان فيما مضى يفرضون العزلة على النساء ويجعلونها في الدار رهينة المحبس ، وكذلك

كان الرومان . ولقد اشار الى ذلك قانون « اوبيا » الذي ظهر قبل الميلاد بمائتي عام ، وفيه يحرم على المراة الخروج من الدار والمغالاه في التبرج ، والتعفف في كل مكان في الشارع وفي العمل وفي البيت .

المعنى الرابع هو لباس الاخلاق والفضيلة . وهذا اللباس هو احسن الالبسة ، وامنعها ، واقدر على منع الاساءة للآخرين ، وهو ستر لكل عضو ولكل مكان من المراة والرجل على السواء . فاذا حملت المراه هذا المعنى غضت بصرها ، وسترت سواتها ، ومنعت الاذى عن نفسها وعن الآخرين ، لايضير المراة في هذا ان توجد في جو يحيطه الفساد ، او في مجتمع تعود الاساءة ذلك لان اللباس الذي تلبسه يمنع عنها ان تهوي الى الرذيلة ، او تنحط مع السفاسف ، او تؤخذ بالاغراءات ، او تنساق مع الخنى . وكلما كان هذا اللباس قويا كلما كانت المناعة اقوى ضد الرذائل . ولا يكفي ان تكون المراة مرتدية هذا اللباس ، بل ان الرجل كذلك . فاذا كان الرجل يلبس هذا اللباس لايضيره ان راى امراة قد بدت سواتها ، او كشف خمارها ، او ازيح برقعها عن وجهها ، او سقط نصيفها ، او نزع لثامها ، فانه حريص على الا يؤذيها ان يؤذي نفسه . ويتفاوت هذا اللباس مناعة عند الرجال والنساء فمنهم من لايستطيع المقاومة فيمزق اللباس ، ومنهم من يقاوم ثم يجري وراء الاغراءات ، ومنهم من يبقى ثابتا لاتزعزعه الاهواء ولا الاغراءات ، ويستطيع فوق ذلك ان يمتن ويحصن لباسه ولباس الآخرين ، وهذه الفئة هي اعلى الفئات اخلاقا ، واقواها عند الشدائد والمحن ، وهؤلاء هم شعلة الناس الى طريق العلى والبناء الحضاري ، والسمو الانساني . فمن استطاع من الرجال والنساء ان يكون مثل هؤلاء فليفعل ، ومن فعل ذلك فهو في المقدمة ، ومن لم يفعل فقد خسر نفسه وضيع ماله ووقته . وهل تعلم أن آدم وحواء لما خلقا كانا عريانين ، الا انهما كانا من الفئة الثالثة ، كانا من فئة الملوك والانبياء والصالحين ، لا تضرهما رؤية العورة ، ولا يضرهما منظر ورق الشجر على العورة ، ولا يضرهما منظر الخرقة ايضا . وهذه اشارة ودليل على ان المجتمع من الرجال والنساء كلما كان لباسه متينا لايضيره رؤية الاساءة ، ولكن عندما يسيء وتظهر آثار اساءته ، وتنكشف مضاره يقتضي

من الآخرين ان يلبسوا اللباس المحتشم ، وان يغطوا كل عضو يسيء الى الآخرين او يسيء الى انفسهم . ويتقابل لباس الاخلاق مع اللباس المادي ، فكلما كان لباس الاخلاق متينا لا تغيره رؤية الملابس على الجسد او على عضو منه ، اما اذا كان لباس الاخلاق مفقودا او هناك اثر باق منه فان لباس الجسد يجب ان يغطي كل عضو هو اغراء او فتنة من الجسد ، وان لايسيء بظهوره الى الآخرين . وهنا تتفاوت وتختلف الافراد والجماعات في التمسك باللباس الاخلاقي ، وعلى هذا التفاوت والاختلاف يجب ان يقرر لباس الجسم ، وبمعنى آخر اذا كان لباس الاخلاق قليلا او كثيرا وجب ان يكون بالمقابل لباس الجسد صغيرا او كبيرا يغطي الجسم بعضه او كله . ويكون موضوع اللباس كاملا اذا كان اللباس الاخلاقي تاما واللباس الجسدي تاما . وهذا هو اعلى درجات الكمال النفسي والجسدي للباس . واود في هذا المكان ان اوضح فكرة وهي : ان الملائكة يستحيل وجودهم على الارض ، ولو وجدوا لتبدل الانسان الى مخلوق آخر لان للملك صفات لايمكن ان تتفق مع صفات الانسان ، وكذلك فان الانبياء قد اتوا وبلغوا وانقطع مجيئهم ، وكذلك فان الصالحين هم قليلون على وجه الارض . كل هذه الفئات الثلاث هي التي كانت تلبس اللباس الاخلاقي الكامل ، وهم الآن اقل مايكون ، واذا وجد منهم فانه يوجد بقية باقية من الصالحين تستطيع بلباسها الذي تلبسه ان تكون منيعة ، اما الكثرة الكثيرة من الناس فانهم قد خلعوا لباس الاخلاق ولبسوا لباسا غير منيع . ونقول في هؤلاء انهم قد تجردوا من لباس الاخلاق ولباس الجسد فأصبحوا كالبهائم لايردعهم رادع ولا يمنعهم مانع . ولا تحسبن اللباس المادي الذي يغطي الجسد بعضه او كله يمنع اذى الناس ، بل ان الاذى تعدى اللباس المادي ولباس العزلة ولباس الدور والبيوت . نحن محتاجون في هذا الوقت بالذات الى اللباس الاخلاقي الذي يفوق كل لباس ، وهو خير الالبسة واحسن الثياب .

اللباس الجسدي مختلف ومتنوع باختلاف وتنوع الجنس والمجتمع والطقس والعادات والتقاليد ، بدأ اول مابدأ بستر العورة ثم بستر الصدر ، ثم كان لباس الراس فالاذنين والانف ، ثم كان لباس الجيد ولباس الوسط ،

ثم كان لباس اليدين ولباس الرجلين،يضاف الى هذا اللباس الحلي والجواهر والاحجار الكريمة . فمن النساء من تظهر عارية في بعض البلدان وتوجد في نوادي العراة في اوروبا ، ومنهن من تظهر بلباس العورة كما في بعض دول افريقيا وبعض الدول اللاتينية ، ومنهن من تظهر بلباس نصيف يغطي سرتها فما دون ، ومنهن من تكشف راسها وصدرها ، ومنهن من تغطي كل جسمها من فرق راسها حتى قدميها . ويمكن القول ان المراة تفاوت لباسها من ستر للعورة الى ستر للجسم كله .

لباس المرأة في الجاهلية :

لقد لبست المرأة في الجاهلية انواعا عديدة من الثياب بألوان مختلفة ، منها السافر ومنها المحتشم . وكانت « البرزة » وهي التي تكون سافرة غير محجبة و « المحتشمة » وهي التي تكون محجبة ، فأما « البرزة » فهي من العواتق ، وأما المحتشمة فهي من ذوات السن منهن ، ولا تحتجب المرأة الا لقبح فيها او لشر رأته او لحسن فيها . وكان النقاب هو من لباس الراس . والاغلب من نساء الجاهلية كن سوافر الوجوه حواسر الرؤوس ، ففي الاحزان تظهر المراة سافرة وكذلك في الافراح . ويظل القناع هو الصفة المميزة في نساء الجاهلية . وكان مشهورا الخمار والقناع والبرقع والنصيف واللثام . فالخمار غطاء الراس والوجه ، والبرقع غطاء للراس مثقب ، والنصيف غطاء للجسم فوق الدثار ، واللثام غطاء للراس ايضا من نوع آخر . واشهر القبائل التي تبرجن نساؤها . وظهرت سوافر هي قبائل عاد وثمود والعمالقة .. وذلك بسبب الترف ورغد الحياة اذ كانت المراة تشعر الرجال بزينتها ، وتتعرض بثيابها وجمالها وتظهر في المناسبات وغير المناسبات ، وكان الخلخال في رجل المراة هو الذي يأذن الناس عنها وعن زينتها ، فهي تتزين وتتعطر لتظهر زينتها ويضربن بأرجلهن ليعلم الرجال ماخفي من زينتهن . ولما تقدمت المرأة في العصر الجاهلي احتاجت للباس ليساعدها على العمل والقتال ، فاتخذت مايناسبها من القناع والبرقع وغيره . لم تتخذ المراة في الجاهلية لباسا خاصا للحرب انما كانت تغطي وجهها بخمار وتقاتل مع الرجال ، الا انه ظهر في العصر الجاهلي لباس خاص بالمراة اثناء القتال وهو عبارة عن لباس يشبه

لباس الرجال . وأهم مايحتويه الدرع والخوذة وادوات الحرب التي كانت معروفة آنذاك .

عرف من اسماء الثياب في العصر الجاهلي الصفيق والمهلهل والمسلسل والهفاف والحصيف والشبيع . وعرف من الالوان الالوان المتعددة واللونين واللون الواحد ، وكانت مادة القماش الحرير والقطن . ويقول عبد الله عفيفي[1] « واما مادتها فالحرير ومنه الديباج والدمقس والسندس والاستبرق والخز . والخز هو وبر دابة كالارنب تدعى بذلك الاسم ويشبه الحرير في ملامسته ونعومته ــ ووبر الارانب ، وليس كل الارانب يتخذ وبرها ، وانما هو نوع خاص يجتلب من شمال العراق . والقطن والصوف والكتان واشباهها. وأما نوعهـا فجمة العدد ومختلف الهيئات . واشملها واعمها الشعار والدثار . امـا شعارها وهو مايلي جسدها فالصدار والمجول ــ وهما قميصان قصيران متقاربان لا اكمام لها ودونها السراويل . واما دثارها ــ وهو مايلي الشعار ــ فالدرع ــ وهو جلباب شامل يحيط بدثارها ــ والنطاق ويلبس دون الدرع ــ وهو ثوب تشده المراة الى وسطهـا وترخي نصفه الاعلى عن نصفه الاسفل ــ واذا نحن قربناه الى متناول العصر الحاضر قلنا انه « ملكون » مضاعف ومن فوق هــذا البت ــ وهو ثوب اخضر مهلهل يحيط بجسم المراة ويقنع جزء منه رأسها ووجهها فان لم يكن البت فالحلة ــ وهو ثوب يظاهره ثوب آخر ، ويغلب ان يكون ظاهر الثوبين رقيقا شفافا ليظهر مايليه . وقد تطلق الحلة على الثوب المبطن . وقد ترتدي فوق ذلك بصنف من الاردية ازديانا واختيالا ، او تصونا واحتشاما . ومن هذه الاردية العطاف او المعطف وهو رداء تلقيه على عطفيها وترسله على جسمها ــ والريطة وهي ملاءة ذات لفق واحد اي شقــة واحدة ــ والحبرة ــ وهي برد موشى من برود اليمن . وليس هناك وصف ادق من قول صبحي لحسان بن ثابت لسعه الزنباء ولم يكن قد عرف اسمه فقال لابيه : يا ابت لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبره يمانيــة . وهي اغلى وابهج ماارتداه النسـاء في ذلك العصر وقد شبه النبي صلى الله عليه

(١) كتاب المراة العربية في جاهليتها واسلامها ص ١١٠ .

وسلم الحواميم بالحبرات تنويها بها واشارة بفضلها ــ ومن ارديتهن المرط ــ وهي ملاءة ذات شقين وليس بين ارديتهن ماهو اعم استعمالا منه » . وهنالك العديد من الاردية اشهرها اللفاع والوشاح . واما حذاء المراة ــ فكانت تلبس الخف العوايل او القفش او الكوث فهو القصير ، وتلبس الجواب والقفاز. وعن الحلي فقد كانت تتجمل باللؤلؤ والمرجان والذهب والفضة ، وتقلد المراة بأنواع الحلي المختلفة في ذلك العصر . واذا حدثتك عن لباس الراس فالمراة كانت تتفنن في زينة راسها ، اذ توضع عليه اكليل او تاج مرصع بالجواهر ، وفي اذنيها كانت توضع الاقراط حتى ان مارية زوج الحارث ملك الشام كان في قرطيها درتان كبيضتي الحمام . وكذلك كان التنميص[1] والترجيج والتفليج والتلمية والوشر والوشم والوصل والخضاب والتكحيل . واما عن الجيد فقد كانت تلبس المراة من انواع القلائد الثمينة فهي من الزمرد او الجواهر او الخرز او القرنفل . واما عن اليدين فقد كانت المراة تلبس الخاتم ، السواء ، الدملج وسواها . واما عن الرجلين : الخلخال وانواعه . وقد كان يعتبر الطيب من متممات الزينة . واما عن لباس القتال فقد كانت المراة ترتدي في اغلب الاحيان : الدرع ، الخوذة ، السيف ، الرمح، الترس ولا يختلف لباسها هذا عن لباس المقاتلين من الرجال كانت زنوبيا ملكة تدمر تتقدم الصفوف بلباس الميدان الكامل ويروى عنها انها تتقلد الرمح والسيف والخوذة ، وتتقدم بكل جراة وثبات امام جنودها . هكذا كانت المراة المقاتلة تلبس ، اما المراة التي تكون في النسق الثاني والتي تكلف بمهام الاسعاف والتمريض فكان لباسها : الخمار ، اللثام ، النطاع ، الميدع وهو عبارة عن مريلة كمريلة الطبيب او الممرضة في الوقت الحاضر .

ان الحجاب كان غير معروف في العصور الاولى من الجاهلية اذ كانت المراة تحضر مجالس الرجال ، وتحدث عن نفسها ، وتدخل سوق عكاظ وتتبارى مع الشعراء . ويذكر العفيفي « ان الحجاب يطلق على واحد من اثنين : قرار المراة في دارها ، والاحتجاب دون الرجال فلا تكون بمراى او

---

(١) التنميص : اخذ الشعر مابين الحاجبين . الترجيج : ترقيق الحاجبين . التلمية : احمر الشفاه . الوشر : تحزيز الاسنان الوصل : الشعر المستعار

لسمع منهم . والثـاني ارخاء القناع على وجههـا اذا غادرت دارها لبعض شأنهـا » . ويقول الجاحظ : « لم يكن بين الرجـال العرب ونسـائها حجاب ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجـاب بنظرة الفلتة ، ولا لحظة الجلسة دون ان يجتمعوا على الحديث والمسامرة ويزدوجوا في المناسمة والمنامسة ويسمى المولع بذلك (الزير) المشتق من الزيارة . وكل ذلك بأعين الاولياء وحضور الازواج لاينكرون ماليس بمنكر اذا امنوا المكر » . وتقول الدكتورة ليلى صباغ[1] « ويمكن القول ان المرأة في المجتمع العربي الجاهلي لم تكن منعزلة عزلة كاملة عن مجتمع الرجال ، كما انها لم تكن لها الحرية الكاملة في مخالطته ، خشية من الرجل ان يؤدي ذلك الاختـلاط الى علاقات تؤذي مجتمع الاسرة والقبيلة في شرفه او تقاليده » .

كان غطاء الرأس للمرأة الجـاهلية عرضة للتبديل والتغيير تبعا لكـل زمان ومكان مثلها في ذلك مثل المرأة في الوقت الحاضر التي تلبس ما حلي لها وطـاب . ولباس الراس والوجه معروفا لدى كثير من الشعوب القديمة كالعبرانيين واليونانيين ، بل ان الرجل كان يضع على رأسه برقعا في بعض القبـائل ، وقد عرفت قبائل الطوارق في افريقيا بوضع القناع لرجالهـا وسفور نسائها . وكان القناع يستخدم في بعض الاحيان لستر العيـوب ، كمـا كانت الاماء يستعملن القناع لاخفاء وجوههن ـ لاخفاء الرذيلة ، والمراة الحضرية كانت تستخدمه اكثر من غيرها . ويلاحظ غطاء الراس في نقـوش التدمريين . وقسمت الدكتورة ليلى صباغ مجتمع المراة في العصر الجاهلي الى ثلاث فئات : الفئة الاولى وهي المرأة التي كانت ذات شخصية متألقـة وفكر متقد ، فهذه كانت تجتمع مع الرجال سافرة دون قناع أو خمار ومن هـذه الفئة الكاهنات والشاعرات والحكيمات . والفئة الثانية وهي المـراة التي كانت تعمل في الزراعة والصناعة وتربية الماشية وهذه بحكم عملهـا كانت تختلط مع الرجال غير آبهة بالحجاب او النقـاب . اما الفئة الثالثة فهي المراة التي انهمكت في عملها المنزلي وانقطعت بطبيعة عملها عن الخارج فهـي

(١) المراة في التاريخ العربي قبل الاسلام ص ٢٥٦ .

تعيش ضمن المنزل وتضع البرقع والنقاب اذا ماخرجت لحاجة ، وانه ليكاد هـذا التقسيم ينطبق على المراة في الوقت الحاضر .

اللبـاس في الاسـلام :

ان اللباس تفصله الآية التالية « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهـن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنـاء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن او نسـائهن او ماملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الإربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسـاء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعـا ايهـا المؤمنون لعلكم تفلحون » .

غض البصر جزء من اللباس ، وقد فرض اللباس الكامل على المراة لتمنـع البصر من رؤية المفاتن ، وقد ورد « النظرة بريد الزنا » « ياعلي النظرة الاولى لك والنظرة الثانية عليك وكما ورد في الحديث « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس اللعين » ولهـذا فان الاسلام حرم النظرة الخائنة والتبرج والحركـة المثيرة ، والثياب التي تدعو الى التهيج « نسـاء كاسيات عاريات » هن الـلائي يلبسـن الملابس الضيقة والشفافة « مميلات مائلات رؤوسهن كأسنة البخت » هن اللائي تجملن بأنواع الجمال والمساحيق وبأنواع الثياب .. وفي الحديث : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصـر » ويلاحظ ان البصر في الاسـلام باب يلجه المرء للدخول الى المحرمات ، والزينة هوة عميقة يقع فيها المرء فهي فتنـة الناس ونقطـة جذب قويـة لضعفـاء الايمان ، والمشية المتدلعة والتي تكون ملفتة للنظر هذه النقاط الثـلاث قـد نهى الاسـلام عنها وحرمها ، وامر بغض البصر وعدم التزين ، وعدم السير وعدم اتيان الحركات غير الطبيعية . يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقـاد « ومن المغالطة ان يقال ان الشهوات لاتستثار بالتبرج وابداء الزينة وان اطلاق هـذه الفتنة يرضي الذوق فضلا عن القانون اذا راى ماراى واذا استرسـل بصره الى رؤيـة النسـاء الفاتنـات » . فاللباس اذا في الاسـلام كامل يستر جميع اجزاء الجسم ، بالاضافـة الى لبـاس غض البصر والتعفف والتقوى .

اللباس في القرن السادس عشر وما يليه :

« ففي القرن السادس عشر ارتدت المراة العربية في المدن [1] « الكلسون الطويل حتى الكاحل ، وحواشيه تكون من لون ثان » ، ويعادله في الريف مايعرف في لبنان باسم الشروال للرجال والنساء مع اختلاف القماش طبعا . وفوق الكلسون الطويل كانت ترتدي قميصا ثم جبة مطرزة بخيوط ذهبية أو فضية عند النساء الثريات ، والفقيرات ينتعلن قبقابا خشبيا ، والمغنيات قبقابا مرصعا بالفضة او الذهب داخل البيت وبابوجا خارج البيت » .

كان راس المراة مركز اهتمامها واناقتها : الكحل ، الحنة ، نقود صغيرة على الجبين . وفي المدن تحجبت النساء المسلمات والمسيحيات معا ، وفي القرى اكتفين ببرقع او ثوب قطني بسيط فوق الكتفين والصدر (لون بنفسجي وازرق) . وفي القرن السابع عشر كانت المراة تخرج محجبة من راسها حتى خصرها . اما في القرن الثامن عشر فقد سادت بشكل خاص الازياء العثمانية : الازار الابيض الذي يلف الجسم للخروج . وفي الجبال سادت بساطة الملابس الملونة (ازرق ، احمر ، بنفسجي) . ولكن ظهرت عادة الاسراف بالتشنشل بالاساور الفضية والخلاخيل وعصائب الحرير او الكتان على الجبين او حول الكتفين ، تتدلى منها قطع النقود الفضية والنحاسية او السلاسل المفرفرة المزينة بالزرد اللماع . كما تميزت المراة الجبلية والريفية عموما بالعناية بتصفيف الشعر ولبس الطنبور (طوله ٧٠ سم) المغطى بالشنبر — وهو نقاب شغاف يغطي الوجه حتى الخصر .

وفي القرن الثامن عشر ظهرت في موازاة الامتيازات الطبقية والمقاطعجية ازياء المراة الارستقراطية ، ونذكر على سبيل المثال جهاز المراة الشهابية الذي كان يتالف من ٥٢ قميصا طويلة حتى الكاحل ومن قميصين من الفانيلا ، وما تبقى من الحرير الناعم الموشى بالدنتيل والمطرز بالذهب . وظهر زي القباء (القمباز او الفستان الطويل الذي يعتبر من اكثر اجزاء الثياب النسائية غنى وابهة ، فهو مرصع بالذهب واحيانا بالحجارة الكريمة . واما بقية النساء

---

(١) مجلة دراسات عربية العدد ٨ حزيران ١٩٧٢ ص ٣٢-٣٤ .

من طبقة الكادحين فكانت تكتفي بالفستان الملون الرخيص وبالشروال ، وعلى الراس نقاب ابيض او اسود او الاثنان معا .

اما في القرن العشرين فقد اخذت في ظل العلاقات الاستعمارية وبضائعها المستوردة تغزو البلاد العربية الازياء الغربية عموما للنساء والرجال . واصبح البعض يظن ان حريته تكمن في استهلاك هذه الازياء ، ولكن معظم الرجال والنساء العرب قد بدلوا ازياءهم ولا يزالون ـ من الماكسي والميني حتى الشورت ـ ولكن مشكلة تحررهم لا تزال مطروحة على محك نضالهم .

المراة تهتم بملابسها وزينتها :

تهدف المراة من وراء ملبسها الى تحقيق :

١ ـ دورها الاجتماعي ، ولفت نظر المشاهدين .

٢ ـ تجسيد الانانية النسوية

٣ ـ اثبات قدرتها على الانفاق

ان الملابس والزينة تجعلان المراة تنظر الى نفسها معتبرة نفسها وكانها اصبحت شخصا جديدا ، تظهر بهذه الزينة لتدعو الناس والمجتمع الى احترامها وكثيرا ما تلقي المراة نفسها في المهالك نتيجة ملبسها وزينتها فهي اما ان تغري الاخرين فتحملهم على الاعتداء عليها وعلى كرامتها ، واما ان تقدم على السرقة ، او ان تقع في البغاء لقاء دريهمات لتشتري من الملابس والزينة ، واما ان تقوم بافساد الحياة الزوجية وذلك بطلب العديد من الملابس والزوج لا يستطيع ان يقدم ثمن هذه الملابس فيقع النزاع بينهما ، وتتوسع شقة الخلاف وفي كثير من الاحيان ينتهي هذا النزاع بالطلاق . المراة بهذا كله تبعث الغيرة عند النساء الاخريات فيحاولن تقليدها باللباس والزينة ، وربما لا يجدن ما يلبسنه او يتزين به فيقع الفساد الاجتماعي . واذا لبست المراة وتزينت فانها تنفق الوقت الثمين، وتضيع الزمن اذ في كل مرة تتزين بها تذهب من وقتها من ١ ـ ٣ ساعات ، ولا تدري ان هذا الوقت يجب ان يكرس للعمل والانتاج .

ان المراة تؤكد ذاتها بلباسها ، وتظن ان لباسها هو الذي يظهر لها

شخصيتها واناقتها ، ويؤكد لها جمالها وذوقها ، ويقيم لها ذاتها وشخصيتها.

اذا تزينت المراة فلا تتزين لتكون داخل جدران البيت ، وانما تتزين لتظهر زينتها خارج البيت وهنا تبرز المشاكل بينها وبين نفسها ، وبينها وبين الرجال . ان الحديث عن الملابس والزينة هو حديث النساء ، اذ هن نجوى يتناقلن فيما بينهن احاديث الزينة واحاديث الولادة والشؤون المنزلية .

اللباس المحتشم

هو اللباس الذي يرضى عنه الذوق ويقره العقل السليم . واللباس بهذا يختلف من بلد الى بلد ، ومن اقليم الى اقليم ، ومن فصل الى فصل .ان الملابس ضرورية لحفظ الجسم من البرد والحر ، ولاظهار شخصية المراة . ففي البلاد الحارة ترتدي المراة لباسا يخفف عنها شدة الحر ، وقد لاترتدي اي لباس الاستر الاعضاء التناسلية او الجزء الوسطي من الجسم تبعا للحرارة ودرجتها ، او تبعا للتقاليد والعادات . اما في البلاد الباردة فلا تظهر المراة كما تظهر في البلاد الحارة فهي تغطي جسمها بالملابس المختلفة اتقاء البرد ، ولا يظهر من جسمها الا الوجه ، وفي بعض الاحيان لايظهر الا العينان ، وتلبس الالبسة الثقيلة والدافئة الصوفية وغير الصوفية لكي تحفظ جسمها من البرد . اما المناطق المعتدلة فانهن يلبسن بين ذلك . ومن المعلوم ان لباس الصيف يختلف عن لباس الشتاء في المناطق الباردة او الحارة . واللباس المحتشم في هذه الاحوال هو ماغطى الجسم بالكامل ماعدا اجزاء منه وحفظه من البرد والحر ، فاذا كان البرد لبست المراة الالبسة الثقيلة والدافئة كالالبسة الصوفية والقطنية ، واذا كان الحر لبست المراة من الالبسة الخفيفة التي تلطف من الحرارة . ومن الملاحظ ان المراة المتعرية في البلاد الحارة تعيب على المراة في البلاد الباردة انها غطت ثدييها وساقيها وجميع جسمها ، وتعيب الثانية في المناطق الباردة على المراة في البلاد الحارة انها ابرزت سواتها ، وكشفت عن ساقيها ، وتظن كل واحدة انها هي على حق في لباسها ، وبهذا فلن تخجل المراة في المناطق الحارة من اظهار جسمها ، ولا تخجل المراة في المناطق الباردة من ستر كل جسمها . وفي الحقيقة ان العادات والتقاليد الاجتماعية

هي التي تلعب الدور الرئيسي في لباس المراة وقيافتها ، وهي التي جعلتها تؤمن بأن لباسها محتشم سواء أكان هذا اللباس حسنا ام سيئا ، مكشوفا ام مستورا . ولدى المراة شعور نفسي واجتماعي بالخجل فهي تحاول ستر عورتها حتى في المناطق الحارة . وتدل الابحاث العملية (الانثروبولوجيا الاثينولوجيا) التي قام بها كثير من العلماء امثال « شتراتز » و (كارل شتين) و (هافيلوك ايليس) ان المراة لديها هذا الشعور . وقد يطغى الشعور النفسي على الشعور الاجتماعي لانه هو الاصل اذا نلاحظ المراة في عهد حياتها قد سترت عورتها باوراق الاشجار وحتى بيدها في حال فقد اوراق الاشجار ، وجمعت قطريها ، وتكورت حتى لا ترى مساوئها . لقد ارادت المراة بلباسها ظهور براعتها وجمالها ، وستر مساوئها ومخازيها ، فهي قد عبرت باللباس الذي تلبسه انها فاتنة ، وبالمساحيق انها جميلة ، وبالروائح العطرية انها طيبة ، فهي بهذا قد اظهرت لاعين الناس الشيء الحسن والطيب وسترت القبيح والسيء .

كما تاثر لباس المراة بالعادات والتقاليد والتعاليم الدينية كذلك تأثر بالصناعة ورجال الصناعة اذ طفقوا يصنعون من اللباس ويتقنونه لاكتساب وابتزاز الثروة الكبيرة من اموال النساء من صنع الملابس النسائية ، فحشدوا لها المهندسين والمصممين والنفسيين واصحاب الاختصاصات اذ راوها تجارة رابحة ، وصناعة تدر اموالا طائلة ، واصبح بيد هؤلاء الصناع صنع (الحشمة) وتغيير اللباس فيها متى ارادوا وكيف شاؤوا . تلك (الموضات) وهذه الازياء الجميلة ، وهذه المتغيرات الحديثة ، لعبوا في اللباس وكيفوه حسب اهوائهم وشهواتهم ، وقالوا للنساء هذه هي زينتكم فتزينوا بها ، وهذه هي ملابسكم فالبسوها . وهم بذلك لا يريدون جمالا للمراة ، ولا اناقة لها وحشمة ، بل بهمهم كسب المال بأية وسيلة . لقد غزوا اخلاق النساء وآدابهم ، وحرفوا ميولهم الفطرية ، وساروا بها الى الجمال المصطنع ، واللباس الخالي من كل جمال .

لقد تطور لباس المراة واختلف شكله ولونه من مكان الى مكان ، ومن زمن الى زمن ففي البلاد العربية تلبس المراة (الملاية) التي كانت سميكة بحيث لا يرى من تحتها ، وكانت بنفس الوقت طويلة ، ثم تطورت (الملاية) اذ طرا

عليها قصر الطول والعرض واصبحت رقيقة ، فطفقت المراة تكشف عن يديها ومرفقيها وعن جيبها فصدرها . وكذلك فان غطاء الراس (الوجه) بالبرقع الذي كان يتصف بالسماكة وستر الرقبة حتى الكتفين ، اصبح الان من الشفافية بحيث لا يكاد يميز وهو على وجه المراة وراسها ، ثم انكشفت الرقبة والصدر . و (الفستان) الذي كان طويلا حتى القدمين ويغطي الجسم كله من العنق حتى الاطراف . اصبح الان مكشوف الذراعين وقصيرا فوق الركبة حتى ليكاد يبين من خلاله معظم اجزاء الجسم . وكان اللون الاسود هو اللون الغالب في كل ملابس الخروج فحلت الالوان الزاهية المختلفة محل القديمة وبصورة مختصرة يمكن تمييز الملابس النسائية في الوقت الحاضر بما يلي :

١ ــ الضيق حتى ليكاد اللباس يلتصق بالجسم بشكل يظهر تقاطيع الجسم كله .

٢ ــ الشفافية . ولا سيما ما كان منه الدثار بحيث تبين الاجزاء كلها من تحته . وهذا اللباس يخفي المساوىء ويظهر المحاسن والمفاتن اذ يظهر الجلد من تحته براقا وجذابا .

٣ ــ العري . الصدر ظاهر ، ونصف الثديين ظاهر ، وتحت الابط ظاهر ، والساقان ظاهران ..

٤ ــ القصر في كل الالبسة . (الفستان) قصير و (الملاية قصيرة) .

٥ ــ الاسعار المرتفعة للملابس النسائية . وبخاصة عندما يحيط بها او يتخللها بعض الفرو الناعم او الزركشة الفضية او الذهبية ، وقد غزا التجار جيوب النساء والحقوها بالرجال .

٦ ــ الالوان المختلفة

٧ ــ التغير السريع الذي يطرا على انواع الالبسة النسائية مما يسبب الغاء الالبسة القديمة بسرعة ، وهذا مما لايستطاع تحمله الا للذين اوتوا حظا كبيرا من المال ، وقسطا كبيرا من السعة .

٨ ــ التنوع في الالبسة . هذا (فستان) السهرة ، وذاك (فستان) القيلولة

وهذا لباس الربيع ، وذاك لباس الخريف .. كما تبع ذلك لبس الملابس المختلفة التي تتجانس مع كل نوع من هذه الانواع .

٩ ـ الزينة المصطنعة ، الوجه مصطنع ، والحواجب مصطنعة ، والجلد مصطنع ، ولباس الراس مصطنع فهو من الشعر الاصطناعي ، وما اكثر (البروكات) في هذه الايام فالشعر تارة اشقر ، واخرى اسود وثالثة خرنوبي حتى لتحس بأن المراة اصبحت من تلك المخلوقات الاصطناعية ، والصور (الكاريكاتورية) التي تظهر بأدوار مختلفة ، (واللعب) التي يتسلى بها مصمموا الازياء والزينة ، ويبتزون منها الاموال ، ويخرجونها من دورها الحيوي في الحياة ..

ان لهذا اللباس ولهذه الزينة نتائج سلبية تكتسبها المراة اهمها :

١ ـ ضياع الوقت في التبرج والزينة واللباس ، وتضيع المراة من وقتها يوميا على زينتها من ١ ـ ٣ ساعات يوميا لتصفيف شعرها ، وطلاء وجهها ، ووضع المساحيق وغير ذلك ، بل ان من النساء ما تصرف من الوقت اكثر من ذلك وبهذا فان المراة تضيع من وقتها الذي بدل ان تصرفه في الامور النافعةوفي الانتاج تصرفه في اوجه الزينة المختلفة . وضياع الوقت ضياع للامم وسبب في تاخير البلاد اقتصاديا واجتماعيا .

٢ ـ ضياع الاموال . وفي هذا هدر كبير للاموال تنفق على الملابس وعلى الزينة وعلى (المودة) وانه من ضيع المال ضيع الحياة ، المال يجب ان ينفق في الوجوه المتعددة للنهوض بالبلد ، وان يصرف في الجهات الاقتصادية او شؤون الاسرة او التعليم او التوفير او مساعدة المحتاجين او غير ذلك .

٣ ـ فقد المراة لكيانها وشخصيتها . فهي ان كافحت من اجل تحريرها فعليها ان تكافح من اجل محاربة ظواهر الزينة وتبديد الاموال وضياع الوقت .

٤ ـ تأخر المراة ثقافيا واجتماعيا وسياسيا لمارستها الاعمال التي تقف عائقا امام تقدمها وانطلاقها . وهي بهذا تحكم على نفسها بان تظل رهينة لتبرجها ومحبسا لملابسها .

يختلف شكل ولون وقيمة اللباس طبقا للمبادىء التالية :

١ ـ العادات والتقاليد .

٢ ـ التعاليم الدينية

٣ ـ المناطق الحارة والباردة .

٤ ـ نوع العمل الذي تقوم به المراة .

٥ ـ الوضع الاقتصادي .

٦ ـ الرغبة الفطرية لدى المراة في اظهار زينتها وملابسها .

اعتادت المراة في بعض البلاد الافريقية ان تستر فقط اعضاءها التناسلية، واعتادت المراة في البلاد الاوروبية ان تخرج سافرة ، واعتادت في بعض البلاد الاخرى ان تلبس الخمار .. كل هذه عادات وعادة المراة في البلاد العربية (مصر ، المغرب ، سورية) ان يلبس البعض منهن اللباس الخارجي الذي يستر المراة ما عدا العينين واطراف اليدين ويطلق على هذا اللباس « حشمة العادة » « وحشمة العادة ترجع في اصلها للعادات القديمة ، والعادات القديمة تعود في اصلها لبعض التعاليم الدينيـة او لبعض تعاليم ذهبت ايامها واندثر اصحابها فانعدمت الحاجة لتعاليمهم الرجعية . » فحشمة العادة تستسلم لقوة وسلطان ونفوذ الحشمة المصطنعة ، ومن يخلقون الحشمة المصطنعة فنيون وعقلاء وماهرون . فهم يتمسكون بالهيكل العظمي القديم ، ويهلهلون حشمة العادة شيئا فشيئا ، فيغطون الوجه ولكن ببرقع شفاف ، ويسترون الجسم ولكن بالحرير على اللحم ، فيسكتون حشمة العادة شيئا فشيئا ، ويكسبون الزبائن من السيدات اللواتي سئمن التضييق بجهل والاستبداد بقسوة فتبدأ (فكرة حشمة العادة) الاساسية وهي ستر المراة عن أعين الرجال . وهذه الفكرة تتلاشى شيئا فشيئا ويحل محلها (فكرة ارباب الصناعة) وهي (تغطية المراة بملابس لا تسترها حقيقة بل تظهرها في اجمل منظر حتى ولو كانت قبيحة الخلقة . وهذه الفكرة تجد قبولا عند النساء

---

(١) المراة وفلسفة التناسليات كتاب للدكتور فخري فرج جزء اول ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩

وتسعرها ببعض التحرر من قيود العادات . ومن العادات والتقاليد ان تظهر المرأة في السهرة وهي لابسة أحسن الالبسة واعلاها سعرا . ومن العادات ايضا ان المراة اذا استقبلت ضيوفها فانها تستقبلهن بلباس لائق . وتتنوع لهذه الاغراض انواع الملابس فمن الالبسة : لباس البحر ولباس المسرح والفستان الطويل .. هذه هي العادة التي تتحكم في نوع الالبسة ، وهذه الزينة تتباهى بها المرأة ، وتمعن في الاسراف فيها .

ان للتعاليم الدينية اثرا كبيرا في لباس المراة ، اذ تفرض عليها هذه التعاليم ان تلبس الخمار وان تلبس الحجاب الواسع ، وان لاتظهر الا بلباس يقره الدين . وويل للمراة اذا لم تتقيد باللباس الديني اذ يعتبرها المجتمع فاسقة خارجة عن التعاليم . وينسب لها عدم الاتزان ،ويتهمها في اخلاقها وفي سلوكها وقليل من النساء اذا انخرطت في الدين ان تنحرف عنه بلباسها . ولباس الدين في الوقت الحاضر اعترته رياح التغيير و (الموضة) و (الموديلات المبتكرة من قبل تجار الملابس) .

توجد في العالم مناطق حارة ومناطق باردة ولكل منطقة لباسها الخاص اذ تتميز المناطق الباردة باللباس الذي يقي من البرد ، واغلبه مصنوع من الفرو والصوف والمواد الدافئة ، كما ان نساء هذه المناطق يرتدين اللباس الذي يستر جميع الجسم ما عدا بعض اجزائه كالعينين والفم ومجرى التنفس . وتتميز المناطق الدافئة والحارة بلباس شفاف ، واغلب نساء هذه المناطق يلبسن القصير ومعظم اجزاء الجسم ظاهرة ، بل أن من بينهن من تستتر على سوءتها فقط وعلى اعضائها التناسلية ، ومن القبائل الافريقية ما يستر نساؤها القسم السفلي فقط ويبقى الصدر عاريا ، ومن القبائل ما تستعيض عن اللباس بالدق (الوشم) على اعضائها التناسلية كقبائل بني يونابيه بالكارولين . ويختلف ايضا لباس الصيف عن لباس الشتاء حتى في المناطق الباردة او المعتدلة اذ تلبس النساء في الصيف الالبسة الخفيفة ، ويلبسن في الشتاء الملابس الثقيلة والصوفية ، وتستر جسمها وجسدها الا قليلا في الشتاء ، وتتعرى وتخفف من لباسها في الصيف اذ تظهر المراة وصدرها شبه مكشوف وكذلك الساعد والساق حتى تحت الابط ، وكذلك نصف الظهر . وهكذا تتلون المراة وتتبدل

بلباسها من منطقة حارة الى منطقة باردة ، ومن صيف الى شتاء .

الاعمال كثيرة ومتنوعة ، ويتنوع اللباس بتنوع الاعمال ، فالعاملة في مصنع النسيج يختلف لباسها عن عاملة في المصانع الالكترونية ، والفلاحة يختلف لباسها عن لباس العاملة ، والحضرية يختلف لباسها عن لباس الريفية، ولباس المرضة يختلف عن لباس المراة التي تعمل في مستودعات التخزين . والمراة التي تعمل في الجندية تختلف بلباسها عن المراة التي تعمل في غير ذلك. وبصورة عامة يجب ان يكون اللباس متضمنا الشروط التالية :

١ ـ ان يكون ملائما لطبيعة العمل .

٢ ـ ان يؤمن حرية التحرك اثناء العمل .

٣ ـ ان يكون مريحا لا ضيقا بحيث يضغط على عضلات الجسم ، او يقيد حركة العاملة .

٤ ـ ان يكون منظره لائقا وجذابا ومصنوعا من الاقمشة البسيطة ، وان يكون نظيفا ، وسهل التنظيف .

٥ ـ ان يقي من البرد في الشتاء ، ويقي من الحرارة في الصيف .

زينة المراة :

يلحق بالملابس الزينة التي تتزين بها المراة . وهذه الزينة تخضع للتقاليد والعادات ، وتوفر الاموال لشرائها ، واستعداد المراة لان تضع هذه الزينة على جسمها . وما دامت العادات تختلف من بلد الى آخر ، ومن اقوام بدائية الى اقوام متمدنة فان هذه الزينة تختلف بحسب هذه المفاهيم . واذا اردنا تصنيف الزينة نراها تقسم الى ما يلي :

١ ـ اضافة شيء ثابت الى بعض اجزاء من الجسم . من هذه الزينة الوشم والدق فتدق ذقنها او يدها او بجانب اعضائها التناسلية وقد تدق الحبيب على ذراعها او على صدرها . وتعتبر المراة في هذه القبائل ان الوشم يزين جسمها ويجعلها محط انظار المشاهدين ، كما ان التشريط في

بعض الاقوام المتوحشة يعتبر من الزينة فالجروح التي تحدث في الوجه سواء اكانت طولانية او عرضانية او مستديرة تزيد في نظر هذه الاقوام من زينة المراة . كما انه توجد في بعض القبائل في افريقيا (ايبو) بعض النساء من تلبس من صفرها قرصين حديديين سميكين حول الساقين وفوق القدمين ،،ووزنهما ثقيل . والمصيبة في ذلك ان المراة تلبسهما في كل اوقاتها،في نومها وصحوها ، وليلها ونهارها ، وصفرها وكبرها تقوم بصناعة هذا الخلخال العجيب مصانع (برمنفهام) في انكلترا . كما ان بعض القبائل تلصق حلقة حديدية على سطح الشفة العليا لصقا ثابتا طول الحياة ، وبعضها يلصق هذه الحلقة حول الانف ، او تزود المراة بقطعة بارزة في انفها وشفتها او اذنها .

٢ ـ اضافة شيء نصف ثابت الى بعض اجزاء الجسم . لا تزا لبعض القبائل معنية بثقب الانف او الاذن او الشفة لتعلق عليهم المرأة بعض انواع الزينة والى زمن غير بعيد كانت بجانب بلدتنا بلدة تدعى الرحيبة يثقب النساء انوفهم ليعلق به فصا من الذهب او ما شاكل ذلك . وقد تتبدل ادوات الزينة من قرط فضي الى قرط ذهبي . كما يمكن ان يزداد او ينقص حجمه ، واعرف ان ابناء قريتي منذ ثلاثين سنة كانت المراة تحمل في اذنها نصف ليرة ذهبية او ليرة ذهبية او اداة للزينة تسمى(تركية) ومن ثقل هذه الزينة نرى شحمة الاذن وكانها مدت لثقل القرط الذي تحمله هذه الاذن . وقد تطورت الزينة فأصبحت المراة تميل الى التخفيف من هـ الزينات وزنا ، ولكنها مرتفعة سعرا .

٣ ـ اضافة شيء غير ثابت وهذا ما يعبر عنه باستعمال السوائل والمساحيق والمعاجين والروائح العطرية . وهذه الطريقة قابلة للتطور بسرعة وقابلة لان تغير المراة من لون جسمها او شعرها او عينيها او حاجبيها . وطريقة التزيين المؤقتة هـذه سريعة التقلب،والتغير من آن الى آن حتى لتكاد المراة أن تجهل او تقصر في متابعة ما قد يستجد من فرط التغيير

النسائية في الوقت الذي تطالب به المراة لان تتساوى مع الرجل في

جميع الميادين ، وعلى كل حال فهو اخف وطاة على جسم المراة من المشاريط والثقوب . ومن الواجب ان تزين المراة الزينة التي لا تتنافى مع الطبيعة ، ولا تخرج عن حدود المحتشم ، وان تكون كالتالي :

آ ــ ان يكون اللباس يواري سواة المراة ، وان يستر جسمها .

ب ــ من اهم مقومات الزينة هي النظافة ، وخير منظف هو الماء .

جـ ــ ان تعتني بشعرها فترجله ، وثيابها فتحسنها ، ونعلها فلا تنقله ولا تتعالى به او تعلو على الناس به ، وشبابها فتستثمره ، وعملها فتتقنه ، وان تدفع عنها السفاسف ، وان تكون سباقة لكل عمل منتج نافع .

د ــ ان تقتصر على الضروري من انواع البدلات كأن تكون بدلةللعمل واخرى للاستقبالات والراحة ، وعادة ما تكون البدلات في هذه الحالة حسب السعة والطاقة والامكانات الاقتصادية المتوفرة .

هـ ــ الا تضع المراة على نفسها من المساحيق او الاضافات من الزينة ، او الشقوق ما يغير معالم وجهها وحجمها .

و ــ ان تتزين بما يناسب انوثتها ويظهر جمالها . وعليها ان تعتدل في اللباس وانواعه ولها ان تتحلى بانواع الحلي من الفضه والذهب ، ولها ان تلبس من الثياب اجمله كالحرير وغيره في غير اسراف ولا تكبر .

الاطعام

لقد عرفت المراة الطعام منذ الازل ، فاكلت منه ، واطعمت غيرها ، ثم ان المراة قد تدربت على صنع الطعام في موائد الاسرة وفي المطاعم ، وعرفت كيف تقوم بطهي الطعام وتقديمه للمطعمين ، واذا زرت مطاعم اوروبا وجدت ان اغلب العمال في المطاعم هم من النساء . وتقوم أيضا في حياتها بتحضير الطعام لولدها الرضيع اذ تختار الاوقات والاطعمة المناسبة وتشتغل المراة في جميع ادوار حياتها في الطعام عند ولادتها ، وعند نشأتها في الاسرة او في المجتمع ، وعندما تكون اما،وعندما تكونزوجا،وهي اقدر من الرجل في هذا العمل للاسباب التالية:

١ ـ لديها غريزة فطرية في صنع الطعام وتحضيره والاهتمام بمشهياته وتوابله ، وهي اول من ذاقت الطعام قبل الرجل واهتمت بـه واعطته كـل اهتمامهـا .

٢ ـ لممارستها المتواصلة لهذه المهنة منذ فجر حياتها وخلال فترة وجودها على هذه الارض .

لقد عرفت المراة العديد من انواع الطعام ، غير انه من الملاحظ كلما تقدمت الحضارة تعقد الطعام ونشأ طعام آخر غير الذي كنا قد اعتدنا عليه في السابق ، او اعتادت عليه الامم الماضية ، بل ان الطعام يختلف في انواعه من بلد الى بلد، ومن منطقة الى منطقـة ، ومن اقوام الى اقوام . ورغم تنوع المآكل والمشارب فان المواد التي يجب أن تتالف منها الوجبة كانت غير كاملة اذ كانوا يقتصرون على نوع واحد من الطعـام . ففي العصر الجاهلي كانوا يأكلون التمر والعسل واللبن والقمح والشعير واللحم والزبد والزيت والسمن ، واهم الوجبـات هي : البريك وهو ما يؤكل بالزبد او السمن ، والحزيرة وهي اللحـم مـع الدقيق والرسيكة وهي التمر معجون بالسمن ، والفالـوذج ، والسخينـة ، والبسيسـه ، والفريقة وهي الدقيق مـع السمن وتستخدم كحسـاء . ان تحضير هذه الاطعمة المتنوعة والوجبات المختلفة انما كانت تقوم بها المراة ، ولا سيمـا عندما ينزل الضيوف ، او تعقـد الولائم في المناسبات العديدة .

القواعد العلمية في تحديد التعيين اليومي للمراة

قديما كانت المراة تتناول طعامها ، او تعد الطعام لاسرتها او للضيـوف دون أن تحسب او تقدر التقدير العلمي الصحيح لما يحتاجه الجسـم اذا كان معظم الطعام من نوع واحد اما اللحم أو العسل او الثريد أو ماشابه ذلك . هذا وبعد ان تطور الطعام وتعددت اصنافه ودخل عليه تحسين من الناحية الكيفية ، وتدخل الطب ليقدر حاجـة الجسم من الفيتامينـات والدهنيات والنشويات والبروتينات والمواد الاخرى . أصبح تحضير الطعام بقواعد واسس علمية . ومن أهم هذه الاسس هي مايلي :

١ ـ نوع الجنس ، لقد ثبت علميا ان الرجل يحتاج الى مقدار من الحريرات اكثر مما تحتاجـه المراة . فالمراة تحتاج وسطيا الى ـ ٢٤٠٠ ـ وحدة حرارية بينما الرجل يحتاج وسطيا الى ـ ٣٤٠٠ ـ وحدة حرارية .

٢ ـ نوع العمل الذي تقوم به المراة . وبهذا يختلف التعيين اليومي للمراة التي تعمل داخل البيت عن المراة التي تعمل خارج البيت ، وكذلك يختلف نـوع العمل ضمن كل عمل ، فالعاملة التي تعمل في مصانع النسيج على مراقبة الآلة تختلف عن المراة التي تعمل في التوضيب والتغليف ، والمراة التي تقوم بجهـد عضلي في القوى الجوية يختلف تعيينها عما اذا كانت تعمل في مخازن ومستودعات القوى الجوية الاولى تعمل مساعدة طيار والثانية تعمل امينة مستودع ، وهكذا فان نوع العمل هو الذي يحدد فئات التعيين اليومي للمراة .

٣ ـ الصفات المناخية للمنطقة : تختلف الصفات المناخية من منطقة الى اخرى بصورة يختلف معها مقدار التعيين اليومي للمراة ففي البلاد الباردة يختلف الطعام عن المناطق الحارة ، او المناطق الصحراوية او الجبلية ، فالمراة فـي الاتحاد السوفيتي تحتاج لانواع من الطعـام يختلف في كميته ونوعه عـن الطعام الذي تحتاجه المراة العربية ، او المراة الافريقية . وعلى كل حال فان المناطـق الباردة تحتاج لانواع من الطعام تبعث الدفء والحرارة وتقاوم البرودة ، واكثر ما تحتاجه المراة في هذه المناطق الدهنيات والنشويات والمشروبات . وفي المناطق الحارة تحتاج المراة لكمية اقل من الطعـام والوحدات الحرارية ، كما تحتـاج الى انواع معينة من الاطعمة .

٤ ـ العادات والتقاليد : بعض البلاد درجت على استخدام انواع معينـة من الطعـام . فاذا وجدت بعض الاطعمة لدى بلاد اخرى لم تعتد ان تأكلها فان سكان تلك لن يستسيغوا اكل الطعام الذي لم يعتادوا عليه ولهذا نـرى ان المأكولات الشرقية لا يستسيغها الا الشرقيون . واذا صدف ان استساغ الغربي اكل بعض انواع الطعام الشرقي فان معدته غير قادرة على هضم ذلـك الطعام ، وتحدث له مضاعفات مرضية قد تؤدي بحياته كمأكولات « الكبب » بانواعها . ويروى ان رجلا شرقيا استضاف رجلا غربيا وقدم له المأكـولات

الشهية من انواع « الكبب » فأكل وزاد ، وكان من نتيجة ذلك ان مرض مرضا شديدا اذ احس بثقل في معدته وحاجة متزايدة للشراب . هذه العادات او التقاليد تفرض على المرأة ان تأكل الطعام الذي اعتادت عليه والفته .

٥ ـ الحساب العلمي والطبي لمايحتاجه الجسم من الدهنيات والبروتينات والنشويات والمعادن وغيرها . ثم تطبيق هذه الحسابات في وجبات الطعام المختلفة . البروتينات يحتاج الجسم منها وسطيا من ١٠٠ ــ ١٦٠ غرام . وتفيد البروتينات في خلق وفي تكوين خلايا جديدة في الجسم ، اما الدهنيات فهي نبع الطاقة في الجسم . وتتوالد عن الدهون طاقة حرارية كبيرة اذ يولدالغرام من الدهون ٩ر٣ وحدة حرارية ، أما النشويات فانها تشكل نبع الطاقة للجملة العصبية ، اما الفيتامينات فلها دور خاص في بناء العضوية البشرية ، ولها دور مهم في عملية التبادل الخلوي . وقد تم تحديد حاجة الانسان من المواد الغذائية على اساس البحوث والتجارب العلمية التي تطبق على جميع اعضاء المرأة ، ومن اهمها جهاز الهضم ، ومن المناسب ان نذكر المعدلات التالية من المواد الغذائية اليومية :ــ

ــ البروتينات من ١٠٠ ــ ١٦٠ غرام وهي توجد بكثرة في اللحوم والبيض واللبن والفول ..

ــ المواد الدهنية من ٦٠ ــ ٧٠ غرام وهي توجد بكثرة في اللحوم والزبدة.

ــ النشويات من ٤١٠ ــ ٦١٥ غرام وهي توجد بكثرة في الحبوب والبطاطا والرز ..

ــ الفيتامينات (فيتامين ا = ٥ر١ ملغ) ، (فيتامين) من ٧٠ ــ ١٠٠ ملغ)، (فيتامين ب من ٢ــ٣ ملغ) ، (فيتامين ب ب من ١٥ ــ ٢٠ ملغ) ، (فيتامين ك = ١٥ ملغ) ، (فيتامين ب ٥٠ ملغ) ، (فيتامين ي من ٥ ــ ٥٠ ملغ) ، وبعض الفيتامينات الاخرى .

ــ المواد المعدنية : كالسيوم ٧و. ملغرام ، فوسفور ٦ر١ ملغ ، حديد ١٥ ملغ صوديوم ٦ غ مغنزيوم ٥ر. غرام ، بوتاسيوم ٥ غرام وبعض المعادن الاخرى

ويجب ان تكون نسبة المواد الدهنية الى البروتينات الى المواد النشوية كالتالـي : ـ
١ ، ١ ، ٥

٦ ـ الحالة السلمية والحالة الحربية للبلاد . لكل حالة فئات معينة من الطعام ، والحالة الثانية هي التي تزداد فيهـا مقادير الاطعمة وانواعها . فالخبز مثلا في حالة السلم تكون الكمية منه ـ ٥٠٠ ـ غرام ، اما في الحالة الحربيـة فان هذه الكمية تصل الى ـ ٦٠٠ ـ غرام ، وكذلك في اللحم تكون الكميـة ـ ١٨٠ ـ غرام ، بينما في الحالة الثانية تصل الى ـ ٢٢٥ ـ غرام ، وهكذا في بقية المواد .

٧ ـ الامكانيات الاقتصادية للدولة وقدرتها على الاستمرار في تمويـن وامداد الشعب والجيش ، والرجال والنساء بالفئات المقررة ، وبالمواد التموينية المتوفرة في البلاد والتي تستطيع الدولة ان تمد بها اثناء العمليات ، وان تستمر في الامداد . ولهذا بات من الضروري الاعتماد على المواد الرئيسية كالقمح والارز واللحوم اما محليا ، او تسعـى الدولة لاستيرادها وتخزين الكمية الاحتياطية منها التي تضمن استمرار الامداد . ففي فيتنام كانت المادة الرئيسية للتمويـن هي الارز الذي ينتج محليا . اما في الوطن العربي فان المادة الرئيسية هي القمح ومشتقاته ، كما يعتمد على الارز ايضا . وعلـى كل حال فان قـدرة الدولة الاقتصادية هي التي تقرر وتحدد فئات التعيين اليومية للمقاتلين ، وفي القتال لا يختلف تعيين الرجل عن تعيين المراة ، وانما الذي يقرر التعيين هو المهمة ونوع العمل . فان كانت المراة في المظلات حصلت على تعيين يومي كالرجل المظلي تماما وان كانت في القوات الجوية في الركب الطائر حصلت على تعيين يومي كرجل الركب الطائر تماما ، وان كانت في اعمال الشؤون الادارية حصلت على تعيين يومي كزملائها من الرجال ، بل لقد تستهلك المراة من التعيين اكثر من الرجل ؛ او تبذل طاقة مصروفة اكثر منه عندما تخدم في القوات الجوية اذ تبلغ طاقتهـا المصروفة حوالي ـ ٤٠٠٠ ـ وحدة حرارية ، بينما يبلغ الرجل الذي يعمل في القوات البرية حوالي ـ ٢٥٠٠ ـ وحدة حرارية .

لقد اختلفت الجيوش في نظام الاطعام . بعضهم سمح بتناول الطعام ثلاث مرات في اليوم ، وبعضهم اربع مرات ، والثالث خمس مرات الا ان المتفق عليه في اغلب دول العالم نظام الثلاث وجبات . كما اختلفوا ايضا في توزيع الوحدات الحرارية على عدد الوجبات . بعضهم اعتبر وجبة الغداء هي الوجبة الرئيسية ولذلك خصصوا لها نسبة كبيرة من الوحدات الحرارية المقررة في اليوم الواحد ، واعتبرت بعض الدول ان الوجبة الرئيسية هي في العشاء . ففي الاتحاد السوفييتي وزعوا الوحدات الحرارية واعتبروا الغداء الوجبة الاساسية، فقد جعلوا للافطار ٣٠ ــ ٣٥٪ ، والغداء ٤٠ ــ ٤٥ ٪ والعشاء ٣٠ ــ ٢٠ بالمئة. اما القطر العربي السوري فقد كان توزيع الوحدات الحرارية ١٠ بالمئة ، عند الافطار ، و ٧٥٪ عند الغداء ، و ١٥٪ عند العشاء . كما اختلفت الدول ايضا في الفواصل بين الوجبات . وعلى كل حال فان الوجبات تتعلق بنوع العمل والجهد الذي يقوم به العامل او العاملة وطبيعة العمل . فاذا كان عمل العامل في الليل اضطر لتناول الطعام في أول الليل واعتبرها الوجبة الرئيسية ، وكذلك الجندي المهاجم فان وجبته الاساسية تكون في نهاية يوم القتال . وافضل الوجبات هي ماكانت تحتوي على وحدة حرارية كافية ، ومواد غذائية كاملة .

ان عمل المراة في هذا السبيل يتطلب مراقبة هذه القواعد والاسس وتطبيقها . فاذا كانت المراة في مستوى المسؤولية عن الاطعام كأن تكون رئيسة قسم التعيينات في تشكيل ما فانه يتوجب عليها وضع خطة لامداد القوات بما يلزم من التعيينات ، وتنظيم عمل الأفراد الذين يعملون في هذه المصلحة ، وتقدير عدد المطعمين ، ومعرفة الاحتياج ، وحساب الاوزان ، وما الى ذلك من الاعمال التي تنظم سير العمل في هذه المصلحة وتؤمن تنفيذها ، أما اذا كان عمل المراة في ادارة او مصلحة او معمل وكانت مسؤولة عن تنظيم الطعام فان عملها لا يختلف كثيرا ، انما تكون في وضع يساعدها على القيام بهذه الاعمال .

آداب الطعام وشروطه والوحدات الحرورية

طالما ان الطعام من خصائص المراة ، فعليها ان تتقن صنعه ، وتتقيد

بآدابه ، وتلتزم بشروطـه ، يقول منير الشريف في كتابه مستقبل المراة العربية ص ٨٨ « ان من وظائف المراة طهي الطعام ، فهي مكلفة به ، مهما سمت في العلم والجـاه والمال ، لانه اذا كانت‌تحت امرتها طهاة فعليها ان تراقبهم وتعلم مـا يعملون ، ولا تستطيع ان تبدي رايها في العمل اذا لم تتقن فن الطهي ، واذا لـم يكن عندها طهاة فهي المكلفة بالطهي » . ان الطهي فن تتعلمه المراة من بيتهـا الذي نشأت فيه ، ومن محيطها الذي تربت به ، ومن امها التي كانت تعلمهـا ، ومن المدارس والمعاهد المتخصصة ، وقد اقيمت المدارس والمعاهد في اغلـب البلدان الراقية . طهي الطعام يحتاج الى مواعيد وادوات مختلفة لتحضيـره واعداده ، كما يحتاج لعديد من الادوات لتقطيعه وتنظيفه ، فالطعام يحتـاج الى عدة اجراءات تحضيرية قبل الطهي ، والى طهي بدرجات واوعية مختلفة ، ثم الى تقديمه وتوزيعـه ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل يحتاج الى عـدة ادوات واوعية ، ومواد تموينية يتألف منها الطعـام . قد تحتوي الوجبة على عدد من المواد التموينية تفوق في عددها عشرة اصناف ... وهكذا يبدا الطهي في تركيب هذه الاصناف ، وتخصيص النار المناسبة والمدة المحددة لكل صنف او عدة اصناف ، لان بعض الاصناف تنضج قبل الاخرى فيحاول الطاهي ان يكون الطهي لجميع الاصناف متساويا ومتناسقا .

ان آداب الطعام تفرض على المطعمين ان يتقيدوا بها ، وهـي كثيرة نورد اهمهـا :

١ ـ أن لاتخرج المراة الطعام من بين اسنانها أمام الناس ، وفي قاعـات الطعـام .

٢ ـ يجب استخدام الفرشاة بعد كل وجبة من الطعام في المكان المخصص لذلك كالمغاســل .

٣ ـ الابتعاد عن الضحك بصوت عال على المائـدة ، لان ذلـك قد يضر بالضاحكين فتدخل بعض الاطعمة في مجاري التنفس .

٤ ـ لاتتباهى في صناعة المآكل والمشارب ، واظهار انها فوق الجميع بما لديها من مال ، او طعام او ..

٥ ــ التكلم على المائدة والفم مملوء بالطعام ، او فتـح الفم وهو مملوء بالطعام ، او الضحك وهو مملوء بالطعام .

٦ ــ الابتعاد عن نفخ الطعام او الشراب بغية تبريده ، او ازاحة شيء ما من امامه من الوعاء .

٧ ــ عدم شرب الحساء او القهوة او الشاي بصوت مسموع لان ذلك يؤذي غيره من المطعمين بجانبه .

٨ ــ قطع الحديث على الناس اثناء الطعام حتى لا يدع لاحد التكلم .

٩ ــ تناول الطعام من امام الناس بحيث تجول يده امام جاره او في صحن جاره .

١٠ ــ تجنب الاكل بسرعة اذ يجب التاني والمضغ جيدا .

١١ ــ عدم اكل الطعام المائع بالشوكة ، او الطعام الجامد بالملعقة . فالشوكة لها استعمالات ، والملعقة لها استعمالات وكذلك السكين . فلكل واحدة لها استخدام خاص بها .

١٢ ــ يجب تجنب القيام قبل المدعوين ، او البقاء على الطعام بعد نهوض المدعوين الى الولائم .

١٣ ــ اظهار الكراهة والاشمئزاز من بعض الاطعمة . فاذا أعجبك نوع من الطعام فكليه ، واذا لم يعجبك فذريه ولا تاكلي شيئا اظهرت كرهك له ، اذ يجب أن يكون الكره مستترا لا ظاهرا امام المدعوين .

١٤ ــ القيء على موائد الطعام ، او اظهار التالم ، فان اصابك شيء من هذا عليك ان تنسحبي بكل هدوء الى المغسلة ثم تعودين ، وتستمرين في تناول الطعام دون ضجة او حركة مثيرة .

١٥ ــ المحافظة على النظافة اثناء تناول الطعام كأن توسخ وجنتيها او ثيابها او يديها بالطعام .

١٦ ــ اذا شربت على المائدة فاشربي قليلا من الكوب الموضوع على المائدة ، ولا تشربي مباشرة من الابريق .

١٧ ــ الاطراء لاصحاب الطعام بقولك : انه اكل لذيذ ، سلمت ايادي طاهي هذا الطعام ، طوبى لمن اشرف ونظم هذا الطعام ، وهكذا فان الكلمات الطيبة تفعل بسحرها الاعاجيب ، وتدخل السرور على منظمي وطاهي هذه الاطعمة .

في كل الاحوال يجب ان يكون الطعام شهيا ، دون اسراف وتبذير ،متضمنا جميع المواد اللازمة للجسم ، وغير مغرق بالدهون والشحوم ، وان يكون متنوعا ..

على المراة ان تصنع الطعام بنفسها او تحت اشرافها ، وان تتبع الدورات وان تقرا الصحف والمجلات التي تبحث في هذه المواضيع ، وان تلاحق الجديد والمبتكر منه ، وان يكون لها الخبرة العملية في جميع انواع الطعام ، وان تعرف الضار منه والنافع ، وان تعرف المآكل التي لا يجوز تقديمها عند اصابة احد افراد العائلة بالسهال ، بالقلب ، بالسمنة المفرطة .. وان يكون لها أطلاع على الامراض العادية ، وما يجب ان تقدمه في حال وجود مرض السكري او الكبد او الزلال او الامراض الصدرية .. وان تتعرف على فوائد كل نوع من انواع الخضار والفواكه واللحوم وباقي المواد ، وان يكون الطعام المطهي والمحضر ضمن الميزانية المقررة فهو رخيص بأسعاره مرتفع بقيمته الغذائية ، وان يكون لها القدرة في المواسم عندما تكون المواد متوفرة ورخيصة على جمعها وتخزينها للايام المقبلة ، وان تجري الحسابات والموازنة السنوية معتبرة في ذلك دخلها اليومي والشهري والسنوي .

ان الشره في الطعام واملاء المعدة والشبع المفرط شيء يضر بالجسم مثلما يضر الجوع فاذا اكلنا فليكن الاكل على جوع شريطة ان لا نملأ معدتنا بحيث لا نستطيع ان نتنفس فالمعدة بيت الداء ومصدر الضرر والبلاء . لا يزال الجسم على اشده ما دام الطعام غير زائد عن الحد ، قال عمر بن الخطاب « لا تزالون اصحاء مانزعتم ونزوتم » . لم ار عالما يملأ بطنه بالطعام ، ومارايت

حكيما ولا فقيها ولا باحثا ولا ذكيا ولاورعا يملأ بطنه بالطعام . وصدق القائل « البطنة تذهب الفطنة » . وقال سلمة بن عبد الملك لملك الروم :«ماتعدون الاحمق فيكم قال : الذي يملأ بطنه من كل ما وجد » وقال عربي : « ان رأس الداء كله ادخال الطعام على الطعام » . وقال آخر : « ان اكثر العلل انما يتولد من فضول الطعام » . وقد اتفق الاطباء القدامى وفي العصر الحديث على أن الطعام الزائد وادخال الطعام على الطعام مضرة قاتلة ونجد هذه النصائح والارشادات الطبية حول الطعام مبسوطة في كتب الطب . فاسمع قول الحارثة بن كلده الطبيب العربي الى كسرى انو شروان « ادخال الطعام على الطعام هو الذي افنى البرية ، والتخمة ان بقيت في الجوف قتلت ، وان تحللت اسقمت . لا تدخل الحمام وانت شبعان . اجتنب الدواء مالزمتك الصحة . فاذا احسست بحركة الداء فاحسمه بما يردعه فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت وان افسدتها خَربت . اجتنب اكل الضئان الفتي ، واكل القديد من اللحم . والمالح ، والمعز والبقر . كل الفاكهة في اقبال دولتها واتركها ان ادبرت وولت وانقضى زمانها . افضل الخضر الهندباء والخس » . هذه النصائح يجب ان تتقيد بها المراة عند الطعام ، ويجب ان تعلم اولادها ، كما يجب ان تجمع بين قلة الطعام وبين الاحتياج من الوحدات الحرورية فتوفرها في كل الوجبات .

تقاس القيمة الغذائية للاطعمة (بالوحدة) ، والوحدة هي القيمة الحرارية اللازمة لرفع درجة حرارة ليتر من الماء من الصفر الى درجة حرارية واحدة . المراة العادية تحتاج الى وحدات حرارية من ١٦٠٠ ـ ٣٣٠٠ وحدة وذلك حسب عملها ووزنها . ان الغرام من الدهن يحوي ٩ وحدات حرارية فاذا كان مثلا ٤ غرامات فانه يساوي ٣٦ درجة حرارية . ويحوي الزلال ٤ وحدات وانواع السكر والحبوب يساوي الغرام الواحد منه ٤ وحدات حرارية . فالمراة يلزمها من الوحدات الحرارية ما يناسب وزنها بمعدل ـ ٤٠ ـ وحدة لكل كيلوغرام واحد من الجسم . فاذا علمنا ان وزن المراة المتوسطة ـ ٦٠ ـ كغ فيكون ٦٠ × ٤٠ = ٢٤٠٠ وحدة حرارية . فاذا اخذنا بعين الاعتبار الوزن والطول

وعرض الصدر ، وسلامة اجهزة الهضـم ، والاجهزة الاخرى من الجسم فان المراة تحتـاج :

ــ في حالة الراحة ١٦٠٠ وحدة حرارية .

ــ في حالة ادارة البيت ٢٤٠٠ وحدة حرارية .

ــ في حالة العمل كعاملة او مقاتلة ٣٢٠٠ وحدة حرارية .

من الملاحظ ان المراة قد ينشأ عندها سمنة مفرطة تزيد على الوزن الطبيعي المحدد ، ويعزى ذلك الى ان المراة قد تناولت من الطعام المختلف ما يزيد على حاجتها ، فيرتفع وزنها وتحس بثقل في عملها . او ان أجهزة الهضم للمراة غير سليمة وفي هذه الحالة يقتضي الكشف من قبل طبيب مختص لاعطاء العـلاج اللازم . واذا رات المراة ان وزنها يزداد فيجب عليها ان تبادر فورا الـىانقاص الوحدات الحرارية فاذا كان الوزن الطبيعـي مثلا (٧٠) كغ لزمها ٢٤٠٠وحدة حرارية الا ان هذه الوحدات قد تزيد في وزنها لا سيمـا اذا كانت لا تعمـل شيئا ، وفي مثل هـذه الحالة يقتضي تناول الطعام الذي يؤمن لها ١٦٠٠ وحدة حرارية فقط اي ان تنقص من الوحدات الحرارية لتستطيع انقاص وزنهـا . واذا كانت الوحدات الحرارية اللازمة هي ٣٣٠٠ عمدت الى تنزيل الوحدات الحرارية الى ــ ٢٤٠٠ ــ وهكذا حتى تعود الى وزنها الطبيعي . والحقيقة ان المراة يجب ان تتبع بشـان وزنها والمحافظة علـى رشاقة جسمها ما يلي :

١ ــ ان تختار نوع الاطعمة المناسبة والتي تتضمن الوحدات الحراريـة اللازمـة .

٢ ــ أن تحافظ على رشاقتها ونشاطها باتباع نظام معين في الطعام .

٣ ــ الا تكون مسرفة في اختيار الطعام . والاسراف بتناول الكمية الزائدة في الطعام ، وبتناول الانفاق المالي الزائد على الطعام ، واعطاء المعدة ما يثقلهـا وما يكون سببا في مرض الجسم .

٤ ــ أن تكون الوحدات الحرارية مطابقة لنوع عملها او اقل من ذلك بقليل مع الاخذ بعين الاعتبار الوزن والطول وسعة الصدر .

٥ ـ ان تكون الاجهزة الداخلية للجسم سليمة وبخاصة الجهاز الهضمي.

٦ ـ ان تعرض نفسها على طبيب دوريا .

قد يتبع بعض النساء قواعد مشددة في تنقيص الوزن كأن تتبع المراة نظاما مقننا على غاية من الطعام القليل . نقول ان هذا يؤذي الجسم ويضر به ، وتعرض المراة بعملها هذا الى قلة النشاط والى الكسل وبالتالي الى تقليل الانتاج او التقصير في عملها مهما كان هذا العمل . وتبين فيما يلي القيمة الغذائية لبعض الاطعمة والماكولات .

* * *

جدول يبين القيمة الغذائية للاطعمة لكل ١٠٠ غرام

الصنف	القيمة الغذائية بالوحدة	الصنف	القيمة الغذائية بالوحدة	الصنف	القيمة الغذائية بالوحدة
لحم هبرة	١١٨	أرز	٣٥٠	فراوله	٣٥
لحم بقر	١٥٠	خبز	٢٥٤	سكر	٤٤٠
لحم الدجاج	١٦٠	شوربة عادية	٧	شوكلاته	٥٠٠
لحم الارز	٤٥٠	بطاطا مسلوقة	٩٦	بندورة	١٤
لحم السمك	١٠٠	مقالي	٢٠٠	خضـــار	٢٨
لحم الضان	١٨٠	قرنبيط	٢٥		
بيض	١٥٠	سلطــة	٢٠		
اللبن	٦٠	تفاح	٥٠		
جبنة بيضاء	١٦٠	برتقال	٢٥		
جبنة رومي	٤٠٠	عنب	٧٠		
سمن	٧٢٠	موز	٧٠		

ومما يلاحظ من هذا الجدول ان الوحدات الحرارية تتمركز في المواد الدسمة والحلويات والنشويات ، وتقل في الشوربة والبندورة والخضار . ومن المفيد ان تكون الوجبات متضمنة تلك المواد بنسب معينة ، وان تقدم بنظام معين ، ويمكن توزيع الوجبات مع مقدار الوجبات الحرارية كما يلي :

الفطور	الغداء	العشاء	المجموع
٨٣٥	١٨٦٥	٦١٠	٣٣٠٠

غير أن بعض الاقوام تركز على طعام العشاء فتزيد من الوحدات الحرارية فيه ، وبعضهم يركز على طعام الغداء فيزيدون من وحداته الحرارية ، ولكن النظام المتبع في اغلب البلاد العربية هو انهم يركزون على طعام الغداء بصورة عامة ، وان كان ذلك يختلف من الحضر الى الريف ، وكما شاهدت فان بعض اريافنا يركزون على طعام العشاء .

يمكن أن يكون الفطور بأنواع الطعام وبالوحدات الحرارية كما يلي :

شاي او قهوة	خمس غرامات سكر	يساوي	٢٢ وحدة
بيضتان		يساوي	١٥٠ وحدة
جبنة بيضاء	١٠٠ غرام	يساوي	١٦٠ وحدة
رغيف خبز	١٥٠ غرام	يساوي	٣٨١ وحدة
لحمة هبرا	١٠٠ غرام	يساوي	١١٨ وحدة
	المجموع	**يساوي**	**٨٣١**

الغداء :

خبز (رغيف)	١٥٠ غرام	يساوي	٣٨١ وحدة
لحم ضان	٢٠٠ غرام	يساوي	٣٦٦ وحدة
خضار	٢٠٠ غرام	يساوي	٥٦ وحدة
ارز	١٥٠ غرام	يساوي	٥٢٥ وحدة
بطاطا	٣٠٠ غرام	يساوي	٢٨٨ وحدة
سمن	٢٠ غرام	يساوي	١٤٤ وحدة
فواكه	٣٠٠ غرام	يساوي	١٠٥ وحدة
	المجموع	**يساوي**	**١٨٦٥**

العشاء :

لحمة هبرا	١٠٠ غرام	يساوي	١١٨ وحدة
شوربة البطاطا والخضار	٣٠٠ غرام	يساوي	١٣٤ وحدة
بندورة	٣٠٠ غرام	يساوي	٣٢ وحدة
خبز	١٠٠ غرام	يساوي	٢٥٤ وحدة
سمن	١٠ غرام	يساوي	٧٢ وحدة
المجموع			٦١٠

هذا مثل ويمكن ان تقدم المرأة او تتناول وجباتها بصورة متنوعة ، ومتفاوتة من المواد ، ويمكن ان نذكر العديد من الوجبات الغذائية في الفطو والغداء والعشاء .

ففي الفطور :

- بيض مقلي ، جبنة بيضاء ، حلاوة ، شاي وحليب .
- فول ، زيتون اسود ، بندورة ، زبدة وعسل نحل ، شاي مع حليب .
- عصير برتقال ، شعيرية بالحليب ، شاي بالحليب .
- عصير بندورة ، بيض مسلوق ، فطاير بالجبن ، شاي بالحليب .
- فلافل ، بندورة وخيار ، عسل نحل مربى ، شاي او قهوة بالحليب .
- فطاير بالجبن ، بيض بالحليب ، زبدة ومربى ، شاي بالحليب .

وفي الغداء :

- دجاج محمر ، متبل ، شعيرية بالصلصة ، سلطة خيار ، فاكهة .
- ارز صيادية ، سلطة ، فاكهة .
- لحمة محمرة ، بامية خضراء ، ارز مفلفل ، سلطة خضار ، فاكهة .
- لحمة مشوية مع خضر ، محاشي متنوعة ، سلطة ، فاكهة .
- كباب ، منسفة الباذنجان ، معكرونة ، سلطة خضر ، فاكهة .

ــ مخ محمر بالبيض ، خضر ، محشو كرنب ، مخلل ، فاكهة .
ــ كبدة محمرة ، خضرة ، معكرونة بالجبن ، سلطة خيار ، الماسية .

وفي العشاء :

ــ شوربة عدس ، مسقعة قرع ، سلطة خضر ، فاكهة .
ــ شوربة بازلا ، محمة محمرة ، سلطة خضر ، فاكهة .
ــ عجة ، بطاطا محمرة ، سلطة خضر ، محلي .
ــ كستيلة مشوية ، محاشي ، سلطة لبن ، فاكهة .
ــ بيض ، معكرونة مع سلطة ، سلطة خضر ، فاكهة .
ــ كفتة محمرة ، محشو ورق عنب ، سلطة لبن ، فاكهة .

في كل هذه الانواع من الاطعمة يجب أن تتوافر الكمية المناسبة وعدد الحريرات الضرورية للجسم . وقد اعتبرنا ان الوجبة الرئيسية هي وجبة الغداء مع أن بعض البلدان كما قدمنا تعتبر وجبة العشاء هي الوجبة الرئيسية . ان الذوق والعادة هما اللتان تحددان انواع الاطعمة ، الا ان الوحدات الحرارية يجب الا تزيد عن الحد المطلوب . وعلى كل حال فان هناك العديد من الاطعمة والعديد من العادات .

* * *

الفصل الرابع

التربيــة والتعليــم

التعليم ضروري للمراة ضرورة الطعام والشراب ، ومن المفيد جداً ان تدخل المراه باب العلم وتختص ببعض العلوم ، فان في المراة طاقات كبيرة يجب ان تضاف الى طاقات الرجل في هذا السبيل . ففي كل عمل لها زاوية قد تكون كبيرة او صغيرة ، ولكن هذه الزاوية مهمة في بناء صرح الامة وفي تطويرها . لايعوق العلم المراة عـن تأديـة رسالتها بل سيكون العلم عونا لها في حياتهـا وفي عملها ، في حياتها البيتية ، وفي حياتها الادارية خارج البيت ، ان تعليم المراة يزيدها تعلقا بولدها وبزوجها وبعملها ، وتستطيع ان تتقن عملها وان تبتعد عن اللهو المبتذل ، والفراغ القاتل . فالتعليم يجب ان يكون هدفه الخير والحب الدائم المبني على الفضيلة والاخلاق[1] (وقد تتفاوت الحاجة الى التعليم العالي بتفاوت الاستعداد والبلاد ، فالتدريس والطب والاداب والفنون ، تجدي على المراة العربية المعاصرة ولا تعوقها عن رسالتها ، بل تكون سببا للتجويد في عملها ، وامتداد الآفاق امامها ، ولا ضير على الفتاة الموهوبة ان تكون مهندسة او زراعية او عالمة الطبيعة والرياضيات ، فان مدام كوري اتمت صنع زوجها ، وزوجة فلاماريون العكلي ما تزال تدير وهي في شيخوختها لوالب المنظار الكبير الذي شاب زوجها امامه وشاخ . وكثير من النساء يشرفن على مزارعهن في اوروبا وامريكا ، وقد دلت المراة التي تعلمت تعليما عاليا على انها اكثر من سواها صلاحا للحياة الزوجية والمنزلية ، وان تعليمها هذا قد زادها تعلقـا بالزوج والولد ، والماما بشؤون التربية والبيت،واستطاعت الى ذلك ان تمارس عملا تتقنه وتتكسب منه وتفيد المجتمع ، ولم يؤد تعليم المراة عندنا الى مضرة او مساءة ، بل فتح للمراة افاقا جديدة صرفها عن اللهو الفارغ واللغو الثقيل ، ولو انصفنا وقلنا كلمة الصراحة لوجدنا ان النساء جميعا يؤثرن في الرجال مهما كابر الرجال ، فان كن متعلمات كان منتوج هذا التأثير اقرب الى الخير والصواب وابعد عن الشر والضرر .. نريد لها ثقافة مكينة تنفذ الى روحها فتصقلها ، وتثير فيها الشوق للخير والاحسان ، ثقافة ترفع مستواها ، وتحفظ تقواها ، وتشغل فراغها ما يعود على بيتها ومجتمعها بالخير والفائدة) .

---

(١) وداد سكاكيني في كتابها انصاف المراة ص ١٠٠ وص ١٠٦

المراة تربي الابطال والرجال :

لقد برعت المراة في تربية الابطـال اذ تعهدته منذ كان في بطنها واشرفت عليه حين ولدته وارضعته طعام البطولة والفداء مذ كان وليدا ، وعلمته فنون الشجاعة والسخاء والبذل عندما شب وكبر ، وغرست فيه حب النضال منذ ان استقام عوده ، وما احسن ما يكون تعليم الرجل اذا قدر له أما متعلمة واخت مثقفة وجوا علميا مناسبا . المراة ان كانت متمكنة من العلم والتربية الصحيحة تستطيع ان تربي الاجيال والابطال ، وهذا هو (لنكولن) يقول : (لا تهنئوني وهنئوا امي فهي التي رفعتني الى مقامي هذا .) فالمراه من المهد تعلم ابنها وتناغيه البطولة والاداب والتربية الصحيحة ، وتلك ليلى بنت مهلهل ام عمر ابن كلثوم كانت تقول (يا لك ليلى من ولد يقدم اقدام الاسد) فهي تتخيله بطلا واشجع من ذي لبدهزبر ، وهاهي عتبة بنت عفيف ام حاتم الطائي يهتف بها الهاتف تتصوره اكرم الفتيان ، واشجع الشجعان ، فاذا ولد للام أولاد انتقت لهم من الاسماء احسنها فيسمون اولادهم : حرب ، صخر ، حنظلة ، علقمة بحيث يشعر وهو في ريعان طفولته بالبطولة والثار والقتال ، كانت المراة العربية تهتم بوليدها قبل الحمل واثناءه وبعده ، ومن شدة اهتمامها كانت تقوم بما يلي :

١ ـ لا تحمل المراة قبيل الحيض ، وكانت تعتقد انها اذا حملت في ذلك الوقت ياتي وليدها ضعيفا ، ويطلق على هذه العملية (التضع) .

٢ ـ لا تحمل المراة في اعقاب الولد لاعتقادها ان ذلك يؤثر على قوة الولد وصحته ، وتدعى هذه العملية (الوضع) .

٣ ـ تحاول المراة وبكل امكانياتها ان لا يقضي الطفل ليلته حزينا او مغضبا خوفا من ان يؤثر ذلك على عقله وصحته وقوته ، وكانت تدعى (المئق) .

٤ ـ تحاول الا يلد الولد بصورة معكوسة رجلاه قبل راسه مما قد يصيب عظامه بالضغط فيؤثر على نموه ، وكانت القابلات تتحاشى هذه الولادة ، ويطلق عليها (اليتن) .

٥ ـ تتحاشى الوالدة الام ان تنوم طفلها على موضع غير مريح وبذلك يؤثر على

عظام الطفل وصحته ، فهي تختار له الاماكن المريحة في نومه وكان يطلق عليها (التئد) .

٦ ـ اذا حملت المراة تمتنع عن رضاعة ابنها ، وكان باعتقادها ان الولد اذا رضع من لبن امه اثناء حملها هو غذاء قاتل كالسم ، لذلك تتحاشى من من الرضاع في مثل هذه الحالة وتفطمه ، او تحاول ان تؤخر حملها طالما ان وليدها لايزال صغيرا ، ويطلق على هذه العملية (الغَيْل) .

٧ ـ اذا جف لبن الام نتيجة تعرضها للتعب او المرض او آفة ما ، فان الام في هذه الحالة تابى ان ترضع وليدها من هذا اللبن المخزن ، او الذي اصابه تغيير ، ويطلق على هذه العملية (الهديد) .

٨ ـ كانت الام ترضع طفلها اثناء اشتداد الحر لبنا بدلا من الماء ، ويطلق عليها (القيل) .

وكانت الام العربية لا تطعم وليدها (الرئة والكبد) الا بعد ان يجري لعابه ، وتنبت اسنانه ، ولهذا كانوا يعدون الاطعمة الملائمة لسن الطفل والقابلة للهضم ، والتي تساعده على النمو والقوة . فاسمع ما تقول المراة العربية . سئلت فاطمة بنت الخرشب : اي بنيك افضل ؛ قالت : (والله ما أدري ما حملت واحدا منهم تضعا ، ولا ولدته تينا ولا ارضعته غيلا ، ولا منعته قيلا ، ولا انمته تئدا ، ولا سقيته هدبدا ، ولا اطعمته قبل رئة كبدا ، ولا ابته على مائقة) . وسئلت اميمة ام تأبط شرا عن تربيتها لولدها فقالت : (والله ما حملته تضعا ولا وضعا ، ولا ولدته تينا ، ولا ارضعته غيلا ، ولا ابته مئيقا ، ولا انمته تئدا ، ولا سقيته هدبدا ، ولا اطعمته قبل رئة كبدا) وهكذا فان الام بعدما يشب ولدها تربيه على المكارم والاخلاق ، فتكون له بمنزلة المربية والمشيرة والمرافقة له في حروبه وغزواته . المراة للزوج ودود ، وللابن مربية ، وللاخ مثيرة ودافعة الى العزم والعزيمة ، وللاب محسنة . فهاهي عتبة بنت عفيف ام حاتم الطائي التي كانت في الكرم والجود سباقة . يقول عبد الله عفيفي في كتابه المراة العربية في جاهليتها واسلامها ـ الجزء الاول ـ ص ٧٨ (الا ان الناس ليظلمون تاريخ العرب ان زعموا ان حاتما مستن الجود بين العرب . فذلك ميراث امه افتمنته

عليه ، وسجيتها طبعته عليها ، فما له الا ان يكون جوادا كريما .) الا ان الرجلّ لاينبو على من رباه التربية الصحيحة وغرس فيه الفضائل والمكارم ، فهذا عبد الله بن الزبير يستشير امه في الخروج للقتال فتشير اليه .

لقد كانت المراة العربية بارعة في تربية ابنائها ، متعلمة تغشى ابواب العلم ولا تخشى مقارعة الرجال ، فكانت تشهد معهم الخطب والاحتفالات ومحافل العلم ، وسوق عكاظ يعرفه الجميع فكانت تمشي اليه النساء من كل حدب وصوب وكانت اشهرهن هند بنت عتبة والخنساء بنت عمرو بن الرشيد،فالاولى قتل عنها ابوها وعمها واخوها يوم بدر ، والثانية مات ابوها واخوها واولادها. والمصيبة ملهمة المراة .

المراة يجب ان تكون متربية على العلم والفضيلة ، وسبر معالم الحياة ، وقادرة على التكيف مع التطور العلمي .. حتى تستطيع ان تربي الرجال ، فلن تستطيع امراة جاهلة ان تقوم بالتربية كما تقوم الام المتعلمة في كل فنون الحياة وضروبها . وهذا علي بن ابي طالب تربى على امه فاطمة بنت اسد ، وعبد الله بن جعفر مات ابوه وتعهدته امه اسماء بنت عميس ، ومعاويةبن ابي سفيان ورث عن امه هند بنت عتبه ، وكانت تقول : ثكلته أمه ان لم يسد الا قومه. وقالت:او مثل معاوية يكونخلفا من احد؟والله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمي به لخرج من ايها شاء . وكان معاوية يفتخر بالمقدرة والراي فينسبهما الى امه فكان يقول : انا ابن هند اطلقت عقال العرب ، فاكلت السنام ، وشربت عنفوان المكرع ، وليس للاكل الا الفلذة ولا للشارب الا الرفق . وكان لمعاوية ابن اسمه عبيد الله من امراة فارسية (مرجانة) اذ كان ضعيفا ذليلا . وهذا عبد الله بن مروان ورث عن امه الذكاء والعزم والراي السديد ، وهذا القائد عبد الرحمن الناصر الذي فتح الغرب ووصل الى فرنسا الذي ورث عن امه الشجاعة ، وهذا محمد بن ادريس الشافعي الذي مات ابوه وهو طفل فتعهدته امه ، وهكذا يربى الابطال والرجال في احضان الامهات ، وتصقل الشجاعة والاخلاق والصفات الحميدة على يد الام ، فهي تقربه من هذا ، وتبعد عنه الكذب والنفاق والاحتيال ، فهي تعوده النظام في رضاعته وفي معاملته وفي سائر تصرفاته .

المرأة تطرق باب العلوم كلها :

تطاولت المرأة الى كل علم فبلغته ، فكانت عائشة اوثق من الرجال،واعلم برواية الحديث ، وادرى في الشعر والادب والتاريخ وغيره[1] « ولم يكن نفاذ رايها (أي راي عائشة) ورجاحة كفتها وقفا على الدين وحده . فكذلك كان امرها في رواية الشعر والادب والتاريخ ، وكذلك كان نفاذها في الطب وعلم الكواكب والانواء والانساب وما الى ذلك » . وهذا عروة بن الزبير يقول : (ما رايت احدا اعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة) وتلك عائشة بنت طلحة وفدت على هشام بن عبد الملك بن مروان ، فاجتمع علماء بني امية فقارعتهم، وظهرت عليهم في الاخبار والاشعار وعلم النجوم . وكانت سكينة بنت الحسين حكم الشعراء ، يفدون اليها ، ويحجون دارها ، وفي ذات مرة اجتمع اليها جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب فنقدت لكل واحد منهم شعره . وتلك عمرة الجمحية التي كان يجتمع اليها الشعراء والرواة . وهناك اختا الرشيد ، وحفصة بنت الحاج الركونية . وهناك النساء اللاتي برعن في الطب بالاضافة الى عائشة منهن اخت الحفيد بن زهر الاندلسي وابنتها التي كانت مختصة في فروع الطب وامراض النساء ، وزينب من بني أود التي كانت مختصة بجراحة العين واجراء العمليات الجراحية لها . ويروى عن ولادة بنت المستكفي الكثير ، وكذلك عائشة القرطبية التي كان يقول عنها ابن حيان : أنها كانت اجمل واعقل واعلم نساء عصرها . وفي مجال السياسة عرف الكثير فكانت والدة المقتدر تحكم بين الناس في الطرق في العصر العباسي ، وتلك ام موسى القهرمانة ايضا . وفي منطقة من الارض العربية برزت نساء في الشعر والنثر وعلوم اللغة العربية والدينية والتدبير المنزلي هذه المنطقة هي الاندلس التي انجبت الشهيرات من النساء امثال ولادة ، ومهجة القرطبية ، وحمدة بنت زياد ، ومريم بنت يعقوب الانصاري ، ونزهون الغرناطية . «[2] وكان نساء غرناطة أعرف بالشعر ومعانيه وصوغه وصقله من غيرهن . وقد ذكر صاحب نفح الطيب انهن كن يدعين العربيات لسيرهن على سنن العرب في صفاء الشعر وفصاحة المعاني ،

---

(١) عبد الله عفيفي في كتابه المرأة العربية في جاهليتها واسلامها الجزء الثاني ص ١٢١

(٢) عبد الله عفيفي في كتابه المرأة العربية في جاهليتها واسلامها الجزء الثالث ص ١٣٣

فبدل من ان يقال هذه غرناطة كان يقال هي عربية » . واما النساء المغربيات فقد عرفن بالشعر والنثر وقراءة القرآن ، وعنين بحفظ علوم الدين ، ومن اشهرهن . فاطمة الزهراء ابنة السيد محمد بن احمد الادريسي التي برعت في علوم القرآن والفقه والحديث ، وعائشة الشنقيطية التي كانت لها منزلة رفيعة في العلوم الدينية والعربيـة ، وزينب الفرنيطيـة التي عنيت بدراسة الادب العربي ، وخديجة المريشـة التي برعت في علم التدبير المنزلي . وفي مجال الاستطلاع والمخابرات برزت المراة ولا سيما اثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها فتلك العربية رقية بنت صيفي التي كانت تستطلع امور المشركين وتنقلها اولا باول الى الرسول العربى ، وكانت الجوارى يقمن بهذه المهمة فها هي الجارية حبابة التى استولت على الملك يزيد بن عبد الملك عقله وانزلته عن عرش الخلافة وتلك المراة التى كلفت بجليب المعلومات عن قاتل شاس بن زهير العبسي،وتلك (ماتاهارى) وتفنن الشرق والعرب في استخدام النساء في هذه المهمة . وفي مجال المشورة والراي برزت خديجة بنت خويلد ، وأم جعفر بن يحيى البرمكي ، وحمانة بنت قيس . وفي مجال القيادة برزت بلقيس ، وزينب ملكة تدمرالعربيات واشتهرت من الاجانب ماريا تريزا ومدام رولان من فرنسا ، والملكة كاترين من روسيا . وفي مجال النضال الوطني عرف الكثير من النساء منهن (نغوين-تي بينه) الفيتنامية ، وانديرا غاندى ، وجميلة بوحيرد الجزائرية ، وفاطمة برناوي الفلسطينية ، ونازك العابد السورية وغيرهن ، اذ ان في كل بلد على مستوى العالم برزت نساء عملن في مجال النضال الوطني .

ولئن ظهرت المراة في كل علم وفن ، فان حظها من الادب كان موفورا بصورة يزيد عن اي علم آخر ولقد اعترى المراة على مر العصور فتور احيانا في هذا السبيل ، كما حافظت على مستواها في بعض الايام ؛ وحادت بانتاجها الادبي في عصور اخرى . انه قد مر على المراة العربية عصور كانت فيها مثال المراة المتعلمة التى ضربت فى كل علم سهما ، ومرت عليها بعض العصور كانت ملقاة فى غيابات الجهل ، وظلمة الغى ، وعذاب الهون ، لقد وجدت نفسها وشعرت بأدبها فى فجر الاسلام ، وخبا صوتها فى ظل الدولة الاموية ، وان كانت لا تزال حتى ذلك التاريخ محافظة على مكانتها واصالتها وسمعتها ، ثم تدنى مستواها

الثقافي والعلمي في عصور الجاهلية الاولى ، وفي زمن الدولة العباسية التي كثرت فيها الجواري ، وتعددت فيها الشعوبية ، واسترسلت المراة في غيها ومجونها ولباسها وطعامها وفراشها وريشها وترفها وبطرها فنسيت الادب ونسيت معه الاخلاق والاداب .

ظهرت على المستوى العلمي والادبي والتربية والعلوم الاخرى نسوة اخذن على عاتقهن رفع راية العلم والتربية ، وكانت من اشهرهن باحثة البادية ، وبنت الشاطىء ، وامينة السعيد ، وسهير القلماوي ، وهدى الشعراوي ، ونعيمة المغربي ، وملك كبارة ، وسلمى صائغ ، وماجدة عطار ، والدكتورة جمال كرم حرفوش ، ووداد سكاكيني ، وربمة كرد علي ، والدكتورة مارسيل عبسي والدكتورة فوزية القوتلي ، وفدوى طوقان ، ونازك الملائكي ، وعادلة بيهم الجزائري ، وهناك الكثيرات اللاتي برعن في اختصاصهن وقارعن الرجال فيه .

كما ظهر على المسرح الاوروبي العديد من النساء ولا سيما في القرن الخامس عشر واوائل القرن السادس عشر فاشتهرت (كاترينا) التي كان لها في كل علم سهم وبخاصة الادب واللغتين اليونانية واللاتينية ، و (سسيليا جوانزاجا) التي كانت تكتب باللغتين اليونانية واللاتينية ولما تبلغ الثامنة من عمرها . و (ابولينا سفورزا) التي القت خطبة ترحب بالبابا (بيوس الثاني) ولما نبلغ الثانية عشرة من عمرها . و (ابزابيلا داسطة) التي درست الاداب واصبحت مركيزة (مانتوا) . وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ازداد عدد النساء المتعلمات في أوروبا ، وبرزن في التعليم بشكل ملحوظ ، وتساوين مع الرجل في المرتب والكفاءة . فقد تأسست المدارس الابتدائية والثانوية والعالية في انحاء اوروبا لتقوم بدور مهم في تعليم المراة ، واشتهرت الجامعات التي كانت تعنى بتعليم النساء منها : الجامعة الملكية بايرلندا ، وجامعتا اكسفورد وكمبردج ، وارتقت المراة بفضل انتشار التعليم والسماح لها بمزاولته في جميع الفروع الطبية في (استوكهولم) وفي فرنسا اتيح لها في عصر نابليون الثالث تأسيس المدارس المختلفة ، وبعد سقوط الامبراطورية حملت شهادات في العلوم والطب وغيرها . وبقيت المانيا متخلفة عن ركب الدول الاوروبية اذ

كانت الطبقة الحاكمة معـادية لفكرة تعليم المراة ، ثم ما لبثت في نهاية القرن التاسع عشر ان حذت حذو زميلاتها . وفي انكلترا سبقت المراة غيرها في مجال العلوم والادب والفن . ومن المهم ان تعرف المراة هدفها وان تسعى اليه ، وان تشفق نفسها بما تستطيع ، وان تساير ركب الحضارة والتقدم ، وان تكون كفرسي سباق بينها وبين الرجل فلا تتخلف عنه . يقول العلامة (يونج) : « المراة الحديثة في حاجة الى وعي أوسع حتى تعرف هدفها ، وحتى لا تكون الة الطبيعة العمياء . ان وسيلة المراة هي وسيلة الطبيعة التي تعمل بطرق غير مباشرة دون ان ترمي الى هدف ظاهري ، وهذا هو موروث في سريرتها ، على ان هذه الطرق الملتوية التي تنهجها المراة خطرة . فعبثا تحاول ان تصل الى اهدافها . ان على المراة واجبا ثقافيا كبيرا ربما كان مستهل عصر جديد » .

ان العلوم واسعة ، ومن المفيد على المراة ان تدخل ابوابها كلها ، وتستلم زاويتها المخصصة لها ، قد تكون هذه الزاوية صغيرة ام كبيره ، ولكن المهم عليها ان تتسلمها ، وان تحسن الوقوف فيها والعمل بها بكل جدية ، وبكل ما يتطلبه الواجب وشروط العمل ، وقد ذكر منير الشريف في كتابه مستقبل المراة العربية في الصفحة ١٨ قائلا : (والكتب التي يستحق قراءتها هي ما تبحث عن الصحة والرياضة البدنية والعلوم الاخلاقية والاجتماعية والادب العالي الاخلاقي وتدبير المنزل والطهي وصنع الحلويات وتنظيف الملابس وآداب السلوك وفن السرور والسعادة ، والتاريخ العام وتاريخ العرب ، والجغرافيا ، والاقتصاد والخياطة والتطريز) . ويقول الدكتور (الكسيس كارل) في كتابه « الانسان ذلك المجهول » : (يجب ان تحسب قوانين التعليم وبخاصة تلك التي تتعلق بالبنات والزواج والطلاق حساب مصلحة الاطفال قبل كل شيء وينبغي ان تلقى النساء تعليما اعلى لا لكي يصبحن طبيبات او محاميات او استاذات . ولكن لكي يربين اولادهن حتى يكونوا قوما نافعين) .

التعليم ضرورة للمراة :

يقول قاسم امين : «[1] ماذا تعلمت المراة القراءة والكتابة ، واطلعت

(١) قاسم امين في كتابه تحرير المراة ص ٤٢

على اصول الحقائق العلمية ، وعرفت مواقع البلاد ، واجالت النظر في تاريخ الامم ، ووقفت على شيء من علم الهيئة والعلوم الطبيعية ، وكانت حياة ذلك كله في نفسها عرفانها العقائد والآداب الدينية،استعد عقلها لقبول الاراء السليمة وطرح الخرافات والاباطيل التي تفتك الان بعقول النساء » .

ان التعلم العام للمراة ، وتعليمها الفضائل الفردية والجماعية ، وتعويدها الاعتماد على نفسها في كل اعمالها لهي اعمال ضرورية للمراة . تتقن تعليمها الخاص من خياطة ، واطعام ، وطب واسعاف ، وما الى ذلك ، بل ان الضرورة تطلب لان تصبح المراة مؤهلة لادارة المطاعم والمصانع والنوادي وبهذا يصبح لها ذوق سليم تختار به ما يناسبها . ولا شيء يمنع المراة من ان تشتغل كل الاعمال ، وان تتعلم كل العلوم ، فهي ان استطاعت ذلك كانت اقدر على مواجهة الحياة وضروراتها«[1] ذلك لان العلم هو الوسيلة الوحيدة التي يرتفع بها شان الاناث من منازل الضعة والانحطاط الى منازل الكرامة والشرف . ولكل نفس حق طبيعي في تنمية ملكاتها الغريزية الى اقصى حد ترمي اليه باستعدادها ». وتقاس حضارة الامم بمقدار طول باعها في العلم . وهي وان اختلفت وتفاوتت في تحصيل العلوم ، فهي لا تختلف ابدا في اهمية العلم وضرورته للرجل والمراة على السواء ، وما من مصدر تشريعي الا ويخاطب الجنسين بضرورة العلم والتعليم ، وما من امراة الا ولديها الامكانات المتاحة لتلقي العلم والسير فيه بخطى حثيثة ، بل ربما تبز الرجل في بعض فروعه .

العلم هو سلاح المراة التي به تقاتل ، وبه تستطيع ان تنهض من سباتها وتدخل معترك الحياة لتؤدي الرسالة التي فرضت عليها ، ولتكون لبنة في بناء هذا المجتمع ، وبه تحصل على حريتها وحقوقها ، وبه تشارك الرجل مسؤولية الحياة من اجل الحياة ، وبه تقضى على الجهل الذي هو سبب التاخير والانحطاط . فاذا ادرك الرجل ان امراته او اخته او بنته على قدر كبير من العلم بادر فورا الى احترامها ، وعايشها افراحها واحزانها ، ومشى معها الى حيث الامن والطمانينة والود والتحابب ، والالفة والتقارب . وويل للمراة ان كانت جاهلة وتصر على جهلها فلا هي تحاول ان تتعلم ، ولا تقبل المتعلمين . ان

(1) قاسم امين في كتابه تحرير المراة ص٢٣ .

مثل هذه المراة سوف تلقى معيشة ضنكا في المجتمع والبيت والعلاقة الزوجية والمجالات الاخرى . وفي هذا الجهل والاصرار على الجهل قد تخسر المراة زوجها وصديقاتها ، وترى نفسها بانها محتقرة فتنهش فيها التخوفات النفسية التي تحد من معنوياتها ، وتجعلها عضوا غير نافع في المجتمع . فالتربية والتعليم اساس الود والتفاهم بين الرجل والمراة ، بل هو الاحترام والسعادة .

اقول : ان العلم والمعرفة هما اساس الرقي عند المراة فليست الزينة التي تطلي بها وجهها . وليست الملابس التي تلبسها ، وليست العنجهة التي تبدو بها . وليس الوجاهة بين الناس رقيا . يقول الدكتور جورج حنا : « [1] ليست الحفلات الصالونية التي تقيمينها او تدعين اليها ، او تقام خصيصا لك رقيا . وليست ارستقراطية الحياة التي تعيشينها عندما يكون في استطاعتك ان تعيشها رقيا . وليست المحظوظية التي تكون لك عند (الكبار) او التي تتوخينها من هؤلاء الكبار رقيا وليس اسهامك في جمعيات البر والاحسان رقيا ليست فرنسة احاديثك وامركة عاداتك واناقة ملبوساتك . وليس استعلاؤك على من هم دونك غنى او دونك وجاهة عائلية رقيا ، وليس ظهورك في المآدب الرسمية الى جانب الحكام والوزراء والسفراء ولفيف هذه العائلة الاجتماعية والبورجوازية او الاستقراطية رقيا .. وانما الرقي هو رقي الفكر ورقي المعرفة ، ورقي الخلق المستمد من رقي الفكر ورقي المعرفة » .

لقد قاست المراة العربية في تعليمها وتحصيلها ، فوقف في طريقها الاستعمار والرجعية ، والعادات والتقاليد القديمة السيئة ، وانجرفت المراة لاهثة خلف النساء الغربيات فلم تدركهن ، وفتحت المعاهد والكليات والمدارس العربية ، ولكن بقيت هذه المعاهد دون المعاهد الاوروبية علما ومعرفة وثقافة لقد اهتمت المراة العربية بالثقافة السطحية رغم وفرة المؤلفات العلمية ، فهي تسرع نحو الاذاعة والتلفزيون والبرامج الرديئة والروايات والقصص الخيالية، كما ان علمها وثقافتها اكثر ما تكون في المرحلة الابتدائية ، ثم يتدنى المستوى

(1) مجلة دراسات عربية العدد الثامن حزيران ١٩٧٣ ص ٢٣

في المرحلتين الاعدادية والثانوية ، ثم يهبط الى مستوى اقل في التعليم العالي وهذا ما تدل عليه الاحصائيات في البلاد العربية . ففي القطر العربي السوري يبلغ التعليم الابتدائي للفتيات حسب احصاء عام ١٩٦٧ حوالي ٣٣٪ بينما يبلغ التعليم الثانوي نسبة ٢٣ر٣٪ اما في لبنان فيبلغ التعليم الابتدائي ٤٥ر٣٪ والتعليم الثانوي ٣٨٪ اما في اليمن فيبلغ التعليم الابتدائي ٦ر٩٪ والتعليم الثانوي ٠ر٨٪ وهي ادنى نسبة بين الدول العربيـــة . واذا استعرضنـــا الاحصاءات نرى ان اكبر نسبة بين الدول العربية في المرحلة الابتدائية هي لبنان تعقبها الكويت حيث تبلغ النسبة ٤٣ر٥٪ فالاردن حيث يبلغ نسبة ٤٣ر٣٪ فقطر ٤٢ر٧٪ فالبحرين ٤٠ر٨٪ اما في المرحلة الثانوية فان الكويت قد سبقت الدول العربية اذ بلغت النسبـــة لديها ٤٠ر٩٪ تعقبها البحرين حيث بلغت نسبة ٣٩ر٢٪ فلبنان حيث بلغ ٣٨٪ فالجزائر ٣٦ر٥٪،والتعليم في البلاد الاجنبية تزداد النسبة فيه فتصل في فنلندا الى ٤٩٪ ، وفي فرنسا الى ٤٢٪ وتتساوى نسبة النساء الى الرجال في بقية البلاد الاوروبية في التعليم . لقد انتشرت الامية في النساء بصورة كبيرة،ففي اندونيسيا بلغت نسبة الاميات من مجموع الرجال الاميين حوالي ٧٢ر٤٪،وفي اليونان بلغت النسبة ٣٠٪،وفي فرنسا بلغت ايضا نسبة كبيرة . ويعود انتشار الامية بين النساء هو التصاقها بالاسرة وبالبيت والمطبخ والى العادات والتقاليد الموروثة ، والى قلة المدارس والمعاهد ، والى سوء التنظيم الاداري في المدارس .. وتدل الاحصاءات التى اجريت في عام ١٩٦٨ . فقد وجد ٧٠٠ مليون امي في عام ١٩٥٠ من اصل ١٥٧٩ مليون ؛ وفي عام ١٩٦٦ كان يوجد ٧٤٠ مليون أمي ، وفي عام ١٩٧٠ كان يوجد ٨٠٠ مليون ، وتتزايد هذه النسبة كلما تكاثر السكان وتقدم الزمن ، على ان الذي يسترعي الانتباه هو ان ٨٦٪ من السكان في العالم هم من النساء الاميات ان هذا الوضع سوف يؤثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمراة .. وقد تصدت لهذه الظاهرة المؤتمرات النسائية العالمية والمنظمات النسائية ، وكان من اهمها مؤتمر الخرطوم الذى عقد عام ١٩٧٠ ودرس فيه مشكلة الامية والقضاء عليها . واذا وجهت الصرخات المتتالية لمحو الامية،فان الصرخات الكبيرة والقوية يجب ان توجه لانقاذ المراة السوداء التي ما زالت

حتى الان مهدورة الحرية والكرامة ليس لها حق التعليم او غيره ، وهذا هو اعلى نوع من الاضطهاد والعبودية ، وليس من خلاص الا بالعلم والمعرفة ومحو الامية .

الفلسطينيون في الكويت والحالة التعليمية لعامي ١٩٦٥ و١٩٧٠

	١٩٦٥				١٩٧٠			
	ذكور	اناث	مجموع	نسبة ٪	ذكور	اناث	مجموع	نسبة ٪
امـــي	٢١٠٥	٥٥٠١	٨٦٦	١٦ر٠٥	٢٦٠٠	١١٨٦٦	١٤٤٦٦	١٧ر١٦
يقــرا	٣٣٩	١٥٨	٤٩٧	٠ر٩٣	١٩٥	٢١٠	٤٠٥	٪٤٨
يقرا اويكتب	٢٠٢٧٣	٤٥٨١	٢٤٨٥٤	٤٦ر٣٤	١٤٧٩٥	٧٧٠٩	٢٢٥٠٤	٢٦ر٦٩
شهادةابتدائية	٣٤١١	١٧٩٤	٥٢٠٥	[illegible]	١٠١٤٢	٧٧٥٨	١٧٩٠٠	٢١ر٢٢
متوسطة	٤٠٩٠	١٧٣٩	٥٨٢٩	١٠ر٨٧	٧١٧٨	٤٨٣٠	١٢٠٠٨	١٤ر٢٤
ثانويــة	٤٦٣٢	٢٠٦٠	٦٦٩٢	١٢ر٤٨	٨٦٥٤	٤٣٤٥	١٢٩٩٩	١٥ر٤٢
فوق الثانوية	٤٢١	٢٢٤	٦٤٥	١ر٢٠	٤٠٣	٢٠٢	٦٠٥	٠ر٧٢
جامعية	١١٢٧	١٠٣	١٢٠٣	٢ر٢٤	٢٧٩٩	٣٧٧	٣١٧٦	٣ر٧٧
ممتــازة	٦٣	٢	٦٥	٠ر١٢	١٥٧	١١	١٦٨	٠ر ٢

أن الذي يلاحظ هذا الجدول يرى ان عدد النساء الاميات يفوق عدد الرجال الاميين وان نسبة التعليم في جميع مراحل التعليم في الرجال اعلى من نسبة التعليم في النساء وانه كلما تقدم الزمن ازداد عدد الاميات ففي عام ١٩٦٥ كان عدد ' ميات ٨٦٦ ونسبة ٥٠ر١٦ بينما ارتفعت هذه النسبة في عام ١٩٧٠ اذ بلغت ١٦ر١٧ وعدد الاميات بلغ ١١٨٦٦ .

لقد ثبت حسب الاحصاءات ان المرأة اكثر ما توجد في مهنة التدريس وقد ثبتت كفاءتها في هذا الميدان ، وهي اقدر من غيرها على ممارسة هذه المهنة .

المدرسون الفلسطينيون والاردنيون في مدارس الكويت

للعام الدراسي ٦٩/١٩٧٠

مراحل التعليم	اردنيون			فلسطينيون		
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
ابتدائي	٣٠١	٥٤٥	٨٤٦	٣٣١	٣٢٠	٦٥١
اعدادي (متوسط)	٤٦٨	٢٤٢	٧١٠	٣٧٢	١٦١	٥٣٣
ثانوي (عام)	٦٦	٣٣	٩٩	١٣٤	٢٠	١٥٤
ثانوي (تجاري)	٢	—	٢	٣	—	٣
ثانوي (صناعي)	١٦	—	١٦	١٤	—	١٤
معاهد المعلمين والمعلمات	١١	٥	١٦	١٦	٧	٢٣
مراحل اخرى	١١	٢٥٦	٢٦٧	١١	١٣٩	١٥٠
المجموع	٨٧٥	١٠٨١	١٩٥٦	٨٨١	٦٤٧	١٥٢٨

يلاحظ من هذا الجدول ما يلي :

١ ـ ان المدرسات الاناث يكثرن في مراحل التعليم الابتدائي والحضانة ، وفي المراحل الاخرى التي لاتتطلب جهدا او مواظبة او تحصيلا عاليا .

٢ ـ كلما تقدمت مراحل التعليم كلما قل عدد المدرسات حتى لتلحظ ان مراحل التعليم الثانوي ٣٣ بينما في الابتدائي بلغ عدد المدرسات ٥٤٥ .

٣ ـ يكثر عدد النساء في التربية والتعليم ، ويقل عددهن في المهن الاخرى التي لاتتلاءم مع طبيعتهن ، فوزارة التربية في الكويت فيها ٨٥٤ من الفلسطينيين والاردنيين ذكور ، بينما يوجد فيها ٧٤٥ من الاناث . أما في وزارة غير وزارة التربية ولنأخذ مثلا وزارة الاشغال العامة فنجد فيها ٣٧٨ موظفاً بينما لانجد فيها موظفة واحدة . ثم تأتي وزارة الصحة بعد التربية التي يوجد فيها عدد من الموظفات وقد بلغ عددهن ٢٤٧ .

٤ ـ بلغت نسبة الاناث الى مجموع تلاميذ المرحلة الابتدائية في مدارس وكالة الغوث في كل من غزة والاردن ولبنان وسورية في عام ١٩٥٤ حوالي ٣٢٫٥٪ . وبلغت نسبة الاناث الى مجموع تلاميذ المرحلة الثانوية حوالي

٢٢ر٦٪ . ويلاحظ الفرق الشاسع بين النسبة في المرحلة الابتدائية ، والنسبة في المرحلة الثانوية .

تفيد الاحصاءات في اوروبا ولا سيما في تشيكوسلوفاكيا أن الطالبات يبلغن نسبة ٦٤٪ في المدارس التعليمية العامة . و ٥٨٪ من المجموع العام للمدرسين. و ٦ر٤٠ في المعاهد العالية والجامعات . و ٦٢٪ في المدارس الشعبية ، و ٥٦٪ من مجموع المتقدمين للمدارس ، و ٤٣٪ من المدارس التخصصية ، و ٤٠٪ من مجموع الطلاب الجامعيين .

تاريخ تعليم المراة :

منذ فجر التاريخ والمراة دون الرجل في التعليم ، فلا تهتم الاقوام والمجتمعات القديمة بتعليم المراة الا ما كان منه متصلا بعملها الضيق كتدبير المنزل ، واعداد الطعام ، ومبادىء القراءة والحساب فقط ، وبعض المبادىء القتالية واللغة والدين . فالعرب في جاهليتهم يعلمون الفتاة التدبير المنزلي واعداد الطعام ، كما يعلمونها الادب والعفة ، خوفا من العار ، وان فعلت فانها تسام سوء العذاب . أما المصريون فقد كانوا يعلمونها مبادىء القراءة والكتابة. واما اليونانيون فقد كانوا يعلمونها المبادىء الاولية للتدبير المنزلي ، وهم ساخطون عليها . أما الاسبارطيون فقد كانوا يعلمونها اصول التربية العسكرية، واتقان استعمال الاسلحة المستخدمة آنذاك لتكون عونا لهم في القتال ، ولتستطيع بنفس الوقت ان تربي جيلا من الشباب قادرا على الدفاع عن الوطن. واما الرومانيون فقد كانوا يعلمونها اللغة القومية والادب والدين ، ويحرمون عليها أن تمارس التمثيل والرقص والغناء ، وقد اقتصر التعليم المحدود فيما بعد على النبلاء . وقد أمر أفلاطون بتعليم المراة واعتبر جهلها هبوطا الى مستوى الحيوانات ، وكذلك سار على طريقة اتباعه فيما بعد . وفي القرن الثاني عشر اعطي للمراة حق التعليم الجزئي واقر المجلس الكنسي بذلك بأغلبية . وفي القرن السادس عشر تاسست بعض المدارس للبنات ، ولكن هذه المدارس بقيت وقفا على الاغنياء ، واقتصر تعليم المراة على تعليمها امور بيتها. وفي القرن الثامن عشر فترت حركة تعليم المراة . وفي القرن التاسع عشر انتشر

تعليم المراة بين الفقراء والاغنياء في الريف والمدينة ، ولم يعد وقفا على فئة دون فئة ، او طبقة دون طبقة . وساعد على ذلك قيام الثوره الافرنسية . والطفرة الصناعية ، وظهور كثير من الشعراء والكتاب والمصلحين ينادون بضرورة تعليم المراة . ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر تاسس « المعهد الخيري للمربيات في انكلترا ، وكلية الملكة . ثم نرى ان الجامعات قد فتحت ابوابها امام الطالبات فهاهي « اليزابيت بلاكول » التي عاشت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولاقت الصعوبات الكبيرة في انتسابها الى كليات الطب وظلت تحاول حتى قبلتها اخيرا كلية (جنيفا) في الولايات المتحدة الامريكية . وبذلك فتحت بابا امام الطالبات في ان يلجن الجامعات ، ويكملن دراستهن العالية . وفي القرن التاسع عشر برزت فكرة تعليم المراة بشكل واضح . ففي انكلترا دلت الاحصائيات التي اجريت عام ١٩٣٦ أن نسبة طالبات المدارس الى عدد النساء تبلغ

$\frac{١٢٤}{١٠٠٠}$. وفي فرنسا منع نابليون تعليم المراة . وفي الولايات المتحدة الامريكية

وقفت الحكومة امام تعليم المراة ، واعتبرت تعليمها نوعا من الجنون . وفي اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين سمح للمراة ان تتعلم وان تدخل المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ، فاقبلت على العلم ، وبلغت ماكانت تصبو اليه ، وارتقت معالم العلم في كل مكان . ومن هنا نلاحظ أن تعليم المراة قد تعاوره الجمود أحيانا والنشاط احيانا اخرى ، ويختلف هذا الجمود وهذا النشاط من مكان لآخر ، ومن حضارة لحضارة ، ومن بلد مستقل لبلد غير مستقل ، ومن نظام اقتصادي لنظام اقتصادي آخر . وعلى سبيل المثال فان القطر العربي السوري قبل عام ١٩٤٦ كانت المراة تئن تحت اثقال الاستعمار ، فيضع لها العراقيل والصعوبات امام تعليمها . وبعد عام ١٩٤٦ نص الدستور على الزامية التعليم للبنين والبنات « التربية والتعليم حق لكل مواطن والتعليم الابتدائي الزامي ومجاني في مدارس الدولة وموحد البرامج » . وفي عام ١٩٦٤ جاء في المادة ١٧ من الدستور على مايلي : « ان التعليم حق لكل مواطن وهو الزامي في مرحلته الابتدائية ومجاني في جميع مراحله » .

مرحلة التعليم الابتدائي

ب ـ التلاميذ حسب الجنس

السنوات	التلاميذ حسب الجنس		المجموع
	ذكور	اناث	
١٩٤٤/٤٥	١٠٢٤٩٧	٤٥٩٣١	١٤٨٤٢٨
١٩٥٤	٢٢٥٥٧٠	٩٣٨٦٨	٣١٩٤٣٨
١٩٥٥	٢٣٦٣٥٠	٩٩٨٧١	٣٣٦٢٢١
١٩٥٦	٤١١١٣٩	١٠٤٢٢٨	٣٤٥٣٦٧
١٩٥٧	٢٤٦٦٤٨	١٠٥٥٣٣	٣٥٢١٨١
١٩٥٨	٢٧٢٢٨٥	١١٧٢٨٥	٣٨٩٥٧٠
١٩٥٩	٢٩٥٤٤٥	١٢٨٤٣٨	٤٢٣٨٨٣
١٩٦٠	٣٠٢٤٢٦	١٢١٥٣٢	٤٢٣٩٥٨
١٩٦١	٣٤٣١٤٦	١٣٩٣٩٠	٤٨٢٥٣٦
١٩٦٢	٣٣٦٣٧٥	١٥٢٣٨١	٥١٨٧٥٦
١٩٦٣	٤٠٥١٦٩	١٧٣٥٢٣	٥٧٨٦٩٢
١٩٦٤	٤٣٦٤١٢	١٩١٩٥٨	٦٢٨٣٧٠
١٩٦٥	٤٥٨٦٣٤	٢٠٦٩١١	٦٦٥٥٤٥
١٩٦٦	٤٨٠٨٣٩	٢٢٥٠٩٥	٧٠٥٩٣٤
١٩٦٧	٤٩٩٣٥٦	٢٤٣٣٢٥	٧٤٢٦٨١
١٩٦٨	٨١٢٨٦٣	٢٥٥٠٣٢	٧٦٧٨٩٥
١٩٦٩	٥٣٦٣٢٢	٢٧٦٩٠٣	٨١٣٢٢٥
١٩٧٠	٥٤٨٣٨٣	٢٩٦٧٤٧	٨٤٥١٣٠
١٩٧١	٥٨٩٠٢٩	٣٣٥٩٤٠	٩٢٤٩٣٩
١٩٧٢	٦٢٩٦٤٧	٣٧٦٠٩٢	١٠٠٥٧٣٩
١٩٧٣	٦٧٩٦٣٨	٤٢٣٠١٤	١١٠٢٦٥٢

نلاحظ في هـذا الجدول انه في عام ١٩٤٥ كان عـدد الاناث في المدارس الابتدائية (٤٥٩٣١) . ارتفع في عام ١٩٥٦ الى (١٠٤٢٢٨) . وارتفع أيضا في عام ١٩٦٣ الى (١٧٣٥٢٣) . وارتفع في عام ١٩٦٧ الى (٢٤٣٣٢٥) . ثم ارتفع في عام ١٩٧٣ الى (١٠٤٢٢٨) . وقد بلغ الارتفاع الاعظمي بعد الاستقـلال مباشرة حيث بلغت نسبة الزيادة اكثر من ١٠٠٪ . ثم ارتفع العدد بشكـل ملحوظ في الاعوام ١٩٥٨ و ١٩٥٩ و ١٩٦٩ . كما نلاحظ أن نسبة الزيادة في الذكور كانت اكبر منها في الاناث ، الا أن نسبة الاناث قد ارتفعت من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٧٠ من ٤ر١٤٪ الى ٣٥٪ من المجموع العام ، وزادت هذه النسبة

في عام ١٩٧٣ . وكما يتضح أن عدد البنات قد تضاعف في المدارس الابتدائية من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٧٣ مقدار تسعة أضعاف في حين ان عدد الذكور قد تضاعف ستة اضعاف فقط . وهذا مايفسر على ان الانثى كانت محرومة من التعليم من عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٧٣ . وان نسبة الاناث قد ارتفعت في الاعوام التي تلت الاستقلال ، ولكنها لم تبلغ ابدا نسبة الرجال بالنسبة للمجموع العام المنتسب من الذكور والاناث . قد يزداد عدد الاناث في البلاد الاوروبية ، ولكنها على العموم تبقى نسبة الذكور أكثر من الاناث ، وهكذا فان تعليم البنات نسبي تكثر هذه النسبة في البلاد المستقلة والمتحضرة ، وتخف في البلاد غير المتحررة والواقعة تحت سيطرة الاستعمار .

ح ـ معلمو المدارس الابتدائية حسب الجنس

السنوات	المعلمون حسب الجنس		المجموع
	ذكـور	اناث	
٤٥/١٩٤٤	...	...	٤٠٥٤
٥٣/١٩٥٢	٥٧٢٧	٣٠٨٤	٨٨١١
١٩٥٤	٦١٠٣	٣٥٥٧	٩٦٦٠
١٩٥٥	٦٢٧٥	٣٧١٤	٩٩٨٩
١٩٥٦	٦٥٤١	٣٨٢٣	١٠٣٦٤
١٩٥٧	٦٨٠٦	٤٠٤٨	١٠٨٥٤
١٩٥٨	٧٢٩٥	٤٣٩٠	١١٦٨٥
١٩٥٩	٧٦٢٣	٤٨٢٩	١٢٤٥٢
١٩٦٠	٨٣٥٩	٤٩٣٣	١٣٢٩٢
١٩٦١	٩٠٧٦	٥٢٨٧	١٤٣٦٣
١٩٦٢	٩٣٥٠	٥٤٧٧	١٤٨٢٧
١٩٦٣	١٠٢٠٢	٥٨٥٥	١٦٠٦٠
١٩٦٤	١١١٤٥	٦٤٠٩	١٧٥٥٤
١٩٦٥	١١٧٩٠	٦٦٤١	١٨٤٣١
١٩٦٦	١٢٤٣١	٧١١١	١٩٥٤٢
١٩٦٧	١٣٠٧٢	٧٥٨٦	٢٠٦٢٨
١٩٦٨	١٣٦٤٣	٧٧٨٥	٢١٢٢٨
١٩٦٩	١٣٩٢٢	٨٣٢٧	٢٢٢٤٩
١٩٧٠	١٤٤١٢	٩٠١٩	٤٣٤٣١
١٩٧١	١٥١٨٥	٩٩٤٩	٢٥١٣٤
١٩٧٢	١٧٧٨٣	١٠١٣٩	٢٧٩٢٢
١٩٧٣	١٨٠٥٥	١٢٣٠١	٣٠٣٥٦

نلاحظ في هذا الجدول انه في عام ١٩٥٣ كان عدد المعلمات (٣٠٨٤) ، ارتفع في الاعوام التالية حتى وصل في عام ١٩٥٦ الى (٣٨٢٣) ، وفي عام ١٩٦٣ الى (٥٨٥٥) ، وفي عام ١٩٦٧ الى ٧٥٨٦ ، وفي عام ١٩٧٣ الى (١٢٣٠١) . وقد بلغ الارتفاع الاعظمي في عام ١٩٥٥ وفي عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٣ ، وكانت نسبة الزيادة في كل عام مابين ١٠ ــ ١٥٪ . كما نلاحظ انه ازداد العدد في عام ١٩٧٣ عن عام ١٩٥٣ حوالي اربعة اضعاف . كما ان عدد الاناث اقل من عدد الذكور بنسب تتراوح بين ٨٠٪ ــ ٤٠٪ .

السنوات	المدارس الاعدادية والثانوية			
	ذكور	إناث	مختلطة	المجموع
٤٥/١٩٤٤	٢٩	٢٧	٨	٦٤
٥٣/١٩٥٢	٢٩	٥٧	٢٥	١٨١
١٩٥٤	١٢٦	٦٥	٢١	٢١٢
١٩٥٥	١٥٦	٦٥	٢٣	٢٤٤
١٩٥٦	١٤٦	٧٢	٤٩	٢٦٧
١٩٥٧	١٥٥	٧٥	٤٩	٢٧٩
١٩٥٨	١٦٣	٧٨	٤٥	٢٨٦
١٩٥٩	١٧٣	٨١	٥١	٣٠٥
١٩٦٠	١٧٣	٨٥	٥٥	٣١٣
١٩٦١	١٨٠	٨٧	٥٥	٣٢٢
١٩٦٢	١٩٧	٩٦	٦١	٣٥٤
١٩٦٣	٢٢٣	١١٠	٧٤	٤٠٧
١٩٦٤	٢٤٣	١٢٤	١٠٠	٤٦٧
١٩٦٥	٢٧٨	١٢٩	١٣١	٥٣٨
١٩٦٦	٢٨٣	١٢٩	١٧٠	٥٨٢
١٩٦٧	٣١١	١٤٩	١٧٩	٦٣٩
١٩٦٨	٣١٤	١٤٤	١٨٣	٦٤١
١٩٦٩	٣٢٣	١٥٥	٢٢٢	٧٠٠
١٩٧٠	٣٢٢	١٦٧	٣٢٤	٨١٣
١٩٧١	٣٢٥	١٦٨	٣٤٦	٨٣٩
١٩٧٢	٣٠٣	١٧٦	٤٢٥	٩٠٤
١٩٧٣	٣١٥	١٩١	٤٦١	٩٦٧

الاعدادي والثانوي

مدرسو المدارس الاعدادية والثانوية			طلاب المرحلتين الاعدادية والثانوية		
ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
...	...	١٠٨٠	...	...	
٢٥٣٥	٦١٥	٣١٥٠	—	—	٥٣٨٥
٣٠٥٨	٤٤٣	٣٥٠١	—	—	٥٢٤٤
٣٢٠٨	٨٣٦	٤٠٤٤	—	—	٩٠٣٠
٣١٤٧	٧٩٤	٣٩٤١	٨٣٤٣	٢١٦٨	١٠٥١١
٢٢٦٧	٧٠٨	٢٩٧٥	٩٧٤١	٢٤٧٤	١٢١١٥
٢٢٣٣	٦٨٣	٢٩١٦	١١٢٥٠	٢٦٩٣	١٣٩٤٣
٢٣٧٦	٧٢٣	٣٠٩٩	١٢٦٥١	٣١٠٥	١٥٧٥٦
٢٤٣٦	٧٣٠	٣١٦٦	١٣٧٩٥	٣٣٤٥	١٧١٤٠
٤٠٧٩	١٠٢٩	٥١٠٨	١٤٦٧٦	٣٦٧٤	١٨٣٥٠
٤٤١٦	١١٠١	٥٥١٧	١٧٥٦٩	٤٦٨٦	٢٢٢٥٥
٤٢٦٩	١٢٣٤	٥٥٠٣	٢٣٤٧١	٦٠٣٥	٢٩٥٠٦
٤٧٩١	١٤٢٥	٦٢١٦	٢٧٢٧٨	٦٩٦٠	٣٤٢٣٨
٥٣٨٩	١٦٤٣	٧٠٣٢	٣٠٧٥٧	٧٥٧٤	٣٨٣٣١
٥٩٤٢	١٧١٧	٦٧٥٩	٣٧٧٦٠	٩٠٣٦	٤٦٧٩٦
٦٤٧٥	١٨١٥	٨٢٩٠	٤١٨٥٤	٩٨٤٢	٥١٦٩٦
٦٧٦٧	١٧٤٢	٨٥٠٩	٤٩١٤٨	١٢٤٧١	٦١٦١٩
٨٦٧٣	٢٤٧٠	١١١٤٣	٥٧٩٩٢	١٥٦٩٠	٧٣٦٨٢
١١٢٥٥	٣٠٥٥	١٤٣١٠	٥٧٧٥٥	١٧٣٣٠	٧٥٠٨٥
١٠٢٦٤	٣٢١٩	١٣٤٨٣	٥٨٥٢١	٢٠٩٧٣	٧٩٤٩٤
١٠٦٣٦	٤٦٩٣	١٥٣٢٩	٥٩٢٢٨	٢٢٦٥٠	٨١٨٧٨
١٣٠٧١	٥٩٣٣	١٩٠٠٤	٦٧٦٣٥	١٦١٨٥	٩٣٨٢٠

نلاحظ في هذا الجدول انه في عام ١٩٤٥ كان عـدد مدارس الذكور ٢٩ مدرسة ، ارتفع في عام ١٩٥٥ الى ١٥٦ مدرسة ، ثم انخفض هذا العدد في عـام ١٩٥٦ وفي عام ١٩٥٧ ، ثم ثبت في عام ١٩٥٩ وفي عام ١٩٦٠ ، ثم ارتفع قليلا في الاعوام التالية . اما مدارس الاناث فقد بلغت في عام ١٩٤٥ حوالي ٢٧ مدرسة، ثم ارتفعت في عام ١٩٥٦ الى ٧٢ مدرسة ، ولكن هذه الزيادة لم تكـن بقـدر الزيادة التي حصلت للذكور . اما المدارس المختلطة فقد ارتفعت ارتفاعا ملحوظا فقد بلغ عددها في عام ١٩٤٥ حوالي ٨ مدارس ، ارتفع هذا الرقم في الاعوام التالية بشكل يلفت النظر فقد بلغ في عام ١٩٦٥ حوالي ٤٩ مدرسة ، وفي عام ١٩٦٥ حوالي ١٣١ مدرسة ، وفي عام ١٩٧٣ حوالي ٤٦١ مدرسة . تضاعفت مدارس الذكور من عام ١٩٤٥ ــ ١٩٧٣ الى تسعة اضعاف ، بينما تضاعفت مـدارس الاناث الى ستة اضعاف فقط ، وتضاعفت المدارس المختلطة الى ثمانيةوخمسين ضعفا . اما المدرسون من الجنسين فقد ازداد ايضا ، الا ان الزيادة الكبـيرة كانت للذكور . اما الطلاب فقد كان عـدد الذكور في عام ١٩٥٦ حوالي ٨٣٤٣

٣٧٧٦٠ ٨٣٤٣

والاناث حوالي ٢١٦٨ اي ان الزيادة كانت ــــــ ، وفي عام ١٩٦٦ كانت ــــــ

٩٠٣٦ ٢١٦٨

٦٧٦٣٥

وفي عام ١٩٧٣ كانت ــــــ وهكذا نرى الزيادة دائما لصالح الذكور .

٢٦١٨٥

ونلاحظ ان نسبة المدرسين الى الطلاب كانت مقبولـة اذ يصيب المعلم حوالي من ٣ ــ ٦ طلاب وهذه نسبة لاباس بها ، غير ان العديد مـن المدرسين يقومون بوظائف ادارية في المدارس والمديريات والوزارة .

ان التعليم يجب ان يتناول الجنسين الذكر والانثى وبصورة متســاوية ولا سيما في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية .

مرحلة التعليم الجامعي

السنوات	عدد الجامعات	عدد الكليات	عدد الطلاب ذكور	عدد الطلاب إناث	المجموع
١٩٤٤/٤٥	١	٢	٧٢٥	١١	٧٣٦
١٩٥٢/٥٣	١	٦	٢٠٨٠	٤١١	٢٤٩١
١٩٦١	٢	١٠	١١٨٨٨	٢٣٠٦	١٤١٩٤
١٩٦٢	٢	١٣	١٥٨١٨	٢٧٥١	١٨٥٦٩
١٩٦٣	٢	١٦	٢٠٩٠٦	٣١٨٥	٢٤٠٩١
١٩٦٤	٢	١٧	٢٦٥٤٩	٤٥٦٩	٣١١١٨
١٩٧٢	٣	٢٢	٣٧٠٤٨	٨٩٧٧	٤٦٠٢٥
١٩٧٣	٣	٢٣	٣٩٧٨٤	٩٤٧١	٤٩٢٥٥

نلاحظ في هذا الجدول انه في عام ١٩٤٥ كان عدد الذكور المنتسبين الى الجامعة ٧٢٥ بينما كان عدد الاناث ١١ اي ان الذكور يشكلون ٥٨ ضعفا زيادة عن عدد الاناث ، وهذه الزيادة قد تضاءلت في السنين التالية ، الا ان الفرق لا يزال شاسعا والهوة عميقة . واذا لاحظنا عدد المنتسبين من الاناث في عام١٩٤٥ كان قليلا ، الا انه ارتفع في الاعوام التالية فبلغ عام ١٩٥٣ حوالي ٤١١ ، وبلغ في عام ١٩٦٣ حوالي ٣١٨٥ ، وبلغفي عام ١٩٧٣ حوالي ٩٤٧١ .

ومما تقدم نستنتج ان التربية والتعليم كان محدودا فيالبنات فهو يبلغ اكبر نسبة في التعليم الابتدائي ، ثم يتناقص في التعليم الاعدادي والثانوي ، ثم يضمحل في التعليم العاليوالاختصاصات العليا . واذا استعرضنا الاحصاءات والتخصص نجد ان المراة قد اختصت بالادب والطب والفنونالجميلة اكثر من باقي الاختصاصات ، وما ذلك الا لان المراة تألف هذه الاختصاصات ، وتتوافق مع نفسيتها ومشاعرها .

مقارنـــة التعليـم في البــلاد العربية ـ التعليم ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩

نوع التعليم	سوريا ـ العدد		العراق ـ العدد		الاردن ـ العدد		مصر ـ العدد		لبنان ـ العدد	
	بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات
التعليم الابتدائي	١٤٧ر١٠٧	٥٨ر٦٦٢	١٣٢ر٢٢٥	٤٢ر٨١٥	١٨ر٥٤٥	٦ر٥٤٧	٨٤٧ر٢٢٨	٤٤٤ر٩٣٢	٥٨ر٨٩٩	٥١ر٥٥٩
التعليم الثانوي	١٧ر٥٩٢	٥ر٩٧١	١٦ر٨١٩	٤ر١٩٧	١ر٠١٥	١٤٧	٧٥ر٦٣٥	١٧ر١٩٤	٢٠ر٦٧٣	٩ر٢٢٧
التعليم المهني	١٢٨	١٩٤	٩٢٩	٢١٥	٩٤	—	٢٨ر٦٥٦	١٢ر٢٧٨	٧٦٨	١٨١
دور المعلمين والمعلمات	٢٢١	٢١١	١ر٢٢٢	٢٧٣	—	—	—	—	—	—
المدارس العالية	٢ر٠١٨	٢١٦	٢ر٩١٨	٧٦٩	—	—	٢٣ر٧١٣	٢ر٢١٢	٤ر٠٠٠	—
الجامع الازهر	—	—	—	—	—	—	١٦ر٣٢٣	—	—	—

نلاحظ في هذا الجدول ما لاحظناه في الجداول السابقةبأن نسبة تعليم البنات اقل من البنين ، وان عددهن يقل في التعليم الثانوي والتعليم الجامعي ، وان نسبة تعليم البنات في الوطن العربي تكثر في لبنان وتقل في الاردن . في مرحلة التعليم الابتدائي تكون نسبة البنات اقل من ٢ ـ ٣ ضعف اماأي باقي المراحل فانها ترتفع الى اكثر من ذلك . كما يلاحظ ان هناك تساويا تقريبا في التعليم المهني ، وكذلك في دور المعلمين والمعلمات مما يدل على ان المراة تحاول ان تكون معلمة ، وتفضل هذه المهنة على باقي المهن . وهكذا فان التربية والتعليم نجدهما من اختصاص المراة دون باقي الاختصاصات .

مهمة المرأة في التربية والتعليم :

لا شك ان للمرأة مهاما تضطلع بها في مجال التربية والتعليم . ومن مهماتها ما يلي :

١ ـ ان تكون المرأة ذات ارادة قوية لايهمها اعتراض العقبات والصعاب ، ولا تزعزعها الاحداث والاضطهاد ، فهي ان وقفت خطوة فسوف تتحرك خطوتين ، وهي ان فشلت في محاولة فسوف تنجح بالمحاولات العديدة .

٢ ـ الصبر على المكاره ، والتعود على الاحتمال ، وهو لايتأتى الا من امرأة عجمت عود الحياة ، وتزودت بالثقافة والتعليم .

٣ ـ الشجاعة امام المحن ، وبخاصة أمام الذين شككوا في المرأة ، وحفوها بشوك الصبار .

٤ ـ الشخصية القوية للمرأة والذكاء والاحساس الوطني ، وبالعقل المتوقد ، وبالنشاط في جميع مجالات الحياة حتى تثبت قدرتها على العمل وحتى تبرهن للسفهاء انها تستطيع ان تعمل وتبتكر الاشياء التي يعجز عنها غيرها .

٥ ـ التزود بالثقافة والتعليم والايمان بأن تكون شعلة مضيئة في كل درب ، ووردة متفتحة في كل بستان ، وثمرة يانعة من ثمار هذه الدار .

٦ ـ إيقاظ غيرها من النساء ، ونشر الوعي والثقافة بينهن لتستطيع بهذا الايقاظ ان تحرر المرأة من عبودية التقليد ، وعبودية هواها ، وعبودية الشيطان ، ولتكون المرأة مدركة في كل الامور . فالقضاء على الجهل خطوة نحو إيقاظ المرأة ، والقضاء على الامية خطوة ، والقضاء على كل المعوقات واحدة تلو اخرى خطوات تتبعها خطوات .

٧ ـ اعداد المؤسسات والمنظمات النسوية المختلفة كالمعاهد والكليات والجامعات والاتحادات المختلفة التي تضطلع باعباء الحياة ، وتقوم بدور النضال من أجل الوصول الى اعداد المرأة اعدادا يليق بها .

٨ ـ بث الدعاية والوعي على المستوى الداخلي والخارجي ، والتأثير العميق في الجماهير ، واكثر مايؤثر فيهم الخطابـة والبلاغة والكلام الجزل ، والثقافة الواسعة ، وكل مامن شأنه تحريك نفوسهم ومشـاعرهم .

٩ ـ توحيد الكفاح النسـوي من اجل بلوغ الهدف الذي تصبو اليه المراة .

١٠ـ تحمل المسؤوليات الملقاة على عاتق المراة .

١١ـ تهيئة وتوفير فرص التعليم في جميع الاختصاصات .

تلك (ساروجيني نايدو ١٨٧٩ ـ ١٩٤٩) التي كانت تتصف بالشخصية القوية والذكاء الحاد ، وبالعقل المستنير والنشـاط الدائم .

كانت متعلمة عكفت على العلم فحصلت على أعلى الدرجات ، وقـادت الحركات الثقافية النسـوية ، وايقظت في النسـاء حب الثقافة والوعي والعلم ، مما دعاها لان تدخل قلوب الملايين من النساء الهنديات ، ولا عجب فقد تلقت بعضـا من تعاليمها على يد « المهاتماغاندي » زعيم الهند ، اذ كانت تؤمن به ايمانا قويا ؛ وتصمد معه في المحن ، وفي سوم العذاب . وكانت من اعلام الخطابة حتى أن نهرو قال : « في هذا الاجتماع تأثرت تأثرا بالغا بالتعقيبات البليغة السـاطعة لسـاروجيني نايدو ثم يضيف .. وقد كنت خلال ذلك الكفـاح العظيم للهند امشي السـاعات وبحماسة بالغة لاحضر كل اجتماع تخطب فيه نايدو .» . ولقد كانت لغاندي رسولة الى كل بلد . انتخبت لرئاسة حزب المؤتمر الهندي عـام ١٩٢٠ ، وادارت الجلسـات بكل كفاءة ، وحملت الدعاية الـى كل بلد لتحرير الهند .. واعتقلت نايدو وعذبت ولكنه لم يفت في عضدها ، ولم يثنها ذلك عن عزمها ومتابعة المسيرة . وتقول « نايدو » : « وان كنت في السـجن فانني لم اغب عن معترك الكفاح بل كنت مع الشـعب ممثلة بابني الذي حمل عني الراية . وقد اطلقت عليها الصحافة البريطانية « سيدة الهند العظيمة » . ويقول الرئيس الهندي « راداكريشنان » عنها : « إنها اعظم امراة هندية في عصرها . وتلك (رادين اجنغ كارتيني ١٨٧٩ ـ ١٩٠٤) الاندونيسية التي تفتح وعيها القومي، واصرت على المطالبة بانصاف الفتاة ، فعارضها الكثير من بني قومها ، ونصبوا

لها الشراك والافخاخ في طريقها ، واقاموا المتاريس في طريق العلم والمعرفة ، ولكنها صبرت وتحملت .

كانت واسعة الثقافة والاطلاع ، ولديها الشجاعة الكافية لمجابهةالتحديات. تصدت للدعاية في الخارج فلقيت كل تأييد . وقد قالت يوما « اذا اردنا ان نحقق التقدم يجب ان يساير التطور الذهني التطور الادبي ، ومن على الارض اقدر من المراة على تحقيق ماتنشده ؟ فالاطفال يتلقون مبادىء المعرفة في حجرها، وفيه يتعلمون كيف يشعرون ويفكرون ويتكلمون ، وهذا كله يشكل اهم مرحلة من مراحل تكوين الطفل وتعليمه . » .

كانت ذات ارادة قوية ، وصبر على المصاعب والمصائب ، وكانت تقول : « الطريق التي نسلكها وعرة ، وعرة جدا تعترضها اكوام من الحجارة ، وحفر رهيبة ، ولكن يجب الا ننسى ان من واجبنا نحن ان نضاعف العزيمة وان نبذل كل صبرنا بصمود وإيمان لتمهيد هذا الطريق . » ولقد استطاعت تأسيس المدارس في اندونيسيا . انها المراة التي تطل على العلم والمعرفة والثقافة والتعليم فتبني لأجيالها مجدا وسؤددا ، وتنير الطريق أمام السالكين . ولقد كان لأمثال ساروجيني ورادين الكثير من النسوة اللاتي اتصفن بجميع المقومات التي تجعل منهن نسوة العزيمة والجد والصبر والاخلاص . وسنورد الامثلة الكثيرة على امثال هذه النساء في الفصول القادمة ، وفيما يلي من الكلام عن المراة ذات الشخصية القوية الواعية المثقفة التي اضطلعت بأعباء الحياة وبأعباء النضال والكفاح .

سبب تخلف المراة العلمي والثقافي :

الاسباب عديدة اهمها :

الاسباب السياسية : إن احتلال الاراضي يقف حجر عثرة امام تقدم المراة العلمي ، اذ بهذه الحالة تصرف اغلب اوقاتها في التفتيش على مأوى ، وعلى الطعام والشراب ، كما تصرف اوقاتها في التدريب على السلاح والعتاد ، وكثرة المظاهرات والاحتجاجات سيما اذا كانت هذه الاراضي واقعة تحت نير المحتل

الغاصب . وبالاضافة الى ذلك فان العدو المحتل يفرض على السكان المحتلة أراضيهم والواقعة تحت سيطرته سياسة تعليمية ترمي الى جعل النساء مع الرجال غير مثقفين ولا متعلمين ، بل انه يفرض مناهج ثقافية وتعليمية تتلاءم مع بقاء فرض سيطرته التعليمية والثقافية ليقف حائلا دون تعليم النساء ، وبذلك ينشأ جيل جاهل غير مرتبط بالارض ، وهكذا مع الزمن وعبر عدة اجيال يستطيع المحتل أن يذوب تلك العناصر الوطنية ضمن بوتقة أهدافه التخريبية، فالجزائر لاتزال حتى الآن تنفض عن كاهلها اوزار الاحتلال الافرنسي ولا تزال حتى الآن بقايا من الثقافة الفرنسية في تلك الارض ، وكذلك فان اهالي فلسطين لايزالون مشردين في أقطار الارض غالبيتهم العظمى من الاميين ، وكذلك فان عدداً من الاقطار الافريقية لاتزال واقعة تحت سيطرة الاستعمار. ان المخلفات التي يورثها المستعمر للمواطنين تحتاج الى زمن للقضاء عليها بعد الاستقلال ، ولا يستبعد ان تحتاج الى نفس الزمن تقريبا الذي بقي فيه المستعمر في تلك الاراضي . ومن المعلوم أن المستعمر وان ارتحل فانه يحاول بصورة غير مباشرة ان يؤثر على التقدم العلمي لهذا البلد ، وان يقف في طريقه . ومن الاسباب السياسية ايضا عدم الاستقرار السياسي ، اذ تتعرض سياسة التعليم الى مد وجزر ، ويستتبع عدم الاستقرار السياسي اغلاق المدارس ، وتغيير مناهج التعليم وتبديل المعلمين والاساتذة ، وتعريض الكثير منهم الى التوقيف او الانفصال . وانه مما يساعد على عدم الاستقرار السياسي وجود عدة احزاب ، والتخلف العلمي ، والوعي القومي ، وتعدد الانقلابات السياسية ، وتدخل الجيش في امور لاتعنيه ... وهذا النوع من عدم الاستقرار السياسي يكثر في البلاد المتخلفة ، وفي دول العالم الثالث بصورة خاصة . ومن الامور المهمة ايضا هو ان المرأة لاتشارك كثيرا في الامور السياسية ولا التعليمية اذ تفرض عليها التقاليد والعادات ان تظل قابعة في بيتها . ان المشاركة الفعلية للمرأة في الامور السياسية سوف تتيح لها قسطا كبيرا من التعليم ، فدخولها الانتخابات ، والحياة العامة ، والاتحادات النسائية ، والمنظمات الشعبية سوف يتيح لها التصرف على جوانب الحياة السياسية ، وبذلك يمكن أن تشارك في طرد المستعمر ، وأن تشارك في القتال وفي الاعمال الاخرى .

الاسباب الاقتصادية : ان النظام الاقطاعي يؤخر التعليم بل يهدمه ، ويقتصر في هذه الحالة على اولاد الاقطاعيين وتبقى الكثرة الكثيرة من ابناء الوطن دون تعليم . كما ان النظام الراسمالي يضيق الخناق على تعليم المراة ، ويجعلها مهيضة الجناح لاتفكر الا بالسعي وراء رزقها وقوت يومها واحيانا لاتجده .

ان الاسر الفقيرة التي لاتستطيع كسب قوتها سوف تنحرف عن التعليم لتعمل في مختلف الاعمال لكي توفر لنفسها لقمة العيش ، اما الاسر الغنية فانها تستطيع تعليم ابنائها بكل حرية وتوسع ، وكذلك فان المراة الحضرية التي هي بجانب التعليم ، وتتوفر لها الامكانيات المادية بصورة نسبية اكثر من المراة الريفية ، فالمراة الريفية عدا عن كونها فقيرة فانها تعمل معظم اوقاتها في الارض في الحقول والمزارع لكي تساعد والدها أو زوجها . وبذلك تنقطع عن التعليم ومتابعة التعليم . ان السبب الاقتصادي قد يكون مهما في كل مكان وزمان .

الاسباب الاجتماعية : لقد عارض المجتمع في حقبه الزمنية الماضية فكرة تعليم المراة ، واعتبره نوعا من الخروج عن القوانين والاعراض ، الشريعة الهندية البرهمية تعتبر المراة غير حرة في التعليم ، كما ان المراة في القوانين الرومانية لم تجزلها حرية التعليم ، وعند اليونان فان المراة مسلوبة الحرية ، وقد عارض ارسطو وسقراط فكرة تعليم المراة ايضا واعتبراها ناقصة و «شجرة مسمومة » . وبالاضافة الى ذلك فقد ضيقوا على المراة حريتها فلم يسمحوا لها حتى بالخروج خارج البيت ، واذا فقدت المراة الحرية فهل تستطيع ان تزاول تعليمها ، ان هذا مرهون بوجود الحرية والسماح لها بالخروج لتتلقى التعليم في المدارس ، وفي أماكن العلم المختلفة ، ومن شدة التضييق عليها فرضوا عليها سجنا في بيتها فجعلوه قليل النوافذ لايقع على طريق وكانه السجن تماما وهذا ما فعله اليونانيون القدماء وكذلك الاغريق والبوذيون والهنود . كانت المراة كأنها متاع يحكم عليها بالموت لامور بسيطة .

ولما اتت الثورة الفرنسية لم يسمح لها كذلك بمزاولة التعليم في فرنسا اذ كان تعليمها يقتصر على تعليم الرقص والغناء . وفي ظل الثورة الصناعية

نهضت المراة لتدرك بعضا من حقوقها الاجتماعية . وظلت المراة الامريكية حتى اواخر القرن التاسع عشر دون الرجل في التعليم اذ كانت القوانين تعتبرها انها غير أهل لان تؤدي لها الحقوق الاجتماعية . انطلقت الثورات والصيحات في العالم تطالب بحقوق المراة ومنها الثورة الشيوعية التي اعتبرت المراة جزءا من حركة الجماهير ، واعترفت لها بحقوقها الاجتماعية . لقد عجز المجتمع عن ادراك وفهم المراة ، ولقد انتابها تيارات فكرية واجتماعية الى ان حصلت على بعض الحقوق لها ، وتتفاوت درجات تحصيلها من بلد لآخر . ان نظام الزواج والطلاق والعلاقات الاجتماعية تفرض على المراة نظاما خاصا في التعليم ، فهي اما ان تبيحه واما ان تمنعه أو تقيده ، ولا مجال لذكر التفاصيل في هذا المكان.

الاسباب النفسية : تشعر المراة بضعف في نفسها ، فهي لاتستطيع ان تطالب بحقوقها ، وقد ظهر عدد قليل من النسوة طالبن بحقوقهن ، ولكن هذا العدد يبقى قليلا . المراة تطالب ولكنها لاتلح في طلبها وسرعان مايرتطم طلبها بموجات من الاستنكار فتقف عاجزة دون ان تستمر في مطالبتها ، كما ظهر كثير من الفلاسفة والكتاب وقفوا أمام تطور المراة وكانوا يعيبون على المراة العلم والتعلم ، فما هي « اليزابيت بلاكول » الامريكية التي عانت في انتسابها لكلية الطب سيلا متتابعا من الاستهزاءات والسخرية من المجتمع وحتى عمداء الكليات الذين كانت تلتقي بهم ، وتطلب اليهم الانضمام الى الكلية . . ان هذا الاستهزاء وأمثاله يؤثر على نفسية المراة فيجعلها عاجزة عن ادراك الرجل في التعليم . ان شعور الرجل بتفوقه وان حق التعليم له دون غيره قضية نفسية يشعر بها الرجل ، وهذا الشعور يؤثر على نفسية المراة ، بل ويؤثر على مجرى حياتها وسلوكها العلمي والثقافي . كما ان كثيرا من النسوة يرضين بما قسم لهن ، ولذلك تراهن قانعات قابعات تؤدي عملها في بيتها وفي حقلها ومصنعها وفي اي مهنة ، فلا تطالب بحقوقها التعليمية خلافا للمبدا القائل : طالب تأخذ . ان الذلة والمهانة التي اصابت المراة في العهود القديمة ، والازدراء والسخرية . . كل هذه الامور جعلت المراة بحالة نفسية مؤلمة فهي تكتب وتتالم ، وهي تخاف دائما ان يبطء بها ، وهي التي ولدت وعذبت في الماضي ، وهي التي كانت تباع وتشرى كما تباع اية بضاعة ، وهي ملهاة الرجل يعبث بها كيف يشاء ومتى

يشـاء ، ولذا فان اقبـال المـراة علـى التعليم كان يتردد تارة ، وبحـذر أخرى ، وبمسايرة التطور ثالثة . ومن الاسباب النفسية أيضـا : غـيرة الرجل على المراة،فهو يفرض عليها القيود في خروجها وفي لباسها وفي دهابها وغدوها فهو لايسمح لها بمزاولة التعليم الثانوي او العالي ، ويحرم عليها الاختلاط في الجامعات ، ولذلك ترى أن عدد النساء في الجامعات في بعض البلدان قليل جدا للقيود المفروضة عليها . وهناك اسباب عديدة نفسية تقف أمام تعليم المراة وثقافتها . .

الاسباب الفيزيولوجية : ان تركيب المراة الطبيعي وبما خلقت له (حيض، نفاس،ولادة) تجعل المراة تحس ان ليس بقدرتها ممارسـة الاعمـال بقـوة ونشـاط . ولهذا فانها كثيرا ماتتأخر عن نشاطها التعليمي أثناء حدوث مثل هذه الامور ، فلا تستطيع متابعة علمها ، او الاستمرار بنفس القوة والنشاط الذي كانت عليه قبل حدوث الولادة او الحيض . . ولذلك فانها ستنقطع قليلا او كثيرا عن تحصيلها العلمي وعن دروسها .

ان الاسباب كثيرة . لقد تخلفت المراة علميا وثقافيا للاسباب الواردة ، غير أن هناك أسبابا اخرى مثل : اغلاق المدارس اثناء الحرب وانقطاع الفتاة عن المدرسة وعن الدراسة ، واسمع ماتقوله فتاة سوفييتية : « كنت فتاة صغيرة لم اتجاوز السادسة عشرة عندما بدات الحرب ، تركت المدرسة مثل الكثيرات من زميلاتي ، وعملنا في المصانع والمعامل بدلا من الرجال الذين غادروا المدينة الى الجبهة . » حقا ان الحروب ، وبخاصة الحروب المستمرة تجعل من المراة . اهلة غير قادرة على متابعة التعليم بسبب مطالب الحرب الملحة ، وبسبب انشغال الرجال في امور الحرب ، وبهذه الحالة تحل المراة محل الرجل في كل الاعمال الادارية ، ولا سيما في اعمال مؤخرة البلاد .

وللقضاء على هذا التخلف ، او التخفيف منه لابد من اتباع اهم الاساليب التـاليـة :

١ ــ القضاء او التخفيف من الاسباب السياسية أو الاقتصادية او النفسية أو الفيزيولوجية التي تعيق المراة ، أو تقف امام تعليمها . . وهذا لايتاتى

الا بالنضال والارادة القوية ، والداب في تحصيل العلم ، والصبر في جميع المكاره . وان يكون التعليم للمراة مجانا بما في ذلك الكتب والادوات التعليمية اللازمة ، وان يحسن دخلها ، واوضاعها الاقتصادية ، وان تفتح مجالات العمل المختلفة امامها ، وان يزداد الوعي ، وتنبذ الافكار القديمة التي تحارب تعليم المراة ، وان تكون هناك حوافز مادية ومعنوية لتعليمها . .

٢ ــ اعتماد نظام تعليمي يكفل للمراة حقها التعليمي ، ومساواتها بالرجل في جميع مراحل التعليم ، وحث المراة على العلم والتعلم في حدود مايكفله هذا النظام . فاذا لم يكن نظام فلا تعليم ، لان المراة تظل تكدح من غير هدى مبين ولا طريق محددة المعالم ، ففي حال عدم وجود النظام قد تتقدم المراة شوطا لتتاخر اشواطا ، وتهتدي الى طريق لتضل طريقهـا الصحيح . ان النظام ضروري لحياة المراة وسعادتها .

٣ ــ قيام المصلحين في العالم للحث على تعليم المراة تعليما يكفل لها حقوقها وشخصيتها ووجودها . وقد مثل هذا الدور كثير من الفلاسفة والعلماء، والكتاب والشعراء .

٤ ــ الزامية التعليم وجعله الزاميا ومجانيا في جميع مراحل الدراسة . فالمراة في حقل التعليم يجب ان تأخذ دورها الكامل .

٥ ــ فتح المدارس المختلفة (ابتدائية ، اعدادية ، ثانوية ، جامعات للمراة ، والاعتناء بهذه المدارس ، وتوفير الاساتذة والمدرسين والمعلمين من ذكور واناث ، وانشاء الامكنة المناسبة للمجالات العلميـة في حقل التعليم ، واعداد الآلات والاعتدة اللازمة لها .

٦ ــ منح الجهاز التدريسي ، والمتعلمين التشجيع والحوافز المادية والمعنوية كدافع لهم للاستمرار في حياتهم العلمية .

٧ ــ انشاء مؤسسات او اتحادات تطالب بحقوق المراة التعليمية ، وتكون عونا لها على بلوغ اهدافها كالاتحادات النسائية في العالم ، والجمعيات الخيرية،

والتعاونية ، والصحية ، والفنية ، والفكرية ، والسياسية ، وجمعيات رعاية الطفل والاسرة ، والمؤتمرات النسائية . .

٨ ـ القضاء على الامية ، وترسبات الماضي ، وذلك بفتح مراكز تعليم الاميين، ومما هو جدير بالاهتمام ان بعض البلاد قد فتحت معاهد الثقافة الشعبية للنساء ، وهذه المعاهد اعدت لتعليم اللغات والخياطة والتجارة والمحاسبة والآلة الكاتبة واشغال الصوف وتدبير المنزل والتمريض واصلاح الاجهزة الكهربائية وغيرها . وقد اقبلت النسوة على هذه المعاهد اقبالا شديدا مما يشجع القائمين عليها من زيادة هذه المعاهد ، وهذه المراكز الثقافية .

٩ ـ العناية بالناحية الاقتصادية ، وزيادة الدخل القومي . فالتعليم يزيد في الدخل القومي بفضل الابحاث العلمية ، وبفضل اكتشاف المواهب الجديدة التي يمكن ان تردف الاقتصاد . فالتربية عامل اساسي من عوامل النمو ، وراس المال البشري هو اهم المقومات في التطور والتقدم والتنمية الاقتصادية . واذا تفحصنا ميزانية من الميزانيات نجد ان الدخل القومي يتزايد بتزايد الانفاق على التعليم . ففي عام ١٩٦٧ خصص من الميزانية في القطر العربي السوري لصالح التعليم ٢٧٣ر٧ مليون ليرة سورية وكانت النسبة ٧٪ ، والدخل القومي بلغ ٣٧٦٦ر٣٦ مليون ليرة سورية ، اما في عام ١٩٦٨ فقد خصص ٣١٣ مليون ليرة سورية وكانت النسبة ٨٪ والدخل القومي ٤٥١ر٩ مليون ليرة سورية .

لعل اهم الاسباب في تخلف المراة العلمي والثقافي هو الاستعمار ذلك لانه يقف امام التقدم العلمي ، فينزل بدباباته الى الشوارع ، ويرمي بنيرانه معاقل الثوار ، فتعطل المدارس ، ويغلق الطلاب دروسهم ، وبنفس الوقت يخشون الذهاب الى المدرسة لئلا تبطش بهم يد المستعمر التي تتربص بهم وتحيلهم الى السجون والمعتقلات . واذا اراد المستعمر ان يعلم الطلاب فانه يوجههم الى التعليم الموجه فيدرسهم حسب برامج تعليمية استعمارية اذ يحاول أن يمحي من اذهانهم لغتهم وقوميتهم ، ويفرض عليهم التعليم الذي

يذهب بالاطفال الى ان يكونوا بعيدين عن التعليم الصحيح . كثيرا ماكانت تقع الصدامات بين السوريين والفرنسيين ، وبين المصريين والانكليز ، وبين العراقيين والانكليز ، وبصورة عامة بين المستعمرين والمستعمَرين تؤدي هذه الاشتباكات الى غلق ابواب المدارس والخلاصة ان الاستعمار يلجأ الى :

١ ـ اتباع الاساليب والمناهج التي تكفل للمستعمر ان يثبت قدمه ، ويستولي فكريا على ابناء الوطن .

٢ ـ القضاء على اللغة كعامل مهم في التربية القومية ، وتثبيت لغته وتعميمها وفرضها على الطلاب بصورة اجبارية .

٣ ـ اغلاق المدارس نتيجة النشاطات والصدامات ضد المستعمر ، وهذا مما يسهل على العدو المستعمر أن يفرض الجهل على الجيل الصاعد ، وتوقف المدارس ، وتعلق الدروس ، ويتأخر التلاميذ عن تلقي علومهم حسب البرامج المقررة .

٤ ـ من نتيجة فرض المستعمر القيود على الاقتصاد فانه ينشأ الفقر لدى المواطنين مما يعيقهم من متابعة تحصيلهم ، ولا سيما التحصيل الثانوي والجامعي .

٥ ـ ان اعمال المستعمر تساعد الجاهلين من ابناء الوطن على التهاون بتعليم البنت ، فلا يرسلون بناتهم الى المدارس ، وهذه الظاهرة توجد في الريف اذ يفرض على البنت أن تتزوج مبكرا ، وأن تعيل والدتها في التدبير المنزلي ، وفي اعمال الحقل والزراعة .

٦ ـ اقلال المستعمر من افتتاح واشادة المدارس ولا سيما في الريف رغبة منه في بقاء هؤلاء المواطنين جهلاء غير متعلمين .

٧ ـ يسعى المستعمر جاهدا كذلك الى الاقلال من المعلمين .

٨ ـ كذلك يسعى المستعمر الى الاقلال من التعليم الفني لكي لاتنهض البلاد صناعيا ، ويقتصر دور المراة في هذه الحالة على تعليم الخياطة والتطريز والسجاد والاعمال البيتية الاخرى .

٩ ـ تقل نسبة التعليم للاناث نتيجة التعسفات العلمية المفروضة حتى تبلغ ذروتها في التعليم الجامعي اذ كان لايوجد في عام ١٩٤٥/١٩٤٤ سوى احدى عشرة طالبة موزعات على الطب والحقوق فقط .

من أهم عوامل نجاح المرأة في التعليم هو مايلي :

١ ـ فتح دور العلم امام المرأة ، وتخصيص العلماء والمعلمين والخبراء للتدريس في هذه الدور .

٢ ـ القضاء على المستعمر ، وعلى مخلفات الاستعمار وذلك بطرده من البلاد باية وسيلة كانت ، والنضال من اجل التحرير .

٣ ـ السماح للمرأة في ان تتلقى العلوم المختلفة ، وتسهيل كافة السبل للوصول الى هذه الغاية .

٤ ـ إرسال البعثات العلمية الى الخارج بصورة متواصلة ، واجراء اللقاءات العلمية العديدة بين نساء العالم لينقلن عند عودتهن العلوم الجديدة ، ويتعرفن على مواطن القوة والضعف ، ويذرن الرذائل فلا يحملنها عند العودة ، والسفسطات فلا ينقلها ، والمظاهر البراقة فلا يتبعنها ، والآراء البالية فلا يفكرن بها .

٥ ـ إشراكها في جميع النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى والعسكرية ، وذلك بما يتلاءم وطبيعتها واختصاصها وقدرتها . ولا شك ان المرأة قد برزت في النواحي الاجتماعية والادارية ، فقد بذت الرجال في التدريس والطب والمهن الادارية بصورة عامة .

٦ ـ ان تعمل المرأة مكافحة مناضلة من اجل الوصول الى حقها الفطري .

٧ ـ العمل على محو الامية والسعي الحثيث من جانب المرأة لان تقبل على العلم ، ومساهمة الدولة والمنظمات في القضاء على الامية .

٨ ـ محاربة الفقر والجهل اللذين خلقهما الاستعمار واوجدهما .

٩ ـ يجب أن يرافق تعليم المراة غرس مبادىء الفضيلة . « اذا اردتم إصلاح الهيئة الاجتماعية فاصلحوا النساء ، ولهذا الاصلاح ينصلح الجنس البشري لأنهن مربيات ومدربات . » .

١٠ـ التلاقي الفكري والعلمي بين النساء العربيات فيما بينهن ، وبين النساء العربيات ونساء العالم ، فما كان منه نتيجة هذا التلاقي تقدما حملته المرأة ، وما كان منه رذيلة وانحطاطا نبذته ، فهي بذلك كالمعمل الذي يطرح النفايات والفضلات الى جهة ، ويجمع المواد النافعة والصالحة الى جهة اخرى . فالتمحيص قبل الاخذ ، والتجربة قبل البدء بالعمل .

١١ـ للمراة انصار واخصام فيجب عليها ان تقوي أنصارها في انحاء العالم بان تقدم شيئا ملموسا للرقي والتطور ، وان تدعو خصومها بالحكمة والعلم والبرهان والحجة القوية دون أن تمس كرامة الرجال ، او ان تهين بني جنسها من النساء . فالرجل يقف احتراما للمراة عندما يراها قد حملت لواء العلم والمعرفة ، وطرحت عن كاهلها لباس الجهل والغرور .

١٢ـ مساواة المراة مع الرجل في التعليم .

١٣ـ تعديل ، أو سن القوانين الجديدة بما يكفل للمراة تعليمها وتطويرها ورفع مستواها الفكري .

المراة تسلك سبيل البحث العلمي :

استطاعت المراة بعلمها وبثقافتها واطلاعها على العلوم والآداب المختلفة ان تعبر المجالات العلميــة المتعددة . فتلك (مدام كوري ١٨٦٧ ـ ١٩٣٤) إنها « مانياسكلودفسكي » التي ورثت عن ابيها حب البحث والاطلاع ، فلقد كان ابوها مدرسا لمادة الفيزياء . ثم لما تزوجت بالعالم « بياركوري » ظلت تتابع ابحاثها عن مادة اليورانيوم واشعة إكس بالاشتراك مع زوجها الذي كان آنذاك

---

(١) مجلد السيدات التي صدر في مصر عام ١٩٠٣ .

رئيسا لمختبر البحوث الفيزيائية . توصلت في ابحاثها الى ما توصلت اليه من اكتشاف البولونيوم والراديوم ، ثم بعد مدة حصلت على أملاح الراديوم . منحت مع زوجها عام ١٩٠٣ جائزة نوبل في الفيزياء ، ثم حصلت هي على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩١١ . رزئت بوفاة زوجها ، ثم اتمت ما كان قد بداه من ابحاث . ولما ازفت الحرب ، وزحفت الجيوش الالمانية باتجاه باريس حملت في حقيبتها ما انتجته في مختبراتها ، واتجهت به الى بورد ، واودعته البنوك، ثم اسست مؤسسة الراديوم ، وحاضرت في اغلب جامعات العالم ، وطار صيتها، وذاع خبرها في كل انحاء العالم ، وجمعت محاضرات زوجها . وماتت وربما كان موتها من تاثير الاشعاعات الراديومية .

المراة تنقد الادباء والشعراء من الرجال :

تلك الخنساء التي نقدت شعر حسان بن ثابت في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى   وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

قيل لجرير : من اشعر الناس قال : انا لولا الخنساء . قيل : بم فضلتك قال : بقولها :

إن الزمان وما يفني لـه عجب   ابقى لنا ذنبا واستؤصل الراس

إن الجديدين في طول اختلافهما   لايفسدان ولكن يفسد الناس

يقول بشار : لم تقل امراة شعرا الا ظهر الضعف فيه . فقيل له ! اوكذلك الخنساء . فقال : تلك غلبت الفحول . وقال ابو العباس المبرد : كانت الخنساء وليلى بالنتين في اشعارهما متقدمتين لاكثر الفحول . ويقول الحصري : ان الخنساء اشعر نساء العرب عند كثير من الرواة .

وقيل للخنساء : صفي اخويك صخرا ومعاوية . قالت : كان صخر والله جنة الزمان الاعز ، وكان معاوية العائل الفاعل . قيل لها : فايهما أسنى وافخر ؟

قالت : اما صخر فحر الشتاء ، واما معاوية فبرد الهواء . قيل لها : فايهما اوجع وافجع ؟ قالت : اما معاوية فسقام الجسد ، واما صخر فجمر الكبد .

وتلك سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب التي كان يحتكم اليها الشعراء والادباء ، فهي التي كانت تنقد الشعر وتبين سقطه ، وتبين الشعر القوي والشعر الضعيف . ومن الشعراء الذين نقدتهم : جرير وكثير ونصيب وجميل والاحوص . فمن نقدها لجرير قوله :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   حين الزيارة فارجعي بسلام

قالت : وأي ساعة احلى للزيارة من الطروق . قبح الله صاحبك وقبح شعره . ومن نقدها لنصيب قوله :

اهيم بدعد ما حييت فإن امت   فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

كانه يتمنى لها من يتعشقها بعده . قبح الله صاحبك وقبح شعره الا قال :

من عاشقين تراسلا وتواعدا   ليلا اذا نجم الثريا حلقا
باتا بانعم ليلة والذها   حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قال : نعم . قالت : قبحه الله وقبح شعره الا قال : تعانقا . وهكذا نرى العديدات من بنات حواء قد ضربن سهما كبيرا في النقد ، وكانت حكما فاصلا في ذلك .

المراة تنبغ في الادب :

تلك (مي زيادة ١٨٨٦ ــ ١٩٤١) التي تعتبر من رواد الادب في هذا العصر بل من الطلائع . تعلمت العربية والانكليزية والفرنسية والالمانية . ولدت في مدينة الناصرة بفلسطين ، وماتت في مصر ، وقد كانت حياتها حافلة بالانتاج والعمل ، كان اول إنتاجها مقالات جريدة التقدم التي صدرت بالفرنسية ، وديوانها الشعري « أزاهير حلم » . ثم بدات ترتقى معارج الادب فالفت عدة كتب اشهرها : « موانح فتاة » و « كلمات واشارات » و « ظلمات واشعة » و « المساواة » و « المد والجزر » . كما ترجمت عدة كتب اشهرها : « رجوع الموجه » و « الحب في العذاب » .

بذت مي اقرانها من الرجال والنساء . وكانت تعقد الندوات الادبية وتقودها ، وممن حضروا هذه الندوات شخصيات مهمة في الادب والفكر منهم : احمد لطفي السيد ، والدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، وخليل مطران ، ومصطفى صادق الرافعي ، وجبران خليل جبران .

وتلك (مريانا مراش ١٨٤٩ ـ ١٩١٩) التي يقول عنها الاستاذ سامي الكيالي : « كانت مريانا لزمنها من الشاعرات المشهورات فهي اول اديبة سورية كتبت في الصحف ، ولا سيما بعد زيارتها لديار الغرب ، وظهور امرأة تكتب في الصحف ، وتنظم الشعر في تلك الفترة المظلمة حادث له دلالته ، وتاريخنا القريب يقول : ان الذين يقراون ويكتبون من الرجال في تلك الفترة بالذات هم من الندرة بمكان لذلك فان ظهورها في خضم تلك الليالي المربدة المظلمة اشبه بالنجمة المضيئة في كبد السماء . واهم مؤلفاتها ديوان شعرها (بنت فكر) .

وتلك (سوزان براونل انتوني) الاميركية التي عاشت في القرن التاسععشر والتي برزت كمربية ومعلمة للجيل ، ومطالبة بحقوق المراة فكان يقال عنها : « لقد اوتيت هذه المراة عقل رجل واعصاب بطل » . وقال عنها احد مدراء المدارس : « ان هـذه المعلمة هي اذكى من اي رجل جاء الى كاناجوهاري » ففي عام ١٨٥٠ كان عدد المعلمات في الولايات المتحدة الامريكية قليلا جدا ، ثم اصبح في مطلع القرن العشرين بشكل ٢/٣ من عدد المعلمين .

وتلك (بيرل باك ١٨٩٢ ـ ١٩٧٣) الاميركية الاصل والتي عاشت في الصين مع والدها الذي كان يعمل مبشرا دينيا . تعلمت اللغة الصينية واللغةالانكليزية، وعاشت حضارتين متناقضتين ، وترددت بين الولايات المتحدة الامريكية والصين الى ان استقرت في الصين وكانت تقول : « عشت طفولة وحيدة في الصين ، نشأت في بلدة « تشين كيانغ » في منزل تحيط به الجبالالمنخفضة والوديان المزروعة . . وعند سفح الهضبة كان هناك معبد كبير يعيش فيه كاهن عجوز كان يلاحقني بعصاه ، فاشعر بخوف والفه بآن واحد ، لقد علمني هذا الكاهن اللغة الصينية ، وعلمتني امي اللغة الانكليزية ، وعلى مر الايام اصبحت

مشتتة بين حضارتين متناقضتين ... لقد تعلمت في هذه البلدة الصغيرة حب الطبيعة وتذوق جمالها ، كما تعلمت قساوة الحياة ومرارتها » . كان اول انتاجها الادبي كتاب « ريح الشرق وريح الغرب » ثم تتابعت مؤلفاتها فاصدرت كتاب « الطفلة التي لن تكبر » ، ورواية « الارض الطيبة » ، وكتاب « المغامرةالكبرى» و « خبز الرجال » و « التنين العجيب » و « وانغ لونغ » و « العائلة المشتتة » ورواية « الام» ، وكتاب « العامالجديد » و « من هنا وهناك » و «صلة الدم» و « جناح النساء » و « الزهرة المختبئة » وغير ذلك من الروايات والكتب العديدة . نالت تقديراتادبية كثيرة من جوائز وميداليات ، ثم نالت جائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٨ . ومن قولها في كتاب « الارض الطيبة » : « نظر وانغ لانغ الى الرجال الثلاثة الذين جاؤوا لشراء ارضه ، كان هؤلاء على ثقة من قهره وغضبه ، وهل يضن المرء على اولاده الجائعين وعلى ابيه العجوز الجائع بشيء مهما كان غاليا ؟ وشعر فجأة ان ضعف الاستسلام يتحول في حنايا صدره الى غضب عارم لم يشعر بمثله من قبل .. ووثب على الرجال الثلاثة كما يثب كلب على عدوه وصاح في وجههم أنا لن ابيع الارض ابدا سوف احفر الحقول شبرا شبرا ، واطعم ترابها لاولادي حتى اذا ماتوا واريتهم ثراها ، وسوف اموت انا وزوجتي وابي العجوز على الارض التي وهبتنا الحياة .

لا جرم انها هي المراة التي بذت الكثير من اقرانها ولداتها ، وتفوقت على غيرها من الرجال . وقد قال عنها (لويس جيليه) عضو الاكاديمية الفرنسية : (في طليعة الاعمال التي كتبتها (بيرك باك) رواية الام لانها تمتاز بالاصالة والبساطة ، وتعتبر هذه المراة في طليعة الكتاب العالميين في الوقت الحاضر) ، فالتزمت المصير الانساني في جميع كتاباتها ، وتناولت الانسان والطبيعة فيأسلوب هادىء وواقعي .

المراة تتبوا المكانة المرموقة في الادب والشعر

تلك (غبريلا ميسترال ١٨٨٩ ـ ١٩٥٧) الشاعرة الانسانية التي نبغت وتألق نجمها في سماء الشعر الصافي المتدفق حنانا واخلاصا ووفاءا وانسانية وتحسرا وتوجعات وآهات . حازت على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٥ وبلغت

اقرانها في ذلك . تدرجت من التعليم الابتدائي الى الثانوي والى الجامعة ولما يتجاوز عمرها الثالثة والعشرين . وقد نشرت عدة مقالات نثرية اهمها : (صلاة المعلمة) التي تحتوي الرزانة والهدوء والانسانية المتدفقة . في عام ١٩١٤ نالت الجائزة الاولى في مسابقة الشعر ، وكان اهم دواوينها (حول حسرة) و(تالا) و (لاجار) . لقد وصف الادباء ادب غبريلا فقال احدهم : (زعم احد الاسبانيين قديما بأن الشيلي لا تنجب كبار الشعراء في حين انها تجود بالافذاذ من رجال التاريخ والقانون ، وكاد زعمه ان يصبح حقيقة لولا ظهور الشاعرة ميسترال وتدفق عبقريتها كما تتدفق الانهار من بطون الجبال ، وتجرف في طريقها السواقي ، وتشق دربها بين الامواج) .

ومن النساء العربيات اللاتي برزن في الادب ، وتبوان المكانة المرموقة فيه عائشة بنت الصديق التي برعت في كل لون من الوان الادب ، كانت تعقد الحلقات وتذاكر القوم ، وكانت تعرفه من اخبار العالم ما لم يكن يعرفهالرجال فاسمع هذه القصة يرويها المستشار احمد خيرت في كتابه(1) قائلا : « لما وفد المسلمون الى الحبشة مهاجرين اوطنهم النجاشي موطنا كريما فاوفدت اليه قريش عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص باعز مالديهم من طرائف وقلاد ، وفي انفسهم ان يبرا من ذمة اللاجئين اليه ، ويعيدهم على اعقابهم ، فرد عليهم النجاشي هداياهم وقال : لا حاجة لي بها،ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه ، وما اطاع الناس في فاطيعهم فيه . فحفظ الناس ذلك القول من ملك الحبشة ولم يعرفوا معناه حتى كانت عائشة هي التيحدثتهم خبره مما تعلم من تاريخ الحبشة فقالت : ان ابا النجاشي كان ملك قومه ولم يكن له ولد سواه ، وكان للنجاشي عم له اثنا عشر رجلا كلهم من صلبه فقالت الحبشة : لو انا قتلنا الملك ولينا اخاه لامنا على الملك ان يضيع وعلى الملك ان ينقطع عقبه ، فقاموا على ملكهم فقتلوه وملكوا اخاه فمكثوا على ذلك حينا . وكان ولد القتيل فتى حازما لبيبا اديبا فغلب عمه على الملك،واوجس القوم ان يبث على الملك فيأخذهم بابيه فحملوا الملك على بيعه الى تاجر بستمايةدرهم

(1) كتاب مركز المراة في الاسلام ص ١٠٨ .

فقذفه التاجر في سفينة،وانطلق به حتى اذا كان العشي من ذلك اليوم هاجت سحابة من سحب الخريف فخرج الملك يستمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته، ففزعت الحبشة الى ولده، فاذا هو لا خير فيه، ثم علموا ان لا مفزع لهم الا ابن ملكهم القتيل فخرجوا يطلبونه، فجاؤوا به من صاحبه، فعقدوا عليه التاج، وعز على التاجر ان يضيع ماله وتذهب صفقته فاقتضى القوم حقه، فحمدوه اياه، فشكا امره الى الملك فقال: لتعطينه ماله او ليضعن علامة في يده فليذهبن به حيث شاء، فقالوا بل نعطيه ماله . قالت السيدة عائشة فلذلك يقول: ما اخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما اطاع الناس في فأطيع الناس فيه .

وتلك اروى بنت الحارث بن عبد المطلب التي برعت في الادب والشعر وهي التي قال عنها معاوية: « والله لو كلمها من في مجلسي جميعا لاجابت كل واحد بغير ما تجيب به الآخر، وان نساء بني هاشم لافصح من رجال غيرهم ». واشتهرت النساء العربيات في النثر والشعر وكانت منهن اروى بنت الحباب، واسماء بنت ابي بكر التي برعت في النثر والشعر فقالت في زوجها الزبير لما قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعة الجمل :-

غدا ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم الهياج وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

وقالت لما قتل ابنها عبد الله بن الزبير .

ليس لله محرم بعد قوم ... قتلوا بين زمزم والمقام
قتلتهم جفاة عك ولخم ... وصداء وحمير وجذام

وتلك اسماء أخت كليب وهي شاعرة من شواعر الجاهلية، ولها شعر ترثي به اخاها .

يا كليب كنت جاهي وقد ... جار جساس بقتل البطل
فاتاه وهو عنه غافل ... وحباه طعنة في المقتل
اسعدوني اخوتي ثم اندبوا ... اسدا كان فخار المحفل
اسعدوني لا تلوموا في البكا ... ان في الاحشاء نارا تصطلي

ومن فواضل النساء اسماء بنت موسى الضجاعي يمانية من زبيد كانت تقرأ التفسير وكتب الحديث وتسمع النساء وتفظهن ، وتؤدبهن ، وتوفيت في زبيد سنة ٩٠٤ هـ . وكانت اسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية فصيحة بليغة حتى لقبوها بخطيبة النساء ، وكانت تحفظ الكثير من الكتب منها : كتابي النوادر لابي علي القالي والكامل للمبرد ، وتوفيت سنة ٤٥٠ هـ . وكذلك كانت أم أفعى العبدية من ربات الفصاحة والبلاغة . ومن شواعر النساء التي اشتهرت في الرثاء امامة بنت ذي الاصبع ومن شعرها :

كم من فتى كانت له ميعة	ابلج مثل القمر الزاهر
كانوا ملوكا سادة في الورى	دهرا لها الفخر على الفاخر

وامامة بنت كليب ومن شعرها تخاطب عمها عندما قتل ابوها .

اتلهو بالملاهي والخمور	ولا تدري بعاقبة الامور
فواعجبا لجساس وعمر	لقد جسرا على امر نكير

ومن المغنيات امان من مغنيات العصر العباسي ، وانس القلوب . ومن شواعر العرب ايضا اميمة بنت عبد شمر ، واميمة بنت عبد المطلب وامينة بنت محمد نجيب التي ولدت في القاهرة سنة ١٨٨٧ وجادت في الادب ، ورثت ولديها وتالمت بفراقهما فقالت : —

رحماك ما انصفت يا ايامي	اسرفت في لوم وفي ايلام
قمران غالهما الفناء ومهجة	تفنى مجزاة على الاعوام

وقد قالت الشعر الغنائي والشعر الوجداني الوضعي والشعر الديني .
ومن النساء اللاتي تكلمن بأسلوب ادبي عن المرأة ، وكتبت الكثير في مواضيع مختلفة هي انيسة بنت سعيد شرتوني (١٨٨٣ — ١٩٠٦) وقد قالت : « وان الذي يجدر بالمرأة ان تباري الرجل فيه انما هو الاعمال التي يصلح لها كيانه وكيانها من نحو الكتابة والشعر والتصوير والنفاسة مما لا يدفع العامل للاعمال الشاقة . ومن الحق أن من بنات جنسي من بارين الرجل في الكتابة والشعر كالخنساء وابنتها عمره ، وجليلة بنت مرة زوجة كليب واخت جساس قائلة

وعمره بنت دريد وعمره الخثعمية والفارعة بنت شداد والفارعة بنت طريف وفاطمة الخزاعية ومحبوبة ومفضلة الفزارية وميه بنت ضرار وميه بنت عتبة واسماء بنت ابي بكر الصديق الى كثيرات غيرهن ممن حفظت اسماؤهن وبما بقي لهن من الشعر .

ومن الشواعر بثينه بنت حبا العذرية ، ومن شعرهـا : ـ

وان سلوى عن جميـل لساعة	من الدهر ما حانت ولاحان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمـر	اذا مت باساء الحياة ولينهـا

ثم اخذت بثينة على نفسها الا تتجمل بعد وفاة جميل ولحقت به بعد مدة قصيرة . وكذلك بثينة بنت المعتمد بن عباد وهي شاعرة من شواعر الاندلس . ولما وقعت في الاسر واشتراها احد التجار ارسلت الى ابيها تستشيره في عقد النكاح فقالت : ـ

اسمع كلامـي واستمع لمقالتي	فهي السلوك بدت من الاجيـاد
ومضى اليك اليوم رايك في الرضا	ولانت تنظر في طريق رشادي

وابنة بجير القشيري التي اجادت في شعر الرثاء . وام البراء بنت صفوان ابن هلال التي دخلت على معاوية بن ابي سفيان . ومن شعرها :

اسرج جوادك مسرعا ومشمرا	للحرب غيـر معرد لفـرار
اجب الامام ودب تحت لوائـه	وافـر العدو بصـارم بتـار

وبرة بنت عبد المطلب الهاشمية ، وبرة العدوية ، وام بسطام بن قيس ، والبسوس بنت منقذ التميمية التي حرضت بشعرها جساس حتى قتل كليبا ، وبكاره الهلالية ، وبنان جارية المتوكل التي اشتهرت بالكتابة والشعر ، وابنة بهدل بن قرفه وقد اشتهرت في الرثاء في زمن بني اميه واحسنت في رثاء ولدها، وام تابط شرا وقد اشتهرت بالرثاء وخير ما قالته في رثاء ابنها ، وام التحف ، وتقيه بنت غيث بنت علي الارمنازي الصوري التي اشتهرت بالشعر وجادت في وصف الخمر والحرب وتوفيت بالاسكندرية سنة ٥٧٩ هـ ، وتماضر بنت الشريد التي اشتهرت في شعر الرثاء وقد قالت ترثي ابنها قيس بن زهير .

كأن العين خالطهـــا قذاهـــا　　لحزن واقع افنـــى كراهـــا
على ولد وزين النـــاس طـــرا　　اذا ما النار لم تر من صلاها

فمعي بعـده ابـداً هطـــول　　ولا برقا من عينـــي بكاهـــا

وتماضر بنت عمرو التي لا تخفى على احد ، وتماضر بنت مسعود بن عقبة التي قالت انشعر في زوجها ، وفي الحنين الى الوطن . ومن شعرها في الحنين :

لعمري لجم من جواء سويقـــة　　أو الرمل قد جرت عليه سيولها
احب الينا من جداول قريـــة　　تعوض من روض الفلاة فسيلها

وابنته تميم بن الاخثم ، وتميمه اهبان العبسية ، والجازية الهلالية التـي اشتهرت في الاشعار المنسجمة في شمال افريقيا ، وام جعفر بنت علي الهاشمية ، وجمعة بنت الحسن التي ناظرت الشعراء في سوق عكاظ ولها كلام طويل مـع القلمس الكناني . ومن شعرها :

رايت بني الدنيا كأحـلام نائم　　وكالفيء يدنو ظله ثـم يقلص
وكل مقيم في الحياة وعيشهـــا　　بلا شك يومانه سوف يشخص

اتاه حمام الموت يسعى بحتفه　　وقد كان مغرورا بدنيا تـربص

الارب مـرزوق بغيـــر تكلف　　وآخـر محروم يجد ويحرص

وجمل جارية ادريس بن ابي خفصة التي اشتهرت بالهجاء ، وجمل بنت جعفر ، وجمل الضبابيه من بني كلاب ، وام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان التي وقفت شعرها على معارضة الدعوة الاسلامية ، واشتهرت جميلة السلمية في العصر الاموي بالغناء ، وام جندب امراة امرىء القيس بن حجر التي كانت عالمة بالشعر وضروبه وكانت تنقد الشعراء وقد احتكم زوجها الشاعر مـع علقمة بن عبده فقالت : قولا شعرا تصفان فيه فرسكما على قافية واحدة ففعلا فقالت لزوجها امرىء القيس : علقمة اشعر منك . قال : وكيف ؟ قالـت : لانك قلت :

فللسوط الهوب وللســاق دره　　وللزجر منه وقع اخرج مهذب

الاخرج ذكر النعام والخرج بياض في سواد وبه سمي فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومريته فأتبعته بساقك . وقال علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه . فقال : ما هو اشعر مني ولكنك له عاشقة نطلقها وتزوجها علقمة . ولقد اشتهرت الشاعرة جنوب بنت عجلان الهزلية في الرثاء ، والجهضمية التي قالت :

الا هلك الحلو الحلال الحلاحل يمر كمر الرائح المتحطب

وجهيرة الثعلبية ، والجوزاء التي اشتهرت بالرثاء ، وحبيبة بنت الضحاك ابن سفيان السلمي التي كانت تحت العباس بن مرداس الذي أسلم ، ولما علمت باسلامه ، ارتحلت الى قومها وتركته فقالت :

الم ينه عباس بن مرداس انني رايت الورىمخصوصةبالفجائع

وحبيبة بنت عبد العزى العوراء وقد اتصفت بالكرم ، واخذ شعرها هذا اللون ، وجبيثة بنت حبيش العامرية التي اشتهرت بشعر التغزل وكان يهواها عبد الله بن علقمة الذي تبادل الشعر واياها ، وابنة ابي حثمة التي كانتمشهورة بالبلاغة والفصاحة . بكت عمر بن الخطاب فقالت : واعمراه اقام الاود وابرا العمد ، امات الفتن ، واحيا السنن ، خرج نقي الثوب بريئا من العيب . والحجناء بنت نصيب وهي من شواعر العصر العباسي . دخلت مع ابيها على المهدي وانشدته بعض الاشعار فأمر لها المهدي بعشرة آلاف . ومن شعرها .

رب عيشي ولذة ونعيم وبهاء بمشرق الميدان
بسط الله فيه ابهى بساط من نهار وزاهر الحوذان

وابنة حذاق الحنفي التي اشتهرت بالرثاء ، وحذام بنت الريان التي اشتهرت بضرب الامثال ، والحرة بنت احمد بن جعفر بن موسى الصليميةالتي اشتهرت بالاخبار والحوادث التاريخية،وحسانة التميمية الادبية والشاعرة الاندلسية ، ووقف الحكم على شعرها فاستحسنه وامر لها بمرتب ومن شعرها :

ابن الهشامين خيرالناس مأثرة وخيــر منتجع يومـا لـرواد
ان هز يوم الوغى اثناء صعدته روىانابيبهـامن صرف فرصاد

وام الحسن بنت ابي جعفر الطنجالي التي اشتهـرت بالادب والشعر ، وحفصة بنته الحاج الركونية وكانت شاعرة واديبة من شواعر واديبات غرناطة ومن شعرهـا :

يا ربة الحسن بل ياربة الكرم غضي جفونك عما خطه قلمـي
تصفعيه بلحظ الـود منعمـة لا تجفلي برديء الحظ والقلـم

وكتبت الى بعض اصحابها فقالت :

ازورك ام تزور فان قلبـــي الى ما تشتهي ابـدا يميـــل
فثغري مـــورد عـذب زلال وفــرع ذؤابتــي ظـل ظليـــل

وحفصة بنت حمدون وكانت شاعرة واديبة من شواعر واديبات الانـدلس واشتهرت بالغوص على المعاني والابداع في نظم الشعر ومن شعرها :

له خلق كالخمر بعد امتزاجهـا وحسن فما احلاهمن حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعوببشره عيونا ويعشيها بافراط هيبته

وحفصة بنت عمر بن الخطاب امير المؤمنين التي اشتهرت بالكتابة ،وكانت ذات فصاحة وبلاغة ، ومن خطبها بعد مقتل ابيها : فأخذها بحقها ، وقام فيهـا بقسطها ، لم يؤده ثقلها ، ولم يجهظه حفظها ، مشردا للكفر عن موطنه ونافـرا له عن وكره ، ومثيرا له من مجثمه حتى فتح الله عز وجل على يديه اقطـار البلاد ، ونصر الله بقدمه وملائكته تكنفه ، وهو بالله معتصم وعليه متوكل حتى تأكدت عرى الحق عليكم عقدا ، واضمحلت عرى الباطل عنكـم حلا . نوره في الدجنات ساطع وضوؤه في الظلمات لامع . . وام حكيم بنت عبد المطلب التـي اشتهرت بالرثاء . وام حكيم بنت قارظ بن خالد الكنانية التي اشتهرت بالرثاء ايضا فقد رثت ابنيها ومن شعرها :

يا من احسنَّ بابني اللذين هما ‏ كالدرتين تشظى منهما الصدف
يا من احسنَّ بابني اللذين هما ‏ سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهف

وام حكيم بنت يحيى الاموية . وحمدة بنت زياد بن عبدالله العوفي الشاعرة الاندلسية التي اشتهرت بالادب والغزل حتى لقبوها بخنساء المغرب ومن شعرها : ـ

اباح الدمع اسراري بوادي ‏ له في الحسن اسرار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض ‏ ومن روض يطوف بكل وادي

وحميدة بنت النعمان بن بشير التي اشتهرت في الهجاء ، وكانت تهجو ازواجها ، والشاعرة ام خالد الخثمية ، وام خالد النميرية التي اشتهرت بالرثاء وقد رثت ولدها الذي توفي في احد الفر ودفن بعيدا عن وطنه ، وخديجة بنت احمد كلثوم المعافري التي نبغت في الشعر والادب في اواسط القرن الرابع للهجرة وقد قال عنها ابن رشيق : شاعرة حاذقة مشهورة لها ترسل لا يقع مثله الا لحذاق المترسلين ، واحبت ابا مروان عبد الملك بن زيادة الله . ومن شعرها :

فرقوا بيننا متى اجتمعنا ‏ مزقونا بالزور والبهتان
ما ارى فعلهم بنا اليوم الا ‏ مثل فعل الشيطان بالانسان

وخديجة بنت يوسف بن غنيمة البغدادي التي اشتهرت بالكتابة والادب ورواية الاخبار وتوفيت سنة ٦٦٩ هـ ، وخرقاء العامرية وهي شاعرة من شواعر العرب كان يمر بها الحاج فتحادثهم وتتفرغ الى لقياهم ، وخرنق بنت هفان التي اشتهرت بالرثاء ، واكثر شعرها كان في رثاء اخيها طرفه الذي كان من اصحاب المعلقات المشهورة ، ونبغت في الشعر بعد حرب البسوس ومن شعرها :

الا ذهب الحلال في القفرات ‏ ومن يملأ الجفنات في المجرات
ومن يرجع الرمح الاصم تعوبه ‏ عليه دماء القوم كالشقرات

وخزانة بنت خالد بن جعفر بن قرط التي اشتهرت بالرثاء وحضرت فتوح العراق مع سعد بن ابي وقاص ، وام خليجة القيسية التي هويت عمروا ذا الكلب الهذلي ، ولما علموا به قتلوه ، وارسلوا اليها بثيابه فوقعت عليها وقالت :ـ

كل امرىءبطول العيش مكذوب وكل من غالب الايام مغلوب
وكل حي وان طالت سلامته يوما طريقهم للشر دعبوب

....

فلن تروا مثل عمرو ما مشت قدم وما استحنت الى اعطانها النيب

وخليدة المكية التي اشتهرت بالغناء ، والخنساء بنت ابي سلمى التي اشتهرت بالرثاء واكثر شعرها في اخيها زهير بن ابي سلمى ، والخنساء بنت عمرو بن الحارث الشريد التي اشتهرت في ضروب الشعر . وقال عدي بن حاتم: اما اشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر ، واما اسخى الناس فحاتم بن سعد (يعني اباه) ، واما افرس الناس فعمرو بن معد يكرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كما قلت يا عدي اما اشعر الناس فالخنساء بنت عمر ، واما اسخى الناس فمحمد (يعني نفسه صلى الله عليه وسلم) ، وما افرس الناس فعلي بن ابي طالب . وقيل لجرير من اشعر الناس قال : انا لولا الخنساء، وقد سبق ان قال فيها كتاب وشعراء مررنا على ذكرهم فيما سبق ومن شعرها :

ان الزمان وما يفني له عجب ابقى لنا ذنبا واستأصل الراس
ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ومن شعرها في الرثاء :

وقائلة والناس قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر
الا ثكلت ام الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وقالت :

اعيني جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندا،
الا تبكيان الجريء الجميل الا تبكيان الفتى السيدا

وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية وهي من الشاعرات المجيدات، واشتهرت بالرثاء . فرثت زوجها عبد الله بن ابي بكر الصديق وزوجها الثاني عمر بن الخطاب وزوجها الثالث الزبير بن العوام وزوجها الرابع الحسين بن علي ابن ابي طالب ، ثم تايمت ، وقد كان يقال عنها من اراد الشهادة فليتزوج بعاتكة. كل ازواجها استشهدوا واحدا بعد الآخر . ومن الشواعر عائشة عصمت بنت اسماعيل تيمور من القاهرة ـ توفيت عام ١٩٠٢ م ، وكانت شاعرة واديبة اكثرت من الرثاء في شعرها ، وأصدرت الدواوين الشعرية في اللغات العربية والتركية والفارسية ومن شعرها .

ان سال من عزب العيون بحور ... فالدهر بـاع والزمان عـذور
فلكل عين حق مدرار الدمـا ... ولكل قلب لوعـة وثبـور

وعفيفة بنت يوسف ميخائيل صالح كرم المولودة في لبنان عام ١٨٨٣ م التي اشتهرت بكتابة الروايات ومن رواياتها بديعـة وفؤاد وفاطمة البدوية وغادة عمشيت وملكة اليوم ونانسي ستاير ومحمد علي باشا . ومن كلماتها : السكون موت والحركة حياة وهو كذلك في الانسان والحيوان والنبات على السـواء .

ان قلب كل بلاد هو نساؤها كما أن راسها هو رجالها فاية حركة ناقصـة يقدر ان ياتيها الراي وهو انها يحيا بدم القلب . واذا نسينا فـلا ننسى ليلى الاخيلية التي اشتهرت في الشعر وقد اختلف في ايتها اشعر الخنسـاء أم ليلى فقال الاصمعي : ان ليلى اشعر من الخنساء . وقال ابو مسلم عبد الله بن مسلم كنت في مجلس ضم اشراف قريش فتذاكروا الخنساء وليلى الاخيلية ثم اجمعوا على ان ليلى الاخيلية . ويقولون فيها : هي اغزر بحرا واقوى لفظا واكثر تصرفا ومن شعرها :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه ... فتى من عقيل ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون باسرها ... عليه ولا ينفـك جم التصرف

وهند بنت الحسن التي اشتهرت بالخطابة والبلاغـة . قيل لها : اي الرجال احب اليك ؟ قالت : السهل النجيب السمع الحسيب الندب الاريب

السيد المهيب . قيل لها : فهل بقي من الرجال افضل من هـذا ؟ قالت : نعم الاهيف الهفهاف الانف العياف المفيد المتلاف الذي يخيف ولا يخاف .. واتاها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها فقال لها : اني اريد أن اسألك ؟ قالت هات. قال : كاد . فقالت المنتعل يكون راكبا . قال : كاد . قالت النعامة تكون طائرا. قال : كاد . قالت : السرار يكون سحرا . ولها باع طويل في سوق عكاظ .

ونستنتج مما تقدم أن المراة :

١ ـ ذهبت بعيدا في الشعر والادب ، ونبغت ، بل واعتلت عرش الشعر كالخنساء وليلى الاخيلية . وكذلك في البلاغة والفصاحة واحداث التاريخ والوقائع ، والغناء والكتابة ..

٢ ـ كان يجري الشعر على السنـة النساء العرب ، فتجد اغلبهن يقلن الشعر ويحلقن فيه ، كما كانت تتميز النسـاء العربيات بالفصـاحة والبلاغة وضروب الادب المختلفة .

٣ ـ لقد اجادت المرأة في الرثاء فبكت ونزل دمعها مدرارا علـى احبابها واقربائها . وكذلك اجادت في الغزل فخرج من روحها حبا وضاءا ، وخرج من قلبها آهات صادقة ، وتفجرت عواطفها فالهبت قلوب العاشقين .

المراة والصحافة :

ان الذي يعين على الصحافة هو اجادة المراة للغات الاجنبيـة ، وتثقيفها الثقافة الواسعة ، واطلاعها على الحياة العامة ، وكثرة الاتصـالات في الشرق والغرب ، وكثرة المعارف ، وكذلك فانه يجب على الصحفية ان تكون ذات ارادة قوية ، وايمان لاحد لها في عملها . فتلك فاطمة اليوسف التي عملت نصف قرن في الصحافـة ، واسست دار « روز اليوسف » واصدرت عنها مجلتي : روز اليوسف وصباح الخير . وكذلك صدر عن هذه الدار جريدة روز اليـوسف والكتاب الذهبي وكتاب روز اليوسف . كانت حياة فاطمـة مفعمة بالانتـاج الصحافي وتحمل ارادة قوية وايمانا قويا . رفعت لواء الصحافة وناضلت نضالا كبيرا من اجل رفع لواء الحرية . توفيت بالقاهرة عام ١٩٥٨ . ومن الصحفيات

أيضا نبيبة بنت ناصيف ماضي هاشم المولودة في لبنان ، وكانت تجيد الانكليزية والافرنسية . تزوجت بمصر . اصدرت مجلة فتاة الشرق ١٩٠٦ ، ومجلة الشرق والغرب في سنتياغو ومن قولها : « وافضل صفات المراة الاقتصاد فانه مدعاة الراحة والثقة بين الزوجين وهي كلما زادت بالحرص والتوفير زادها من البذل والعطاء لانه يعلم حينئذ أن امواله لاتذهب من يدها عبثا وان مايدخره من المال يحفظ له ولاولاده .. وتلك ملك حفني ناصيف التي اشتهرت بالكتابة ومما اعانها على ذلك اجادتها للغتين الانكليزية والافرنسية ، ودخولها في الحياة العامة ، وحصولها على شهادة التعليم العالي وكثرة معارفها في الشرق والغرب وتجاربها . ومن آثارها الادبية : النسائيات ، وحقوق النساء ، ورسالة المؤتمر في عام ١٩١١ ، ومشروع ترجمة حياة السيدة خديجة ام المؤمنين شعرا ومن قولها : « وليت شعري لم تكره ولادة الانثى وهي نصف الانسان وامه وزوجه وابنته الا يصح ان تكون الفتاة نافعة كالفتى الا يرجع الفضل في تدبير عيش الرجل لها ، ام تكن في كثير من الاحيان سبب سعادته وموضع أمله . توفيت عام ١٩١٨ . ان أهم المجلات التي كانت تصدر في القطر المصري (انيس الجليس ١٨٩٨ – ١٩٠٨) لصاحبتها ورئيسة تحريرها « الكسندرة افرينو » ، ومجلة السيدات لصاحبتها (روز حداد ١٩٠٣ – ١٩٣٠) ، ومجلة فتاة الشرق (١٩٠٦ – ١٩٣٩) لصاحبتها رئيسة التحرير « لبيبة هاشم » وصحيفة الريحانة ١٩٠٧ – ١٩٠٨) لصاحبتها ورئيسة تحريرها جميلة حافظ ، ومجلة ترقية المراة عام ١٩٠٨ ، ومجلة الجنس اللطيف ١٩٠٨ – ١٩٢١ لصاحبتها ورئيسة تحريرها ملكة سعد ومجلة المراة المصرية ١٩٢٠ – ١٩٣٩ . كانت الصحافة في مجملها تتناول مختلف القضايا العامة والدفاع عن المراة وشرح مطالبها ، وتوعية النسوة .

* * *

الفَصْل الخامِس

الانتاج المادي والانتاج البشري

لقد عملت المراة في حقل الانتاج المادي والبشري على السواء ، ففي الانتاج المادي اشتغلت بالزراعة والصناعة ، وعلى مستوى الزراعة فقد اثبت التاريخ ان المراة هي التي كانت تفلح الارض وتزرعها . بينما الرجل كان يعمل في الصيد والاقتناص . ويقول « ولز » : « كانت هذه الحال سببا في ان يذهب البعض الى القول بان النساء كن اول من بدأ في فلح الارض . وهذا المذهب لاتنقصه المرجحات الكثيرة . فان جميع الحبوب ومواد الاكل الخضرية كانت من عمل النساء ، لان الرجال كانوا يخرجون دائما في جولاتهم الطويلة للصيد والقنص . ولا يبعد ان يكون النساء هن اللاتي لاحظن ان الحبوب تنمو في الامكنة التي كانت من قبل مخيما لجماعات اخر ، يكونون قد بذروا الحبوب على وجه الارض قربانا لإله من الآلهة عسى ان يعوض عليهم مابذروا اضعافا تعد بالمئات . وعلى هذا لانشك في ان اول طور من الاطوار التي تدحرجت فيها الزراعة ؛ كانت عبارة عن استلاب محصول بذرة الغير . فان الجماعات التي كانت لاتزال في طور الرعاوة . يرجح ان يكونوا قد زرعوا ليحصدوا اذا انقلبوا راجعين الى مكانهم الاول . » .

واما على مستوى الصناعة فقد ثبت ان المراة كانت تعمل في المصانع المختلفة منذ القدم وفي احقاب مختلفة من التاريخ وحتى يومنا هذا . ولقد تاكد ان المراة الفرعونية كانت تعمل بالغزل والنسيج وصنع السجاد ، والادوات الحربية ، وكذلك الحال عند المراة العربية في العصر الجاهلي فقد كانت تصنع الملابس والخيام والسجاد ، وينسب الى المراة العربية انها كانت تصنع الرماح، ويقال ان الرماح الردينية تنسب الى ردنية ، وكذلك كانت تصنع الادوية .

الحربان العالميتان لم تكونا بعيدتين عنا حين شمرت المراة عن ساعديها ودخلت المصانع والمعامل وحلت محل الرجال . وتقول وداد سكاكيني [1] « ان هذا العصر يكشف ظلامة المراة ويضع حدا لعلو الرجال في تحرجهم من ظهورها، ومهما وضعوا في طريقها من عثرات فانها قادرة على تذليلها ماضية في سبيلها، وقد اتاحت لها الحاجة والثقافة ، ان تقوم باعمال كانت وقفا على الرجال ،

(1) كتاب انصاف المراة ص ١٠١ .

وقد كانت المعامل في الحرب الاخيرة تدار بايدي النساء ، فكن يصنعن القنابل، ويربطن اجزاء الطائرات ، ويقفن امام افران الكهرباء المتوهجة فيصهرن الحديد .. » .

الانتاج البشري اختصت به المراة عن طريق الانجاب (ولادة الاطفال) ويعتبر العلماء أن هذا الانتاج هو سبب استمرار الحياة على هذا الكوكب الارضي . ان هذا الانتاج يعتبر من اصعب الاعمال عند المراة ، فهي قد حملت الطفل وهنا على وهن ، وغذته من دمها وثديها ، وربته التربية الصحيحة المترافقة مع الصعوبة والضراء . يقول الدكتور « لود فيج ليفي لينز » : [1] « اما فيما يتعلق بالمراة فان الامر لايحتاج الى دليل ، نظرا لتكوينها كأنثى طبيعتها الامومة . فالمراة معناها الوالدة وحنين كل امراة الى ان يكون لها اولاد نزعة فطرية فيها وامر واقعي الى درجة ان العقم يسبب ارتباكا عضويا في كيانها. هذا من حيث المراة العادية . اما المراة المريضة فتكون الولادة وبالا عليها . اضف الى ذلك ان الحاجة الطبيعية الى النسل تقوى وتشتد بحاجة نفسية لاتقل قوة عن الحاجة الطبيعية . فان الرغبة في الامومة غريزة فطرية منشؤها حاجة المراة الى ان تشمل برعايتها كائنا ضعيفا أشد مايكون حاجة الى الرعاية، وهو فوق ذلك عاجز عن التعبير عما يجيش في صدره . فاذا لم تشبع المراة رغبتها في النسل فان حياتها تكون فراغا مابعده فراغ . ولا يهدأ لها بال الا اذا استقر الحمل وتوج بمولود تقر به عيناها » .

نشات علاقة بين الانتاج المادي والانتاج البشري . فاذا زاد الانتاج البشري يقتضي بالضرورة زيادة الانتاج المادي . وبالمقابل فان كلا الانتاجين لايستغني احدهما عن الآخر . ان الزراعة تحتاج الى يد عاملة كما ان الصناعة والاعمال الاخرى تحتاج الى أيد بشرية تدير آلات الانتاج وتشرف عليها . وقد نشات النظريات المختلفة حول هذين الانتاجين ، فبعض النظريات أطلقت الانتاج البشري واعتبرته أساس الانتاج ، وبعضها قيدته بقيود تتناسب مع الانتاج المادي وقالوا : انه يجب ان ينشأ توازن بين المواد الغذائية والمادية ،

---

(1) كتاب المراة المستنيرة ترجمة محمد مظلوم الشامي ص ١٧ .

وبين عدد الاطفال اما بزيادة الانتاج المادي ، او خفض الانتاج البشري . ولقد اشيع هذا المبدأ في الاقوام البدائية في العصر الجاهلي ، وفي العصور القديمة اذ كانوا يحددون النسل ، أو يقدمون على قتل اولادهم ، كما اشيع في معظم الدول في الوقت الحاضر بشكل منظم ومدروس .

المرأة تعمل في الصناعة والزراعة وتنافس الرجال :

يقول اسماعيل مظهر [1] « كان القضاء على بضعة صناعات منزلية اثر ظهور بعض اختراعات خطيرة ، من اعظم الانقلابات الداوية التي أصابت انكلترا في خلال القرن التاسع عشر . كانت تلك الصناعات وقفا على بيوت ريفية هائلة العدد منتشرة في عرض المزارع وطولها . فلما اكتسحتها تلك الاختراعات وقضت عليها ، نشأ على انقاضها مصانع فخمة واسعة تستخدم عشرات الالوف من العاملات . ولقد كان لهذا الانقلاب آثار هامة يمكن تتبعها في كل مرفق من مرافق الحياة في انكلترا اجتماعيا وسياسيا . ولكن من المحقق الثابت ان فعلها كان ابين في المرأة من حيث التأثير في حياتها وعاداتها ومصالحها ، منه في اية طبقة اخرى من طبقات المجتمع . » وهذه الظاهرة نجدها في اغلب دول اوروبا ليس في انكلترا فحسب ، وعمت الآلة جميع الاعمال ، وانتشرت المعامل والمصانع لتقضي على الصناعات اليدوية التي كان يقتصر العمل بها في البيت م والصناعات المنزلية وسيلةلاستغلال الفراغ فيالبيت، وهيلا تستطيع انتنافس المصنوعات التي تنتجها المصانع الآلية ، وصناعة البيت أقل جودة وجمالا ، كما انها تتأثر بالجو الاسري والبيت ، تتأثر بوجود الاولاد ، والعمل المطلوب من المرأة في البيت ، ونوع العمل الذي تعمله المرأة خارج البيت ، ونشاط وصحة المرأة ، وقدرتها على ممارسة الصناعة البيتية . دخلت الآلة لتقضي على المرأة في عالم البيت ، وجعلتها تخرج الى المعامل الآلية لتؤدي واجبها نحو اسرتها وبيتها ووطنها ، واتسعت هذه المعامل بحيث أصبحت تستوعب الكثرة الكثيرة من النساء وانطلقت المرأة تبحث عن عمل فوجدته في المعامل والمصانع ، ولكنها بقيت مرتبطة بالبيت يجرها اليه ابناؤها وزوجها وبيتها . ولكن هناك بعض

(١) كتاب المرأة في عصر الديموقراطية ص ٣١ .

الدول خففت الكثير عن كاهل المراة في البيت فانشات الخدمات الجماعية من دور الحضانة والمطاعم والمغاسل وما الى ذلك . لقد نشات قوانين وشرائع حمت المراة واباحت لها العمل ، وحفظت لها حقوقها . ففي انكلترا وبلجيكا نشات قوانين تنظم عمل المراة في الصناعة ، ومنها القوانين الانكليزية التي منعت على المراة بعض الاعمال كالاعمال الليلية ، ومن بعض الاعمال المجهدة كالعمل في باطن الارض ، والعمل بعد الولادة ، والعمل امام الآلات الخطرة ، وكل عمل من شانه ان يرهق المراة . وبتقسيم هذه الاعمال اصبحت المراة محرومة من كثير من الاعمال ، كما ان الاجور ستكون اقل من الرجل ، وكذلك فان الاعتبار العملي للمراة سيكون اقل من الرجل ، الا ان الدول الاشتراكية قد ساوت المراة في الاجور مع الرجل واعتبرتها مساوية له .. وهكذا فان التشريعات في القرن الماضي كانت ترمي الى شل قدرة النساء ، واحلال الرجال محلهن .. وكانت ترمي ايضا بنفس الوقت الى القضاء على الصناعات المنزلية .

كانت هذه القوانين والتشريعات تعتمد على القوة الجسمانية ، وعلى المهارة الصناعية . والمراة لها عذرها في ذلك فهي اقل من الرجل قوة ، وهي اقل مهارة لانها لم تتدرب على هذا العمل من قبل وكانت حديثة عهد في العمل الصناعي ، وكان قد سبقها الرجل ، وبسبقه هذا استطاع ان يتقن الآلات ويحفظ الاعمال ، ويحلق في الصناعات ، ولكن المراة مالبثت ان ادركته بخبرتها ودابها المستمر . ان الاعتماد على القوة الجسمية وعلى المهارات الصناعية ، وتقسيم الاعمال كل ذلك جعل المراة لأن تتسلم الاعمال التي لا تتطلب الجهد ، كمخازن البيع ، والسكرتارية ، والامور الادارية العديدة ، واختلفت النساء في ممارستها الاعمال بين كل دولة ودولة .

لا شك ان للمراة دورا فعالا في الصناعة ، ومن المعلوم ان الحشد هو مبدأ من مبادىء القتال ، كما أن الحشد كذلك مبدأ من مبادىء الصناعة ، فاذا لم تحشد النساء مع الرجال لتدوير آلة الصناعة ، فان الانتاج سوف يتاثر الى حد بعيد . واذا لم تحشد القوى الاقتصادية والمادية والعسكرية والمعنوية فان ذلك سوف يؤثر على مجريات القتال ، وما دام الحشد يتناول القوى البشرية ايضا،والقوى البشرية نصفها من الرجال ونصفها من النساء،فان النسوةسوف

يساهمن الى حد بعيد في الصناعة . ان الحشد في المؤخرة هو عمل هام والمؤخرة في الوقت الحاضر اغلبها من النساء ، فهن يقمن في المصانع والمعامل ، ويعملن في الامداد والخدمة الطبية والاسعاف والمواساة والمرور والتخزين . يقول اسماعيل مظهر : « [1] هذه الحالة تتطلب من كل امة ان توقظ في افرادها رجال ونساء روح التكافل حتى يشعروا بالمسؤوليات الملقاة على عواتقهم ويشاركوا كل بمقدار استطاعته في الانتاج باقصى حدود الامكان ، مع الاقتصاد في النفقة في حدود مايتطلب ذلك الانتاج . وما نقصد بالاقتصاد لنفقة الا نفقة الجهد ونفقة المادة » .

فمن وجهة النظر اللينينية ان الصناعة المنزلية هي عمل راسمالي ، وان المراة تتعرض فيه الى الظروف الصحية السيئة وذلك باستخدامها المنزل كمسكن وكمصنع ، والى الارهاق والعمل المضني لطول ساعات الدوام فيه، والى ارهاق الاولاد باشراكهم في هذا العمل منذ نعومة اظفارهم وهم لايستطيعون تحمل ذلك بعد ، ويصل عدد ساعات العمل المنزلي في اليوم الى ثماني عشرة ساعة ، وتقدر اعمار الاطفال الذين يعملون في الصناعات المنزلية بـ ست سنوات. وبالاضافة الى ذلك فان هذه الصناعات تقف عائقا امام الانتاج الكبير والتنظيم الاقتصادي ، وان تشتت الانتاج في المنازل يؤدي الى هدر الانتاج ، والى ربط هذا الانتاج بالراسمالية . ان صاحب العمل الريفي المنزلي يوفر على نفسه اجرة السكن العالية ، كما يؤدي العمال والعاملات اجوراً زهيدة . اما المؤسسات الصناعية فهي قادرة على تقديم الخدمات الصحية للعاملة ، ودفع الامراض المهنية عن العاملة ، ودفع الاجور العالية ، وايجاد السكن الملائم ، وابعاد الاطفال الذين لايستطيعون العمل وتهيئتهم للمستقبل ، وقد حدد سن العامل بسن الخامسة عشرة ، وحددت ساعات العمل لكل العاملين ، وبهذا ضمن الدستور حق العاملات فقال : تحدد يوم العمل بـ ٨ ساعات لجميع العمال الماجورين ، كما حظر على ارباب العمل استخدام العمل الماجور للاولاد الذين تقل اعمارهم عن الخامسة عشرة ، ومنع تشغيل النساء في جميع المجالات التي

(1) كتاب المراة في عصر الديموقراطية ص ١٩٥ .

تشكل خطرا خاصا على صحة المراة ، لم اقر قانون الراحة الاسبوعية وضمن للمراة حقها وحريتها في العمل .

ان الصناعة الكبرى تجذب العمال اليها « [1] ونحن الآن امام شابة حرة من كل قيد ، متحررة من العائلة ومن كل مايكون شروط حياة الفلاحة ، شابة تستطيع في كل لحظة أن تغير رب العمل ومكانه ، ويمكن في كل لحظة ان تصبح بدون عمل وبدون كسرة خبز . ففي انتاج التريكو اليدوي تكسب العاملة حدا ادنى لايكفي لتغطية نفقات غذائها الضرورية لو لم تكن عضوة في عائلة تملك قطعة ارض تستفيد من جزء من محصول هـذه الارض . اما في الانتاج الميكانيكي فتحصل العاملة عدا الغذاء والشاي على مايكفيها .. لتعيش خارج العائلة وبدون ان تمس المداخيل التي تعود بها الارض علـى عائلتها .. كما ان دخل العاملة في الصناعة الميكانيكية وبالشروط الحالية هو اكثر ضخامة في الوقت نفسه . » كما يرى لينين : [2] « أن المراة ماتزال رقيقـا منزليا رغم جميـع القوانين التي نصت على تحريرها ، طالما ان الاعمال المنزلية الصغيرة ماتزال تثقل كاهلها وتخنقها وتخبلها وتذلها ، وتقيدها بالمطبخ وغرفة الاولاد ، وتبدد جهودها في عمل غير منتج ، في عمل حقير مثير للاعصاب مخبل مرهق . ان تحرر المراة الحقيقي والشيوعية الحقيقية لايبدآن الا من حيث وحين يبدأ النضال الجماهيري (بقيادة البروليتاريا سيدة السلطة) ضد الاقتصـاد المنزلي الصغير ، أو بالأحرى حيث وحين تبدأ اعادة تنظيمه تنظيما جماعيا في اقتصـاد اشتراكي كبير . » ان الانتاج النموذجي ، والاستقـامة المثاليـة في الانتاج ، والمطاعـم النموذجية ، والنظافة ، كل ذلك يجب أن تهتم به الشيوعية وصحافتها واجهزة دعايتها وعمالها وفلاحوها ، فانها السبيل الوحيد للتقدم نحو الانتاج ، وزيادة المزروعات ، وكثافة النقل وزيادة المخزون .

يرى الماركسيون ان الانتاج الزراعي الصغير محكوم عليه بالاندثار ، فهو يعرض المراة للارهاق مقابل الاجر البسيط ، وليس للمراة الا أن تنضم الـى

---

(١) كتاب لينين والمراة تعريب زينب نبوه ص ٩٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٨ ــ ١٠٩ .

الانتاج الزراعي الكبير بانضمامها الى معارك البروليتاريا . وقد انتقد الماركسيون الراسماليين والبورجوازيين واتهموهما بتشتيت العمل وهدره وانهاك المراة . ففي البلاد الراسمالية تعمل اغلبية النساء في حقل الزراعة . ففي المانيا تبلغ نسبة النساء ٥٤٫٨٪ وفي النمسا ٤٨٫٧٪ وبقدر ماتتطور الراسمالية يزداد عدد النساء المشتغلات في الزراعة . ولقد اصبحت الزراعة في البلاد الراسمالية وقفا على النساء ، وبهذا تظهر مساوىء الراسمالية في الانتاج الصغير ، وفي تشغيل النساء بهذه الزراعة ، وفي الاوضاع السيئة للعاملات ، وفي تخفيض الحاجيات ، وفي ايجاد العمل الشاق الصعب . وهذا يعني انه ينبغي على المراة الشغيلة ــ بروليتارية ــ فلاحة ــ ان تبذل جهودا اكبر وان تنضح عرقا ودما، وان ترهق نفسها في العمل على حساب صحتها وصحة أولادها ، كما يتساوى عملها بقدر الامكان بالعمل المبذول من قبل الرجال في الانتاج الراسمالي الضخم .

يرى لينين ان مهمة الدولة الاشتراكية بالنسبة للمراة القضاء على القوانين البالية التي احتقرت المراة والبناء البناء من أجل المراة يقول : « نحن الذين نستهدف مثلا اشتراكيا أعلى نريد ان نناضل من اجل الانتصار التام للاشتراكية التي ستفتح أمام النساء مجال العمل الواسع .

ونحن في المرحلة الحاضرة نحضر بصورة جدية لازالة العوائق امام البناء الاشتراكي . غير ان بناء المجتمع الاشتراكي ذاته لن يبدأ الا في الوقت الذي نحصل فيه على المساواة الكاملة للمراة ، وعندئذ سوف نشرع بهذا العمل الجديد بصورة مشتركة مع المراة التي تحررت من الاعمال السخيفة والمرهقة وغير المنتجة . وسيشغلنا هذا العمل لسنين طويلة . » وللحصول على المساواة يجب ان يكون الاقتصاد اقتصادا جماعيا ، وان تشارك المراة فيه .

المراة تعمل في التطوير الاقتصادي :

المراة سبب مهم في تطوير الاقتصاد ، ودفع عجلته الى الامام ، وفي بناء الاشتراكية ورفع شعاراتها ، وتطوير الزراعة والصناعة . فهي التي زادت من انتاج الزراعة بمساهمتها في الاعمال الزراعية الجماعية ، وهي التي زادت من

أنتاج الصناعة بعد ان دخلت المعامل والمصانع بكثرة وعملت فيها ، ولما ازداد عمل الآلة وتطورت فنيا ، وجدت المراة ان لها عملا في هذا التطوير ، واذا تطورت الصناعة فانها لاتحتاج الى مجهود عضلي وحينئذ يكون دور المراة فيها رئيسيا، وتضاعف عدد المعامل والمصانع اضعافا مضاعفة ، ودخل الاستقرار اليها ، وتضاعف أجر المراة واصبح مساويا للرجل ، واشتركت المراة مع الرجل جنبا الى جنب في الزراعة والصناعة والاعمال الاخرى . ان الاتحاد السوفييتي خطا خطوات كبيرة في هذا المجال فأشرك المراة ، وطور الاقتصاد وازال الملكية الخاصة، وقرب مفهوم العمل الجماعي ، وادخل النساء في جميع مرافق الحياة . يقول لينين : « ان سلطة السوفييت التي الغت الملكية الخاصة للارض وازالتها تماما على وجه التقريب من المصانع والمعامل انما تنوي اشراك جميع العمال اعضاء الحزب ، بل واللاحزبيين ايضا ، وليس الرجال فقط بل والنساء ايضا في عمل التطوير الاقتصادي . ان هذا العمل الذي بدأ بفعل سلطة السوفييت لايستطيع احراز التقدم الا اذا اشتركت فيه ليس مئات النساء وحسب ، بل ملايينهن في جميع انحاء روسيا ، وعندئذ تصبح عملية بناء الاشتراكية موطدة الاركان دون ادنى شك ، وعندئذ يبرهن العمال انفسهم ان بامكانهم ان يعيشوا أو ان يوجهوا دفة الاقتصاديين دون الملاكين العقاريين ودون الراسماليين ، وعندئذ يصبح البناء الاشتراكي قويا في روسيا بحيث لاتهاب الجمهورية السوفييتية أي عدو ـ خارجيا كان ام داخليا » .

والتطوير الاقتصادي في نظر لينين يتطلب من المراة ان تكون :

١ ـ محررة من عبء الاعمال المنزلية والاعمال الفردية والتبعية للرجل. ان العمل المنزلي لم يعد له ضرورة في نظر الشيوعيين ، وكان من قبل ضروريا للمراة الفقيرة التي يجب عليها ان تؤدي عملها في الطبخ والغسيل والتنظيف والكوي ، وغزل الصوف وحياكة القماش وصنع الجوارب . كما كانت المراة تصنع القديد وتحتفظ بمؤونة سنوية أو نصف سنوية تجمعها اثناء المواسم. كانت المراة في الماضي تقوم بالاعمال الكثيرة والمضنية والروتينية ، وعندما تقوم بهذا العمل انما تقوم به بمفردها ، وعلى هذا العمل يتوقف رفاه الاسرة . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت المنتجات البيتية تنزل الى الاسواق فتباع

وتشترى ، ويكون منها رأسمال له قيمته ، وفي تلك الايام كانت المراة هي أساس العائلة : اما الرجل فكان يعمل أيضا الا ان عمله كان قليلا اذا ماقيس باعمال المراة .. لقد تبدلت الظروف المحيطة بالمراة فالجوارب تجدها في السوق من أحسن الانواع ، والحاجيات التي كانت المراة تجهد نفسها في تحصيلها والعمل بها تجدها في الاسواق هنا وهناك . وبالاضافة الى ذلك فقد حلت الآلة محل الايدي الناعمة ، فلم تترك للمراة شيئا يذكر . بدات المراة منذ ذلك الوقت تحس بالانعتاق من عبء الاعمال المنزلية والاعمال الفردية ، وبدات تمسك وتتلمس خيوط الحقيقة بانتسابها الى المعامل والمصانع ، والى العمل الجماعي. ففي المجتمع الشيوعي « (1) سوف يقوم بهذا العمل فئة متخصصة من النساء لايقمن بعمل سواه . ان النساء الاغنياء قد تحررت منذ سنوات من هذه الاعمال السقيمة المرهقة ، فلماذا يجب على المراة ان تستمر في حياتها ؟ في روسيا السوفييتية يجب ان تحاط المراة العاملة بنفس الجو من الراحة والاشراق والصحة والجمال كالذي لايزال يحيط حتى الآن بحياة نساء الطبقات الغنية فلا تضطر المراة في المجتمع الشيوعي الى قضاء ساعات فراغها . النادرة مع الاسف – في المطبخ لان المجتمع الشيوعي سوف يوفر المطاعم والمطابخ المركزية التي يحق للجميع ارتيادها » .

ان هذه الاعباء وغيرها سوف تزاح عن كاهل المراة ، وتشعر انها تؤدي واجبها نحو مجتمعها .. « وهكذا يكون المجتمع البشري الشيوعي قد حطم النير المنزلي الرازح على المراة لكي يجعل حياتها اغنى واكمل واسعد واكثر امتلاءا بالحرية . » فاذا بقي على المراة في المنزل بعد ان نفضت عن كاهلها تلك الاعمال المرهقة ؟. بقي لديها تربية الطفل والاعتناء به .. ان المراة العاملة قد انصرفت للعمل خارج المنزل لتصرف وقتها في المعامل والمصانع والمزارع الجماعية .. والولد في هذه الحالة اما أن ينزل الى الشارع ، واما ان يعيل نفسه في سن معينة فينشا نشأة لاتليق بمجتمع اشتراكي..ولذلك فانالمجتمع الشيوعي قد هيأ لذلك بيوتا للرضاعة ، وانشا رياضا للاطفال ، وأشاد دور الحضانة الكبرى ، واوجد فيها المستوصفات ، والمنتجعات الصحية للاطفال

(1) كتاب تحرير المراة العاملة تأليف « الكسندر اكولونتاي » ص ٢١ – ٢٢ .

المرضى ، والمطاعم المجانية ، والملابس والمهمات ، وآتاهم من كل مايحتاجونه. وشعاراتهم « التضامن والروح الرفاقية والتعاون المتبادل والاخلاص للحياة الجماعية . » وما دامت الدولة قد اخذت على نفسها واوجبت على كاهلها كل المهام المنزلية ، فما على المراة الا ان تتفرغ لخدمة الدولة والمجتمع ، وان تعطي الشيء الكثير . وبهذا الانعتاق المنزلي حصلت المراة على :

آ ــ انهاء التبعية للرجل فأصبحت واياه على قدم المساواة فهي تعمل وهو يعمل لافضل لأحد على الآخر .

ب ــ انهاء الخوف من الجوع الذي كان يتهددها عندما يتركها زوجها او يطلقها . . فأصبحت لاتعتمد على زوجها وانما على عملها وجهدها .

حـ ــ انهاء الخوف على اطفالها من الجوع والحرمان ، لان الدولة قد كفلت تربيتهم والاعتناء بهم .

د ــ انهاء تبعيــة المراة للرجل « [1] من الآن فصــاعدا ، بات بالامكان الحصول على الطلاق حبياً وبالتراضي خــلال مهلة لاتتعدى الاسبوع أو اسبوعين . » فقد حل محل الزواج القديم الزواج الحديث الذي يستند الى شخص المجتمع والدولة لا في شخص الرجل ، فالاسرة اصبحت اتحادا عاطفيا ورفاقيا .

٢ ــ متحررة من نير استغلال الراسمالية ، وعبودية الامبريالية : يتمثل استغلال الراسمالية للمراة عندما تعمل المراة باجور زهيدة لاتكاد تسد به رمقها ، ولذ ، فهم يستخدمونها في البيت والريف باجر قليــل . واذا عملت المراة في المصانع الكبيرة فانها تقوم بعملها في هذه المصانــع كالمعتاد وكالرجل تماما ، ثم تذهب بعد انصرافها الى البيت لتجد اعمال البيت تنتظرها فتواصل عملها المنزلي بتربية الاطفال وصنع الطعام والشراب . . ولذلك فانها تعمــل ضعف الرجل وكانها موضوعة في الاشغال الشاقة . واذا تحررت المراة مــن استغلال الراسمالية فما عليها الا ان تناضل من اجل التحرر من اعمال البيت

---

(١) تحرير المراة العاملة تاليف « ألكسندر كولونتاي » ص ١٩ .

لتهجرها وتتركها للدولة التي تسعى الى اقامة مطاعم جماعية ومغاسل جماعية وحضانات للاطفال ودور للرعاية يقوم بها مختصون ، وهذا لايتوفر في نظر الشيوعيين الا في المجتمع الشيوعي نفسه .

لقد مرت المراة بأدوار فكانت فيما مضى قابعة في المنزل تعمل كل الاعمال صغيرها وكبيرها ، ثم دخلت باب العمل في المعامل والمصانع فبدات تترك الاعمال المنزلية ، وبعدئذ تركت العمل المنزلي نهائيا فتفككت الاسرة القديمة وحل محلها أسرة حديثة بمفهومها الشيوعي ، وبقيت الاسرة القديمة يرمز لها ويسند اليها المعوقات والقصور عن التطور .. فالزوج لم يعد المعيل الوحيد لاسرته، وانما اشتركت المراة في الاعالة ، والطفل احتضنته دور الحضانات ، والاعمال المنزلية الاخرى حل محلها المؤسسات الجماعية .. فلم تبق للاسرة القديمة الا الرسوم البالية .. فقد حل المجتمع محل الاهل في الاعتناء والتربيةوالتعليم وما الى ذلك .

٣ ـ متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات : وحتى تتساوى المراة مع الرجل لابد لها من توفر الشروط التالية :

آ ـ فتح مجال العمل امام المراة على قدم المساواة بينها وبين الرجل.

ب ـ نبذ العاطفة الانانية التي تجسد حب المراة لاطفالها . فعليها ان تحب وتكرس حياتها لجميع الاطفال في المجتمع الشيوعي .

حـ ـ اقامة الاسرة العمالية الكبيرة بدلا من الاسرة الضيقة .

د ـ اقامة الزواج على اساس اتحاد حر معزز بالحب والاحترام المتبادلين ، والحب الحر .

هـ ـ شعار المراة في المجتمع الشيوعي هو : المساواة ، الحرية ، الحب .

و ـ الاسرة لم تعد من ضرورة لها ، ولا يمكن ان تؤدي وظيفة ما للافراد او الدولة . لقد اخذ المجتمع كل الوظائف التي كانت للاسرة ونظمها وجعلها في قالب يتمشى مع التطور .. في الماضي كانت المراة تدير الاعمال المنزلية فتربي اولادها ، وتقوم بالطهي والغسل والكوي وبالحياكة والغزل والاعمال

الاخرى ، اما الآن فقد اختلف هذا العمل واصبحت جميع هذه الاعمال من اختصاص المجتمع الشيوعي ، واقتصر عمل المراة فقط في حدود اختصاصها في المعامل او المصانع أو المزارع .. وبهذا فقد انتقلت المراة من الانتاج الفردي والقليل الى الانتاج الجماعي والكبير .

ز ـ النضال ضد العادات والتقاليد القديمة البالية ، والنضال من اجل جذب النساء الى الحزب الشيوعي ، والى الصراع الطبقي (١) ، والى انخراط النساء في القطاع الاقتصادي وبخاصة الصناعي ، والوصول بالمراة الى المساواة في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية،ودعم هذه المساواة بالتشريعات والقوانين .. واسقاط الملكية الفردية والسلطة الطبقية ، والمناداة بالثورة العماليه ، والمطالبة بالعمل المتساوي للاجر المتساوي .

ح ـ ضرورة العمل في صفوف « البروليتاريا » النسائية ، والنضال داخل الحزب ، وتاسيس اللجان المتخصصة ، ودعم الحركة النسائية الاشتراكية .

ط ـ توثيق العلاقة بين نساء العالم ، وذلك عن طريق عقد المؤتمرات الاممية والاشتراكية الذي يكون من مهمتها تنمية العمل المثمر بين البروليتاريا النسائية التي تتمتع بميزات تفرضها ظروف المراة وحياتها وموقعها ، ومشاركة المراة في العمل الحزبي فالمراة عضوة في الطبقة العمالية .. والمراة ام واخت وزوجة تشكل نصف المجتمع .. وقد لوحظ بفضل هذا التوثيق النمو المتسارع للنساء العاملات وخاصة في البلدان الصناعية .

ي ـ يؤكد الشيوعيون على ان المساواة لن تبلغها المراة الا اذا عزز نشاط الحزب في صفوف البروليتاريا النسائية « ان المساواة الحقيقية وليست الشكلية بين المراة والرجل لا تقوم الا في اطار نظام تكون فيه المراة العاملة سيدة وسائل الانتاج والتوزيع ومساهمة في ادارة هذه الوسائل ، وتعمل في نفس الظروف التي يعمل فيها اعضاء المجتمع العامل . بكلام آخر لا يمكن للمساواة

---

(١) تحرير المراة العاملة تاليف « الكسندرا كولونتاي » ص ١٨

ان تتحقق الا بقلب النظام الراسمالي واحلال الاشكال الشيوعية محل الاشكال الراسمالية . »

٤ ـ الغاء الملكية الخاصة للارض والمعامل والمصانع :

ينطلق الشيوعيون بنظرتهم نحو الغاء الملكية الخاصة باتباعهم تكتيكا خاصا لكي يقفوا امام النظام الراسمالي ، ويسددوا ضرباتهم نحو البورجوازية العاجزة عن التطور ، واعادة الحياة الى الاقتصاد . وهذه التكتيكات تتمثل بما يلي :

ا ـ على الطبقة المنتجة الحقيقية وهي طبقة « البروليتاريا » ان تستولي على وسائل الانتاج ، وباستيلائها يتم التطور الاقتصادي ، وتنشا اشكال اقتصادية جديدة . وان يبلغ الانتاج الى حد اعظمي ...

ب ـ استيلاء « البروليتاريا » على السلطة ، لان السلطة اذا ما بقيت بيد البورجوازية فلن تتمكن الايدي العاملة من السيطرة على وسائل الانتاج .

جـ ـ تحقيق مبدأ (دكتاتورية البروليتاريا) .

د ـ تعزيز العلاقة بين البروليتاريا النسائية في العالم ، وتربيتهن تربية شيوعية ، وتعويدهن على النضال من اجل الوصول الى (دكتاتورية البروليتاريا) العالميـــة .

هـ ـ استلام السلطة أولا من قبل البروليتاريا ثم تحقيق الشيوعية .

و ـ انضمام النساء الى صفوف البروليتاريا .

ز ـ احتواء الحزب الشيوعي البروليتاريا النسائية وايصاله الى معظم التجمعات النسائية في العالم . وعلى الحزب الشيوعي مهمة كبرى في ايصال المفاهيم الشيوعية الى نساء العالم . ان كل حركة نسائية بعيدة عن الحزب الشيوعي هي بعيدة عن تعاليم الشيوعية ، وقريبة من البورجوازية والراسمالية

ح ـ ما دامت الملكية الخاصة ، والراسمال مسيطرين على الحركة النسائية فان الامل ضعيف في ان تتبوا المراة مكانتها وتسترد سيطرتها .

ط ـ قلب النظام الراسمالي ، واحلال محله النظام الشيوعي مساهمة

في اعطاء الدور الحقيقي للمرأة في العمل المنتج لصالح الجماعة .

ي ـ الاتحاد بين العمال النساء والعمال الرجال ، ودحض كل افتراء قد يفصل بينهما ، او يوقع روح المشاحنة والبغضاء .

ك ـ العمل على ايقاظ شعور المراة وادراكها لمسؤولياتها في النضال ضد الاستعمار ، وفي الحروب ، وفي الغلاء ، وفي ازمة السكن ، وبصورة عامة في اوجه النشاطات الاقتصادية كافة .

ل ـ رعاية المراة كأم .. وتحسين ظروف العمل للمراة ..

م ـ النضال من أجل ابطال العادات والتقاليد التي تضر وتقف أمام التطور الشيوعي .

ه ـ النضال من داخل الحزب الشيوعي ضد أعداء الشيوعية :

يتجلى النضال الشيوعي من خلال الحزب بما يلي :

أ ـ تربية المراة تربية شيوعية ، وجعلها تتأكد وتقنع بالدفاع عن الشيوعية وافكارها ..

ب ـ اشراك المراة في جميع مجالات التنظيم الشيوعي العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ..

جـ ـ اعداد القوانين الجديدة ، وادخال التعديلات على القوانين القديمة بما يتلاءم مع تحرير المراة .

د ـ ادخال النساء في منظمات حماية العمل ، ورعاية الامومة والطفولة .

هـ ـ تعميم المنشآت العامة ، وانشاء المؤسسات الشيوعية كدور الحضانة والايتام ، ومؤسسة الغسيل والمطاعم الجماعية ..

و ـ توزيع ممثلي الحزب على جميع فروع العمل النسائي (نقابات ، اقتصاد ، منظمات ... الخ) .

ز ـ تثقيف اعضاء النقابات بتعاليم الشيو.. ..

ح ـ محاربة الراسمالية والبورجوازية والعادات القديمة والتخلف والبغاء والبطالة وغلاء المعيشة وازمات السكن . .

ط ـ بهذا النضال ـ من داخل الحزب ـ وحصول المراة على بعض حقوقها يضعف الاستثمار الراسمالي .

ي ـ التقيد التام بمبادىء الحزب ، وعلى الشيوعيات من النساء ان ينشطن في جميع المجالات ، ولا سيما النشاط الثوري للجماهير .

ك ـ في البلدان المتخلفة اقتصاديا يجب ان تحصل المراة على الاعتراف بالمساواة بينها وبين الرجل ، وان تحارب التعصب الديني ، وان تنشىء المراة في هذه البلدان المشاغل الجماعية والنقابات والتعاونيات بدلا من العمل في المنزل ، وان تنشىء دورا للحضانة ونواد للثقافة . .

ل ـ في الدول الراسمالية يجب ان يكون العمل بجر النساء العاملات الى الاضراب والعصيان والتظاهرات بشكل يعمق الوعي الثوري عند النساء العاملات ، واتباع العمل السياسي وبخاصة العمل السري ، وان يكون المثل الاعلى للمراة العاملةفي البلدان الراسماليةهو المراة العاملة في البلدان الشيوعية، فعلى المراة تنظيم الاجتماعات والمطالبة بحقوق العاملات والفلاحات والكادحين من النساء ، وعلى الشيوعيات القيام بزيارات منتظمة للنساء لكي يحرضن غيرهن للانضمام الى صفوف البروليتاريا والحزب الشيوعي . ومن اجل ذلك يجب ان تكون المراة الشيوعية مثقفة ثقافة واسعة بحيث تستطيع التاثير على غيرها من النساء العاملات في العالم .

٦ ـ ان نجاح الثورة الاشتراكية مرهون بنجاح المراة ومشاركتها الفعالة في النضال الثوري :

من الضروري حشد نساء العالم العاملات والفلاحات في النضال الثوري من اجل سلطة البروليتاريا على الصعيد العالمي . ان هذه المهمات وهذه التكتيكات تخطط من قبل الامانة العامة العالمية للنساء الشيوعيات في موسكو . وبهذا يرى الحزب الشيوعي انه من الضروري ان تنشأ مراسلات شيوعيات في دول العالم من مهمتها : اقامة علاقات منظمة مع المراسلات في الاحزاب الاخرى ، وعليهن توسيع هذه العلاقة واعلام اللجنة المركزية في موسكو بكل ما يحدث ، كما ان

على المراة الشيوعية ان تناضل من اجل تنمية الحركة النسائية في بلدان العالم ، وان يحدد لها الاتجاه الصحيح للوصول الى الشيوعية ، وعليها ايضا اثارة النشاط الوطني والعالمي لتتمكن من الوصول الى النضال الثوري للبروليتاريا(١).

« ان انهيار الاقتصاد الراسمالي والنظام البورجوازي المرتكز على هذا الاقتصاد ، وبالمقابل تقدم الثورة العالمية ، تجعل من النضال الثوري من اجل الاستيلاء على السلطة السياسية وتحقيق ديكتاتورية البروليتاريا ضرورة حيوية اكثر الحاحا من اي وقت مضى بالنسبة لبروليتارية البلدان التي لا يزال يسود فيها هذا النظام ، كما انها تجعل من هذا النضال واجبا لا يمكن تحقيقه الا بالمشاركة الواعية والجريئة والمخلصة للجماهير النسائية . » لا يمكن ان تتبنى المراة الثورة ضد الثورة المضادة ما لم تقتنع ان الدفاع عن النظام الشيوعي هو من اولى واجباتها .

ومن هنا تبرز ضرورة وعي المراة لتكون اكثر تصميما على المشاركة في نضال الطبقة الثورية ضد المضطهدين والمستغلين والراسماليين . وعلى المراة بعد ذلك وبعد هذا النضال ان تنضم الى الشيوعية وان تشترك في المجالات المتعددة . .

« ومن هنا فان المؤتمر العالمي للنساء الشيوعيات انسجاما منه مع مبادىء ومقررات الاممية الثالثة يقترح على الاحزاب الشيوعية في كل البلدان ان تتبنى مهمة ايقاظ الجماهير النسائية وتوحيدها وتثقيفها بروح الشيوعية ، وان تضمها الى صفوف الاحزاب الشيوعية ، وان تشحذ بثبات وعزم ارادة هذه الجماهير على العمل والنضال . » . هذه هي تكتيكات الحزب الشيوعي في النضال الثوري وهذا اسلوبه ، ويختلف بتكتيكاته واساليبه عن الاحزاب الشيوعية في العالم ، وعن الاحزاب الاشتراكية . ومن الواضح ان الحزب الشيوعي هو الذي يمد الاحزاب الاشتراكية الاخرى في العالم بكثير من اساليب النضال الثوري عند المراة ، ويرسم لها الطريق الصحيحة للوصول الى الهدف المنشود . ان غاية الحزب الشيوعي هو التاثير على الاحزاب الاشتراكية في العالم وجر هذه الاحزاب لتكون داخل الحزب الشيوعي لتكون موحدة في الثورة وموحدة في النضال .

---

(١) كتاب تحرير المراة العاملة تاليف « الكسندرا كولونتاي » ص ١٢٥

٧ ـ النظام الاشتراكي في العالم يدعم (المراة اذ يحررها من الاستغلال والاضطهاد والعبودية والراسمالية ويجعلها تتبوا المكانة المناسبة في عالم الاقتصاد :

تطور النظام الاشتراكي في العالم . الحرب والثورة العالمية عدلتا في كثير من الحركات العمالية النسائية في العالم . المراة قبل الحرب كانت منزوية في البيت ، ولما تدخل القطاع الاقتصادي بعد . اثناء الحرب وبعدها دخلت المراة المجالات الاقتصادية ، ولا سيما الصناعية منها ، وتخلصت من الاضطهاد الذي كانت تعانيه في البيت ، اذ على المراة في البيت ان تعمل كل ما من شانه ارهاقها واستغلالها . . ثم تحققت المساواة القانونية بينها وبين الرجل . ثم انتقلت المراة بعد ان كانت تعمل في البيت الى المصنع وقد سبقتها فترة كانت المراة تعمل في المصانع والمعامل ثم تعود الى بيتها لتكمل عمل البيت من غسل وتنظيف وطبخ وغيره . . مما يسبب ويزيد في ارهاق المراة . وبعد ذلك بفترة انخرطت في العمل الجماعي في المصنع والمعمل والمزارع . . فاسست التعاونيات ، ودخلت النقابات ، واشتركت في تاسيس المنظمات ، ودخلت الاحزاب واخذت تناضل مع رفيقاتها ورفاقها ، واطلقت كل قواها للمساهمة في بناء الصرح الاقتصادي .

لقد باعدت الحرب بين النساء العاملات وبين التطبيق الاشتراكي ، اذ اندفعت المراة بكل قواها تقضي وقتها الاكبر في المصانع الحربية لكي يستمر الامداد الى جبهات القتال دون انقطاع . واذا بقيت المراة هذا الوقت الطويل في المصنع فمن ذا الذي يمكن ان يعتني لها بطفلها ؟ وتقضي الضرورة في هذه الحالة ان تنشأ مؤسسات لرعاية الطفولة والامومة . ان ظروف القتال تجبر المراة على ان تدافع عن وطنها وحريتها فتدعى الى حمل السلاح وتحمله لتتخلص من العبودية البيتية ، ومن جور التنظيمات العمالية السابقة .

ان الحركة النسائية التي تتكيف مع الظروف تختلف من بلد لآخر . ولكن الذي يبقى ثابتا دون ان يتغير في البلاد الاشتراكية هو وجود تنظيم نسائي قادر على استيعاب النساء العاملات في جميع فروع الاقتصاد . لقد عقدت عدة مؤتمرات للاحزاب الاشتراكية في العالم كان من اهمها مؤتمر عونا للحزب الاشتراكي الديموقراطي عام ١٨٩٦ و « المؤتمر الاشتراكي الاممي » ، ثم عقد

مؤتمر في عام ١٩٠٧ ، وتوالت المؤتمرات . كانت مهمة هذه المؤتمرات جميعـا هي : توثيق العلاقات بين الاحزاب الاشتراكية في العالم ، وتنمية العمل بـين النسـاء العاملات ، واعطاء المراة حقوقها كاملة(١) « وكارل ماركس يرى أن تحرر المراة من التبعية الاقتصادية التي تنوء بعبئها في ظل نظام الملكية الخاصة سيفتح الطريق أمام علاقات انسانية حقة . وقد عارض بقوة أفكار « الشيوعيين السوقيين » الذين كانوا يريدون سحب الملكية المشاعية على النساء ، فهـم بسلوكهم ذلك المسلك يحلون الملكية العامة ، كما قال ماركس محل الملكية الخاصة . وفي كلتا الحالتين تكون النساء قد اقصين عن التطور الانساني . وان مشاعية النساء علاقة لا يعرفها الا المجتمع البورجوازي ، وهي تتمثل حاليا في البغاء . غير ان البغاء يرتكز الى الملكية الفردية ويزول بزوالها . هذا يعني ان التنظيم الشيوعي في المجتمع سوف يقضي على مشاعية النساء بدلا من ان يغذيها . »

لقد استغلت المراة السوداء واستبعدت من قبل البيض في امكنة مختلفة من العالم ولا سيما في الولايات المتحدة الامريكية وجنوب افريقيا ، واستخدموها في الانتاج اللذي يلبي رغبات البيض . ان الاضطهاد الذي تلقاه المراة السوداء لهو اضطهاد اشد قسوة من اضطهاد السادة للعبيد . فالبيض يريدون من السود ان يكونوا آلة صماء توجه حسب رغباتهم في الانتاج ، ومع ذلك فليس لهم اي حق يطالبون فيه ، او يرفعون به اصواتهم . فهم قد سلبوا الحرية ، ولوحقوا وعذبوا بوحشية متناهية . وفي هذا المجتمع كانت المراة تحت تاثيرات قمعيـة وارهابيـة .

ا ــ المراة في هذا المجتمع هي دون المراة التي من جنسها من البيض ، وللمراة البيضاء ان تستخدم المراة السوداء في اي عمل ، وتمثيل ذلك حـكم المراة للمراة ، والضغط على حريتها واستعبادها واستغلالها .

ب ــ المراة فوق هذا مضطهدة من الرجل الابيض والاسود ، وان كانت درجات الاضطهاد متفاوتة بين الرجال البيض والسود . فالرجل الابيض يعتبرها شيئا من الاشياء ، والرجل الاسود يعتبر المراة السوداء هي دونه في كل شيء ،

(١) كتاب الثورة وتحرر المراة تأليف « شيلا روبتهام » ترجمة جورج طرابيشي ص ٥٦ ــ ٧٠

وهي لا تستطيع بنظره ان تعمل في حقل الانتاج مثل ما يعمل هو . فالمراة السوداء مستعبدة من المراة البيضاء والرجل الابيض والرجل الاسود .

جـ ـ المراة السوداء رازحة تحت عبء الاعمال المنزلية ، وتربية الاولاد . ولذلك فهي لا تقوم بدور ايجابي في اعمال الانتاج ، وفي الاعمال الاقتصادية الجماعية . .

د ـ المراة السوداء مستغلة من قبل الراسماليين البيض الذين ملكوا المعامل والمصانع والاراضي ووسائل الانتاج ، فهي بذلك سوف تظل مخنوقة معرضة للمضايقات ، مسلوبة الحرية ، بعيدة عن التحرر ، فهي تقوم باعمال السخرات ، والاعمال التي لا تسمن و لاتغني من جوع . . .

هـ ـ المراة السوداء هي في بداية النضال الآن ، وعليها ان تناضل ، وعلى الشعوب المكافحة ان تناضل معها ، وعلى الدول الاشتراكية ان تمد لها يد العون والمساعدة ، وتقدم لها الامكانات المتاحة لتحررها من العبودية والاستغلال .

و ـ تجار المراة السوداء بصوتها فهل من مجير ! وتستغيث فهل من مغيث! تقول للعالم : تعالوا انقذوني من براثن الراسمالية والعنصرية وعبودية الامبريالية . فلتتعاون نساء العالم لانقاذ المراة السوداء ، وتحريرها من نير الاضطهاد .

لقد قارب التطوير التكنولوجي الهوة في العمل والانتاج بين الرجل والمراة . ان التطوير التكنولوجي لم يعد يتطلب قوة عضلية ، بل يتطلب مهارة وعلما (١)« لقد مرت عصور كانت فيها للقوة العضلية ميزة حاسمة في الكفاح من اجل الحياة ، فالصيد والرعي والزراعة التي كانت وسيلة الحصول على الغذاء قامت على القوة العضلية . غير ان هذا كله اصبح اليوم جزءا من الماضي في البلدان المتقدمة ، وليس بوسع احد ان يتحدث اليوم باية صورة عن تفوق الرجل على المراة ، الا انه في الوقت نفسه يجب ان لا نقول بوجود وحدة تامة بينهما . »

(١) كفاح المراة على الصعيدين العالمي والعربي ـ وفيقة حمدي الشاعر ص ٥٠

لقد تطور الانتاج لدى المراة عبر عصور مضت . ففي العهد الحجري أي في عهد النظام المشاعي لم يكن للمراة دور يذكر في الانتاج . وبما ان الحياة كانت بسيطة وغير معقدة ، والتجارب في مضمار الانتاج لا تكاد تذكر ، والعلم والخبرة في طورهما الاول ، والآلات والادوات لا تزال بسيطة ، فانصرفت المراة الى الزراعة والتفتيش عن النباتات الصالحة للاكل ، والطعام البري ، وصيد السمك ، وصنع الملابس ، والعمل في البيت وما يتطلبه من اعمال مختلفة من تنظيف وغسل وطبخ وغيره .

ففي العهد الاقطاعي ابتلعت الملكية الكبيرة الملكيات الصغيرة ، وظلت المراة تشكل اساسا في الانتاج الزراعي وخاصة في الريف .

وفي العهد الراسمالي الذي اعتمد على استغلال المراة واستثمارها ، اذ كانت المراة تعطي للراسمالي معظم عملها وجهدها ووقتها ليعطيها اجرا لايتكافأ مع الجهد ، وتركز الانتاج ووسائله بيد هؤلاء الراسماليين ، وظلت المراة قاصرة عن ادراك دورها الحقيقي في الانتاج بالرغم من بذلها كل ما تستطيع من اجل الانتاج . تعطي كثيرا لتأخذ قليلا ، وتجهد جهدا كبيرا لتتقاضى اجرا زهيدا .

اما في العهد البورجوازي فقد بقيت المراة على حالها ، الا انه تولد عندها حاجة الى الثورة التي تعصف بالبورجوازية ، فنشأت طبقة عاملة من النساء يطالبن بحقوقهن ، وبرفع الظلم ، وبالمطالبة بالمساواة بين الرجل والمراة .

اما النظام الاشتراكي الذي يشكل الآن ثلث سكان العالم فقد حصلت المراة على اغلب حقوقها التي كانت تطالب بها ، واندفعت مسرعة نحو العمل المنتج في المعامل والمصانع ، وشاركت الرجل في جميع الميادين ولا سيما في ميدان الانتاج الصناعي ، وكان لها دور كبير في المعامل والمصانع والمزارع والحقول ، وفي جميع مجالات الانتاج المختلفة .

وفي الوقت الحاضر ، المطلوب من المراة معرفة مهنتها معرفة دقيقة ، والتعرف على التجهيزات المعقدة ، كما يتطلب منها معرفة واستخدام « الاتمتة » والمكننة في الانتاج حتى يتاح للمراة ان تستمتع بعملها ، وحتى يزداد الانتاج ، ويزداد معه عدد النساء اللائي يشتغلن في الانتاج . ان التاهيل ضروري للمراة

لكي تؤدي عملها بكل ارتياح وبكل ثقة . ومن اجل ذلك ، ومن اجل رفع كفاءة النساء فانه من الضروري ان تفتح المدارس التي تملك ناصية التاهيل بالاضافة الى المهن العملية والتعليم العام الثانوي . ففي مصنع الساعات في موسكو عام ١٩٧٤ تم تعليم اكثر من ثلاثة آلاف عاملة ، وقامت المعاهد المتوسطة الفنية بالتدريس والتعليم ، وانتسب العديد الى المعاهد العليا ، وتعلم الكثير ايضا عن طريق المراسلة . ومع رفع كفاءة المراة واعدادها ومهارتها فانه يجب ضمان الظروف الصحية لها ، وتحسين ظروف عملها ، ومن هذه الظروف مثلا فتح مطاعم شعبية ، وتوسيع الشبكة الطبية ، وتنظيم الراحة والسياحة بهدف حماية صحة المراة ، ومن اجل ذلك يجب بناء المصحات والبيوت الصحية السياحية والمصحات الوقائية ، وبيوت الراحة العائلية ، وتحسين احوال الاسرة ، وتوفير اسباب الراحة للمعيشة . وبهذا يمكن للمراة ان تنطلق في الانتاج وان تزيد في انتاجها وان تطور كفاءتها ومقدرتها في العمل . وقد دلت الاحصاءات على انه يوجد في العالم ٥٧٠ مليون امراة عاملة بينما يبلغ مجموع القوى العاملة حوالي ١٦٣٧ مليون شخص بمعنى ان المراة تحتل ثلث القوى العاملة في الانتاج على مستوى العالم .

ان المراة في الاقطار العربية تعاني من الامية بنسبة ٨٣٪ . وحتى النسبة المتعلمة منهن لم يقمن بالدور المطلوب منهن وذلك لاسباب عديدة منها : الجهل ، وتفشي الامية ، ووجود التقاليد والعادات السيئة ، وقلة مراكز التدريب المهني ..

الانتـاج البشـري :

الانتاج البشري هو ذلك الانتاج الذي يتكاثر بولادة الاطفال . غير ان هذا الانتاج يخضع للنظام الاقتصادي وللانتاج المادي ، فاذا ازداد الانتاج البشري كان بالضرورة زيادة الانتاج المادي ، واذا تناقص الانتاج المادي كان بالضرورة انقاص الانتاج البشري . ومن هذا المفهوم نشأ تحديد النسل في اغلب بلدان العالم . وقد كانت الاقوام البدائية تحدد النسل ايضا اذ تقدم على قتل اولادها ، او تمنع الزواج .. ولقد اتبع طريقة قتل الاولاد اقوام من عرب

الجاهلية ، وكذلك كان الفراعنة ، واليونان وغيرهم . كانوا يعتبرون ان المراة غير قادرة على العمل والانتاج المادي ولا تشارك الرجل في عمله الا قليلا ، وكان الهوان والعار يصيب والديها وعائلتها ان ارادت التكسب بعرضها . لقد شاع كما قلنا وأد البنات عند قدماء اليونان اذ كانوا يقدمون اجمل بناتهم قربانا للآلهة لتنعم عليهم هذه الآلهة بالخير والموارد ، وكذلك كان الفراعنة يقدمون اجمل فتياتهم الى النيل خوف الطوفان الذي يقضي على الزراعة والمزروعات ، وكان العرب ايضا يفعلون مثل ذلك فيقدمون على وأد البنت ، ويفسر وأد البنات في الجاهلية الى الاسباب التالية :

١ ـ كان القدماء يكرهون البنات ، وينسبون لها كل سوء اذ كانت في اعتقادهم تجلب لهم الضر ، ويلصقون بها كل النقائص .

٢ ـ كان باعتقادهم انها تجلب لهم الاعباء الثقيلة بعجزها عن العمل والتكسب الشريف اذ يعتبرونها عالة عليهم .

٣ ـ خوفهم من الفقر اذ كان الفقر منتشرا بين هذه الاقوام ، فلا يستطيعون اطعامها واكساءها ، وليس لديهم ما يسدون به رمقهم .

٤ ـ كان باعتقادهم انها تجلب لهم العار والمهانة .

لقد كان ضيق اليد والفقر والعار هم الذين حملوا تلك الاقوام على ان يئدوا البنات ، وان يقدمونهن قربانا للآلهة ، (١) « ونخرج من هذا جميعه بأن هذه النقائص الظاهرة مصدرها واحد ، وهو النزاع على الرزق وما اوجبه من تقديس فضائل الحماية والدفاع عن الحرمات . فهذا المصدر يفسر لنا وأد البنات خشية الاملاق ، كما يفسر لنا وأدهن خشية العار ، ويفسر لنا احتقار البكاء على المراة ، كما يفسر لنا اعزاز جارها حتى لتنشب الحرب اربعين سنة غضبا من اصابة ناقة في جوار خالة رئيس . » لم يكن الوأد معروفا الا في بعض قبائل العرب اشهرها ربيعة وكنده ، ويقول عبد الله عفيفي (٢)« والحق ان الوأد

(١) عباس محمود العقاد في كتابه « المرأة ذلك اللغز » ص ١٨١
(٢) عبد الله عفيفي في كتابه المراة العربية في جاهليتها واسلامها ص ٤٣

لم يكن معروفا الا في فرائق من ربيعة وكنده وأفذاذ مغمورين لا يعدون قلة من مختلف القبائل وهم بين رجلين : رجل املق من عقل ومال فلا يخشى ان يسيء الفقر الى ادب ابنته ، ويهتك من سترها ، ويبذل من عرضها . وذلك جبان لا عزم له ولا ثقة ولا ايمان . والعرب براء منه . وآخر من سراة القوم ذهبت بعقله الغيرة ، وهوى بنفسه الاشفاق من تبدل الحوادث ، وتداول المثلات ، وما عسى ان يصيبها من ذل أو سباء .»

ومما يؤكد على ان البنات كن يوءدن بسبب اقتصادي هو اقدام بعض سادات العرب على افتداء المولودة ، ومن بين هؤلاء السادة : زيد بن عمر بن نفيل القرشي ، وصعصعة بن ناجية التميمي فقد كانا يتلمسان المولودات فيبذلان في سبيل ذلك عن كل مولودة بعيرا وناقتين عشراوين وكان عمر بن نفيل من أكابر القوم فاذا ابصر بموؤدة أسرع اليها وافتداها ومما قاله لوالد يهم بواد ابنته : « لاتقتلها انا اكفيك مؤونتها .. فيأخذها ويتولى امرها وبربيها وينشئها تنشئة طيبة حتى اذا كبرت قال لابيها : ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤونتها . » وهكذا كانت تفتدى البنات .

ان الانتاج البشري غريزة فطرية لدى المراة ، فهي تحب ان تنجب ، واذا حال العقم بينها وبين الانجاب فانها تحاول المستحيلات ، وتعرض نفسها على كثير من الاطباء الاخصائيين ، ويأخذ بها حب الانجاب الى ان تتبع طرقا غيبية بعيدة عن العلم وما ذلك الا لان العقم قد سبب لها حالة نفسية صعبة ، واضطرابا عضويا في اعضائها . قد تفشل المراة في الزواج ولكن هذا الفشل يسبب لها المتاعب الكبيرة والرغبة الجامحة في حبها للاطفال واحتضانها لوليد ضعيف تحدب عليه وتحن اليه . وتراها في الولادة الشاقة وهي مسرورة ، فمع الالم لذة ، ومع تربية الاطفال اشباع لغريزة الامومة وتصعيد لميولها الفطرية . ان المراة اذا لم يكن لها وليد ستشعر يوما ما بالفراغ الذي يضيف الى متاعبها وهمومها متاعبا وهموما . يرى بعض الاطباء ان بعض النساء يصبن بمرض « النورستانيا » الذي ينشأ عن عدم انجاب الاطفال ، او فشل المراة في الزواج ، او العقم او المرضى وفي كل الاحوال فان المراة تواقة لرواية وليدها ، واشباع رغبتها في النسل والانجاب .

ان اسباب الزواج او الغاية منه هو : المحافظة على النوع البشري ، واشباع الرغبات الجنسية ، وارواء الغريزة الفطرية في النسل والانجاب وبعضهم يضيف تخليد الام ، ومساعدة الاولاد لوالديهم في جلب الرزق والكدح من اجل الحياة ، والاولاد في هذه الحالة وبقية الحالات يعتبرون هم الوارثين لآبائهم ..
ولو قضي على النسل البشري لم يعد مبرر لوجود الحياة . ان النسل ضروري بل ان الانتاج البشري يعتبر غاية في الاهمية لتقوم الحياة ، ولينشأ العمران وتتطور الحضارة . واذا ازداد الانتاج البشري كانت هذه الزيادة سببا في تحريض العلماء والباحثين على ايجاد طريقة تتلاءم مع هذه الزيادة ، ولهذا نرى المخترعات والابتكارات في جميع مجالات الحياة ، ولولا تلك الزيادة لوقف العقل البشري ، واقتنع بما هو موجود ، ولم يعد من حاجة للاختراعات والابتكارات . لقد استطاع العلم ان يستخرج من البترول بروتينا ، ومن المواد الاخرى الاغذية اللازمة لجسم الانسان ، بل كانت هناك وسائل لجعل الارض تعطي عدة مواسم في السنة . وبهذا يتظافر العقل البشري وتحيك بموجودات الطبيعة ليكتشف اشياء جديدة لم تكن من قبل .

ان الانتاج البشري كأي انتاج يجب انتقاء البذرة الصالحة للانتاج الخالية من كل مرض او عطب ، كما يجب انتقاء الارض الطيبة واستصلاحها ، والتأكد من انها خالية من كل عشب ضار ، او احجار او ما شابه ذلك . وعندما تنمو النبتة لا بد من سقايتها ورعايتها وتشذيبها حتى اذا كبرت اعطت ثمارا طيبة واعطت للوطن ولم تبخل عنه شيئا ، فذلك الزوجان يجب ان يختار احدهما الآخر على اسس صحيحة وكذلك الولد الذي يستنبت ويعلم العلم الصحيح حتى يكون نافعا للمجتمع ، انسانيا لكل البشر . ان المرض الذي يحمله احد الزوجين يؤثر على الانتاج ، كذلك فان بعض الامراض المعدية التي تؤثر على احد الزوجين وتؤثر على الاولاد ، وبهذا يجب المحافظة على صحة الوالدين ، والمحافظة على صحة الاعضاء التناسلية ، والمحافظة على الجسم بصورة عامة .

يتوقف الانتاج البشري نتيجة اصابة احد الزوجين بمرض يمنعه من الانجاب ، ونتيجة عملية الاجهاض التي يقدم عليها النساء اللاتي اصابهن الفقر ،

أو اشتداد أزمة السكن ، او اضطرار المراة للعمل خارج البيت . وفي كل هذه الاحوال تقدم المراة على الاجهاض لتتخلص من ضيق ألم بها مرده الفقر والعوز .
ويتوقف الانتاج البشري ايضا نتيجة قتل الاطفال الذين يولدون ويرون الحياة ، وهذه الطريقة كانت متبعة في الاقوام البدائية ، وفي العصر الجاهلي من ايام العرب اذ كانوا لا يعرفون من حبوب منع الحمل ، او الطرق الاخرى لمنع الحمل ، وفي كل الاحوال فان هذه العملية على اية طريقة كانت تعتبر توقفا عن الانتاج البشري اذ يتمثل في المنع قبل الحمل ، وفي الاجهاض اثناء الحمل ، وفي القتل اثناء وبعد الولادة . ومن الملاحظ أو هو جدير بالملاحظة أن الرجل يقوم بالقتل اثناء وبعد الولادة ، وتقوم المراة بالمنع قبل الحمل وبالاجهاض اثناءه . الاب والام يشتركان في عملية التوقف هذه . وكذلك يتوقف الانتاج نتيجة الحروب .
ان الحروب عدا عن كونها تكنس كثيرا من الرجال والنساء والاولاد فانها تباعد بين المراة والرجل ، فالرجل في ساحات الحروب بعيدا عن المراة ، والمراة منهمكة في عملها في المعامل والمصانع تؤدي دورها في الانتاج المادي . واذا توقف الانتاج البشري فان عملية التوازن تختل ويصبح من العسير استمرار الانتاج المادي ، ذلك ان الارض الزراعية ولا سيما بعد الحروب تحتاج ليد عاملة ، والمصانع تحتاج لذلك ، وكذلك باقي الاعمال ، وفي هذه الحالة يصبح من الضروري اشراك المراة اشراكا فعليا في الاعمال الزراعية والصناعية ويصبح من الضروري ايضا زيادة الانتاج البشري . والتوفيق بين الانتاج البشري والمادي له اهمية كبرى في عالم الاقتصاد والاجتماع .

لقد تنبهت بعض الدول الى خطورة تناقص الانتاج البشري ، وعملت كل ما بوسعها لزيادته على مستوى الشرق والغرب وحتى الاحزاب الشيوعية نفسها. وهناك الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي الذي اكد في مؤتمره الرابع عشر على اهمية الانتاج البشري ، فأعطى التسهيلات اللازمة لهذا النوع من الانتاج . ومن اهم هذه التسهيلات : اعطاء الام اجازة ولادة ٢٦ شهراً ودفع اجرتها ٩٠٪ . وفي عام ١٩٧٣ ازدادت الاعانات لتشجيع انجاب الاطفال ، فقد اصبح يعطى للطفل الواحد ٩٠ كرون في الشهر ولطفلين ٤٣٠ كرون ولثلاثة اطفال ٨٨٠ كرون ولاربعة ١٢٨٠ كرون . وعند ولادة الطفل يعطى مكافاة او اعانة

لاسرته تقدر ٢٠٠٠ كرون وذلك تشجيع للزواج وللانتاج البشري . ومن الامور المشجعة ايضا على هذا ابقاء المراة في البيت مع وليدها بنسبة ٩٠٪ لمدة سنة ، وابقاء المراة في البيت مع وليدها بنسبة ٧٠٪ لمدة سنتين لتقوم على تربية اولادها والعناية بهم .

الآثار التي ترتبت على المراة بدخولها ميدان الانتاج المادي :

يقول « ب.ج ريتشاردسون » الذي شاهد النساء يحملن بالات قماشية مبللة بالماء : « هذا عمل رجال ! ولا ينبغي لكن أن تقمن بعبئه . ان مكانكن في البيت ومهامكن ذات صفة منزلية . ومصلحتكن انما السهر على رفاه أسرتكن وليس في اجهاد انفسكن لمراكمة ثروات الآخرين الذي يحلو لكن على ما يبدو ، وبالعاركن ان تكن اماء لهن ! عليكن بالزواج انتن يا من ليس لهن بعد أزواج ، واجعلن الرجال يعملون بدلا منكن . أما انتن اللائي لهن ازواج واسر ، فانصرفن الى بيوتكن واسهرن على راحة عائلاتكن . » ان قول ريتشاردسون قول يقصد به ان تختص المراة في نوع معين من العمل يتناسب مع قدرتها ومع طبيعتها ، وليس ذلك ما يمنع من ان تعمل في اعمال لا تحط من كرامتها ، ولا توضع من قدرها ، بل ويحضها على ان تعمل في المنزل وتعمل على راحة اسرتها . وقد كتب « انجلز » عن المراة عاملة المصنع ، وعن استئنافها العمل بعد الانجاب ، وعن الطفل الذي يبقى في المنزل منتظرا والدته حين تعود من عملها عند المساء كتب قائلا : « كانت الامهات يلاقين صعوبات كبيرة ، ويلاقين آلاما مبرحة من امتلاء اثدائهن بالحليب ، كما يجدن آلاما مبرحة عند الطمث . فحالة الهجران التي يترعرع فيها الاولاد اذا كانت الام تعمل ، والوضع الشاذ للرجل الفقير الذي لا يستطيع ان يجد عملا والذي يحس بانه مخصي ومذل اذ يرقأ جوارب زوجته فيما تكسب هذه رزق الاسرة يبرهنان على ان الجنسين كليهما القي بهما من البداية في وضع غير صحيح ، وان الرجل يشعر بانه مسلوب الرجولة . » وكذلك فان « انجلز » يقول : « اذا كانت النتائج المباشرة (لعمل الاولاد والنساء) رهيبة ومقززة ، فان هذا العمل يساهم بالمقابل ، بتعيينه للنساء والفتيات والاولاد من كلا الجنسين حصة موفورة في عملية الانتاج خارج نطاق المنزل ،

في خلق قواعد اقتصادية جديدة ضرورية لشكل اسمى للأسرة وللعلاقة بين الجنسين . » كما أن « ماركس » يعترف في كتابه « راس المال » أن هناك مشاكل للعاملات ومشاكل الآثار التي خلقتها الآلات وهذه المشاكل العديدة هي التي أدت بانحلال الاسرة ، وينسب هذا الانحلال الى نظام المصنع والى الانفصال الفيزيائي بين البيت والمصنع .

لقد انعكس دخول المراة العمل على نواح عديدة في حياتها أهمها :

١ ـ اثر دخول المراة العمل على العلاقات الجنسية بين الرجل والمراة ، واصبحت هذه العلاقات تتسم بالبرود والقرف نتيجة التعب والارهاق من جانب المراة اذ اختل توازن هذه العلاقة وأثر على الانتاج البشري .

٢ ـ بقيت عدة اسئلة لم يجب عليها ماركس وانجلز اذ تعتبر هذه الاسئلة من صميم الحياة الاقتصادية ، ومن الواقع الثوري للمراة ، ومن دورها الجنسي ، والكفاحي ، والمردود الكبير في الانتاج . ومن هذه الاسئلة : هل التغيرات التي طرأت على نظام الملكية الخاصة تستطيع تبديل تنظيم الانتاج وتبديل الواقع الثوري للمراة ؟ . هل استطاعت الثورة التي حولت اسس المجتمع الاقتصادي باتجاه الاشتراكية أن تحول او تبدل من الدور الجنسي للمراة ؟ . هل استطاعت المراة لوحدها ان تدخل الميدان الكفاحي ضد الراسمالية ؟ . هل استطاعت المراة بدخولها الميدان الاقتصادي والمشاركة في العمل الانتاجي ان يكون مردودها كبيرا ؟ . هل المراة حصلت على حقها كطبقة بالمعنى الماركسي للمصطلح ؟ ... (١)« كان ماركس وانجلز على حد سواء يفترضان ان النساء سيشاركن على نفس منوال الرجال في النضال في سبيل تحويل المجتمع ، مع ان وضعهن العام في المجتمع لم يكن معادلا بصورة من الصور لوضع الرجال . كانا على استعداد على المستوى الشخصي للقبول بمشاركة المراة في العمل الثوري على اساس المساواة التامة . وقد اخذ ماركس على عاتقه الدفاع عن الشعبة النسائية من الاممية . والح على نشاط النساء اثناء عامية باريس وكان الثناء لهن على بطولتهن . وماوني يشجع تطور بناته

(١) كتاب الثورة وتحرر المراة تاليف شيلاروبتهام ترجمة جورج طرابيشي ص ٥٦ ـ ٥٧

ونشاطاتهن . وكان انجلز يحترم الروح الجمهورية والوعي البروليتاري لدى ماري وليزي ، ولم يتردد في التعلم منهما . لكن في داخل المنظمات الثورية كانت النساء يعانين من وضع دوني هو بوجه عام عين وضعهن في المجتمع . فقد كان العديد من الثوريين يعجزون حتى بعد ان يصيروا اشتراكيين عن التخلص من ازدرائهم العميق للنساء . » هذا هو المفهوم العام عن المراة لدى ماركس وانجلز .

٣ ــ ان للمراة وظيفة فطرية جبلت عليها الا وهي وظيفة الامومة . فهل استطاع احد من الكتاب او الفلاسفة ان يغير في هذه الوظيفة او يستبدلها ؟! ان خلايا المراة وجهازها العصبي وتكوينها الفيسيولوجي يدل على ان المراة لديها الاستعداد الكامل لهذه الوظيفة . فالمراة تشعر نفسيا وغريزيا انها بحاجة الى وليدها ، وتعمل المستحيلات ليكون لها ولد ، واذا لم تنجب سارعت الى الاطباء . ان ثدييها الممتلئين يضغطان عليها لتسرع الى ابنها فترضعه ، وقلبها يهلع اذا غابت عنه لمدة طويلة تلك المدة التي تقضيها في المصانع والمعامل من الصباح حتى المساء . ان الآلام النفسية والجسدية سوف تنتابها اذا ابتعدت الام عن وليدها ، وهذه الآلام سوف تؤثر تاثيرا جذريا على العمل وعلى الانتاج . وكذلك فان المراة لا تستطيع تأدية عملها كاملا وهي حاملة او واضعة حملها ، او مصابة بعادتها الشهرية .

٤ ــ ان عمل المراة في المعامل والمصانع والمزارع وبعدها عن وليدها سوف يؤثر على الانتاج البشري . واذا قارنا بين الانتاج المادي والانتاج البشري للمراة من حيث النتائج لراينا ان الانتاج البشري هو اهم بكثير من الانتاج المادي «(١) فالنساء بصفتهن فئة هن في وضع مادي مختلف عن وضع الرجال : انهن ينجبن . وبحكم ذلك لا تقل مشكلة التناسل اهمية بالنسبة اليهن عن مشكلة الانتاج ولئن لم تحسن الثورة حل المشكلة الثانية فانها لم تستشف المشكلة الاولى الا استشفافا لا اكثر . » وقد اولت بعض الاحزاب الشيوعية اهمية كبيرة الى الانتاج البشري اذ شجعته واعطت التسهيلات اللازمة ، واعطت

---

(١) الثورة وتحرر المراة تاليف شيلاروبتهام ترجمة جورج طرابيشي ص ١٥٩ .

مكافآت مادية ومعنوية على زيادته ومنها الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي . وتقول وفيقة حمدي الشاعر . (١) ان العناية بالتدبير المنزلي وتربية الاطفال لا تزال تعتبر احيانا واجب المرأة الوحيد . لقد قسم لينين تحقيق مساواة النساء الى مرحلتين . وان مهمة المرحلة الاولى من الثورة البروليتارية هي ايعاد جميع المواد التي يقرها القانون والتي تحدد المساواة الشكلية للنساء والرجال. وقد وصف لينين هذه المهمة للدولة الاشتراكية بأنها مهمة سهلة وبسيطة نسبيا .. وفي المرحلة الثانية يجري الحديث عن المساواة العملية وعن ادخال المساواة الشكلية في الحياة اليومية وهذا عمل طويل . »

لقد اعتبر بعض المفكرين والاقتصاديين ان الانتاج المادي هو المقياس وهو المفضل ، غير ان للانتاج البشري اهمية كبرى وهو الاساس وان بدا ان الانتاج المادي هو المفضل وذلك للاسباب التالية :

أ ـ اجمع الاطباء على ان لبن الام الطبيعي هو افضل بكثير من انواع اللبن المجفف كافة . وعلى هذا فان الطفل الذي يعتمد على لبن امه هو اقوى جسميا ونفسيا ، وبالتالي يستطيع ان يخدم وطنه والعالم اجمع بكل جدارة وامكانية في جميع المجالات وبخاصة منها الاقتصادي ، وسيكون دوره في الانتاج والعطاء عظيما .

ب ـ اجمع علماء النفس على ان الطفل الذي يكون بجانب امه ترعاه وتناغيه وتستمع اليه ، وتستجيب له ، وتلبي حاجاته لهو طفل اقدر على مواجهة الحياة من الطفل الذي يكون بعيدا عن امه ، لان الطفل يتأثر بما يحيط به . فحنان الام الدافىء وحبها المتزايد لطفلها سوف يتأثر به الطفل فينشأ نشأة صحية ونفسية تساعدانه على الانتاج . يؤكد علماء النفس ان الطفل الذي ينشأ في حظائر الاطفال انما ينشأ على الحرمان من الحنان ، وتتولد عنده الخشونة والشراسة والقسوة ، فيقل عطاؤه ، ويتناقص انتاجه . ومن المعلوم ان الام في حال تربيتها لابنها تختص بوليدها لوحده ، بينما في حظائر الاطفال

---

(١) كتاب دور المرأة في التقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ص ٨٢ .

فان المشرفة تختص بعدد من الاطفال من ٨ ـ ١٢ ولد على الاقل لذلك فان الاشراف على ولد واحد يكون اجدى من الاشراف على ثمانية اولاد او اكثر ، وكذلك فان العناية والنظافة والتعليم تكون اجدى .

جـ ـ المراة ووليدها لا يمكن ان يفترقا عن بعضهما فهما صنوان . وهذا ما اثبتته التجارب والحوادث . فاذا بعدت المراة عن وليدها اصاب هذا الوليد اضطرابات عصبية ونفسية ، وان بعد الوليد اصاب الام اضطرابات عصبية ونفسية . والقاعدة الصحيحة في هذا الشأن هي ان تكون الام ووليدها قريبين من بعضهما . ولهذا ترى الابناء غير الشرعيين ، وابناء المطلقات ، وابناء الامهات البعيدات بعمل او نحوه ، وابناء الذين استشهدوا او ماتوا ينشأون نشأة غير صحيحة من الناحية الخلقية والنفسية والجسمية ، اذ هم ينظرون الى المجتمع نظرة ازدراء واحتقار ، فهم ميالون الى الانحراف ، ولا يقدمون لوطنهم وامتهم الا الشيء القليل . وقد اجري استفتاء في مصانع « رينو » للسيارات في فرانسا للعاملات فكانت الاغلبية تفضل ان يكن مع وليدهن . ان الحب والحنان هما اساس تربية الطفل ومَن مِن الناس اقدر على بذل الحب والحنان من الام ، انها الام التي تهز السرير بيمينها والعالم بشمالها . وكلما كان الحب والحنان متوفرا توفر للجيل وللانتاج البشري القدرة على ممارسة الحياة في جميع مجالاتها . واذا توفر الحب والحنان في دور الحضانة فانه سيتوفر بالتأكيد بصورة اكثر في قلب الام وفي فؤادها . وما دام هـذان العنصران هما اساس التقدم والنجاح فعلينا ان نوفر لاطفالنا الحب والحنان ، وعلينا ان نزرع في نفوسهم هذه الشجرة يقول « اشيلي مونتاغو » الاخصائي في علم الاجناس البشرية : « ان اهم مـا يتطلبه الوليد هو العناية كي يبقى حيا غير ان تلبية حاجاته الجسدية لا تكفي دائما لتحقيق هذا الفرض . وبفضل عدد كبير من الاطباء والباحثين الذيـن كرسوا جهودهم كل في حقل اختصاصـه نعرف الآن ان الحب يشكل عنصرا اساسيا في تغذية كل طفل وليد . فالحنان شرط رئيسي لا غنى عنه ابدا من اجل نموه وتطوره النفسي والعقلي والجسدي . اما اذا حرم هـذا العنصر فقد يتعرض ـ حتى ان احسنت تغذيته ـ للذبول وربما للموت ، وهذه المهمة المقدسة هي مهمة الام » .

اذا فقد الوليد الحب والحنان نشأت عنده تعقيدات عصبيةونفسية وخلقية وتصرف تصرفا مزريا ، واساء الى الآخرين ، وانحرف عن جادة الصواب . فبدلا من ان يقدم لوطنه كل الخير بات يقدم لوطنه الشر . ويقول « اشيليمونتاغو» في هذا الصدد : « ومما لا ريب فيه ان الحرمـان من الحب والحنان الذي هو التأخر على صعيد النمو الجسدي يبدو اشد وافدح على صعيد نموالشخصية وسلوك الطفـل وتصرفاتـه ، فالاجرام والعنف العصبي والتعقيـد النفسي والتصرفات الاجتماعية الشاذة وغيرها من اضطرابات السلوك يمكن تفسيرها جميعا بالحرمان الذي يكون قد عاناه الشخص وهو صغير في فترة طفولته » . فلنبـذل نحن الآباء والامهات قصـارى جهدنا لنبذل الحب والحنان لاولادنا ليستطيعوا تقديم كل شيء لامتهم ووطنهم . « ومن هنا كانت افضل وسيلـة لمعالجة الاطفال ذوي المسلك العدواني او ما نسميهم « اشقياء » هي اغـداق المزيد من الحنان عليهم لا اخذهم بالشدة والعنف » . واذا كانت الام تعمل بعيدا عن مكان وليدها ، واذا كانت المعامل والمصانع بعيدة قربنا الام بشتى الوسائل وهي اما ان يكون مسكنها بجانب المعامل والمصانع فتكون بذلك قريبة من ابنها حتى ولو توفرت دور الحضانة ، ودور الحضانة يجب ان تكـون قريبة من المعامل والمصانع حتى يتسنى للام ان ترى وليدهـا وتشعر بقربـه مما يجعلها تحس بالطمانينة والحنان ، وكذلك الطفل فانه يشعر بقرب امه منه فتغدو المسالة ان الام تستطيع ان تزيد في انتاجها لانه لايوجد ما يشغل بالها ، او يحطم معنوياتها ، وكذلك فان الوليد يستطيع ان يشعر بالحب والحنانفتنشأ عنده التصرفات الخيرة ويبدو عليه الهدوء ، وينطبع بطابع الاخلاق ، ويصبـح بشخصيته متميزا . ولكن اذا كانت الام بعيدة عن طفلها طوال اليوم او طوال ساعات الدوام فكيف يتسنى لهذه الام ان تغدق حنانها وحبها نحو هذا الوليد الذي ينتظرها وينتظرها ؟ وكيف يبقى بين يدي مربيات طوال هذه الفتـرة ، وهو بحاجة الى ثديها كما هو بحاجة الى صدرها وحنانها ؟ . حقا انها بمشكلة لتنتظر الحل وحلها هو ان تبقى الام بجانب وليدها ، وعلى المسؤولين ان يوفروا السبل لتنفيذ هذه المهمة ، وان يشيدوا دور الحضانة القريبة من المعامـل ، او ان تكون المعامل قريبة من سكن الام ، وان يوفر ويهيأ للام ان ترى وليدهـا

كل ٢ ـ ٣ ساعات على الاقل مرة لكي يتاح لها أن تزيد في انتاجها وان تشرف على وليدها ، وان تنشىء الوليد على الحب والحنان .

٥ ـ عمل المراة بين الرجال ، واحتكاكها المباشر معهم يؤدي بها الى ميوعة الاخلاق ، والى انتشار الاباحية الجنسية التي تؤثر بل وتهدد النظام الاشتراكي اذ يكثر الاولاد غير الشرعيين الذين فقدوا كل حب وحنان ، وتتعطل آلة الانتاج . فبدلا من ان تهتم العاملة او العامل بالانتاج وزيادته وتحسينه ، وبالعمل الدؤوب المتواصل ، فانهما يهتمان بالجنس وبالعلاقة الجنسية ، فيدب الفساد ، وتتعطل المواهب ، ويكثر الطلاق ، ويزيد الشحناء والبغضاء بين الازواج فتتفكك الاسر ، ويضيع النسب ، وتنحل الاواصر القوية بين المجتمع ، واسمع « انطون نيميلوف » العالم الطبيعي السوفييتي الشيوعي يقول في كتابه « بيولوجية المراة » : « الحق ان جميع العمال قد بدت فيهم اعراض الفوضى الجنسية ، وهذه حالة جد خطرة ، تهدد النظام الاشتراكي بالدمار ، فيجب ان تحارب بكل ما امكن من الطرق ، لان المحاربة في هذه الجهة ذات مشاكل وصعوبات ، ولي ان أدلكم على آلاف من الاحداث يعلم منها ان الاباحية الجنسية قد سرت عدواها لا في العمال الاغرار فحسب ، بل في الافراد المثقفين من طبقة العمال ايضا » والطريقة الوحيدة لمحاربة « الفوضى الجنسية » هي بعد الرجال عن النساء وبعد النساء عن الرجال ، وان تلتزم المراة العمل الفطري الذي جبلت عليه . وانظر الى الاستاذ جروان السابق يقول : (١) « البنت الدراسات الطبية ان زهاء نصف هذا الجنس الثالث على علاقة جنسية مع الذكور الفتيان سواء تسامح الاهل بهذه العلاقة ام لم يتسامحوا وغالبا ينتهي هؤلاء الفتيان الى الزواج منهن . فكان لا بد لها من هذه العلاقة قبل الزواج لتقتفي الفتاة زوجا في عمرها . وانها لا تدفع ثمن ذلك فض بكارتها وحسب . وانما ممارسة العملية الجنسية كعربون على الزواج . ولا ريب ان هذه الحرية الجنسية هي نتيجة لظهور المجتمع الخليط واختفاء التعقيدات والعقبات التي رافقت نظام انفصال الجنسين » .

---

(١) المرأة في القرن العشرين تاليف الاستاذ جروان السابق ص ١٤٥ .

وقد اكدت الاحصاءات على ان ٢٠ ٪ من الفتيات في المدن التي يتجاوز عددها ــ ١٠٠ ــ الف هم حبالى قبل الزواج . و ٣٤ ٪ منهن في المدن التي يقل عددها من ــ ١٠٠ ــ الف. واذا اخذنا بعين الاعتبار الوسائل المانعة للحمل اوجدنا ان نسبة الذين يمارسون الجنس قبل الزواج اكثر من ــ ٨٠٪ ــ من الفتيات . هذا هو الاختلاط الذي يؤدي الى الانحطاط الخلقي ، والى الحرية الهوجاء التي عصفت بالشباب والشابات فاوقعتهم في هاوية الفساد والافساد ، ورجعت بهم الى القرون البعيدة ، والى الجاهلية الاولى ، والى الضلال الحيواني .

٦ ــ اذا كان دخول المراة ميدان العمل ساعد على زيادة الانتاج ، فان هذه الزيادة قد اعتراها التحول والانقطاع لفترات محدودة وذلك عندما تكون المراة في الدورة الشهرية ، او في الحمل او الوضع وبعده . وفي هذه الفترات تقل طاقة المراة وتعجز عن اداء عملها او صرف الطاقة التي كانت معها قبل حلول هذه الفترات ، فيتاثر الانتاج المادي ، وتتعرض الناحية الاقتصادية الى الخلل. واكثر ما تتعرض الناحية الاقتصادية عندما تدخل المراة ميدان العمل ، ويبقى الرجال مع كثرتهم دون عمل اذ تنتشر البطالة بين الرجال ، ويعتريهم الحقد ويزداد هذا الحقد عندما يحل الرجل محل المراة في تربية الاولاد ، او يتسكع في الطرقات والمحلات ، ويفتش في الوزارات والادارات والمؤسسات فلا يجد عملا سيما وانــه يجد في نفسه الكفاءة والقدرة على العمل .

٧ ــ ان دخول المراة ميدان العمل الصناعي او الزراعي او غيره سوف يحفظ لها كرامتها ، ويدفع عنها الفقر ، ويصرف عنها الوقوع في البغاء ،ويؤمن لها كرامتها ، ويدفع عنها بؤسها وشقاءها . والعمل مفيد للمراة ، ومفيد للدولة وللمجتمع اذا كان ذلك ضمن الشروط التالية : ــ

أ ــ اذا كان العمل لحاجة ملحة كأن يكون للمراة زوج مريض لايستطيع القيام بالعمل ، او اذا كان للمراة أولاد ، فهي مضطرة لاعالتهم ، او كانت أعباء الحياة المعيشية قاسية وكبيرة ، اذ تتطلب هذه الاعباء من الزوجين ان يعملا ليستطيعا تقديم ما يلزم الى هذه الاسرة ، او كانت الدولة بحاجة ماسة الى ايدي عاملة كثيرة من رجال ونساء للنهوض بالبلاد اقتصاديا ، على ان تكون

الافضلية للرجال ثم النساء . ان الضرورة تبيح للنساء ان يعملن خارج البيت، وان تؤدي واجب العمل وان تقوم به بكل امانة وجدارة واخلاص .

ب ــ ان يحفظ جو العمل الذي تعمل فيه المرأة عفتها ، وكرامتها ،وامومتها ووضعها الفطري .

جـ ــ الا يكون مكان العمل مجالا للهو المبتذل ، ولا للكلام الساقط ، ولا للفراغ القاتل ، ولا لشرب الشاي والقهوة ، ولا للتندر والتفكه ، انما يجب ان يكون العمل دأبا واستمرارا ونشاطا وانتاجا ، بحيث يكون كل عامل او عاملة له شأن يغنيه ، وعمل شريف يرضيه وبعيد عن كل السفسطات والامور المبتذلة ، وان لا يجد العامل او العاملة وقتا ولو لحظة لكل الامور الساقطة . ولهذا يجب ان تحرص الدولة على ان يكون العمل جذابا بصورة يأخذ كل مشاعر واحاسيس العامل والعاملة ، مركزا كل انتباهه وفكره الى العمل الذي يعمله ، وان يكون وقت الدوام مملوءا بحيث لا يستطيع العامل او العاملة ان يجدا وقتا للهو او سواه . وهذان الشرطان هما اساس كل عمل ، وقاعدة الاختلاط .

ء ــ ان يكون العمل الذي تعمله المرأة ملائما لطبيعتها كالاعمال الادارية بما فيها الطباعة والتوليد والمجالات الاقتصادية المتعددة . كل هذه الاعمال يجب الا تكون شاقة كأعمال التحميل او التفريغ ، او العمل في المناجم ، او ما شابه ذلك ، والا تكون الاعمال خارجة عن المألوف والمعتاد كالعمل في ورشة الحدائين ، او ورشات الدباغة وغير ذلك (١) « ففي عام ١٩٦٧ نشرت «المجلةالادبيةالسوفييتية سلسلة من الرسائل ومقالا بقلم هيئة التحرير نددت فيهما النساء بنوع العمل الذي يتخصص به . ولم يقتصر احتجاجهن على عادة تكليفهن بأشق الاعمال فحسب ، بل هاجمته ايضا حتى فكرة قيام النساء بأشغال شاقة في الصناعة. ولقد كان مرأى النساء وهن يكدحن في ورشات بناء الطرق مثار تكدر واغتمام لدى المسافرين القادمين من الغرب » . ان للمرأة كرامة يجب المحافظة عليها ،

---

(١) الثورة وتحرر المرأة تأليف شيلا روبتهام ترجمة جورج طرابيشي ص ١٥٨ .

وان لها طاقة فلا تستطيع حمل ما لا طاقة لها به ، وان لها طبيعة فلا يمكن افتراضها انها تحمل طبيعة اخرى .

٨ ـ ان العوامل التي تعيق عمل المراة عديدة اهمها : تلك التي تجعل المراة عاجزة عن اللحاق بالركب التقدمي والتخلف الفكري والاجتماعي المتوارث عن الآباء والاجداد ، والجهل الذي سيطر على السواد الاعظم من النساء ، اذ لاتزال الامية متفشية فيه بشكل كبير ، واكثر ما تتمركز الامية في النساء ، فقد بلغت مثلا في سوريا عام ١٩٦٠ حوالي ٧١ر٣ ٪ وقد تقل هذه النسبة او تكثر في البلاد الاخرى . وبالاضافة الى ذلك فان التصنيع البدائي واليدوي الذي لا يحتاج الى ايدي عاملة للنساء والرجال ، ومن العوامل المهمة ايضا الافتقار الى دور حضانة ودور جماعية (مطاعم ـ ملابس ـ غسالات ... الخ) ، والاستنزاف الدفاعي اذ ان الاعمال الدفاعية في اغلب البلاد تستنزف موارد البلاد الاقتصادية وتتاثر البلاد النامية تاثرا كبيرا بهذا الاستنزاف حيث يؤثر على مشاريع العمل وتحسين الانتاج ، واعداد المدارس ، وفتح رياض الاطفال وما الى ذلك من عوامل تقف حجر عثر امام عمل المراة . ان الخروج من هذه المعوقات هو الاعتناء بالزراعة ، وبالتنظيم الفلاحي ، وبالتصنيع ، وبالتنمية الاقتصادية ، وبانتشار التعليم ، وبتاهيل النساء تأهيلا مهنيا لجميع انواع الصناعات وباصدار التشريعات التي تكفل للمراة حقها ، وتنفض عن كاهلها غبار الجهل والفقر ، وتجعلها تتبوأ مكان الصدارة في كل عمل .

مظاهر الانحطاط والقضاء على الانتاج المادي والبشري

لما كثرت فتوحات العرب المسلمين كثرت عندهم الجواري السبايا ، وقد اتي بهن من كل حدب وصوب ، فمنهن الفارسيات والتركيات والروميات والحبشيات والبربريات ، ويروى ان المتوكل اهدي اليه في يوم واحد عشرون الف جارية . انتشرت هؤلاء الجاريات انتشارا واسعا وخاصة لدى المترفين والملوك والخلفاء . ادخلت الجارية معها الجمال والتجمل والمجون والعبث، مما اثر ذلك على حياة البدو . وكان من نتيجة ذلك .

١ ـ استيلاء الجواري على قلوب العرب ، فاستلبن منهم كل عفة وادب . كان بعض الخلفاء لا يطيق الصبر عن محادثتهن ومجالستهن كمثل محمد المهدي ابن ابي جعفر المنصور والمأمون . ومن الخلفاء والرجال من اتخذوا الجواري زوجات لهم كمثل المعتصم بن الرشيد . وقوي نفوذ الجواري في كل مجالات الحياة بما فيها السياسة ، واشتهر منهن كثيرات في ادارة الحكم كمثل الخيزران جارية المهدي ، وزبيدة امراة الرشيد . ومن عجب القول انها غنته ذات يوم جارية ذات الخال وسالته ان يولي صاحبها حموية الخادم ولاية الخراج والحرب بفارس سبع سنين . وكذلك ام المقتدر الجارية التركية التي كان لها سطوة ، وتتصرف بالاحكام كرئيس دولة ، فكان الوزراء يهابونها ويخشونها . ان هذا الاختلاط بالكثرة الكثيرة من الجواري افسد على المراةالعربية اخلاقها ، واصبحت تتشبه بالجواري من خلاعة ومجون . ان مظاهر الترف بدت على الخلفاء والامراء وصاروا يحكمون ، او يقودون الجند ، او يعملون من خلال الجواري .

٢ ـ اعراض الرجال عن الزواج ، واعراض النساء عن الزواج ، مما اثر على الانتاج البشري والمادي على السواء ، ففتحت بيوت الدعارة ، واستمرأ الرجال والنساء هذه الاعمال ، وامتنعوا عن مزاولة الاعمال الشريفة ، وعن الانتاج .

٣ ـ تجمع راس مال الدولة بيد الخليفة ، وبدا ينفقه على اللهو والمجون والفسق والفجور . كان الواثق يحب المواخير ويحب الشرب فكان ينفق الاموال على الحانات والجواري والشرب والفرش المرفوعة والاواني الذهبية والعطاءات السخية التي كانت تعطى للخمارين والمغنين والجواري . الواثق بعد الشرب امر للخمار بالف دينار ، ولزوجته بالف دينار ، ولكل واحد من اولادهبخمسمائة دينار . وهكذا كانت تنفق الاموال وتبدد الثروات .

٤ ـ كثرة الطلاق : لقد كثر الطلاق لان الرجل راى من غير زوجته ما اخذت عليه عقله ، وسحرته بمفاتنها ومظاهرها . اندفع نحو الجواري دون الحرائر ، ونحو الرذيلة دون الفضيلة ، واستمتع بالشهوات فمال ميلة واحدة نحو الكؤوس والاوتار .

٥ ــ ان المجون واللهو والترف والخمر والملذات كلها تعمي صاحبها وتغلق قلبه عن الفهم ، وفؤاده عن التبصر . وبذلك يؤثر هذا على الصحة العامة وعلى الاولاد وعلى الاعمال . وكان تأثيره على المراة اشد فلزمت المنزل ومعابد الزهد والتنسك ، او التزمت بالتبرج والتهتك . وفي الحالتين البلاء العظيم على المراة ، وفاصل قوي بينها وبين تحررها وتقدمها وازدهارها . ومن النساء اللواتي عكفت على العبادة والتنسك كثيرات اشهرهن رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية اذ هربت من الحياة المترفة ، ومن الكؤوس المترعة ، فتعبدت الله ووقفت في محرابه ، واستغفرت كثيرا ، ونامت قليلا ، وبكت طويلا وهجرت اعمال الحياة ، وانصرفت عن الزواج فلا تجد اليه سبيلا . نساء في نهاية المجون، ونساء في نهاية التعبد . وهذا الطريق وذاك يقفان امام الانتاج البشري .

٦ ــ ضرب الحجاب على المراة . منعها الرجل من الظهور ، واطبق عليها وشدد كل ذلك لما رآها مرخاة العنان لا يردعها رادع ولا يقف امامها حائل . راح الرجل يتلمس لها المعاذير لضرب الحجاب وحبسها في البيت ضنا بها ، ومنعها من مزاولة عملها ، وانفرد الرجال في تصريف امور الحياة .

٧ ــ تجارة الجواري وما ادراك ما تجارة الجواري . تباع وتشرى وتربى وتنشأ على الغناء والترف وتقدم للخلفاء والامراء لقد ظهر من بين الرجال تجار كثيرون مارسوا مهنة تجارة النساء كان اشهرهم اسحق ابراهيم الموصلي في العهد العباسي الذي كان يختار الحسان منهن فيعلمهن ، ويقوم على اعدادهن بحيث يصلحن للمنادمة والشعر والغناء والموسيقى ، ثم يقوم ببيعهن الى الخليفة او الوزير ، فتدر هذه التجارة عليه ربحا كبيرا . كان من اشهر الجواري جارية تدعى « بلبل » وهي جارية جعفر بن موسى الهادي التي بذت المغنين ، وكان ابراهيم بن المهدي استاذ الغناء في ذلك الوقت يتردد عليها ليأخذ عنها لقد بيعت هذه الجارية الى الامين بمبلغ ــ ٢ ــ مليون درهم ، ثم وهبها الامين بعد ان ابتاعها بالجواهر الثمينة . وتلك عنان اشتراها هارون بثلاثين الف . وتلك بصبص اشتراها المهدي من تاجر الجواري يحيى بن نفيس بمبلغ سبعة عشر الف دينار . وتلك عريب التي كانت ملك جعفر بن يحيى البرمكي والتي اشتهرت

بالغناء والموسيقى والشعر ، اشتراها المأمون بمائة الف درهم واعطى الوسيط اسحق ابراهيم الموصلي مائة الف . وتلك فضل التي اشتراها المتوكل وكانت وحيدة زمانها في الشعر والادب ، وتلك محبوبة التي اشتراها المتوكل ايضا . وتلك حبابة التي اشتراها يزيد بن عبد الملك باربعة آلاف دينار ، والتي اخذت عليه عقله ، وافسدت عليه حياته ، وضيعت له ملكه .

٨ ــ اختلاط الانساب : كان العرب فيما مضى يختارون النسب،لاعتقادهم ان الولد انما يخرج من انسابه وسلالته ، ويختارون لنطفهم نساءا عربيات .. حتى انه في العصر الجاهلي كان هناك نوع من الزواج يسمى « المشاركة » او « الاستبضاع » غايته انتاج الاولاد الاقوياء في عقولهم واجسامهم . ولكن لما طغا الفساد ، وكثرت الجواري في كلمكان ، واندمج العرب بهن اختلط النسب وضاعت هذه الغاية (١) « وكان آخر حلقة من حلقات امتزاج الفرس بالعرب واندماج العرب في الفرس مانالته الجواري الفارسيات من امومة الاسرة العربية. وقليل من رجال الحواضر العربية من لم ينزع بدمه الى امة اجنبية ، ولكي نسوق لك المثل الواضح على ما نقول نذكر ان خلفاء الدولة العباسية الستة والثلاثين كانوا ــ الا ثلاثة منهم ــ من ولد الجواري ، واذا نال الجواري شرف ولادة الخلفاء فلم يكن عزيزا عليهن ان يلدن من سواهم » . وهكذا كانت الجواري في كل قطر ومصر عربي . ففي العراق انتهت الجواري الى التمكن من الحكم . وفي الاندلس مركز الدولة الاموية لم تحظ المكانة التي حظيت بها في العراق ، وانما كانت المكانة لبنات العرب واشتهرت من الجواري قمر البغدادية . لم تلبث الاندلس ان اتبعت في تكريم الجواري طريقة بغداد ولا سيما في عهد عبد الرحمن الناصر . ومنذ ذلك الحين اخذن يتدفقن على بني امية ، وبلغوا في ذلك مبلغ بني العباس . لقد سف الملوك واندفعوا نحو الجواري يطلبون مرضاتهن ، واشهر الملوك المعتمد على الله محمد بن عباد صاحب اشبيلية ووارث ملك بني امية الذي اولع قلبه في الجوارى وكان من اشد الرجال حبا بهن . استطاعت اعتماد الرميكية التي ملكت قلبه ، فأرخى لها العنان ، وطوقته فملكها الملك .

---

(١) عبد الله عفيفي في كتابه المراة العربية في جاهليتها واسلامها ــ الجزء الثالث ــ ص٤٩ .

كان الفرس والرومان والسريان وغيرهم يبغون القضاءعلى الحضارةالعربية ومجدها التليد فانشأوا « الديارات » التي كانت تزخر باللهو وانواع الطعام والشراب والمجون وانواع الفنون . وفيما يرويه صاحب الاغاني قال : خرجنا على الرشيد يريد الرقة فلما صرنا بالوضع الذي يقال له القائم نزلنا وخرج يتصيد وخرجنا معه فابعد في طلب الصيد ، ولاح لي دير فقصدته وقد تعبت فاشرفت على صاحبه فقال : هل لك في النزول بنا اليوم ؟ فقلت : اي والله . اني الى ذلك لمحتاج . فنزل ففتح لي الباب وجلس يحدثني ــ وكان شيخا كبيرا ادرك دولة بني امية ــ فجعل يحدثني عن نزل به من القوم ومواليهم وجيوشهم ،وعرض علي الطعام فاجبته ، فقدم الي طعاما من طعام الديارات نظيفا طيبا فاكلت منه ، واتاني بشراب وريحان طري فشربت منه ، ووكل بي جارية تخدمني راهبة لم ار أحسن وجها منها ولا اشكل . فشربت حتى سكرت .. وركبت فلحقت بالعسكر والرشيد قد جلس للشرب .. واخر الرحيل .. ومضى الى الدير وامر الجارية التي كانت تخدمني بالامس ، ثم امر للدير الف دينار ، وامر باحتمال خراجه سبع سنين ... » ومن اشهر الديارات « دير احويشا »بديار بكر في العراق اذ كان واسعا تحيط به البساتين وبجانبه نهر ، وبداخله خمرة وحسان ، ودير (شهرا) على شاطيء دجلة بين سامراء وبغداد ودير « الثعالب » على مقربة من بغداد ودير (قوطا) ، ودير (صليبا) القريب من دمشق ودير (الطور) القريب من طبرية ودير (المصلبة) القريب من بيت المقدس .

ثم لم يكتف الفرس بأن عمموا الفساد بشتى الاغراءات ، بل لقد ابتدعوا مذهبا يدين بالقتل ، ويقول بالاباحية ، فيحل لهم ماحرم الله ، ويزينون للفتيان والفتيات ضروبا من اللذات حتى ان الرجل ليقع على امه أو اخته . ومما حدث الطبري عن ابي الحسن المتطبب ببغداد قال : جاءتني امراة بعد غلبة المكتفي بالله على صاحب الشامة ــ من زعماء القرامطة ــ فقالت لي : اني اريد ان تعالج شيئا في كتفي قلت : وما هو ؟ قالت ، جرح قلت : انا كحال وهاهنا امراة تعالج النساء وتعالج الجراحات فانتظري مجيئها . فقعدت ورايتها مكروبة كئيبة باكية فسالتها عن حالها وقلت : ما سبب جراحك قالت : قصتي تطول . قلت:

حدثيني بها واصدقيني ، وقد خلا من كان عندي . فقالت : كان لي ابن غاب عني وطالت غيبته وحلف علي اخوات له فضقت واحتجت واشتقت اليه ، وكان شخص الى ناحية الرقة فخرجت الى الموصل والى الرقة . كل ذلك اطلبه واسال عنه فلم ادل عليه فخرجت من الرقة في طلبه فوقعت في عسكر القرمطي فجعلت اطوف واطلبه ، فبينا انا كذلك اذ رايته فتعلقت به فقلت . ابني ! فقال : امي ! فقلت : نعم ، قال : مافعل اخواتي ، قلت . بخير ، وشكوت ما نالنا بعده من الضيق ، فمضى بي الى منزله وجلس بين يدي وجعل يسألني عن اخبارنا فخبرته ، ثم قال دعيني من هذا واخبريني ما دينك ؛ فقلت يا بني اما تعرفني ! فقال : وكيف لا اعرفك فقلت : ولم تسالني عن ديني وانت تعرفني وتعرف ديني ؟ فقال : كل ماكنا فيه باطل ، والدين مانحن فيه الان ، فأعظمت ذلك ، وعجبت منه ، فلما راى ذلك خرج وتركني ، ثم وجه الي بخبز ولحم وما يصلحني وقال اطبخيه ، فتركته ولم امسه ، ثم عاد وطبخه واصلح امر منزله فدق الباب داق فخرج اليه فاذا رجل يسأله ويقول له . هذه القادمه عليك تحسن ان تصلح من امر النساء شيئا ؟ . فسألني فقلت : نعم قال : امضي معي فمضيت فادخلني دارا واذا امراة تطلق فقعدت بين يديها وجعلت اكلمها فلا تكلمني . فقال الرجل الذي جاء بي اليها : ما عليك من كلامها ، اصلحي امر هذه ودعي كلامها ، فاقمت حتى ولدت غلاما واصلحت من شانها ، وجعلت اكلمها واتلطف بها واقول لها : يا هذه لا تحتشمين فقد وجب حقي عليك اخبريني خبرك وقصتك ومن والد هذا الصبي فقالت تساليني عن ابيه لتطالبيه بشيء يهبه لك ؟ فقلت : لا ولكن احب ان اعلم خبرك فقالت : اني امراة هاشمية ــ ورفعت راسها فرايت احسن الناس وجها ، وان هؤلاء القوم اتونا فذبحوا ابي وامي واخوتي واهلي جميعا ، ثم اخذني رئيسهم فاقمت عنده خمسة ايام ، ثم اخرجني فدفعني الى أصحابه فقال : طهروها ، فارادوا قتلي فبكيت ، وكان بين يديه رجل من قواده فقال هبها لي فقال : خذها فاخذني ، وكان بحضرته ثلاثة انفس قيام من أصحابه فسلوا سيوفهم وقالوا : لا نسلمها اليك ، اما ان تدفعها الينا والا قتلناها ، وارادوا قتلي وضجوا . فدعاهم رئيسهم القرمطي وسالهم عن خبرهم فخبروه فقال : تكون لكم اربعتكم فاخذوني فانا مقيمة معهم اربعتهم والله ما ادري ممن هو هذا الولد منهم .

تجنح المراة احيانا نحو الرذيلة بسبب الفاقة والفقر ، او بسبب الشقاء والحرمان . تقول « ماري تيريز » : « تزوجت وانا لم اتجاوز السادسة عشرة من عمري ، من رجل يكبرني بثلاثة عشر عاما . ولقد تزوجت منه املا في التخلص من جو العائلة المقيت الذي كنت اعيش فيه . ولم يكن زوجي يحلم سوى بانجاب الاطفال ، كان يقول لي : « وهكذا فانك ستضطرين الى البقاء في البيت ولن يتسنى لك الخروج منه » . ولم يكن يوافق على استعمال الزينة او يصحبني الى السينما . وكان علي بالاضافة الى ذلك ان اتحمل حماتي التي كانت تتردد على البيت كل يوم وتأخذ جانب ابنها اللعين في كل المناسبات . كان (جاك) اول صبي انجبته .. وبعد اربعة عشر شهرا من ولادته انجبت (بطرس) .. وبما انني كنت اشعر بالملل كثيرا فقد اخذت في متابعة بعض الدروس في التمريض ، وكان هذا الاتجاه يسرني جدا فدخلت مستشفى في احدى ضواحي المدينة ، وتعلمت من ممرضة شابة اشياء كثيرة كنت اجهلها ، ثم مكثت في مستشفى الرجال ستة شهور دون القيام بأية مغامرة . وفي احد الايام دخل غرفتي شاب ضخم الجثة كالبقرة ، لكنه كان صبيا جميلا ، وافهمني انني استطيع تغيير طراز حياتي اذا ذهبت معه الى باريس حيث استطيع ان اجد عملا يدر علي الربح الوفير . كان يعرف تماما كيف يستطيع اقناعي ، فقررت الذهاب معه ، وكنت سعيدة جدا خلال شهر واحد . وفي احد الايام صحب معه امراة تتميز باناقة ثيابها وقال لي : انظري الى هذه انها تعرف كيف تدافع عن نفسها وتكسب اموالا طائلة بكل سهولة . لم اوافق في البدء على انتهاج منهجها ، حتى انني توصلت الى ايجاد عمل لي في احد المستشفيات لكي أثبت انني لا اريد ان امتهن مهنة فتيات الشوارع لكنني لم استطع المقاومة طويلا . كان يقول لي : انك لاتحبينني . حين تحب المراة رجلها عليها ان تعمل وتضحي لاجله . وكنت ابكي واشعر بالحزن وانا اعمل بالمستشفى . اخيرا .. سمحت لهم بأن يأخذونني الى مصفف الشعر وبدات اتجول في الشوارع بينما كان (جول) يتبعني من الخلف ليرى فيما اذا كنت اقوم بمهام المهنة خير قيام ، ولكي ينذرني فيما اذا خطر للبوليس مداهمة المكان » .

تقدم المراة على البغاء بدافع الحاجة فهي فقيرة والفقر يجرها الى المهالك.

أ ـ فهي لا تجد ما تسد به رمقها ، فهي اما جائعة او اطفالها جياع فتقاوم الاغراءات في بادىء الامر ، وتتردد كثيرا ، ثم ما تلبث ان تهوي في الرذيلة فتقع فيها ، وتستسلم لها .

ب ـ الفقر يضطرها لان تسكن في الزحام ومع اشخاص كثيرين ومن فئات مختلفة واخلاق متباينة ... ولهذا نرى البغاء في هذه الطبقة اكثر ما يكون في غيرها ، سيما وان شروط السكن تفرض على المراة ان تعيش مع عائلات بصورة مختلطة ، او ان يكون مقر عملها يسمح بتفشي الرذيلة ، او ان مجتمعها لديه الاستعداد الكافي لخطفها وارغامها على عمل الرذيلة .

جـ ـ الزواج المبني على عدم التفاهم والحب سببه اقتصادي . فكم من النساء طلقن لضيق اليد ، وكم من النساء طلبن من ازواجهن ذلك ، ليتسنى لهن ان يستمتعن بحياة جديدة يحدوها الامل والاماني ، وغاية المراة في ذلك ايجاد الملابس الفاخرة والاطعمة اللذيذة والمساكن المريحة ، والسهرات الممتعة ، والمغامرات المثيرة ...

ء ـ الخادمات الفقيرات اللواتي تلجئهن الحاجة للعمل في البيوت ، وبهذا فانهن يتعرضن للرذيلة والبغاء ..

هـ ـ وجود فئة من الرجال الذين فقدوا كل فضيلة فهم يبحثون عن النساء ويستاجرونهن ، ويكرهون الفتيات على البغاء ، ان اموالهم واساليبهم يضعونها كشباك لايقاع الفتيات في شرك البغاء ، فالمحصنة يحاولون جهدهم وبكل امكانياتهم المادية ان يوقعونها في الفخ . هذه الفئة من الرجال هي التي اغوت وضللت واتخذت هذه الطريقة عملا لها .

و ـ ضعف التعليم وضعف العقيدة التي لا تستطيع مقاومة الاغراءات . ان الفتاة الجاهلة تقع في الفخ اكثر من المتعلمة ، ويسهل ان تؤدي بها الاحابيل واساليب الاغراءات الى البغاء ، وكذلك من ضعفت عقيدتها فان ضعيفة العقيدة التي لا تدخل الى اعماق القلوب فتبعد الفتاة عن شتى الشهوات لهي عقيدة غير جديرة بالاحترام . ان اهم ما يبعد الفتاة عن الرذيلة هي عقيدة صلبة ،

وعقيدة تنفذ الى القلوب فتجعل من يؤمن بها يؤمن بنفس الوقت ان هذه الاعمال اعمال مقوضة لدعائم المجتمع .

ز ــ وجود بعض العادات والتقاليد او النظم والقوانين التي تتطلب من المراة ان تكون مسؤولة من الناحية الانفاقية على الرجل وعلى العائلة ، وهذا ما نجده في بعض دول اوروبا اذ تقدم المراة بعض المال الى الرجل بغية الزواج منه ، وبعد الزواج ايضا تقوم بالانفاق على العائلة والاولاد . ان مثل هذه النظم والقوانين تتيح للمراة ان تلج باب العمل الشريف فلا تجده ، فتضطرها الحاجة والعوز الى ان تعمل عمل السفهاء فتقع في حبال البغاء .

ح ــ عدم دخول المراة الحياة العملية في كل جوانبها حتى تكون الصخرة التي تتحطم عليها الاغراءات ، والطرق الملتوية المختلفة . ان المراة التي عجمت عود الحياة ، وتمرست على الاعمال ، والفته الحياة الاجتماعية ، وخبرت سر الحياة الجنسية وما يترتب عليها من نتائج سيئة لهي امراة قادرة على ان تبتعد عن البغاء ، والا تقع فيه .

ط ــ الاجور البسيطة التي تتقاضاها المراة ، والتي لا يمكن ان تحد جانبا من المصاريف ، يضاف الى ذلك ان الولدان الذين يعملون بأجور زهيدة ويزاحمون المراة في عملها ويحلون محلها (١) . « ان البغاء هو ابن النظام الاقتصادي السائد وابن الملكية الفردية . وما ان تلغى هذه المؤسسة حتى تزول تجارة النساء من تلقاء نفسها » .

ي ــ الحالة النفسية المتردية التي وصلت اليها المراة من جراء الشقاء والفقر والعذاب .

ط ــ العبودية والاسترقاق والاخضاع والظلم كل ذلك يوقع المراة في البغاء وان اي نظام يشجع هذه الصفات انما يشجع الرذيلة ، ويقف أمام تقدم المراة ، بل هو نظام ضد المراة وتطورها .

---

(١) تحرر المراة العاملة تاليف (الكسندرا كولونتاي) ص ٤٠ .

ثورة النساء ضد الفقـر

تلمست المرأة كل اسباب النجاة من الفقر حيث تطلعت الـى الحركـات الاشتراكية والشيوعية ، وقد كتب في هذا الموضوع كثير من الاشتراكيين امثال كارل ماركس ، وانجلز ، وبرودون واتباعه ، وبيبل ، وادوار كاربنتر ، واوليف شرايز (امراة) وايما غولدمان (امراة) ، وغيرهم . كانت تتلخص مطالب المراة الشيوعية والاشتراكية بما يلي : ـ

١ ـ النضال ضد الراسمالية : ان الثورة ضد الراسمالية هي قديمةالعهد . وما الثورة الا بداية لنضال طويل . وعلى هذا يقتضي إقامة شكل خاص من الاشتراكية نابع من ذاتية المراة المسترقة والمستعبدة ، شكل ينقلها من الاستغلال في جميع الميادين ، ويوفر لها الحياة في ظل اشتراكية جماعية ، وعندئذ سوف توجد المطاعم المشتركة والمكتبات والمسارح والملاعب والمتنزهات . تقول ابنـة كارل ماركس واسمها (اليانور) : « ان الحقيقة التي لا يراها بوضوح حتـى اولئك الذين يريدون للنساء خيرا هي أن النساء هن بنظر الطبقة الكادحة في وضع المضطهدات وانهن نظير العمال يرزحن تحت نيـر قمع عديم الانصاف وعديم الشفقة . انهن ضحايا طغيان الرجال المنظم ، كما ان العمال ضحايا طغيان التنابلة المنظم » .

٢ ـ الدعوة الذاتية . ان على النساء ان يقمن بدعوتهن ذاتيا ، وستجدهذه الدعوة الحلفاء في العالم من ذوي الجنسين . وعلى المراة ان تقوم بثورة للوصول الى مطالبها ، وهذا يتطلب الاستعداد الكافي من المراة والبذل والتضحية . .

٣ ـ دعوة المراة الشيوعية والاشتراكية الـى محاربة الديـن والعادات والتقاليد القديمة ، لان بنظر المراة هي السبيل لانعتاق المراة وتحررها . كل هذه العادات تقف عائقا امام تقدمها وتطورها . ومتى تم ذلك سوف تستخدم المراة في ضروب الانتاج المختلفة ، وسيتاح لها الدخول في ميادين الانتاج .

٤ ـ الدعوة للانعتاق من الرجل « مثلما كانت النساء الثوريات يصطدمن بريبة الرجال حين يبدو للانظار وكانهن يتطاولن على امتيازات الذكور ، كذلـك

كانت العاملات يصطدمن بمقاومة اشرس من جانب العمال . وكان منبع هذه المقاومة لا تمثل فقط في ادعاء الرجل وتطلعه الى الحفاظ بكل غيره على تفوقه التقليدي ، بل ايضا في واقع ان العامل كان يستفيد من الزاوية الاقتصادية من وضع متميز داخل الطبقة العاملة » . وكانت التجمعات التي تشكلت في زوريخ تقدم لنشاطهن الثوري اللاحق اساسا نظريا واحتكاكات شخصية .لكن حتما في ذلك الجو الملائم لانعتاق المراة ، والذي اتاح للعديد من النساء تحصيل تاهيل جامعي . كانت النسوة يواجهن مشكلات خاصة داخل الحركة الثورية. لهذا قر قرار بعض النساء على تأسيس ناد نسائي يقصى عنه الرجال . اما الحجة التي جرى التذرع بها لتبرير ذلك القرار ـ كانت ـ ان النساء لا تعطى لهن الكلمة الا فيما ندر اثناء الاجتماعات المختلطة ، لا لان ما لديهن للقول اقل مما لدى الرجال ، وانما لانهن لم يتعلمن كيف يضعن افكارهن ويعبرن عنها . ثم ظهرت بعد ذلك نواد مشتركة ، ونواد مشاعية وغيرها . .

« كان لاندماج المراة في الانتاج مظهر آخر ، هيمن على ما عداه بعد وفاة لينين . فقد راح الاقتصاديون السوفيات يحسبون عدد الساعات التيتضيعها النساء في اشغال منزلية غير منتجة . ومن هنا جاءت الفكرة القائلة ان انعتاق المراة ضروري اقتصاديا لتأمين الشروط المادية التي تتيح امكانية بناءالاشتراكية وهكذا كان شعار « لندمر الاسرة » يجد تبريره سواء امن منظور التجمع الاقتصادي ام من منظور مصلحة انعتاق المراة » . وقد اوصى تروتسكي في بداية العشرينات بمبادرات خاصة لخلق بنى ثقافية جديدة ، اذ ان البنى الاسرية النهائية مرتهن بخلق شروط مادية جديدة ، وبالفعل كان التأخر الاقتصادي يحول دون امكان خلق مؤسسات جماعيةوعليه نقط شجعتروتسكي الناس على التجمع في وحدات منزلية جماعية . واوضح انه من الضروري التخطيط لتلك الوحدات وتنظيمها بعناية بالتعاون مع السوفيتات المحلية والنقابات العمالية . وقد تخيل تروتسكي هندسة معمارية جديدة ـ مساكن مجمعة بحسب حاجات تلك الجمعيات التشاركية . ويقول : ان طريقنا الوحيد للافلات من قبضة الازمة الراهنة هو خلق مشاعات نموذجية . والمفروض بهذه المشاعات ان تحرر الخيال الخلاق والمبادرة الفنية لدى الجماهير ، في الوقت

ذاته الذي تحول فيه وتغير الشبكة الممتدة للحياة الشخصية والعائلية . ثم يدعو الى الحب الحر للخلاص من قيود الرجل .

٥ ــ الثورة ضد الفقــر : ففي القرن التاسع عشر هــب النساء يطالبن بتثبيت الاسعار . وفي عام ١٨١٢ في نونتغهام قامت بضع نساء من تورنكالف آلي بنصب رغيف من الخبز بقيمة نصف فلس على مركب صيد بعد تخضيبــه بمغرة حمراء واحاطته بعصابة من النسيج الاسود رمزا على ما يقال لنا الــى « الجماعة الدامية المتشحة بقماش خشن » وبفضل رفع ذلك الشعار ومعــه ثلاثة اجراس صغيرة تدق اثنين منها امراة ويدق الثالث غلام . احتشدجمهور كبير غالبيته النساء . وكذلك مارس الشعب الرقابة على توزيع الخبز وعلى تثبيت الاسعار باطلاق «البؤرة القمحية». وفي اثناء الزحف على فرساي اعترض النسوة سبيل قافلة تموينية ، وحاصرن دار البلدية . وفي عام ١٧٩٢ ــ ١٧٩٣ هاجم النساء محال البقاليات في ضاحية سان انطوان ، واثناء عام ١٨٧١ تظاهر النساء مطالبات بتحديد الاسعار . قال بعض الاشخاص : « ان الهدف هــو ان ينشرح لفرساي ما ترغب فيه باريس » وتذكر آخرون ما كان جرى قبــل مائة عام حين ذهبت نساء باريس الى فرساي لخطف الخباز وابن الخباز. فالمراة لم تكن مستكينة بل طالبت بحقوقها ضد الفقر وعبرت عنه بالاضراب والاحتجاج والخطف وما الى ذلك .

كان النساء يعملن في المصانعليوفرن القوتاللازم للاسرة عندما كانتالبطالة متفشية « كان التنظيم الاقتصادي للاسرة يقوم عمل المراة قدر قيامه على عمل الرجل . وحين كانت البطالة تضرب اطنابها كانت مرابح النساء والاولاد تتكفل وحدها احيانا بابقاء الاسرة على قيد الحياة » ان عمل المراة في الخارج ــ اي خارج المنزل ــ كان يفيد في انماء الميزانية العائلية . من الامور التي كانتتطالب بها المراة بالاضافة الى تحديد الاسعار كانت تطالب بتساوي الاجور ، وتعيين النفقات لزوجات الذين سقطوا قتلى في ساحة المعركة .

لم يتمكن النساء قط من الاندماج في الصناعة كما كن تخيلن . فبعــد مرحلة شيوعية الحرب التي كانت فيها بطاقات التقنين توزع بحسب العمل،كان

نصيب النساء في الانتاج الاجتماعي واهيا .. اما في مرحلة السياسةالاقتصادية الجديدة ، فلم يكن هناك بكل بساطة من استخدامات شاغرة لتقديمها للنساء. ومن جهة اخرى لم يكن العمل الذي تقدمه الصناعة للنساء يستاهل في غالب الاحيان ان يعتبر تحررا من السخرة المنزلية لتأهيل يد عاملة متخصصة مسالة تستغرق زمنا طويلا . والحال ان النساء كن يفتقرن الى اي ضرب من ضروب التاهيل المهني . كان من الصعب التغلب على العقبات الاقتصادية . فقد كان البيت غير منظم ، وكان المدراء لا يمنحون المراة الوقت اللازم لكي تعتني بطفلها. « صار العديد من البيوت التي وضعت تحت تصرف الاسر التي تحيا حياةشراكة قذرة وغير قابلة للسكن . فالاشخاص الذين اقاموا في تلك البيوت ما كانوا يعتبرون المسالة الشيوعية بداية لعهد جديد . بل كانوا ينظرون الى بيتهم وكانه براكة مقدمة من الدولة » . وفي القرى كان التنافر واضحا بين العاداتالقديمة والافكار الجديدة ، والاسرة القديمة والاسرة الجديدة ، والعلاقات الاقتصادية القديمة والعلاقات الاقتصادية الجديدة .

كان الفقر مخيما على البلاد السوفياتية ، وكانت الاوبئة والمجاعات والمحاكمات والتعذيب منتشرا في طول البلاد وعرضها ، وكان الملايين من القتلى والجرحى والمفقودين موزعين في كل جانب . كل هذه الكوارث والنكبات ستؤثر على النساء من قريب او بعيد . واجهت المراة السوفياتية كل هذا بعزيمة ، ومن الواجب عليها في هذه الظروف ان تحارب الفقر بكل اشكاله والبؤس بكل الوانه ، تلك التي فقدت زوجها ، وتلك التي اصبحت بلا ماوى ، وثالثة تدخل المعامل والمصانع لتحل محل الرجال الذين قتلوا اوسيقوا الى الجبهة ، وذلك الاطفال الذين يحتاجون الى عناية ورعاية المراة ، والمراة في هذا حائرة بين كسب قوتها وقوت اطفالها وبين رعاية ابنائها . لم يبق على الدولة الاشتراكية الا ان تساعد المراة للقضاء على هذه الكوارث وهذا الفقر وذلك بايجاد عمل ملائم يوفق هذا العمل بين العمل وتربية الطفل تربية جماعية .. وظلت الدولة دائبة في هذا السبيل حتى استطاعت ان توفر لها على الاقل العمل المناسب لها في المعامل والمصانع . اصطدمت المراة آنئذ بكثير من العقبات اهمها : ان المراة لم تكن مؤهلة للعمل الجديد ، ويلزمها الوقت الكافي للتاهيل ، وانها غير قادرة

على استيعاب العمل الجديد بسرعة .. لم تفلح اية ثورة اشتراكية حتى الان بالرغم من ان الثورة اعطت كل ما عندها ان تضع حلا لتقسيم العمل بين المراة والرجل .

٦ ـ الدعوة الى تدمير الاسرة القديمة لتظهر الاسرة الحديثة بعلاقتها ومفهومها وارتباطها بالانتاج .

حق المراة في العمل والانتاج

لا سبيل الى الانتاج وزيادته الا بالعمل . وما دام العمل ضرورةاقتصادية فانه يتوجب اشراك كافة الطاقات البشرية في العمل والانتاج ، وتشغل المراة ضمن هذا الاطار حيزا كبيرا لا يستغنى عنه اطلاقا ، واذا استغني عنه فان الامة تفقد جزءا كبيرا من الطاقة طاقة النساء الكامنة . العمل للمراة كما للرجل فالعمل هو السبيل الوحيد للتحرر ، وهو اساس الفلسفات والنظريات الاقتصادية والسياسية والفكرية ، وهو الحماية للجنسين من الضياع . قيمة الانسان بعمله والعملمطلوب من المراة كما هو مطلوب من الرجل .

لقد عملت المراة منذ القدم ، وشاركت الرجل في جميع اعماله ، وهي وان اختلف عملها وتباين من جماعة الى جماعة ومن بلد الى بلد فهي قد اكدت انها عملت في جميع مرافق الحياة ، في المنزل وخارج المنزل ، في الريف وفيالمدينة في الزراعة وفي الصناعة ، في المهن وغير المهن والى الان لا يزال النساء قلة بالنسبة للرجال ، وهذه النسبة تختلف من بلد لآخر لاعتبارات اجتماعية او سياسية او اقتصادية او دينية او ثقافية . تزيد هذهالنسبة في البلادالاشتراكية وتقل في غيرها ، وتبرز في الريف دون المدينة فالمراة في الريف تعمل جنبا الى جنب مع الرجل في جميع اعماله بل تزيده في العمل فهو لا يعمل في البيت بعد انتهائه من عمله بينما تقوم المراة بعمل في تدبير منزلها ورعاية شؤون اطفالها. لقد بلغ عدد النساء في القطر العربي السوري حوالي ثلاث ملايين منهن فقط ـ ٧٠ ـ الف يعملن في مجال الزراعة والصناعة والتجارة والنقل والبناء وان كانت المراة في هذا القطر تحتل نسبة كبيرة في الزراعة حيث بلغت ٨٨ ٪ ، فان ذلك يعني ان هذا القطر زراعي ، وانالمراة في الريف تشكل جزءا كبيرا من

هذه النسبة ، أما الباقي فيعمل في ادارات الدولة وفي الخدمات والتجارة والصناعة وغيرها .

اذا قسمنا عمل المراة الاداري نرى انها قد احتلت بالدرجة الاولى الطب والتمريض ثم التربية والتعليم ثم باقي الوظائف الادارية . لقد بلغت نسبة النساء في وزارة التربية السورية ٣٠ ٪ من عدد الموظفين . وقد دخلت المراة الميدان الصناعي كما دخلت غيره من الاعمال الادارية فكانت سببا في زيادةالانتاج وتحسين الدخل القومي ، ورفع القدرة الدفاعية . ومما يشجع المراة على العمل ويزيد في قدرتها هو استعدادها لهذا العمل او ذاك ، وان تكون مؤهلة ، وان تصدر التشريعات والقوانين التي تخولها لها الحق في العمل ، وان يراعى في المراة حملها وطبيعتها الفيزيولوجية ، وان يهيأ الجو الملائم لتعليمها وتثقيفها بحيث تكون قادرة على مواكبة التطور واستيعاب المخترعات الجديدة ، وانينشر الوعي بين النساء ، وان يقضى على الامية بينهن .

اذا كان العمل الصناعي له اهمية ، فان العمل الزراعي لا يقل أهمية عنه . ومن الضروري ان تهتم المراة بالزراعة ، واكثر ما يكون هذا الاهتمام في الريف اذ نجد المراة تسارع في مشاركة الرجل في كل الاعمال الزراعية فاكتسبت بهذه المشاركة المعرفة الفنية في الاعمال الزراعية ، ثم انتسبت الى المنظمات الفلاحية والجمعيات التعاونية ، وبهذا فقد عملت على تطوير الاقتصاد الزراعي وضمنت سلامته وزيادته ، وجمعت المراة الريفية بين عملها في البيت وعملها في الحقل . ان المراة في الريف عملت بالتطريز والخياطة وصناعة السجاد والاعمالالاخرى . ومن الضروري بل من المهم ان يعطى للمراة الريفية كل الامكانيات لتكون امراة قادرة على مزاولة اعمالها بكل حرية واندفاع ، فلا زالت المراة الريفية في كثير من البلدان تئن تحت وطاة العادات والتقاليد الموروثة السيئة ولا زالتثقافتها دون المستوى المطلوب ، ولا زالت الخدمات الاجتماعية المقدمة لها قليلة فلايوجد رياض للاطفال ، ولا توجد مطاعم شعبية ، ولا توجد الانارة والماء والنقل ... ان اهم ما يشغل المراة الريفية هو تربية اولادها والقيام بخدمة المنزل . فمن اجل تربية الاولاد يجب ان تنشأ رياض للاطفال ، وما اجل خدمة المنزل يجب ان تنشأ مطاعم جماعية شعبية .

ان المراة التي عاشت في جو المدينة قد انخرطت في اعمال الصناعة المختلفة ، كما كان نصيبها من العلم موفورا ، فقد تعلمت الهندسة والطب والصيدلة والتجارة ، وعملت في جميع الوزارات والادارات وفي فروع الانتاج المختلفة . وتوفر لها ما لم يتوفر للمراة في الريف .

من المهم جدا أن تمارس المراة حقها كاملا في ادارة اموالها ، وان تعمل على زيادتها في مختلف الجهات الزراعية او الصناعية او التجارية دون ان يكون لاحد عليها حق الاعتراض ، او الوقوف امام زيادة ثروتها ، ولها الحق ان تفتح المشاريع المختلفة في كل المجالات ، وان تساهم في شركة، او تؤسس محلا تجاريا ، او تنشيء مزرعة ، او تقرض اموالا . ان العمل الاقتصادي مفتوح امام المراة ، غير ان بعض البلدان وخاصة الراسمالية وقفت في طريق هذا الحق فقيدته بموافقة الزوج ، وبعضها الآخر كالدول الشيوعية والاشتراكية اعتبرت المراة حرة غير مقيدة بموافقة الزوج في العمل ، او الانتساب الى احد المعامل والمصانع ، الا ان المراة في هذه المجموعة من الدول يشترط فيها لا يكون لديها ملك خاص للارض او المعمل او المصنع ، وعليها ان تعمل من اجل الانتاج الجماعي ، وان يوفى لها اجرها غير منقوص . والرأي متجه الآن الى الغاءجميع القيود التي تمنع المراة من ممارسة حقها في العمل ، او في ادارة اموالها . ففي فرنسا مثلا الغي تصريح الزوج للموافقة على تصرفات زوجته المدنية والمالية في القانون ، وكذلك في البلاد الاخرى .

ان العمل حق طبيعي للمراة وعليها أن تشارك في الانتاج من خلال عملها . قد يكون هذا العمل في المعامل والمصانع ، وقد يكون في المزارع ، وقد يكون في المنزل لـ حياكة ــ تطريز ، مشاغل ــ .. الخ) وتختلف قيمة الانتاج من مكان لآخر . اذا عملت المراة في المعامل والمصانع فانه قد يكون لعملها هذا محاذير اهمها انتشار البطالة المستترة ، واذا عملت في البيت فانه قد يكون لعملها هذا محاذير اهمها قلة الانتاج والتبرم من الاعمال المنزلية . وعلى الدولة ان تجد لكل امراة ورجل عملا يستطيع ان يستوعب الاعداد العديدة من الجنسين فان لم يكن فسوف تنتشر البطالة بادئة بالرجال . ان العمل المأجور خارج البيت

يعيق المراة عن تادية واجباتها الزوجية نحو الزوج والاولاد ، ويعيقها عن التفرغ بشؤونهم البيتية والتعليمية سيما اذا كانت المؤسسات الجماعية غير متوفرة كدور الحضانة ، والغسالة الجماعية ، والمطاعم الشعبية .. الخ . وهنا تنشا عدة حالات : ـ

١ ـ اذا لم تتوفر تلك المؤسسات الجماعية فان النتيجة وخيمة بالنسبة للاولاد والاطفال . ترى كيف تستطيع الام ان تتركهم لوحدهم ، او تتركهم مع خادمة ليس في قلبها الحنان والعطف ؟ فان الاولاد في مثل هذه الحالة سينشاون نشأة غير طبيعية محرومين من حنان الام ورعايتها . ومن الاولى في مثل هذه الاحوال ان تتفرغ الام لتربية أولادها ، واذا عملت عملا ما فيجب الا يكون هذا العمل فاصلا بينها وبين بنيها ، وان يكون هناك فترات من الوقت تتخلل العمل لكي تستفيد الام من هذه الفرصة في العناية باطفالها . اما اذا وجدت المؤسسات الجماعية فان ذلك يشجع النساء على العمل خارج البيت ، على ان تكون هذه المؤسسات قريبة من عمل المراة ، وان يتاح للمراة الاشراف على العناية باطفالها .

٢ ـ اذا كانت الدولة بحاجة الى عمال للقيام باعمال حيوية تتعلق بامن البلاد والدفاع عنها ، او النهوض الاقتصادي فيجب في هذه الحالة ان يعمل الرجل والمراة على السواء ، وتحدث مثل هذه الاحوال ايام الحروب اذ يساق الرجال الى الجبهات ، فتحل المراة محل الرجل في المعامل والمصانع وفي الاعمال والامور الاخرى ، واذا لزم الامر فان على المراة ان تقاتل بجانب الرجل ، وان تحضر العمليات الحربية .

٣ ـ اذا كانت الاسرة بحاجة وهي فقيرة لا يمكن للرجل لوحده ان يسد اعباء الحياة والنفقات الكبيرة المتطلبة ، فان مثل هذه الحالة يصح للمراة ان تساعد زوجها في ايجاد عمل ملائم ، وان تكون عونا له لزيادة الموارد وتلبية مطالب الاسرة الضرورية .

٤ ـ اذا كان الرجل مريضا ، فانه يصح في هذه الحالة ان تعمل المراة خارج البيت لتفي بالتزاماتها نحو اولادها ، وان تهيء القدر الكافي من الموارد

للصحة واللباس والطعام والتعليم . والاصل ان يعمل الرجل أولا ثم المراة ثانيا، وعليهما ان يعملا على الا يتعارض عملهما مع الحياة الزوجية ومع الاسرةالسعيدة ومع الاولاد المتفائلين بالخير .

ان القاعدة في عمل المراة هي : العمل حق طبيعي للمراة سواء كان ذلك في البيت ام خارج البيت ، فاذا كان العمل في البيت على المراة ان تراعي عملها ضمن شروط معروفة ، واذا كان العمل خارج البيت يجب ان يراعى في عملها ما يلي : ـ

١ ـ ان تساهم في الانتاج القومي ، وان تكون هذه المساهمة فعالة ومجدية أي ان تبذل اقصى جهدها لتحصل على اعظم طاقة في الانتاج .

٢ ـ ان تشترك في البناء الاقتصادي والمنزلي من خلال عملها وان تقدم لمجتمعها واولادها ..

٣ ـ ان يراعى وضع المراة الطبيعي في عملها ، فلا تتسلم اعمالا فوق طاقتها ، وان تمنح من التسهيلات ما يساعدها لتحقيق الامومة وتربية اطفالها ، والحمل ، والوضع ، والرضاعة ... الخ ..

٤ ـ ان تكون الزوجة في دائرة او في مكان اقامة او في البلد الذي يعمل فيه الزوج .

٥ ـ ان توفق المراة بين عملها في الخارج ، وبين عملها في المنزل . واذاتفرغت للاعمال الخارجية في المعامل او المصانع او المزارع ... فانه يتوجب على الدولة انشاء دور للحضانة مكتملة من جميع النواحي ، ومطاعم جماعية ، ومنشآت اخرى جماعية تحل محل المراة في المنزل ، وحينئذ لا توجد ضرورة بان تعمل المراة في المنزل ، بل ستتفرغ كليا لاعمال الانتاج .

٦ ـ حماية المراة صحيا وخلقيا ونفسيا ، وتوفير الجو الملائم لها في العمل وللمراة الحق في التامين ضد المرض والشيخوخة ولها الحق في الراحة والفراغ والاعانات والتعليم والزواج ، وتاسيس اسرة ، وحق الضمان ، والحقوق الاخرى التي تنهض بالمراة ، وتبوئها المكانة اللائقة بها ان سن العمل للمراة هي

من ٢٠ ـ ٢٤ سنة وهي السن التي تستطيع بها المراة ان تصرف كل جهدها وطاقتها ، وان تعطي لامتها ويأتي بعد هذا السن سن من ١٠ ـ ١٥ سنة . ونلاحظ ان الاحصائيات كلها تشير الى أهمية السن التي تتراوح ما بين ٢٠ ـ ٢٤ . وتختلف الاحصائيات من بلد لآخر بالنسبة للسن والعمل والعادات والتقاليد ، اذ نجد في البلاد النامية او في البلاد الاخرى ان سن العشرين هوسن العمل ومع ذلك فلا نجد نسبة كبيرة يقمن بالعمل ، ثم اذا تزوجت المراة او كبرت فانها تتقاعد عن العمل وتهتم بتربية اطفالها وتدبيرالمنزل . اذا استعرضنا احصائيات سكان المخيمات في لبنان عام ١٩٧١ نجد ما يلي :

ـ من سن ١٠ ـ ١٤ عدد المشتغلات بلغ ١٦٥
ـ من سن ١٥ ـ ١٩ عدد المشتغلات بلغ ٢٦٠
ـ من سن ٢٠ ـ ٢٤ عدد المشتغلات بلغ ٢٧٠
ـ من سن ٢٥ ـ ٢٩ عدد المشتغلات بلغ ١٠٥
ـ من سن ٣٠ ـ ٣٤ عدد المشتغلات بلغ ١٣٥
ـ من سن ٤٥ ـ ٤٩ عدد المشتغلات بلغ ١٠٥

* * *

الفَصْل السَّادِس

المــرأة والقيــادة

لقد جمعت المراة اغلب عناصر القيادة . فهي قد صمدت امام المحن والمصائب فلم تجزع ، واظهرت صمودها في كثير من المواقف . كما انها لمعت في شؤون الاستطلاع والاستخبارات ولا سيما اثناء الحربين العالميتين . وعلى مدى التاريخ كانت المراة تحمل مهمات صعبة يتوقف على هـذه المهمات تحويل المعارك من الهزيمة الى النصر . المراة في استراق السمع حاذقة ، وفي جلب المعلومات داهية ، تستخدم انوثتها وحديثها فتجعل الجندي يبوح بما عنده ، والقائد الثمل الذي ارتمى عليها يهذي بما عنده من اسرار . المراة اشتهرت في نقل المعلومات على مستوى الداخل والخارج . واذا اجتمع للمراة الشعر والغناء والموسيقى والدلال والاغراء وقوة الحديث استطاعت ان تتغلب على كثير من الصعوبات وان تحصل على المعلومات المطلوبة بكل سهولة . وكذلك فقد اظهرت المراة براعتها وحسن تفكيرها في المشورة والراي فهل على الرجل زوجها او ابنها او اخيها تشير . وكثيرا ما كانت المراة مصيبة في رايها وصادقة في مشورتها ، الا اننا نلاحظ في هذا العصر قلة النساء اللاتي يعملن كمستشارات على مستوى رئيس الدولة ورئيس مجلس الوزراء والوزراء ، والذي يلاحظ انها كثيرة الالتصاق بزوجها فهي كمستشار له في أغلب اعماله . ومن عناصر القيادة الفصاحة والبلاغة وحسن البديهة فلقد اشتهرت بذلك المراة العربيةالتي تبذ الادباء والشعراء واهل الفصاحة ببلاغتها وادبها . ومما يشار اليه في المراة انها تعمل كأركان بصورة ممتازة ، فلا نرى عظيما الا خلفه امراة ، ولا قائدا ملهما الا كانت في شجاعته واقدامه امراة ، ولا عالما الا في عبقريته امراة . هكذا المراة تعمل مع زوجها كأركان ، وتعمل مع ابنها واخيها . ومن ابرز عناصر القيادة الشجاعة التي اتصفن بها بعض النسوة ولا سيما العربيات منهن . اما عن السياسة فقد تربعت المراة على عرش السياسة ، ويروي لنا التاريخ ان عددا من النساء قد مكن قبائلهن وقومهن ولا يزال حتى الآن وفي وقتنا الحاضر تحكم بعض النسوة في هذه الارض ، وقد دلت بحكمها على خبرتها بالسياسة وتصريف الامور ، ومن حب المراة بالسياسة انها طمعت في مقتل زوجها او التخلي عنه . اما عن القيادة فقد ثبت ان المراة قاتلت واستلمت راية القتال بعد مقتل القائد ، وثبت ايضا ان المراة كانت تتقدم صفوف القتال بلباس الميدان

الكـامل . ولقد حملت المراة من الصفات القيادية ما يؤهلها لان تقود واهـم صفات القيادة العلم والمعرفة ، ثم قوة الشـخصية .

بالاضافة الى ان المراة قد جمعت من عناصر القيادة اغلبها فانها قدتجسدت فيها ارادة القتال ، وارادة القتال ترتكز على ميدانين هامين هما أن يكون لدى المراة الاستعداد لتقديم النفس وقد جادت بنفسها فقد قدمت نفسها للقتـل غير آبهة ولا وجلة . فهاهي نائلة بنت الفرافصة الفت بنفسها على زوجها عثمان بن عفان لتمنع عنه القتل ، وها هي « شارلوت كورداي » تسقط على المقصلة فداءا لامتها ، والامثلة كثيرة ومتعددة . والمبدا الثاني هـو ان تجود المـراة بمالها ، وفعلا فقد كانت كريمة في تقديم مالها في سبيل الحق والواجب،ويروى ان عتبة بنت عفيف (ام حاتم الطائي) كانت لا يقصدها سائل الا اعطته ، ولا طالبا الا اعانته حتى ان اخوتها منعوا عنها مالها ، ولم يعطوها الا قليلا من الابل، فجاءت امراة من هوزان تسألها فقالت : دونك هذه الابل فخذيها .

الصمـود

الصمود هو الثبات امام المصائب والبلاء وامام الشدائد والضر . لقد اثبتت المراة صمودها . فها هي الخنساء التي صمدت امام المصائب كلها فلم تأس ولم تجزع حين جاءها استشهاد اولادها الاربعة في وقعة القادسية . صبرت امام موت بنيها . وتلك فاطمة الزهراء التي صمدت امام الجوع فلم ترضخ له قالت : « اني لوجعة وانه ليزيدني اني مالي طعام آكله » . وتلك اسماء بنتابي بكر تصمد أما جور الحجاج وبطشه ،وذلك عندما قالت لابنها عبد الله بن الزبير عندما جاءها مودعا امضر في قتالك ، يا عبد الله فوالذي نفسي بيده لان اراك مجندلا صريعا في سبيل الحق خير من أن اراك مذعنا للباطل . وحين صلبـه الحجاج كانت تتهكم من الحجاج وتقول : اما آن لهذا الفارس ان يترجل .

لقد عانت المراة من الاضطهاد الاجتماعي والقانوني والجنسي . حبسوا عليها حريتها وتركوها بين الجدران ، وضيقوا عليها في العمل ، وكبلوها بالاصفاد، وعذبوها ، وداسوا على كرامتها وعفتها ، وجعلوا انفسهم فوقها في كل شيء . فهي في الشرائع القديمة مهانة ، وعند اليونان مسلوبة الحرية ، وعند الاغريـق

شجرة مسمومة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، وعند البوذيين مصيدة واغواء ، وعند الافرنسيين عبدة للرجال يتزوجها الرجل دون رضاها ، وعند الامريكان قاصرة ولو بلغت من العمر سنا كبيرا فهي ملك للاب والولي قبل الزواج وللزوج بعد الزواج . الزواج والطلاق بيد الرجل يعبث بهما كيفما شاء .
وعند الانكليز لا يعدون المراة من الاشخاص فلم يكن لها اية حقوق شخصية او مالية . يبيعون النساء بثمن بخس حتى وصل الى ثلاثين شلنا . وعند الهنود يعتبرون المراة بمرتبة الحيونات فاذا فقدت المراة زوجها لسبب ما ظلت طول حياتها بدون زوج . وقد ظلت المراة محرومة من التعليم ومحرومة من الاستقلال في ادارة عمل او ادارة اموالها . وعند العرب في الجاهلية كانت بعض القبائل تحتقر المراة ، وكان الرجل يتزوج ويجمع عدة زوجات وله ان يطلقهن او يعمل بهن ما يشاء ، ووصل الامر في بعض القبائل الى واد البنات وهن احياء . لقاء هذا التعسف وهذا الاضطهاد فقد لقيت المراة الوانا من الشدائد والمصائب ولكنها صمدت امام هذا كله وتمردت على واقعها ، فقد كانت المراة المصرية تحيا حياة اجتماعية وسياسية راقية وهي التي كانت تختار زوجها وتولت مناصب دينية عالية هو منصب « الكهنوت » وتولت السلطة السياسية ايضا . وهكذا كانت المراة العربية في اسلامها مثال المراة التي نالت جميع حقوقها الشخصية والعامة والمالية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية «ولهن مثل الذي عليهن».
لقد صمدت المراة دون عرضها وشرفها ومن الامثال الشائعة(المنية ولا الدنية).
كما صمدت المراة امام اضطهادها ، وها هي فاطمة بنت الخرشب آثرت قتل نفسها عندما اصبحت اسيرة . وصمدت امام تحديات الغير واثبتت انها اجرا من الرجل على اقتحام الشدائد ، واصبر منه عند وقوع المصائب ، فتلكالزباء بنت عمرو مصت السم من خاتم كان في يدها وقتلت نفسها عندما اراد عمر بن عدي قتلها وقالت : بيدي لا بيدك يا عمر ، فهذا الصمود وغيره يعتبر عنوانا لشجاعة المراة وثباتها . ولقد ثبتت سمية ام عمار بن ياسر امام حر الرمضاء وعذاب بني مخزم اذ كانوا يلقونها في النار وهي لابسة درع الحديد ، ويقذفونها بالحجارة وهي صامدة امام هؤلاء فلا زاحت قيد انملة عن عقيدتها ، بل كانت بكل بساطة تقول لهم : افعلوا ما شئتم فلن اترك عقيدتي ، وكذلك عملت عملها

زنيره جارية عمر بن الخطاب التي كانت تخضع للتعذيب حتى عميت وذهب بصرها وهي صامدة . وكانوا يسومونها سوء العذاب اذ يسقونها العسل ويقيدونها ثم يلقونها فوق الرمال الملتهبة ، وام شريك القرشية العامرية التي تركوها ثلاثة ايام لا يطعمونها ولا يسقونها وهي تحت الشمس المحرقة ، كل هؤلاء النسوة صمدن امام العذاب في سبيل العقيدة والمبدا رغم انف الذين كانوا يقومون بالتعذيب بغية ترك العقيدة ، ولكنهم لم يفلحوا امام صمودهن وثباتهن . ومن صمود المراة انها قد صمدت امام الموت ولم تأبه لموتها او موت زوجها او موت ابنها فتلك الخنساء ، وتلك ام سليم بنت ملحان الانصارية زوج ابي طلحة زيد بن سهل التي مات صبيها فما اكترثت وبقيت على طبيعتها تمارس اعمالها البيتية ولم يظهر عليها الحزن لقوة احتمالها وصمودها . يقول عبد الله عفيفي (١) :

« ولعل ابعد منه ما حدث انس بن مالك عن امه أم سليم بنت ملحان الانصارية زوج ابي طلحة زيد بن سهل قال : مرض اخ لي من ابي طلحة يدعى ابا عمير فبينا ابو طلحة في المسجد مات الصبي فهيات ام سليم امره وقالت : لاتخبروا ابا طلحة بموت ابنه . فرجع من المسجد وقد تطيبت له وتصنعت فقال : ما فعل ابني ؟ قالت : هو اسكن مما كان . وقدمت له عشاءه ، فتعشى هو واصحابه الذين قدموا معه . ثم اتما ليلتهما على اتم واوفق ما يكون الزوجان فلما كان آخر الليل قالت : يا ابا طلحة ، الم تر الى آل فلان ، استعاروا عارية ، فتمتعوا بها ، فلما طلبت اليهم شق عليهم ؟ قال : ما انصفوا . قالت : فان ابنك فلانا كان عارية من الله فقبض اليه ... فاسترجع وحمد الله وقال : والله لا ادعك تغلبينني على الصبر . حتى اذا اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : بارك الله لكما في ليلتكما » . ولقد شهدت زينب بنت علي بن أبي طالب مقتل أخويها الحسن والحسين وبني عمها عقيل وجعفر وعبد الرحمن وعبد الله وآل بيتها ، وحضرت مقتل الرجال في كربلاء فلم تعجز ولم تيأس بل صرخت في وجه الطاغية يزيد فلم تستكن له ولم تذعن لامره ، ولقيت في تنقلها بين الكوفة ودمشق والمدينة ومصر العذاب الهون ، وظلت تترقب الفرص للاخذ بثأر المغدورين وبقيت صامدة حتى ماتت عام ٦٢ هـ .

---

(١) عبد الله العفيفي في كتابه المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ـ الجزء الثاني ـ ص ٨٠

وهكذا كانت المرأة في كل الاحوال ، وفي جميع انواع المصائب صخرة قوية تتحطم عليها القوى المضطهدة ، والقوى التي ارادت لها العذاب والتضييق والاهانة ، انها المرأة الصامدة الثابتة في قولها وفعلها .

الصدق والصراحة في القول والعمل :

ان المرأة تسمو بصدقها ، وتعلو بصراحتها ، وان من صفات القيادة ان تكون المرأة صادقة وصريحة تقول الحق ولو على نفسها فلا تخاف في ذلك جور سلطان ، او ظلم حاكم . ان صراحة المرأة التامة لجماهيرها سوف تزيد ثقة المرؤوسين ، وثقة الرؤساء على السواء . ان المغالطة في الوقت الحاضر تعد من الصفات الذميمة للقيادة ، والمغالطة معناها اخفاء شيء ، واخفاء شيء معناها الخوف وعدم الثقة وبذلك تتزعزع القيادة عند الشك فيها وبأنها تعمل لغير صالح المرؤوسين . ومن يكذب على مرؤوسيه فانما يكذب على نفسه ، ويكون ذلك وبالا عليه . ان اشهر القادة واشهر الرؤساء هم الذين يصدقون مع الجماهير ، فتلك انديرا غاندي التي تملك من الصراحة ما يجعلها اهلا للقيادة فهي تصارح شعبها في كل اعمالها ، وتعرض عليهم الامور المطروحة . واذا رجعنا الى التاريخ نرى نساءا كثيرات من اللاتي كن صريحات واضحات ، ومن اشهرهن : سودة بنت عمارة التي كانت من اعوان علي بن ابي طالب . تدخل على معاوية فتقول : ما مثلي رغب عن الكذب او اعتذر بالكذب . وعندما سألها معاوية : فما حملك على هذا ؟ قالت : حب علي عليه السلام ، واتباع الحق . وام الخير بنت الحريش البارقية التي قالت لمعاوية : اما انا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب . . . وعندما سألها معاوية في خلافته عن قول كانت قد قالته بحقه تريد قتله ثم هددها بالقتل قالت : والله ما يسوءني يا ابن هند ان يجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقائه . ولما سألها عن عثمان قالت : استخلفه الناس وهم عنه راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . وعندما سألها عن طلحة قالت : اغتيل في مأمنه واتي من حيث لم يحذر . والزرقاء بنت عدي وكانت من انصار علي استقدمها معاوية وسألها : الست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين بين الصفين توقدين الحرب وتحضين على القتال ؟ . . الست القائلة كذا . . قالت : نعم . ثم قال : والله يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه .

فقالت : أحسن الله بشارتك ياامير المؤمنين وادام سلامتك . مثلك من بشر بخير وسر جليسه قال لها : وقد سرك ذلك ؟ قالت : نعم . لقد سرني قولك فاني بتصديق الفعل ؟ قال معاوية : والله لوفاؤكم له بعد موته احب الي من حبكم له في حياته . وبكارة الهلالية التي كانت من انصار علي وحضت على القتال يوم صفين والتي أسنت وعشي بصرها . قدمت على معاوية في مجلس فقال لها القوم : أأنت قلت يوم صفين كذا وكذا .. قالت : نبحتني كلابك يا امير المؤمنين واعتورتني ، فعقد محجني ، وكثر عجبي ، وعشي بصري ، وانا والله قائلة ماقالوا لا أدفع ذلك بتكذيب ، فامض لشأنك فلا خير في العيش بعد امير المؤمنين علي بن ابي طالب وكثيرات من النسوة العربيات اللائي قلن الحق ، ودفعن الكذب .

لم يكن قول الحق والصراحة به مأمونا من جانب القادة والحكام ، عندما كانت المراة تنادي به امام هؤلاء القادة ، بل كانت المراة تجازف غير آبهة بالنتائج . فتلك ارملة « كوندورسيه » التي خاطبها نابليون بكل عنجهية وكبرياء بقوله : مدام .. اني لا احب ان تتمحك المراة في السياسة . فأجابته على الفور : لك الحق أيها الجنرال . ولكن من الطبيعي في بلد تحتز فيه رؤوس النساء ان يكون لهن الحق في ان يسألن عن السبب في ذلك !

لقد تكلمت المراة بصراحة فأوجعت ، وقالت في الناس رايها واضحا فافحمت ، ونظر اليها الحاضرون مشدوهين لما في كلامها من ايلام ، رفضت أن تكون عبدة للنفاق فقالت الصدق ، وامتنعت عن كلام الكذب فأصابت المقتل في أعدائها . وهاهي اروى بنت الحارث بنت عبد المطلب التي اسمعت معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم الكلام الموجع . فقالت في معاوية وعلى مشهد من الناس : « لقد كفرت بعدي بالنعمة ، واسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، واخذت غير حقك بغير بلاء كان منك ولا من آبائك . » وقالت لعمرو بن العاص : « يا ابن اللخناء النابغة . اتكلمني اربع على ضلعك واعن بشأن نفسك . فوالله ما انت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها ، ولقد ادعاك ستة من قريش كلهم يزعم انه ابوك . ولقد رايت امك

ايام منى بمكة مع كل عبد عاهر فاتم بهم فانك بهم اشبه . » فقال مروان بن الحكم : « ايتها العجوز الضالة ، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك فلا تجوز شهادتك. » قالت : « يابني اتتكلم فوالله لانت الى سفيان بن الحارث بن كلده اشبه منك بالحكم وانك لشبهه في زرقة عينيك وحمرة شعرك مع قصر قامته وظاهر دمامته ولقد رايت الحكم ماد القامة ، ظاهرة الامة ، سبط الشعر ، وما بينكما من قرابة الا كقرابة الفرس الضامر الى الاتان المقرب . فاسأل امك عما ذكرت لك فانها تخبرك بشان ابيك ان صدقت . »

ومن صدق المراة انها كانت عالمة بالحسب والنسب وتاريخ القبائل . فكانت كل قبيلة لها ميزاتها وخصائصها . واشتهرت من النساء ممن برعن في معرفة خصائص القبائل ، وخصائص الرجال ، حتى لتدرك عندما تسمعها فكانك تسمع من باحث اجتماعي ، أو من طبيب نفساني ، دراسة صادقة واقوال معبرة ، وصراحة صافية . فانظر الى جروة بنت مرة بن غالب التميمية عندما سألها معاوية بن ابي سفيان عن قومها فقالت : هم اكثر الناس عددا ، واوسعهم بلدا وابعده امدا ، هم الذهب الاحمر والحسب الافخر . قال : صدقت. فنزليهم لي قالت : يا امير المؤمنين اما بنو عمرو بن عيتم فاصحاب باس وشدة وتحاشد وشدة ، لايتخاذلون عند اللقاء ، ولا يطمع فيهم الاعداء ، سلمهم فيهم ، وسيفهم على عدوهم . وظلت تعدو فمرت في بني سعد فقالت فيهم وحنظلة والبراجم وبنو ربية وبنو يربوع وبنو مالك وبنو دارم . ثم سالها معاوية عن تميم وقيس وغطفان وفزارة وذبيان وعبس وهوزان . ثم سألها عن سليم وضواغم وهلال وبنو كلاب وقريش . فقالت في قريش : يا امير المؤمنين هم ذروة السنام ، وسادة الانام والحسب التمقام . قال : فما قولك في علي ؟ قالت : جاز والله في الشرف حدا لايوصف ، وغاية لاتعرف ، وبالله اسأل امير المؤمنين اعفائي مما اتخوف . هذه هي حكمة المراة وفلسفتها الاجتماعية وخبرتها بالاقوام .

ومن الصراحة ان المراة نقدت الامير في نطقه وتفوهه ، وعابت عليه كلماته، تلك جمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد التي قالت في عبد الله بن الزبير عندما رقي المنبر يخطب بالناس : ايا نقار يانقار اما والله لو كان فوقه نجيب

من بني أمية او صقر من بني مخزوم لقال المنبر : طيق . طيق . فبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فدعاها فقالت : « لاتقدم الحسناء ذاما ، والساخط ليس براض، ومع ذلك فما عدوت فيما قلت لك . ان نسبتك الى التواضع والدين ، وعدوك الى الخيلاء والطمع ، ولئن ذاقوا وبال أمرهم لتحمدن عاقبة شانك ، وليس من قال فكذب لمن حدث فصدق ، وانت بالتجاوز منك جدير ، ونحن بالعفو عنك اهل ، فاستر على الحرمة تستتم النعمة ، فوالله مايرفعك القول ولا يضعك ، وان قريشا لتعلم انك بمابدها وشجاعها ولسانها ، حاط الله دنياك ، وعصم اخراك ، والهمك شكر ما أولاك . » .

ومن حسن صدق المراة انها كانت وفية لما تحب ، ولمن رات فيه الخصال الحميدة . وفت المراة للرجل حيا وميتا ، فلقد كانت في حياتها تصبو الى من تحب ، وتذرف الدمع عند فراقه ، وتتأوه عند اصابته ، وتضع روحها دون روحه ، وتفديه بنفسها ومالها . ولقد كانت في موتها اوفى واشد اذ حزنت عليه . وحرمت على نفسها الزواج من أحد بعده ، واضرت بجمالها وشوهته لئلا يطمع فيها الخاطبون ، أو يراها الذي في قلبه مرض . ان الوفاء جزء من عناصر القيادة ، فالوفي يبقى وفيا لحبيبه ومرؤوسيه ورؤسائه ووطنه ، ولن يأثم يوما مافي حق أي كان . الوفي محبوب من الناس ومن الجماهير ، وبدون الحب لاتنشأ صلات ، ولا تؤلف قلوب . فتلك لبنى بنت الحباب الكمبية التي وفت لقيس وابت على نفسها الا تحب احدا من بعده ، وماتت وهي على هذه الحال . وتلك ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد الاخيلية التي احبت توبه وصدقت في حبها ووفت له . ولما قتل رثته باشعارها . وقالت : اني مقصرة في نعته ، واني لا أبلغ ماهو اهله . وتلك نائلة الفرافصه بنت الاحوص الكلبية التي عرضت نفسها للقتل لما دخل الرجال يبغون قتل زوجها ، فانكبت عليه واتقته بجسمها ، ولما أهوى السيف احدهم مسكت به فقطع اصابعها ومضى في بطن عثمان .. وانها وفاء لما تحب فقد حرمت على نفسها الزواج بعده ، وامتنعت عن كثير من الرجال الذين خطبوها حتى أمير المؤمنين معاوية ، فمثلت بنفسها ، وشوهت جمالها وقالت : اني رايت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، واني خفت أن يبلى حزني على عثمان فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان وذلك مالايكون أبدا .

وتلك سعدى التي كانت تحب زوجها ثم افتقر . فأراد مروان بن الحكم ان يفرق بينهما لما لها من جمال ويتزوجها . فأبت ، فاحتكموا الى معاوية . فقال معاوية: ياسعدى . أينا احب اليك . امير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره ، ام مروان ابن الحكم في غضبه واعتدائه ، أم هذا الاعرابي (زوجها) في جوعه واطماره ؟ فقالت : اريد ابن عمي فأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء .. فأعجب معاوية بردها واكرمها واثنى علــى وفائها . ويروى ان « دوق بافاريا » لما حوصر من قبل « كنراد الثالث » احتمل النساء ازواجهن على ظهورهن وخرجن بهم من القصر . ولقد مرت معنا قصــة الزرقاء بنت عدي حبها ووفائها لعلي بــن ابي طالب . فقال معــاوية : والله لوفاؤكم له بعد موته احب الي من حبكم في حياته . وتلك فاطمة بنت الاجم الخزاعية التي قالت في رثاء زوجها :

لقــد كنت لي جبــلا ألوذ به ... فتركتني أضحى باجرد ضاح
قد كنت ذات حمية ماعشت لي ... امشي البراز وكنت انت جناحي
فاليــوم اخضــع للذليل واتقي ... منــه وادفــع عاذ لي بالراح

الوفاء شيء كبير في المرأة ، ولقد وفت لابيها وزوجها وولدها . ووفت للناس اجمعين .

ومن الصفات القيادية ايضا أن القائد يجب ان يكــون كلامه بليغا جزلا مفهوما ، فلا يزيد في كلامه ولا يردده ، ولا يتلعثم في حديثه ولا يتأتى . القول قول صريح صادق معبر جزل ، وذلك كانت بعض النساء يتصفن بهذه المزايا . فهاهي هند بنت المهلب تقول :

اذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل الزوال . وقالت واحــدة منهن : ياقوم . ستة جردت ، وايد جمدت ، وحال اجهدت ، فهل من فاعل لخير وآمر بمير . رحم الله من رحم فأقرض من لم يظلم . قالت عائشة بنت ابي بكر : كان عمر بن الخطاب اذا قال اسمع ، واذا مشى اسرع ، واذا ضرب في ذات الله اوجع . وقالت ليلى الاخيلية عندما طلــب منها الحجاج ان تصف

الفجاج فقالت : الفجاج مغبره ، والارض مقشعرة ، والمنزل معتل ، وذو العيال مختل ، والهالك المقل ، والناس مسنتون ، رحمة الله يرجون ، واصابتنا سنة بمحفة مبطلة لم تدع لنا هبعا ولا ربعا ولا عافطة ولا نافطة . اذهبت الاموال ، وفرقت الرجال ، واهلكت العيال . ومن صفات المراة العربيـة القيادية انها كانت غزيرة الادب ، فصيحة اللسان ، عجمت النثر والشعر فاستوت بهما ، وتطـاولت ، فادركت عظماء الشعـراء والحكماء والادباء . وكانت تحكم بين الرجـال .

فها هي « ام جندب » قد حكمت بين الشاعر امرىء القيس ، والشاعر علقمة الفحل ، وحكمت لعلقمة ضد زوجها ـ حقا انها صراحة ووضوح ـ امرىء القيس ، فما كان منها الا ان طلقها . وهاهي الشاعرة الخنساء تنقد حسان بن ثابت ، وكان الحكم النابغة الذبياني . وفي سوق عكاظ حضرت جمعه وهند ابنتا الحسن اللتان اظهرتا فصاحتهما امام القلمس الكناني الذي سالهما عن احب الخيل ، فقالت جمعة : احب المنسوب جده ، الاسيل خده ، السريـع شده ، الطويل مده ، الشديد هده ، الجميل قده . اما هند فقد قالت : هذا فرس خليق ان طلب لم يلحق ، وان جوري لم يسبـق ، وان بوهي لم يفق ، وغيره احب الي فيه . قالت : احب الوثيق الخليق ، الكريم العـرق ، الكثير السبق ، الشديد الالق ، يمر من البرق . ثم سالهما عن اناث الخيل فأجادتا. ثم سالهما عن : بعض ذكور الخيل . وعن احب النساء وأحب الرجال وأبغض الرجال فوصفتا للقلمس على أحسن ماتكون الفصاحة ، والكلام الجزل . وانظر الى ماوية امراة حاتم تقول : « (١) اصابتنا سنة اقشعرت لها الارض ، واغبر افق السماء ، وراحت الابل حدبا حدابير ، وضنت المراضـغ على اولادها فما تبغي بقطرة ، وحلقت السنة المال ، وايقنا بالهلاك . فوالله انا لفي ليلة صنبر، بعيدة مابين الطرفين ، اذ تضاغى صبيتنا جوعا عبد الله وعدي وسفانة . فقام حاتم الى الصبيين ، وقمت انا الى الصبية ، واقبل يعللني بالحديث . فعرفت مايريد ، فتناومت ، فلما تهورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت ثم عاد . فقال حاتم : من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة اتيتك من عند صبية يتعاوون عواء

(١) عبد الله عفيفي في كتابه المراة العربية في جاهليتها واسلامها الجزء الثالث ص ٤٧ .

الذئاب ، فما وجدت معولا الا عليك يا ابا عدي . فقال : اعجليهم قد اشبعك الله واياهم ! فاقبلت المراة تحمل اثنين وتمشي خبائبها اربعة كانها نعامة حولها رئالها . فقام حاتم الى فرســه فوجأ لبته بمدية فخر . ثم كشطه عن جلده ، ودفع المدية الى المراة ، فقال لها : شانك ! فاجتمعنا على اللحم نشوي وناكل. ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتا بيتا . فيقول : هبوا ايها القوم ، عليكـم بالنار ، فاجتمعوا .

والتفع في ناحية ينظر الينا . فوالله ماذاق منه مزعة ، وأنه لاحوج اليه منا . فاصبحنا وما على الارض من الفرس الا عظم وحافر . ».

وتفننت المراة في ضروب الكلام والتاثير ، ونجحت في الوصف وفي الاثارة، وفي حمل قلوب السامعين ، وفي الحكم والامثال . ومما قالته امراة مــن بني كنانة : « لا تامني الاحمق وفي يده سكين » وقالت امراة مــن كنـــده : « ترك الخداع من كشف القناع » . وقالت العجفاء بنت علقمة السعدي : « كل فتاة بابيها معجبه . » وقالت حذام بنت الريان : « لو ترك القطا ليلا لنام . » لقد كانت المراة العربية مضرب المثل في فصاحتها وبلاغتها وحكمتها ، وكان الكلام يجري على لسانها جري الماء على الارض المتحدرة ، وكانت صاحبة عقل وفطنة وبديهة ، لقد اعطاها الله لسانا لافظا وقلبا حافظا .

الاستطلاع والاستخبارات :

تهدف الاستخبارات الى جمع المعلومات من مصادر مختلفة وبطرق مختلفة، وتمحيصها وتدقيقها وتقديمها للمسؤولين لاتخاذ القرار المناسب على ضوئها. لقد استخدمت في التجسس احدث المبتكرات العلمية والتقنية للوصول الـى ادق وتفاصيل المعلومات . فلقد استخدم الفضاء ، واسست المحطات والمراكز بما في ذلك الاقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع الحديثـة ، كما استخدمت اجهزة استراق السمع والتصوير التي تستطيع ان تلتقط الهمسات ، وأن تصور السلاح الفردي ، والوان الملابس .

لقد اشترك الرجال والنساء في اعمال الاستخبارات ، ولكن كانت المراة اقدر على التقاط المعلومات من مصادرها المختلفة لما تملك من امكانيات وهذه

الامكانيات تنحصر في الاغراء والجمال ولباقة الحديث ، وقوة نفاذها الى المجالس والامكنة الحساسة في الدولة ، وقوة سحرها وتاثيرها على قلوب الرجال والساسة والقادة . فلقد كانت رحاب اليهودية في تاريخ اليهود أول من استخدمت في اعمال التجسس عام ١٢٥١ ق.م ، اذ استطاعت ان تستولي على قلب ملك اريحا ، وأن تفتح هذه المدينة التي كانت ممتنعة عن اليهود .

لقد انشئت المؤسسات ، واقيمت الابحاث ، ورصدت الاموال الطائلة لاعمال التجسس . ففي الدول الكبرى احدثت اجهزة ترتبط ارتباطا مباشرا برئيس الدولة لما لها من اهمية في تقرير الجانب السياسي او العسكري أو الاقتصادي .

اشتهر العرب اكثر من غيرهم في ارسال العيون امام جيوشهم ، كما اشتهر غيرهم من الامم الماضية . ان اهم شرط يجب أن يتوفر في جهاز الاستخبارات هو المركزية ، وان تعمل الاجهزة كلها بتعاون وتنسيق فيما بينها ، وان تكون هذه الاجهزة منظمة بحيث تستطيع جمع المعلومات الصحيحة في وقتها،ولوصلها الى المسؤولين في وقتها . ففي الحرب العالمية الاولى لمعت في هذا العمل « ماتاهاري » وقد تعرضت لانواع من التعذيب فما افشت سرا . وكذلك في الحرب العالمية الثانية حيث برزت نساء عديدات . وكذلك قبل الحربين برزت نساء اشهرهن « جوديت » التي قتلت « هولوفيزن » وكذلك العرب فقد اشتهر من النساء اسماء بنت ابي بكر عندما كانت تذهب بالزاد وبالاخبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان مختبئا في الغار ولما علم المشركون بامرها امسكوا بها وسالوها فلم تجب ، وحاولوا معها فلم تبح بسر . لطمها ابو جهل لعله ياخذ منها كلمة تدل على المخبأ . فما استكانت ولم تدل وبقيت محافظة على السر . تقول وداد سكاكيني : « وفي الحرب العالمية الثانية نجحت نسوة وفتيات غربيات وشرقيات كانت كل واحدة منهن ابرع من « ماتاهاري » في التسلل الى مطاوي الاخبار والاسرار ، ورب كلمة تحصل عليها من جندي سكير او ضابط متدله او قائد هيمان ، فتغير وجه المعارك الحربية ، ولولا حرص الدول التي كسبت الحرب على ابقاء الدقائق في قيودها الابدية ، لذاع في ايامنا صيت طائفة من النساء ممن غيبهن الكتمان او طواهن الزمان . »

عملت المراة على مستوى الاستخبارات الداخلية والخارجيــة . فعلـى المستوى الداخلي كانت تجمع المعلومات لرئيسها المباشر او لرئيس الدولة او الخليفة . ولقد استخدم كثير من الملوك والرؤساء والخلفاء النساء في التجسس على الوزراء والمدراء وأركان البلاط ، ليكون لدى الرئيس المعلومات الكافية عن اعمال وزرائه ، وبالتالي يستطيع ان يعدل او يشكل الوزارة على ضوء هذه المعلومات ، أو يقيل احدهم او ينفيه أو ما الى ذلك .. « وهناك ناحية مــن نواحي العمل انبثثن فيها واستشفغن اسرار الملك من خلالها وذلك باتخاذهــن عيونا على الوزراء والقواد ورجال الدولة فكان الخليفة يهب الرجل جارية من جواريه فترصد منه كل اشارة ، وتتسمع منه او من جلسائــه كل كلمة فاذا اصبح الصباح كان ذلك كله عند الخليفة . » . لقد كانت الجواري تقوم بدور مهم في اعمال التجسس عند العرب . كان الخليفة يهب لمن شاء مــن جواريه بقصد التجسس ، كما كانت المراة تدخل البيوت فتأخذ كل اخبارها .

فهذا المهدي الخليفة يبعث الى الوزير يعقوب بن داوود جارية ، فتنقــل للخليفة كل اعمال الوزير واقواله . ويقول الوزير : ولشدة سروري بالجاريــة تركتها معي عند استدعائي للرجل من ولد علي بن ابي طالب الذي امر الخليفة بقتله وعندما مثل أمامي قال : يايعقوب تلقى الله بدمي وانا رجل من فاطمــة بنت محمد ؟ فعفوت عنه . وقلت كلاما واياه . وأمرته ان يغادر البلد ، واعطيته بعض المال . كل ذلك والجارية تسمع قولي . فأسرعت الجارية واوصلت مادار بيني وبين الرجل . فأرسل المهدي فأحضر الرجل والمال . ثم ارسل في طلبي وقال مابال الرجل ؟ قلت : ارحتك منه . قال : مات قلت : نعــم . واكد علي فقلت : نعم . فقال : اخرج عليه . فخرج الرجل وصاحبه والمال . قال الوزير : فوقفت متحيرا وسقط في يدي . فقال المهدي : لقــد حل لي دمك ، ولكــن احبسوه فما زلت في الحبس حتى انقضى عهده ، واخرجني الرشيد . وكــان اكثر الخلفاء الذين اشتهروا بالتجسس على الوزراء والقواد بواسطة الجواري هو المأمون . وفي الحقيقة لايزال الدور كبيرا للنســاء في الــوقت الحاضر ، اذ تستطيع المراة ان تدخل على كل بيت بحجة الزيارة أو التعرف ، وتستطيع ان

تتعرف على النساء أزواج المسؤولين فتأخذ منهم ، .وتستطيع ان تنفذ الى المقاهي والملاهي فتجتمع برواد هذه المحلات وتأخذ منهم ماتريد في حال سكره او ثرثرته ، او اندفاعه بالحب والغرام . ويكثر استخدام النساء في المحلات العامة وفي المطاعم اذ تستطيع المراة ان تأخذ ايضا ماتريد من خلال هذه المحلات. تعتمد الدول الكبرى ، والدول التي تستخدم النساء في العمل في كل مجال ان تستفيد من المراة في جمع المعلومات التي تحصل عليها من خلال عملها ، فهي في المعامل والمصانع ، وهي في المكاتب وفي أعمال السكرتارية والوظائف الادارية . ان المراة بارعة في جلب المعلومات ، ولها استعداد فطري في ذلك ، وبقدر براعتها في التقاط المعلومات بقدر ماهي ثرثارة فهي في كل ناد او محفل أو جمع تتفوه بكلمات وبمعلومات كانت قد حصلت عليها ، ولذلك فانه يلزمها التدريب الكبير على حفظ المعلومات وعدم نشرها واذاعتها وتعويدها على ذلك . وكما قلنا ان للنساء قوة سحرية وخبرة في طبائع الرجال ، ولهن خبرة على اكتشاف نقاط الضعف عند الرجال ، ولذا فهي سرعان ماتأخذ على الرجل قلبه ، وتسلبه كل مقاومة . فتلك حبابة اخذت على الملك يزيد بن عبد الملك عقله ، وعبثت به ، وانزلته عن عرش الخلافة مهانا معذبا بحبها . والمراة بهذا الحب تستطيع ان تعمل اي شيء ، بل تستطيع ان تأخذ الاسرار والخفايا ، ولا سيما في وقت تكون فيه الكؤوس مترعة والاكواب دهاق . « (١) كانت حبابة أول جارية عربية فتنت خليفة عربيا . لقد احبها يزيد حتى لم تبق في نفسه شيئا لغيرها ، وانه لينسى الدنيا وقداسة الخلافة ، وكرامة التاج فيغرق واياها ويتلاشى في الطرب والغناء ، وقد استباح له الناس بعض العذر في فقد توازنه مع هذه الجارية . فقد عرف عنها انها جارية لعوب مكشوفة النفس تملك من مواهب الاغراء مايفتن به العابد . وقد كانت خبيرة بطبائع الرجال ووسائل تملكهم وفي نفسها نوع من انانية المراة الانثى وجوع الطباع التي فقدت كثيرا من عناصر القناعة والرضى والوقار . حب السيطرة جزء من نفسها والتدبير واحكام

---

(١) الاتحاد العام النسائي السوري في كتاب « نساء من التاريخ » ص ٧٣ .

المؤامرات طابع لغرائزها لذلك انتصرت على الرجل ، بل قضت على سمعته وحياته . » والمراة اذا اجتمع لديها الشعر والغناء والجمال والدلال والاغراء كانت ذات حظ عظيم في الاستطلاع والاستخبارات .

وعلى مستوى الاستخبارات الخارجية برعت المراة ، فلقد كانت ايام الحروب محور المعارك ، وعيون القادة ، اذ ترسل المراة من بلد الى آخر بغية استطلاع اعمال العدو وخططه الخارجية . ولقد استخدم الالمان ابان الحربين العالميتين كثيرا من النساء في الاستخبارات ضد أعدائهم ، ونجحوا نجاحا باهرا في استخدام النساء ، حيث كانت المراة تتسلل الى بيوت القادة ، او الى مقرات القيادة ولديها من الاحابيل ماتستطيع بها أن تصيد القائد وتاخذ منه المعلومات التي تريدها ، وكما قدمنا في البداية انه قد اشتهرت كثيرات من النساء في هذا المجال . فتلك المراة التي كلفت بالبحث والاستطلاع عن قاتل شاس بن زهير العبسي ، فأرسلها زهير والد القتيل الى بني غني الذين انكروا قتل ولده . فذهبت المراة متخفية ودخلت قبيلة بني غني واخذت تتلمس الاخبار ، وتنتقل من مكان لآخر تجمع المعلومات حتى وصلت الى امراة من هذه القبيلة اعترفت لها بان زوجها هو الذي قتل شاس فرجعت المراة الكلفة بالاستطلاع الى زهير العبسي واخبرته بالخبر . فقرر الانتقام لابنه ، فاغار على قبيلة بني غني وثار لابنه . تعتبر اسرائيل في الوقت الحاضر من اكثر الدول التي تستخدم النساء في شؤون الاستطلاع والاستخبارات . تقوم اسرائيل بتدريب المراة من جميع النواحي لكي تعدها الاعداد المناسب ثم ترسلها للبلد التي تقوم بها المراة بمهمتها على الوجه الاكمل ، ويلاحظ ان اغلب النساء يتعلمن فنون الرقص والغناء والاغراء ، ويتدربن على هذا العمل ، وتمر المراة بمراحل عديدة من اختبار نفسي ، ومن قابلية لهذا العمل ، ومن جمال فاتن ، وقوام رشيق حتى اذا ما اكتملت هذه الصفات قاموا بتدريبها على اجهزة استراق السمع وعلى الارسال ، ولغة وطبائع البلد ، ثم يقومون بتدريسها طبائع الرجال الذين ستوفد اليهم وماذا يحبون من المراة حتى اذا ما درسوا هذه المسائل جميعا قامت المراة باصطياد الرجل الذي تريد ليقع في الفخ ويدلي بالمعلومات السرية . وبعد

ان تتلقى تلك المعلومات تقوم بنقلها اما برسائل شفرة ، او برسائل مضمونة ذات رموز ، او بارسالها مع احد المتدبين .

المراة لاهلها اشد حبا ، ولوطنها اكثر اشتياقا ، ولمسقط راسها اكثر ارتياحا واطمئنانا . فاذا كانت المراة بعيدة مع زوجها عن اهلها احبت اهلها واشتاقت لوطنها ، وارتاحت لمقرها الاول . وان نزلت بالاهل ملمة حزنت المراة وبكت وتمنت لو تفتدي اهلها ببنيها ومالها وزوجها ، بل في كثير من الاحيان تفرط في مصالح الزواج لقاء مصالح اهلها ، وتفرط بعشيرة زوجها لقاء مصلحة عشيرتها ، وتفرط بالوطن لقاء مصلحة وطنها .

كثير من النساء قتلن ازواجهن لقاء حبهن لوطنهن ، وكثير من النساء هربن من موطن الزوج الى موطن اهل الزوجة لكي تبوح بسر من الاسرار لاهلها . فليحذر الذين يتزوجون باجنبيات ان تصيبهم مذلة او قارعة تحل بهم . ويشتد الامر خوفا اذا تبين ان المراة تتجسس لحساب اهلها ، وتنقل اليهم اخبار زوجها وقومه ، ولا سيما ان كانت هناك عداوة بين اهل وقوم الزوج وبين اهل وقوم الزوجة ، او ان كانت هناك ضغائن واحقاد .

تلك سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية التي تركت زوجها وابنها عمرو وهو دون الفطيم ، وقصدت اهلها تبلغهم ان اجيحة يعتزم غزوكم ، وانه قد جهز العدة ، واعطتهم تفاصيل الغزو . ولما سمعوا منها ذلك اخلوا استعدادهم ، وتاهبوا للقاء الغزو . وعلم اجيحة من مظاهر الاستعداد ان القوم قد علموا بغزوه وفقد عنصر المفاجاة . فرجع وتفقد زوجته فلم يجدها فايقن ان سلمى زوجته هي التي قامت بتبليغ قومها . لقد استخدمت سلمى كل الاحابيل لكي تخبر قومها ، وعملت من الخداع والمكر مايسهل عليها مهمتها . وهي انها اقدمت على سهر زوجها واعيائه وعملت كل مامن شأنه لكي ينام طويلا فلقد ربطت ابنها عمرو بخيط تشد هذا الخيط كلما قارب زوجها على النوم والولد يبكي وبقيت على هذه الحال حتى بعد منتصف الليل ، ثم تركت الصبي فنام. فقامت وقالت . واراساه وجعلت تصيح من شدة وجع راسها فقام زوجها لربط لها الرباط ، وليعالجها بانواع الادوية المتوفرة ، وبقيت به على هذه الحال حتى لم يبق من الليل الا قليل . ثم تركته فنام ولكن نام نوما عميقا بعد سهر

طويل ولما شعرت بأنه نام قامت من فراشها فأخذت حبلا قويا وربطته براس الحصن ، وتدلت منه وانطلقت الى قومها لتنذرهم . وفعلا فقد انذرتهم وامنوا بطش وغزو اجيمة زوجها . وبذلك باءت خطة زوجها بالفشل ، وفوتت عليه سلمى نصرا كان مؤكدا .

يبرز دور المراة في هذا العمل اذا كانت الارض محتلة ، او ان الغاصبين والمستعمرين داسوا ودنسوا أرض الوطن . وهنا يكون للمراة دور كبير في النضال الوطني ، وفي نقل المعلومات عن العدو وايصالها للثوار . لقد عملت المراة في جميع ثورات التحرر وكان لها دور كبير وايجابي فلقد برزت في فيتنام وفي بعض دول اوروبا ، وامريكا اللاتينية ، وافريقيا . وكان للمراة الجزائرية فضل كبير في تقديم المعلومات الى القادة والزعماء الوطنيين ، كما ان المراة الفلسطينية قامت بعمل جليل في هذا السبيل . وفي القطر العربي السوري وفي عام ١٩٢٥ عملت نسوة في هذا المجال ، فقد كانت زكية هنانو اخت الزعيم ابراهيم هنانو تجتمع سرا مع الشخصيات الوطنية وتنقل اليهم اخبار العدو ، وعندما سجن اخوها كانت تنقل اليه وهو في السجن اخبار القوم واخبار المعارك والثورة ، وكان لها دور كبير في نجاح اخيها في ثورته اذ كانت مكلفة بالاستطلاع وجلب المعلومات عن العدو ، وعن الطابور الخامس داخل البلد ، وكذلك كانت بيهم الجزائري . وبصورة عامة فان المراة العربية قد ساهمت من خلال عملها هذا في الاستقلال وفي طرد المستعمر من البلاد ، وفي انجاح الثورة التحررية .

الدبلوماسية والثورة :

تميل المراة في عملها الى السلم والسلام ، وتحاول ان تحل امورها وأمور غيرها برفق وعناية ، يعز عليها ان تجرح كرامة غيرها ، او ان تؤذيه ، فهي للمودة قريبة ، والمعاملة رفيقة كلها رفق وعناية ومحبة ووفاء . تحمل صفاء الفطرة ، وجودة الفكرة ، اذا قالت نصحت ، واذا أشارت صدقت ، واذا كانت في مازق خرجت منه بسلام ، واذا وقعت في صعوبة تخلصت بيسر وسهولة ، واذا كانت على امر جامع لم تذهب حتى يكون المجتمع راضيا ، فهي تتمثل في القول :

« ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون » . رأيها صريح ، وقولها النصيحة ، تبشر ولا تنفر ، وتقوي الرجل وتشد من معنوياته ، وتساوي الامور وتحل المشكلات. فهي للفرح ناصية ، وللحزن لحبة . تستضيف الضيوف ، وتقوم بأعمال التشريفات . ودبلوماسيتها تنبع من رفقها ووفائها للوطن وللرئيس .

لقد كانت وما تزال المراة مستشارا لزوجها . لمشورتها وزن يؤخذ به ، ولرأيها قيمة يأخذ به الرجال ، رأيها سديد ، وقولها ينبع من التفكير والاقناع وهي برأيها السديد انما تضع الامور في نصابها ، وتقف امام المشاكل فتردها ، وامام المصاعب فتمهدها ، فهي بصراحة رأيها انما تجلى الامور الغامضة ، وتمنع الغش والحقد . فاسمع معي قصة سيد العرب الحارث بن عوف المري عندما اراد ان يخطب من بنات أوس بن حارثة الطائي ، واشارت عليه زوجه بعد ان منعه أوس ورد سيد العرب على أعقابه . (١) « واني لمفض اليك بحديث عن القوم يملأ قلبك روعة وايمانا بما كان للمراة يومذاك من سماحة في الراي ، ووفور في الحرية ، وسمو في المنزلة : ذلك ان سيد العرب الحارث بن عوف قال لمن حوله :

اترونني اخطب الى أحد فيردني ؟ قيل : نعم . قال : ومن ذاك ؟ فقيل له: أوس بن حارثة الطائي . فقال الحارث لغلامه : ارحل بنا اليه : فركبا ومعهما خارجة بن سنان حتى اتوا اوسا في بلاده . فألفوه في منزله . فلما رأى الحارث قال : مرحبا بك ياحارث . قال : وبك . قال : ماجاء بك ؟ قال : جئتك خاطبا قال : لست هناك فانصرف الحارث ولم يكلمه . ودخل أوس على امرأته مغضبا. فقالت : من رجل وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث بن عوف المري قالت : فمالك لاتستنزله ؟ قال : انه استحمق . قالت: وكيف ؟ قال : جاءني خاطبا ! قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال : نعم قالت: فاذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال : قد كان ذلك قالت : فتدارك ماقد كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال : وكيف وقد فرط مافرط

---

(١) عبد الله عفيفي كتاب المراة العربية في جاهليتها واسلامها ص ٢٨ .

اليه ؟ قالت : تقول له : انك لقيتني مغضبا بامر لم تقدم مني فيه قولا فلم يكن عندي من الجواب الا ماسمعت . فانصرف ولك عندي كل ما احببت فانه سيفعل ، فركب في اثرهما . قال خارجة بن سنان : فوالله اني لاسير حانت مني التفاته فرايته ، فاقبلت على الحارث وما يكلمني غما . فقلت له : هذا أوس بن حارثة في اثرنا . قال : وما نصنع به ؟ امض . فلما رآنا لانقف عليه قال : ياحارث اربع علي (قف بي) ساعة فوقفنا له ، فكلمنا بذلك الكلام فرجع مسرورا .

فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته : ادعي لي فلانة — لكبرى بناته فأتته ، فقال : يابنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جاءني طالبا خاطبا ، وقد اردت أن أزوجك منه . فما تقولين ؟ قالت : لاتفعل . وله ؟ قالت : لانني امراة في وجهي ردة ، وفي خلقي بعض العهدة ، ولست بابن عمه فيرعى رحمي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن ان يرى مني مايكره فيطلقني فيكون علي من ذلك مافيه . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي فلانة — لابنته الوسطى فدعتها ، ثم قال لها مقالته لاختها ، فأجابته بمثل جوابها . وقالت : انني خرقاء ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمن ان يرى مني مايكره فيطلقني ، فيكون علي من ذلك ماتعلم ، وليس بابن عمي فيرعى حقي ، ولا جارك في البلد فيستحييك . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي (بهيسة) . يريد الصغرى فاتى بها فقال لها ماقال لهما فقالت انت وذاك . قال : قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه . فقالت : ولم يذكر لهما مقالتيهما لكني والله الجميلة وجها ، الصناع يدا ، الرفيعة خلقا ، الحسيبة ابا ، فان طلقني فلا أخلف الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج الينا فقال: قد زوجتك ياحارثة (بهيسة) بنت أوس قال : قبلت . » ويلاحظ في هذه القصة الصغيرة ان امراة اوس اشارت عليه وقبل مشورتها ثم لحق بالخطيب يستقدمه اليه ، فلما قدم زوجه ابنته . كان الحارث مغضبا ، ومن يعلم ان غضبه هذا كان سيجر بلاء عظيما اذا وصل الى قومه وحرضهم على قتال اوس . وفي هذا سوف تلتحم القبيلتان . وتكون بينهما الحروب التي لاتنتهي، فبمشورة هذه المراة وقف الغضب ، وسكت الشر ، وطفئت نار الحروب ،

ورجعت الامور بين القبيلتين على احسن مايرام . ثم ان اوس لما حمل زوجته (بهيسة)الى قومها وهو في الطريق اذ عصفت حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وعمت هذه الحرب العرب . فلما بصرت بزوجها مرتديا ثياب العرس قالت : ان لك لشرفا ، فكيف تفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا فاشارت اليه ، فخرج فأصلح بين العرب. وكان لهذه الفتاة مالأمها اذ وقفت فاصلحت وكان لرأيها ومشورتها وقف القتال والصلح .. وتلك بلقيس ملكة اليمن التي ارسل اليها سليمان يدعوها اليه ، كما انه يدعوها الى الحرب . قالت للقوم : اشيروا علي ، فردوا جميعا : الامر اليك ، وقد استقر رأيها يومذاك على ان تبعث بهدية الى سليمان « واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » وقالت : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون ». وتلك زينب ملكة تدمر التي كانت مستشارا لزوجها ثم وصية على ولدها ، وكانت تشير في كل الامور ، وتتدخل في قضايا الدولة ، والحرب وغير ذلك .

المرأة تشير على ابنها فيرضخ لمشورتها ، وتقف امام ابنها كي لايقطع لسان رجل هجاه ، وتسدي اليه نصحها وحكمتها ، وتعلم ابنها درسا في الاخلاق والفضائل ، وكأنها تقول له : الكلمة الطيبة خير من الكلمة الخبيثة ، والعفو خير من العقاب ، فاذا عفوت مع قدرتك فانك تصنع معروفا مع الذي عاملك بسوء ، وحينئذ تنقلب العداوة صداقة ، والهجاء مدحا . هاهي سعدى أم اوس بن حارثة تتدخل في موضوع بشر بن ابي حازم الاسدي حين هم ابنها بقطع لسانه وقتله لانه هجاه . فقالت له : يا بني ، مات أبوك فرجوتك لقومك عامة فاصبحت ارجوك لنفسك خاصة ، وزعمت انك قاطع رجلا هجاك فمن يمحو ماقاله غيره ؟ قال : فما أصنع ؟ قالت : تكسوه حلتك ، وتحمله على راحلتك ، وتأمر له بمائة ناقة ففعل وتغير الهجاء الى مدح من قبل بشر ويحق اوس بن حارثة . حقا انها الام صاحبة المشورة والرأي ، ولو قدر لاناس يفهمون قولها وعبارتها لقالوا : ان قولها كان مأثورا ، ورأيها كان حكمة ، ومشورتها كانت صادقة ، فهي جديرة بالاحترام والتقدير وان لمشورتها وزنا يستحق كل اعجاب ، ويقف له الحكماء وأولو النهى .

من حسن دبلوماسية المرأة أنها خبيرة بالرجال والنساء ، اذ تستطيع ان تحلل نفسية الرجل فتسبر غورها ، كما أنها تستطيع ان تكون عالمة اجتماعية بما لها من اطلاع واسع على الامور الاجتماعية وحفظت الكثير من الحكم ، واستوعبت العديد من الامثال ، كل ذلك لتحافظ على الرباط الزوجي وان تحصل الالفة والمحبة والوئام ، ولتمنع الخصام والفرقة . وقد علمت المرأة ان الرجل يغتاظ من امرأته عندما يراها تتطلب منه المطالب العديدة ، فلا تقنع بالقليل ، بل ان مطاليبها ستحقق سواء كان بمقدور الرجل ان يقدم ، او كان غير ميسور لذلك ، فهي تقول له دائما : اريد كذا .. واريد ان اتساوى مع فلانه ، وفلانة أحسن مني ؟ يجب عليك ان تقدم لي كل ما اطلب .. كل هذه الطلبات تضيف عبئا كبيرا على الرجل ينوء بحمله . اما عدم الطاعة فيولد كذلك الشقاق والنزاع . وهناك صفات يجب ان تتحلى بها المرأة وهي القناعة والطاعة ورؤية المرأة في صورتها الجميلة النظيفة التي اذا نظر اليها الرجل اعجبته ، وان يشم منها الرائحة الطيبة فلا تكون وسخة او مستهترة بنظافة جسمها وترجيل شعرها وما الى ذلك ، وان يكون الطعام في وقته وحسب الذوق الذي يريده الرجل ، وان يكون النوم نوما هادئا فلا ينغص على النوم ولا يبكي الاولاد ، او ان تحصل الضجة او ان يرفع صوت المذياع او التلفزيون، وان تقدر المرأة اهله وذويه وضيوفه ، وان يكون لدى المرأة قدرة على فهم الامور ووضعها في نصابها ، وان تكون المرأة خبيرة بتربية الاولاد في كل معاني التربية ، وان تحفظ للرجل عليه سره ، فلا تكون ثرثارة في كل ناد تتكلم ، وفي اي مجتمع تفتح اخبار زوجها السرية فالمرأة للرجل حفظ فلا تبوح بكل ماتعلم. وهناك صفات اخرى يجب ان تتحلى بها المرأة — وباختصار يجب ان تكون المرأة دبلوماسية حذقة في كل تصرفاتها مع زوجها وولدها ومجتمعها وفي وظيفتها . واسمع قصة زوج عوف بن محلم الشيباني عندما زفت ابنتها الى الحارث بن عمرو ملك كندة . قالت : (١) « اي بنيه : ان الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو

---

(١) عبد الله عفيفي في كتابه المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ص ٨٠ .

أن امراة استغنت عن الزوج لغنى ابويها ، وشدة حاجتهما اليها ، كنت اغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلق ، ولهن خلق الرجال .

أي بنية : انك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت، الى رجل لم تعرفيه . وقرين لم تالفيه ، فكوني له امة يكن لك عبدا ، واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا ، اما الاولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن الطاعة . واما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وانفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا اطيب ريح . واما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه فان تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة . واما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الامر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصين له امرا ، ولا تفشين له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره ، وان أفشيت سره لم تأمني غدره .

ثم اياك والفرح بين يديه ان كان ترحا ، والترح بين يديه ان كان فرحا فان الخصلة الاولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني اشد ما تكونين له اعظاما يكن هواك فيما احببت او كرهت والله يخير لك . ثم احتملت له فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن » . لله در هذه المراة فلقد احسنت الدبلوماسية ، واحسنت الوصية ، وكانت للنساء قدوة .

المراة داعية سلام ، وتعمل من اجل السلام . ان السلام عنصر هام من عناصر القيادة يسعى اليه العظماء من القادة ، ويتحلى به كل قائد ملهم ، ينبع السلام من المبدا الانساني ، فالمراة قادرة على حل المشكلات الصعبة بالطرق السلمية ، تلك الزعيمة غاندي في الوقت الحاضر فهي داعية سلام ومحبة ، وتلك غيرها من النساء عبر التاريخ ، وهاتيك العربية ام الربيع التي اعترف لها قيس بن زهير العبسي واراد ان يتخذها رهينة بدرعه التي غصبه اباها الربيع ابن زياد العامري فقالت له : اين عزب عنك عقلك يا قيس ، اترى بني زياد مصالحيك وقد ذهبت بأمهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا وشاؤوا ؟ وان حسبك من شر سماعه . فخجل قيس وتركها . واما جمانه بنت قيس فقالت

لابيها دعني اناظر جدي الربيع بن زياد العامري فقالت له : «(١)» اذا كان قيس ابي فانت يا ربيع جدي ، وما يجب له من حق الابوة علي كالذي يجب عليك من حق البنوة لي . والراي الصريح تبعثه العناية ، وتجلي عن محضه النصيحة ، انك قد ظلمت قيسا بأخذ درعه ، واجد مكافاته اياك سوء عزمه ، والمعارض منتصر ، والبادي اظلم ، وليس قيس ممن يخوف بالوعيد ، ولا يردعه التهديد، فلا تركنن الى منابذته ، فالحزم في متاركته ، والحرب متلفة للعباد ، ذهابة بالطارف والتلاد ، والسلم ارضى للبال ، وابقى لانفس الرجال . . فلم يلبث قيس ان انصاع الى راي ابنة ابنته » . حقا انها مناظرة سلمية دعت فيها ابنة صغيرة رجلا مسنا فجعلت من قولها حجة داحضة لحجة جدها ، وبرهنت له ان السلام اقوى من الحرب ، فالحرب حارقة متلافة تذهب بالمال والرجال ، اما السلم فهو الرخاء وهو الذي يبقي على الرجال والمال ، ويحفظ للرجال هيبتهم وكرامتهم . انها كانت على حق في حجتها ، وكنت في ذلك منطقية تدلي بالكلمة لتبرهن على صدق هذه الكلمة ، ولذلك فقد اقتنع منها جدها ووافق على السلام .

لقد تسلمت المراة وظيفة « مستشار » للملوك والامراء ونجحت بهذه الوظيفة ، وكانت أهلا لها . تلك ام جعفر بن يحيى البرمكي التي كانت سيدة محترمة يجلها الرشيد ويقدرها ، كما كانت الرعية والجماهيريحترمونهاويقدمون لها الولاء والاحترام . كان الرشيد يشاورها في كل موضوع ويعتبر مشاورتها نوعا من اكرامها والتبرك بها «(٢)» وكان قد آلى على نفسه وهو في كفالتها ان لا يحجبها وان لا تستشفعه لاحد الا شفعها » . ويروى عنها انها كانت توقع على الكتب ، وكانت تشترك في كل صغيرة وكبيرة . وتوفيت في الرقة وبنيت عليها قبة . وتلك حدق القهرمانة التي كان يعمل برايها في كل المهمات . وفي الاعراس فكانها اليوم اشبه برئيس التشريفات . وتختلف المستشارة عن السكرتيرة في ان السكرتيرة تعمل بايعاز من رئيسها وليس لها اية علاقة بتسيير العمل ، اما المستشارة فهي تبدي رايها ، وتظهر استشارتها ولاستشارتها وزن ياخذ به القائد او الرئيس ، والمستشارة في اغلب الاحيان تكون من

---

١ ــ عبد الله عفيفي في كتابه المراة العربية في جاهليتها واسلامها ص ٨٠

٢ ــ عمر رضا كحالة في كتابه اعلام النساء ص ١٩٦

الموثوقين او المقربين . ونجد في الوقت الحاضر قلة المستشارات ، وكثرة السكرتيرات .

ومن دبلوماسيه المراة انها لا تقول الا الكلمة الطيبة ، التي تستطيع بها ان تجذب مستميعها ، او تحرك مشاعرهم ، والدبلوماسية في الاصل هي الكلمة الطيبة والحديث الشيق ، والخروج من المآزق لا يكون الا بكلمات ناعمة تسهل الطريق للانسحاب بسهولة ويسر ، والدبلوماسية هي التي اذ تكلمت جلبت ، واذا حدثت قنعت . واسمع خالدة بنت هاشم بن عبد مناف التي قالت لاخيها حين تجهم في وجه صديق له : اي اخي لا تطلع من الكلام الا ما قد روات قبل ذلك ، ومرجته بالحلم ، وداويته بالرفق ، فان ذلك اشبه بك .

المراة والقيادة

لقد قادت المراة على المستوى الشعبي ، وعلى المستوى الحزبي ، وعلى المستوى العسكري القتالي والاداري . ومن صفات القيادة أن يتحلى القائد بصفتين رئيسيتين هما : العلم والمعرفة ، وثانيهما قوة الشخصية . على المراة ان تكون متعلمة ولديها الكفاءات العلمية المطلوبة ، ومعرفة باللغات الاجنبية وان تكون مدركة لتطور العلم حتى تستطيع مواكبة الجديد في العالم ، واذا تكلمت فانها تتكلم بكل طلاقة ووضوح وبصورة تستطيع التأثير على الجماهير ، وان تفتح دور العلم وتشجع الابحاث العلمية بكل فروعها وترصد الحوافز المادية للمتفوقين ، وان تفتح باب العلم على مصراعيه ، وان تكون مفتوحة على العالم وذلك بارسال البعثات العلمية المختلفة ، واستقبال العلماء الاجانب ، وعقد الندوات العلمية في الداخل والخارج . لا سبيل الى التقدم الا بالعلم ، ولاطريق الى النصر الا بالعلم . ان المتعلمة من بنات حواء سوف تسيطر بعلمها على غير المتعلمين ، وستمسك زمام الامور بكل ثقة واطمئنان . اما قوة الشخصية فهي تتمثل في المراة بقوة احتمالها للازمات والاعمال المجهدة التي تتطلب عملا دائما وسهرا متواصلا ، وبصمودها الذي لا يزعزعه طغيان ، او يحمل عليه ظلم ، وبشجاعتها التي تثبت بها امام المعارك القاسية والجيش الزاحف ، فلا يستطيع ان يقهرها العدو ، او يردها عن اقدامها ، وبارادتها الصلبة ، وبنضالها

من اجل شعبها وقومها بتلك الشخصية التي تملي على الاخرين احترامها وتجعل الجماهير يتعلقون بها ويحبونها .

اذا استعرضنا صفات القيادة بصورة اكثر تفصيلا ، نجد هذه الصفات تتوضح وتبرز معنا بما يلي : ـ

١ ـ ان تكون لديها قوة الشخصية التي تؤثر على الجماهير وتتفاعل معها والعيش في مآسيها وفقرها واحزانها وافراحها .. وان تتحسس الواقع الذي تعيش فيه وقومها ، وان تكون شجاعة صادقة واضحة قوية البنية ، سليمة التفكير ، هادئة الطباع ، صامدة ، ذات ارادة قوية ، واحتمال قوي على المصاعب وغير ذلك من الصفات الشخصية التي تؤهلها لان تكون قائدة ملهمة تستطيع القيادة .

٢ ـ تكريس كل ما تملك لشعبها وبني قومها وللانسانية جمعاء ان تكون من بيت طبقي فقير ، عاشت مع الآلام والاحزان ، والسجون والتعذيب ، والمرارة والحرمان ، والفاقة والعوز . ان الذي يمر بكل هذه المآسي سوف لا ينسى شعبه ابدا ، فمن ذاق الالم يتذكره دائما ويعرف حقيقته ، والذي ذاق الجوع يعرف قيمة الجائعين .

٣ ـ ان تكون خطيبة مفوهة تستطيع التأثير بالجماهير ، وان تلهب عليهم عواطفهم واحاسيسهم ، وتجذبهم نحو ما تريد ، وتقنعهم وفق ما تحب ، وتزرع في نفوسهم حبها وحب العمل الذي تعمله .

٤ ـ ان تحكم بأسلوب ديموقراطي عادل ، بعيد عن الهوى ، والعواطف ، لا فرق بين محافظة ومحافظة ، او منطقة ومنطقة ، او جنس ومذهب ومعتقد فالعدالة راس الحكم ، وعليها تقوم الدولة والناس ، وتهنأ الجماهير وتقتنع . فلا فضل لقريب على بعيد ، ولا محاباة الا بما يقدمه من عمل خير في سبيل هذه الدولة .

٥ ـ ان ترجع الى حزبها والى الشعب في الامور الهامة فتستشيرهم

وتجعلهم يشعرون بمسؤولياتهم من خلال هذه المشاورة والمشاركة في تسيير دفة البلاد وقيادتها .

٦ ـ أن تنهض ببلادها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، وان تفي بوعودها التي قطعتها للجماهير آخذة في كل وقت مصلحة البلاد العليا مؤثرة بها على اية مصلحة ، مقتنعة بان البناء يتطلب الجهد الكثير والمال والعنصر البشري المؤهل .

٧ ـ ان تحمل ذلك القلب الكبير الانساني الذي يتسع لجميع البؤساء والفقراء وأن تواسيهم وتشد ازرهم وتعطف عليهم ، وان تكون بهذه الصفة محلية وعالمية ، داخلية وخارجية ، للناس كافة ، فهي تساعد قضايا التحرر في العالم اينما وجدت ، وتكون مع المحرومين والمظلومين اينما كانوا ، ومع المشردين والبؤساء اينما حلوا ، تعالج القضايا الانسانية وتدعو لها

٨ ـ الصمود امام الصعوبات مهما تكن هذه الصعوبات سياسية ، اقتصادية ، عسكرية ، ثقافية ، اجتماعية ، وان يكون لها قوة على الاحتمال للاعمال القاسية ، وباختصار يجب ان تصمد ماديا ومعنويا ، جسديا ونفسيا .

٩ ـ المصارحة التامة للجماهير وللمرؤوسين ، وللحزب . ونذكر هنا الرسالة التي وجهها « جواهر لال نهرو » الى ابنته « انديرا غاندي » فقال : « لعلك تذكرين مدى اهتمامك وانت تقرأين لاول مرة قصة « جان دارك » وكيف كان املك ان تفعلي شيئا مثلما فعلته ، وانا اضع امامك الآن اختبارا بسيطا تطبقينه على نفسك كلما كنت في شك في امرك . لا تفعلي شيئا في الخفاء تحبين ان تخفيه على الناس . فان مجرد رغبتك في اخفاء شيء معناه انك خائفة ، والخوف شيء مذموم ثم هو غير جدير بك ، كوني شجاعة وكل شيء آخر سوف يتبع ذلك » ما من شك في ان المصارحة تعطي للجماهير الثقة بالرئيس وتمنحه ودها وحبها ، وبالتالي تمنع هذه الجماهير والناس من ان يشككوا او يتقولوا بعض الشكوك والاقاويل على القائدة او الرئيسة .

١٠ ـ ان يكون لديها فكرة واضحة في الهدف الذي تعمل من اجله ، وان يكون لديها الرؤية الصحيحة للاعمال الحالية والمتوقعة ، وان يكون لديها الحس الجماهيري الذي تستطيع من خلاله ان تعرف ما تريده الجماهير ، والحـزب .

١١ ـ دعم العلم والتطور والبحث العلمي في جميع المجالات لتظل الدولة سائرة في ركب الامم المتقدمة والمتطورة .

١٢ ـ العمل الدؤوب والمستمر . لديها القدرة على العمل لساعات طويلة من النهار والليل . و [1] « انديرا غاندي مثل يحتذى للعمل الدؤوب فهي تعمل ساعات طويلة كل يوم وقلما تأوي الى فراشها قبل منتصف الليل ، بل كثيرا ما تظل تعمل حتى الساعات الاولى من الصباح » .

تعتبر السياسة اعلى مراتب القيادة ، وقد عملت المراة في السياسة منذ القدم ، وتبوات مكانة سامية بها ، وكانت عنوانا حكيما للسياسة ، وسندا قويا لقيادة الشعب . لقد ذاقت المراة العذاب الهون في سبيل الحصول على مكاسبها السياسية وحقها السياسي ، كانت في كل مرة تحاول الصعود فتهبط حتى حصلت على بعض حقها السياسي في التصويت وفي الانتخابات والتمثيل في المجالس الشعبية وغيرها . وتدل الاحصاءات على ان المراة قد نالت حقها السياسي في التصويت منذ زمن بعيد فكانت تنتخب وتنتخب . وفي عام ١٨٩٣ ـ ١٩٥٠ بلغ عدد الدول التي أعطت المراة حق التصويت أكثر من خمسين . وفي عام ١٩٥١ ـ ١٩٦٧ تضاعف عدد الدول التي منحت المراة هذا الحق . ورغم ان المراة حصلت على هذا الحق الا ان ممارستها لهذا الحق كانت ضعيفة اذ لوحظ ان اقبال النساء على التصويت كان اقل من عدد الرجال . واذا انتخبت المراة فانها تكون نسبة شغلها للمجالس الشعبية اقل من الرجال ايضا . ففي مجلس السوفييت الاعلى بلغت نسبة النساء ٣٥ ٪ ، وفي مجالس الجمهوريات الشعبية

---

١ ـ المكتب التنفيذي للاتحاد النسائي السوري في كتاب نساء من التاريخ ص ٢١٢

حوالي ٢٠ ٪ ، وفي السويد ١٢ بالمئة ، وفي بريطانيا ٣ بالمئة ، وفي الولايات المتحدة الامريكية ٢ ٪ . وهكذا نرى ان النساء اقل من الرجال عددا في السياسة والقيادة ، ولكن بعض النساء برزن في هذا المجال ، وتقدمت على بعض القادة من الرجال .

التزمت المراة بالسياسة ، وارتفعت الى مناصب قيادية على مستوى الدولة والحزب ، فلقد انضمت المراة الى الحركات العمالية ، والى الحركات التحررية ونفيت وسجنت وعذبت ، ومع هذا العذاب استمرت في السياسة ومتابعتها واصدار المجلات والكتب ، وتاسيس النوادي ، وحضور الاجتماعات والمحاضرات وانضمت الى النقابات وناضلت . تلك « الكسندرا دوفتوفتش » المسماة بعد زواجها بـ « كولونتاي » (١٨٧٢ ـ ١٩٥٢) الشيوعية العقيدة التي مارست لعدة سنوات المسائل السياسية وارتقت الى مناصب عالية في الحزب والدولة . والتصقت بالسياسة والتزمت بها حتى ان زوجها عاب عليها هذا الالتصاق القوي فانفصلت عنه مع طفلها وظلت تمارس الاعمال السياسية ، وانضمت الى الحركة العمالية ، واسست مع رفيقاتها « نادي النساء العاملات » عام ١٩٠٦ ، وطالبت بانشاء اجهزة حزبية متخصصة . ثم نفيت في عام ١٩٠٧ ، وبهذا النفي استطاعت ان تجمع افكارها وتصدر كتابها الاول « الاسس الاجتماعية لمسالة المراة » . وزارت عدة بلدان كانت في كل بلد تتعرف على تنظيماتها السياسية ، ودور النساء في النقابات . وانضمت الى البلاشفة في عام ١٩١٥ ، ونشطت في الدعاية ضد الحرب الاستعمارية . ولما انهار النظام القيصري عادت الى روسيا واشتركت في اصدار صحيفة نسائية « النساء العاملات » ، وكتبت في « البرافدا » . وكانت جميع كتاباتها تدعو الى النضال من اجل العمل واسقاط الحكومة البورجوازية . تسلمت وزيرة للشؤون الاجتماعية في حكومة لينين ، فانشات الضمان الصحي والمكتب المركزي لرعاية الامومة والطفولة . ثم تولت بعد ذلك خلال الحرب الاهلية « مفوضية للشعب لشؤون التوعية والاعلام » ثم « مكتب التنسيق للعمل بين النساء في الحزب » ، وشكلت كتلة حزبية ضمن الحزب عرفت بـ « المعارضة العمالية » . كان من اهم اهداف هذه الكتلة هو الرد على « تروتسكي » الذي تبنى شعار « عسكرة العمل » . فكانت « الكسندرا »

تطالب بمنح النقابات الاستقلالية ، واعتبارها مدارس الشيوعية .. وظلت هكذا على المستوى الحزبي والسياسي الى ان تقلص عملها داخليا فانضوت الى السلك الخارجي عام ١٩٢٣ ، ورقيت الى رتبة سفيرة ، ووقعت عن الاتحاد السوفيتي اتفاقية الهدنة السوفيتية ــ الفلندية عام ١٩٤٥ . وصمدت امام ستالين عندما انتقم من « المعارضة العمالية » . وقد قالت : « اذا كنت قد حققت شيئا في هذا العالم فليس مرد ذلك لصفاتي الشخصية . فانجازاتي هي الدليل على ان المراة باتت تسير باتجاه كسب الاعتراف العام بها على الرغم من كافة الصعاب. فانخراط ملايين النساء في العمل الانتاجي الذي تم بوتيرة متسارعة خلال الحرب هو الذي افسح المجال امام المراة لكي تحتل اعلى المراكز السياسية » .

لقد ثبت منذ القديم ان الملكات العربيات كن يحكمن قبائلهن ، ومن اشهرهن (زبيبي) وكانت تحكم قبيلة (قيدار) العربية وتقيم قرب الجوف ، وبنت علاقات مع الاشوريين التي اصطدمت مع ملك آشور (٧٤٥ ــ ٧٢٧ ق.م) والتي دفعت له الجزية . والملكة (شمشي) و(يطيعه) و(تلخونو)و (تابوا) وغيرهن من النساء اللاتي كن ملكات على القبائل العربية في التخوم الشمالية لشبه الجزيرة العربية . وفي شرق الاردن اليوم كان يحكمها فيما مضى الانباط في القرن الاول للميلاد ، وتعاقبت على حكم هذه المنطقة ملكتا النبط : جميلة وهاجر . وفي منطقة حوران كانت تحكم (ماوية) التي ورثت الحكم عن شيخ عربي اسمه (زاكاموس) في القرن الرابع الميلادي . وفي منطقة تدمر كانت تحكم زنوبيا . وفي حوض الفرات كانت قبائل المناذرة وفيها برز اسمان هما : (هند) زوجة المنذر بن امرىء القيس (٥١٢ ــ ٥٥٤) ، وحرقه ابنة النعمان ابن المنذر . وفي الجنوب دولة الغساسنة واشتهر من النساء في الحكم حليمة ابنة الحارث بن جبلة . وفي بلاد اليمن كانت بلقيس العالمة بالاقتصاد والتجارة ، والمتمرسة بالحكم والقيادة ، والبانية للسدود ، والمشيدة للعمران فهي التي بنت الكثير من السدود ورممت سد مأرب .(١) » وهكذا فالمراة في

---

١ ــ الدكتورة ليلى صباغ في كتابها : المراة في التاريخ العربي في تاريخ العرب قبل الاسلام .

تاريخ العصر الجاهلي تسلمت سدة الرئاسة السياسية ، وكان لها القيادة الفعلية في بعض الفترات الزمنية ، واثبتت حنكة ودراية وتمرسا بل واشتهر امر كفايتها . هذا بالاضافة الى عملها القيادي الخفي التي كانت تمارسه من خلف الستار عن طريق تأثيرها في زوجها او ابنها او اخيها أو ابيها . كما لوحظ انها كانت عنصرا اساسيا في العلاقات السياسية بين القبائل ، اكان ذلك بشكل مباشر او غير مباشر » .

المراة تثور لكرامتها وللحق ، وتتخذ لنفسها المكانة السياسية لكي تظفر بما تريد ، وتترأس الجماهير ومن لاذ بها لكي تنتقم من الذين تعتبرهم اعداء لها . السياسة هي القيادة ، ومتى ارتقت المراة الى المراتب السياسية امكن لها ان تتبوأ مكانة سياسية وان تقود حسب مستواها . ان الجانب السياسي الذي تمارسه المراة في كل حياتها ، انما هو الجانب القيادي . ومتى اوتيت المراة صفات القيادة التي تكلمنا عنها فيما سبق امكنها ان تقود بكل دراية وحكمة . لقد اتخذت فاطمة بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بعد ابيها مركزا سياسيا ، وانقلبت على ابي بكر ورات ان الخلافة يجب ان تؤول الى آل بيت النبي ، وانحاز بجانبها علي بن ابي طالب وابو سفيان بن حرب والزبير بن العوام . كما اتخذت من دارها مركزا تدير فيه امر المؤمنين ،وتصدر التعليمات الى مؤيديها . وكادت تقع الحروب لولا حكمة علي الذي خطب فيهم نحسم الموقف وبايع ابا بكر فتبعه الباقون . وكذلك كانت عائشة عندما نازعت الخلافة عثمان بن عفان ونادت في القوم ان عثمان خليفة مستضعف ، ثم البت قلوب المؤمنين ضد علي بن ابي طالب ، واتخذت لنفسها مكانة سياسية حتى ان اتباعها لم يعودوا ينطقون الا باسمها . وفي موقعة الجمل قتل دونها عدد كبير من الابطال والرجال قدروا بعشرين الف مقاتل ، وجرح كثيرون . وتلك نائلة الفرافضة بنت الاحوص الكلبية التي نهضت تدافع عن زوجها عثمان ، والتي القت بنفسها لتمنع القتلة ، ولكنهم ضربوه بالسيف فقتلوه ، وقطعوا اصابع نائلة . والتي ارسلت الى معاوية باصابعها المقطعة وقميص عثمان المخضب بالدم وبخصلة من لحيته ، تطلب منه ان يشد ازرها وان يستصرخ لها الناس ، وان يحشد لها الشام ضد علي واعوانه . وهذا هو نص رسالتها : « من نائلة بنت

الفرافضة الى معاوية بن ابي سفيان : اما بعد فاني اذكركم بالله الذي انعم عليكم وعلمكم الاسلام ، هداكم من الضلالة ، وانقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، واسبغ النعمة ، وانشدكم بالله واذكركم حقه وحق خليفته الذي لم تنصروه ، وبعزيمة الله عليكم فانه قال :«وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله». وان امير المؤمنين بغي عليه ولو لم يكن له عليكم الا حق الولاية ثم اتى اليه ما اتى لحق كل مسلم يرجو ايام الله ان ينصره لقدمه في الاسلام وحسن بلائه ، وانه اجاب داعي الله وصدق رسوله والله اعلم به اذا انتخبه فاعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة . واني اقص عليكم خبره لاني كنت مشاهدة امره كله حتى قضى الله عليه . ان اهل المدينة حصروه في داره يحرسونه ليلهم ونهارهم قياما على ابوابه يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء يحضرونه الاذى ويقولون له الافك فمكث هو ومن معه خمسين ليلة واهل مصر قد اسندوا امرهم الى محمد بن ابي بكر وعمار بن ياسر . وكان علي مع الحضريين من اهل المدينة ولم يقاتل مع اجر المؤمنين ولم ينصره ولم يامربالعدل الذي امر الله تبارك وتعالى به فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهزيل وطوائف من مزينة وجهينة وانباط يثرب ولا ارى سائرهم . ولكن سميت لكم الذين كانوا اشد الناس عليه في اول امره وآخره ثم انه رمي بالنبل والحجارة فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر فاتوا يعرضون اليه لياذن لهم في القتال ، فنهاهم عنه وامرهم ان يردوا عليهم نبلهم فلم يزدهم ذلك على القتال الا جراة وفي الامر الا اغراء ، ثم احرقوا باب الدار فجاءهم نفر من اصحابه فقالوا : ان في المسجد ناسا يريدون ان ياخذوا امر الناس بالعدل ، فأخرج الى المسجد حتى ياتوك فانطلق فجلس فيه ساعة واسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية وما ارى احدا تعدل . فدخل الدار وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح فلبس درعه وقال لاصحابه لولا انتم ما لبست درعا فوثب عليه القوم فكلمهم ابن الزبير واخذ عليهم ميثاقا في صحفية وبعث بها الى عثمان ان عليكم عهد الله وميثاقه الا تغزوه بشيء فكلموه وتخرجوا فوضع السلاح فلم يكن الا وضعه حتى دخل عليهم القوم يقدمهم ابن ابي بكر فاخذوا بلحيته ودعوه باللقب . فقال : انا عبد

الله وخليفته فضربوه على راسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم الجبين فوق الانف ضربة أسرعت في العظم . فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع راسه ليذهبوا به فاتتني بنت شيبة بن ربيعة فالقيت نفسها معي عليه فتوطأنا وطأ شديدا ، وعرينا من ثيابنا حرمة امير المؤمنين اعظم فقتلوه رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه . وقد ارسلت اليكم بثوب وعليه دمه وانه والله لئن كان اثم من قتله لما سلم من خذله فانظروا واين أنتم من الله جل جلاله فانا نشكي ما مسنا اليه نستنصروليه وصالحعباده ورحمة الله على عثمان ولعن الله من قتله وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة وشفى منهم الصدور » . لقد كانت هذه الرسالة معبرة اصدق تعبير عما يجيش بصدر نائلة ، وانها قد استحثت الهمم واستنصرت بمعاوية ثم قوي بعد ذلك مركزها السياسي ، واتخذت لنفسها مكانة سياسية تجمع الناس من حولها ، وتؤلبهم ضد علي واعوانه حتى انقسم العرب الى قسمين قسم يناصر عليا وقسم يناصر عثمانا . كانت المراة العنصر الاساسي في هذهالقسمة وهذا الذي صار بعد مقتل عثمان . فلقد استعد كل طرف ووقعت معارك عديدة راح ضحيتها آلاف الرجال .

تولت المراة الحكم والقيادة ، وساست الشعب بكل حكمة وتعقل في القديم وفي الحديث . ولقد المعنا الى بعض القبائل العربية القديمة التي كانتتحكمها نسوة تعاقبن على الحكم ، وحكمن مدة طويلة فلقد حكمت بلقيس ملكة اليمن مدة خمسة عشر عاما اذ استلمت دفة الحكم بعد موت زوجها وابيها واتخذت لنفسها عرشا يعجز عن وصفه اللسان . ومن الملكات الشهيرات ايضا زينب ملكةتدمر اذ كانت تتميز بقوة شخصيتها وتاثيرها على القادة والجماهير . كما تولىالحكم نساء كثيرات منهن تقية الدين نور العلم اذ تولت الحكم بعد موت السلطانة صفية الدين تاج العالم ملكة اتشين (سومطرا) فحكمت البلاد وبسطت سيطرتها وتوفيت عام ١٦٧٨ م . وتلك تندو بنت حسين بن اويس التي تسلمت الحكم بعد ان قتلت ولد زوجها في بغداد وخرجت الى واسط ، ثم اقاموا معها ولدا فقتلته واستأثرت بالملك واستقلت به استقلالا تاما . وتلك توراكين خاتون زوجة ملك المغول التي تسلمت الحكم بعد موت زوجها . وتلك سكندربيكم التي

تولت الحكم بمقاطعة بهوبال في الهند بعد وفاة زوجها واستطاعت بفترة ست سنوات أن تفي الديون المترتبة على هذه المقاطعة ، والغت الكثير من الضرائب ، وقضت على الرشوات ، واقامت العدل في بلادها ، ومنحتها الحكومة الانكليزية الكثير من الاوسمة ، ومما يروى عنها انها احتجزت ابنتها وضربتها ضربا مبرحا لاقدامها على مقابلة امير من الامراء تود الاقتران منه ، ووضعت ذلك الشاب في قفص وعلقته على باب القلعة . وتلك (جهان بيكم (١٨٥٨ ـ ١٩٣٠) كان زوجها احمد علي خان واعتلت على عرش السياسة والملك في عام ١٩٠١ على امارة (بهوبال) في الهند . ولما دخلت تركيا الحرب في جانب المانيا اعلنت انها ستكون مع الانكليز. فاكرمها الانكليز بوسام النجمة وظلت تحكم هذه الامارة مدة خمس وعشرين سنة حين تنازلت لنجلها الامير حميد الدين خان سنة ١٩٢٦ . اما في العصر الحاضر فقد برزت نسوة في ميدان السياسة والحكم ومن اشهرهن (انديرا غاندي) زعيمة الهند وهي الشخصية التي لمعت كسياسية بارعة ، قادت الهند الى شاطىء العزة والكرامة . وتسلمت رئاسة الوزارة في عام ١٩٦٦ . انتخبت من قبل رئيسة لحزب المؤتمر البرلماني فقادت بذلك الوزارة والحزب بآن واحد . وقضت على الصعوبات التي كانت تعترض مسيرتها واهمها القحط والجدب . فنظمت الاعانة ، وواست البؤساء والفقراء ، واعدت برنامجا اقتصاديا . وتفتحت عبقريتها السياسية منذ صغرها فقد كانت تخطب في اقرانها عندما كانت صغيرة ، ودخلت الكونغرس مع جدها وهي طفلة ،ونظمت فرقة (القرود) وهي في الثانية عشرة من عمرها ، وكانت مهمة هذه الفرقة خدمة اعضاء الكونغرس . ودخلت السجن مع زوجها فيروز وهي في الرابعة والعشرين . ورثت عن ابويها السياسة ، وترعرعت في جوها ، الا ان السياسة في كثير من الاحيان تمنع المرأة من تحصيل علومها العالية ، وهكذا كانت غاندي اذ انشغلت في السياسة ، وفي قيادة الفرق والهيئات الحزبية والسياسية . وعند توليها رئاسة الوزارة اعلنت « ان في ذمتنا وعودا لشعبنا ان نهيىء اهم الطعام والكساء والمأوى والصحة والتعليم » . وتقول : « ان الاشراف على الضوابط العليا للاقتصاد امر هام ولا سيما في بلد فقير يصعب فيه حشد موارد كافية من اجل التنمية والحد من الفوارق بين الجماعات والاقاليم المختلفة»

وقد عملت الكثير من اجل بلدها فهي التي اممت المصارف والغت المزايا التي كانت للامراء ، واستصلحت الاراضي ، ودعمت قضية العلم والبحث العلمي ، وحافظت على استقلال الهند . وهي أحد رؤساء دول عدم الانحياز . وتعاونت مع الدول المجاورة والافرو آسيوية . وحافظت على السلام العالمي ودعت له ، وصنعت القنبلة الذرية ردا على برنامج الصين النووي . وهي القائلة : « ان حظر التفجير النووي لا توقف انتاج الاسلحة النووية ولا تزيل ماكدس منها ، ولكنها تبقي على الفوارق بين الدول النووية وغير النووية ، وهكذا تخلق مصلحة مكتسبة جديدة » . وهي التي قادت الحرب ضد باكستان فانتصرت بفضل حكمتها السياسية وقيادتها بأوامرها الواضحة التي أرسلتها الى قائد الجيش آنذاك . وهي القائلة عندما ردت على سؤال مندوب التلفزيون الايطالي .سألها فيما اذا كانت تعتبر نفسها مستقبل الهند . قالت : « ان اية فكرة كهذه تنطوي على ادعاء كبير . فما من فرد يستطيع ان ينتحل لنفسه حق البت في مستقبل بلده . انني اريد من شعبي ان ينظر الي كواحدة كرست همها لكي تجعل حياة اخوانها في البشرية جديرة بأن تكون حياة حقيقية » . وفي بريطانيا برزت مسز « تاتشر » اذ ارتقت الوزارة ، ونجحت في انتخابات حزب المحافظين كرئيسة لهذا الحزب عام ١٩٧٥ ، وها هي تستعد للدخول في مجلس الوزراء كرئيسة وزراء عندما يؤول الحكم الى المحافظين . وفي فرنسا برزت « فرانسواز جيرود» اذ ارتقت وزارة الدولة للشؤون الثقافية « وسيمون ي‍فل وهي وزيرة الصحة منذ عام ١٩٧٤ » . وفي ايطاليا برزت (تينا نسلمي) اذ تسلمت وزارة العدل وتقول : « . وط حاجز آخر لصالح مساواة النساء بالرجال . فقد منعت الاعراف الاجتماعية الطويلة المراة من شغل مناصب وزارية . وتعييني انهى تلك التقاليد . انني اتلقى رسائل من جميع انحاء ايطاليا ، كل النساء يشعرن بانني كامراة سوف اضع في الحكومة مزيدا من النزاهة والحكمة ، وانني آمل ذلك » . وفي اسبانيا برزت « كارمن دياز » وقد عينت في مطلع عام ١٩٧٦ مديرة شؤون مجلس الوزراء . ويقول احد الوزراء الاسبان عنها : « ما من امراة في اسبانيا وقليلات في أوروبا لهن من النفوذ في مركز الحكم مثل مالها » . وفي السويد تسلمت المراة وزيرة للخارجية وها هي « كارين سويدر » تتسلم هذا

المنصب . وتقول : « على المرء الا يتصور أن قضية المراة قد حلت فجاةً لان امراة قد غدت وزيرة للخارجية » . وفي اليونان نجحت « لينا كويتانري » وعينت وزيرة للتربية في حكومة اليونان . وتقول : « لم تتقبل اليونان بعد فكرة ان امراة تتخذ القرارات وتصدر التعليمات ، وما زال بعض الزملاء ينظرون اليها بعين الشك » . وفي جمهورية مصر العربية عينت الدكتورة عائشة راتب وزيرة للشؤون الاجتماعية والعمل . وفي الجمهورية العربية السورية عينت مؤخرا في حكومة السيد اللواء عبد الرحمن خليفاوي الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة وهكذا ارتقت المراة المناصب السياسية ، وتبوات مكانة عالية في هذا فهي قد تسلمت الملك والحكم ورئاسة الوزارة ، والوزارة ، والهيئات العامة . وناضلت من خلال قيادتها في سبيل الجماهير .

وعلى المستوى العسكري تولت المراة قيادة الجند ، ومما يميز المراة بهذا الصدد هو شجاعتها . فالشجاعة تتغلب على الكثرة ، وعلى العدو وعلى الجنس فكم من امراة اشجع من رجال ، وكم من امراة تغلبت على الرجال في ساحات الحروب . فها هي خولة بنت الازور التي اقتحمت معاقل الرجال وطردتهم وفرقت صفوفهم ، وها هي صفية بنت عبد المطلب وهي ام الزبير بن العوام التي لها قصة في الشجاعة وهي انه لما ثار الاحزاب من قريش ضد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وزحفوا نحو المدينة جمع النساء والصبيان في حصن بني حارثة ، وعين من الحراس على هذا الحصن حسان بن ثابت . فبينما كانت صفية مشرفة من الحصن تترقب اذا ابصرت بفارس يهودي يقترب من الحصن بغية استطلاعه . فقالت لحسان : دونك هذا اليهودي يقترب من الحصن فانزل اليه فاقتله فخاف من ذلك اذ كان ضعيف القلب خوارا حتى اذا طلبت منه مرارا ولم ينزل قامت فاحتملت عمودا ونزلت الى الفارس اليهودي فنازلته وقتلته ، ثم قالت : يا حسان ، انزل اليه فاسلبه وفتش عما معه فلم يجرؤ على ذلك . وهناك الكثير الكثير من النساء من قامت بفعل في القتال وقادت الجند الى النصر ، ورفعت راية بلادها عالية .

لقد قامت المراة بتنظيم المعركة كما تنظم اليوم تقريبا ، وقادت كما يقود

القائد ، واعطت تعليماتها واوامر القتال بكل وضوح ودقة ثم عينت لهم المهمة الكبرى ، واسندت لمرؤوسيها المهام ، واعطت ترتيب القتال ، وحددت مكانها ، والاتجاه الرئيسي . واليك هذه القصة قصة القيادة والقائد . لما اسر بعض نساء العرب وبينهن خولة بنت الازور في موقعة (صحورا) . نظمت خولة المعركة ووضعت الخطة للخروج من الاسر وقادت النساء الى النصر والخروج من الاسر. قامت خولة فخطبت فيهن فأثارت هممهن ، وقوت معنوياتهن ، ثم قامت فوضعت كل واحدة منهن في مكان لا تبرحه ، وتعمل عند بدء الاشارة فأتمروا بامرها . ثم اصدرت أمر القتال فكان واضحا اذ بينت فيه أهم النقاط التالية : ـ

١ ـ عرفت نفسها انها قائدة على النساء فوافق النساء على قيادتها .

٢ ـ قالت : انه ليس لدينا سلاح ، وسلاحنا اعمدة الخيام ، واوتاد الاطناب . فكن على استعداد لحملها والقتال بها ، وبذلك عينت لهن العتاد والسلاح الذي سيقاتلن به . ثم حملتهن على الاستعداد الكامل لمقابلة هذا الموقف .

٣ ـ اعطتهن معلومات عن العدو وتجمعاته واهدافه وخططه فقالت : ان العدو يقاتل في غير اتجاهنا ، ويمكن الاستفادة من غفلة العدو ، وبعده عنكن . وبذلك يمكن ان تتهيأن له وتعملن جميع التحضيرات اللازمة .

٤ ـ اعطت خولة ترتيب القتال وهو الترتيب الحلقي : وهو ما يشبه اليوم بالترتيب على انساق . . .

٥ ـ [illegible]ـطت جهة الهجوم ، والضربة الرئيسية ، والخروج من الطوق ، وحشد القوى والوسائط على الاتجاه الذي سيخرق من جهة العدو فقالت : عليكن كسر الطوق والخروج منه وذلك بتماسككن ، ولا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة . واياكن ان تتفرقن وكن كتلة واحدة ليسهل الخرق ، وليركز على ناحية معينة . .

٦ ـ عينت لهن مكانها في الترتيب القتالي . قالت : ساكون اولكن وتتبعاني .

٧ ـ عينت لهن اتجاه الهجوم ، والاعمال المتتابعة التي سيعملونها في حالة الخرق وكسر الطوق . فقالت : الهجوم يركز على رماح القوم وسيوفهم ، وذلك بأن تضربن بالاعمدة تلك السيوف وتلك الرماح ، فتقع من ايدي العدو . او تتحطم ، وبذلك تتاح لكن الفرصة بالخروج من هذا الاسر . وبعد ان نظمت المعركة بهذا الشكل العجيب الذي تنظم فيه المعركة في الوقت الحاضر ، قامت فأعطت اشارة الهجوم ، وكسرت الطوق واندفعت . فاندفعن وراءها .وخرجت وهي تقــول : ــ

نحن بنات تبع وحميــر
وضربنا في القوم ليس ينكــر

لاننـــا في الحرب نار تسعــر
اليــوم تسقون العذاب الاكبــر

اذا ذكرت فانما اذكر قصة القائدة زنوبيا اذ كانت تتحلى بصفات القيادة ومن اهمها العلم والمعرفة ، وقوة الشخصية ، فقد كانت زنوبيا ملكة تدمر تتقدم الصفوف بلباس الميدان الكامل (الرمح ، السيف ، الخوذة) مما يهيب بالجنود ان يتقدموا خلفها ، لها قوة الشخصية التي تتمثل في قوة جسمها وهيبتها مما يجعلها تفرض احترامها على مرؤوسيها . يقول عبد الله عفيفي(١) « تنقل الملك زينب في دورين : فكانت مشيرة لزوجها ثم وصية على ولدها وفي كلا الدورين كانت الوحي الملهم ، واليد الطائلة . كانت زينب على فرط جمالها ، وعذوبة نطقها ، وسماحة اسلوبها ، ونفاذ لبها ، وعظمة قلبها ، مــن اشد الناس بأسا ، وامضاهم عزما ، وارسخهم في الحروب قدما » . فلقد كانت هذه المراة قوية الشخصية فصيحة اللســان عيونها تقدح كالشرر ، تلبي دعوة القتال وتتقدم الجند الى ساحات القتال ، وهي لا تعرف للنصب سبيلا ولا للملل مستقرا ، انما هي امراة اوتيت من كل مقومات الشخصية . وبالاضافة الى قوة الشخصية فقد كانت متمكنة من العلم والثقافة فهي تجيد الثقافة اليونانية ، وتتكلم الارامية

---

١ ـ عبد الله عفيفي في كتابه المراة العربيــة في جاهليتها واسلامها ص ٣٦ ـ ٣٧

والقبطية واللاتينية ، ولها باع كبير في التاريخ ، الفت عدة مؤلفات منها : تاريخ مصر وسوريا . وبهذا فقد جمعت العلم الى قوة الشخصيــة ، والقوة بجانب الجمال ، والانوثة بجانب الرجولة. ومما يقوله المؤرخ الروماني «تريبلوس» « كانت هذه المراة العجيبة سمراء اللون ، قوية اللحظ ، وكانت الهيبة والجمال والعظمة تلوح على وجهها ، وكانت اسنانها بيضاء كاللؤلؤ وصوتها قويا وجهوريا، وجسمها صحيحا سليما ، وكانت الابتسامات لا تفارقها ، فعاشت بعظمة ملوكية مقلدة ملوك الاكاسرة فكانت تضع العمامة على راسها وتلبس ثوبا ارجوانيا مرصعا بالجواهر . وكثيرا ما كانت تترك ذراعها مكشوفة » . كانت امراة قائدة بالمعنى الحقيقي فكانت من جانت الروم تملك سوريا وآسيا ، وتحارب الفرس ، وتقوي الدولة التدمرية . ثم ساءت علاقتها مع الرومان فحاربتهم وانتصرت على غالينوس . وفتحت مصر ، ثم اخذت تتوسع حتى وصلت الى شواطىء البوسفور غير أن الرومان ما لبثوا ان هزموها وردوها على اعقابها ، وانكفأت نحو حمص . وفي عام ١٢٨٢ قضى عليها الرومان فأقامت بقية حياتها في بيت حقير في بتبور . كانت خلال مرحلة قيادتها قائدة بالمعنى الصحيح حيث قادت جيوشها نحو النصر ففتحت مصر ، وانشأت علاقات اقتصادية مع البلدان الاخرى مما ساعد على ازدهار دولتها اقتصاديا وماديا . ضربت النقود ، وخططت التخطيط السليم لبناء دولتها . وكانت تعقد الاجتماعات السياسية والاقتصادية والعسكرية وتعطي التوجيهات للمسؤولين . فهي في الحروب وفي ساحة الوغى مقدامة ، وفي الشؤون السياسية بعيدة النظر ، وفي الشؤون الادارية منظمة ومخططة ، فقد اتصلت بمصر قبل ان تفتحها فأرسلت اليها الاداريين ، ووصلت الطرق اليها ، وجعلت الفرات من وسائط النقل عبر الجزيرة العربية . وخططت بأن تقطع التموين عن البلاد الرومية وذلك باستيلائها على مصادر التموين التي كانت آنذاك في مصر . ولا تزال آثار هذه القائدة باقية حتى الآن في القطر العربي السوري ، وفي القطر العربي اللبناني .

المرأة تتسلم القيادة عند قتل قائد المعركة ، وفي اصعب الظروف اذ ان المعركة لا تزال مستمرة وفي عنفوان شدتها . يقتل القائد فتتسلم القيادة بعده، وتنصب نفسها قائدة على الجند ، وتستمر في القتال الى ان يتحقق النصر .

ولا يتهيىء لامراة أن تتسلم القيادة في هذه الظروف الا ان تكون على معرفة تامة بمعطيات القتال ، وان تكون مدركة تمام الادراك الاساليب القتاليــة السابقة واللاحقة ، وان تكون على معرفة تامة بالصديق واحواله وامكاناته ، وعن العدو واحواله وامكاناته . وفعلا كانت المراة تدخل القتال وهي على علم تام بالصديق والعدو وبأساليب القيادة . ففي موقعة احد غيرت المراة مجرى القتال . عمرة بنت علقمة استلمت الراية بعد مقتل صاحبها ونادت في الجيش بعــد ان كاد يتفرق ، وتتزعزع صفوفه ، فاجتمعوا اليها من قريش ومن قبائل المشركين وخاضوا معركة المراة مع هذه المراة وانتصروا على المسلمين بقيادتها . وبذلك سجل التاريخ لهذه المراة انتصارهــا ، ويعزى انتصارهــا الى اهم الاسباب التالية : ــ

١ ــ كانت على علم تام بمجريات القتال سابقة ولاحقة ، وعندها المعطيات الكافية لاستمرار القتال بقيادتها .

٢ ــ ترك المسلمون أمكنتهم التي عينهم بها رسول الله صلى الله عليه‌وسلم وقال لهم لا تبرحوها ابدا ، الا انهم نزلوا من امكنتهم ، وبذلك أتيح للمشركين ان يلتفوا عليهم ويباغتوهم من الخلف .

٣ ــ النساء المشركات قمن بدور عظيم في هذه المعركة اذ اقدمن على تشجيع الرجال ورفع معنوياتهم وذلك بالغناء الحربي ، وبدق الطبول ، ونفخ المزامير ، واطلاق الاشعار التي تلهب الاحاسيس وتثير المشاعر ، وتستنهض الهمم .

٤ ــ تسليم الراية بعد مقتل صاحبها الى امراة شجاعــة استطاعت ان تستمر في القتال ، واستطاعت ان تنتزع النصر .

هناك قصة شبيهة بالتي ذكرت . وهي أن الوليد بن طريف الشيباني قائد الخوارج كان يقود جنده ضد الخلفاء ، وكان بطلا صنديدا ، وفارسا مغوارا في الحروب ، وقد شهدت له المعارك التي خاضها ، وفي احدي المعارك قتل ، فتسلمت القيادة اخته واستمرت في القتال ، فاطبقت على جند الرشيد وفتكت بهم حتى قالوا : لا تكون هذه الا اخت الوليد لان فعلها بفعله اشبه . وهناك

القصص العديدة والامثلة المختلفة على حسن قيادة المراة اثنـاء القتال وبعد مقتل قائد الحملة . .

ـ تسلمت المراة نائبة للقائد في ميدان القتال ، وتكلفت بقيادة جزء من القوات القتالية ، وساعدت الرجل في مهامه التعبوية ، وكانت سباقة الـى التضحية والفداء ، والبذل والعطاء . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت المراة تتولى بنفسها قيادة الجند في حال وجود القائد بمهمة ، او على اتجاه آخر من اتجاهاتالقتال وتندب في بعض الاحيان للمهمات الصعبة كما انتدبت غزالـة الحرورية لمقاتلة الحجاج الذي كان يخشاه الناس ، ويفرون من سمعته وهيبته . وقد انتصرت المراة على كثير من القادة اثناء المعارك وهزمتهم شر هزيمة فتلك زنوبيا ملكة تدمر ، وتلك بلقيس ملكة اليمن ، وغيرهن من النساء اللاتي خضن معامع القتال، وضربن هامات الرجال وفر من امامها الصناديد مثل خولة بنت الازور . كانت المراة مثالية في قيادتها تتصف بكل مقومات القيادة ، تولت قيادة الجند في غياب القائد الاصيل ، كما تولت القيادة في حضوره عند استلمت قيادة الاتجاهات الاخرى من القتال ، فهي نائبة القائد بالمعنى الصحيح تعطيه المشورة ، وتدفعه الى النضـال ، وتبث فيه الروح المعنوية ، وتكون على علم واتصال بالمعلومات عن العدو والصديق ، والمواقف المتتالية حتى اذا ما حدث حادث للقائد تولت القيادة بنفسها . كانت غزالة الحرورية زوج القائد الخوارجي شبيب بن يزيد، كانت تتناوب وزوجها على القيادة ، فهي في القتال شديدة البأس حتـى ان الحجاج كما قلنا كان يخشاها . وقد تعرضت له في الحرب ، وانتصرت عليه مرارا ، وولى هاربا ، وفي هذا يقول عمران بن حطان :

اسـد علـي وفي الحـروب نعـامة ربداء تجفـل من صفـير الصافـر
هلا برزت الـى غزالـة في الوغـى بل كـان قلبك في جناحـي طائـر
صدعـت غزالـة جمعـه بعساكـر تركـت كتائبـه كأمس الدابـر

وقد قتلت غزالة غدرا في موقعة الكوفة التي جرت بين شبيب والحجاج . وبعد موتها ضعف جند شبيب ، فكان لغيابها اثر في المعارك والانتصارات ، وكذلك

كانت زوج حبيب بن مسلمة الفهري التي كانت تتقدم الرجال ، وتسبق زوجها وتستطلع بغية كشف العدو ، وتسارع الى التضحية والفداء . يقول عبد الله عفيفي :(١) « كان حبيب بن مسلمة الفهري رجلا غزاء للترك ، فخرج ذات مرة الى بعض غزواته فقالت له امراته : اي موعدك ؟ قال : سرادق الطاغية ، او الجنة ان شاء الله تعالى . قالت : اني لارجو ان اسبقك الى اي الموضعين كنت به . فجاء فوجدها في سرادق الطاغية ، فقاتل الترك » . ونلاحظ من ذلك ان المراة عندما كانت نائبة للقائد لم تكن للرجل الا زوجه او ابنته او اخته ، واكثر ما تكون زوج الرجل .

المراة وعمل الاركان

تدربت المراة على عمل الاركان قبل ان تتسلم القيادة السياسية او العسكرية ، وترعرعت وعاشت في جو سياسي او عسكري ، وتربت التربية الخاصة بعمل الاركان . وطبعت بطابع ابيها او اخيها او ابنها او زوجها ،فكانت اعمالها اشبه بهم . كانت غاندي اشبه بأبيها وجدها . وكانت اخت الوليد بن طريف الشيباني اشبه بأخيها ، وكانت زينب ملكة تدمر اشبه بزوجها ، وكانت خولة بنت الازور اشبه بأخيها .

الاركان هي المجموعة التي تعمل مع القائد وتساعده على قيادة القوات ، وتنفذ جميع الاعمال المطلوبة منها بناء على قرار وتعليمات وتوجيهات القائد والقيادة العليا . وبهذا فان الاركان تقوم بدوراساسيفي اعداد الاوامروالتعليمات وتجمع المعلومات عن العدو والصديق ، وتوازن فيما بينهما ، كما تقوم بايصال المهام الى القطعات او التشكيلات المرؤوسة . وان رئيس الاركان هو قائد هذه المجموعة الذي يشرف على جميع اعمال هذه المجموعة بصورة مباشرة كما ان رئيس الاركان هو الشخص المسؤول عن عمل العناصر وعن حالة الصديق ،وعن تدابير تأمين الاعمال القتالية ، وعن تنظيم القيادة للقوات .. وبصورة عامة

---

١ ـ عبد الله عفيفي في كتابه المراة العربية في جاهليتها واسلامها ـ الجزء الثاني ـ ص١٠٢

بقدر ما يكون رئيس الاركان على علم وخبرة ، وبقدر ما يستوعب اساليب عمل العناصر ، وظروف الموقف القتالي ، وطبيعة المعركة بقدر ما يكون أقدر على تنظيم القيادة ، وعلى تقديم المعلومات الصحيحة للقائد . لقد دعت المراة هذا الدور اذ كانت تمثل منذ القدم رئيسة الاركان وتجمع حولها عناصر الاركان وتعطيهم التعليمات ، وتوزع الاعمال ، وتنظم الاستطلاع وكل ما من شانه تسهيل عمل القائد ومهمته . بل يمكن القول ان المراة كانت تقوم بدور رئيس الاركان الملاصق للقائد في كل وقت وهذا التقارب المباشر يعطي للمراة الاستطاعة على ان تتحدث للقائد في كل الامور الهامة ، وان تشحنه بالمعلومات الدقيقة ، وهذا القرب القريب هو الذي يكسب المراة قدرة التاثير على زوجها او ابنها .. وبالاضافة الى الصفات العديدة التي يجب ان تكون في المراة كرئيسة اركان يجب ان تكون قبل كل شيء لديها المواهب والقدرة في التوجيه ، وعلى ان تجعل من القائد قائدا ملهما ، وسياسيا بارعا ، توجهه نحو الرفعة والمجد ، وتبعث فيه النشاط والحيوية .. فلقد كانت انجيل ذات قدرة على التوجيه كما كانت زوجة تدرك كل المسؤوليات ، وبنفس الوقت ترعى مصالح القائد ، وتوقظ عبقريته . يقول منير الشريف(١) « لقد كان لرجل امريكي فتاتان : ماري وانجيل ، وقد تزوجتا من شخصين في يوم واحد ، وكان زوج ماري محبوبا من والدي ماري على عكس زوج انجيل : جون فقد كان الوالدان غير راضين عن زواجه بابنتهما . غير ان انجيل كانت ذات مواهب عالية ومقدرة في التوجيه فعملت على ان تجعل من زوجها عظيما فامنت له حياة زوجية سعيدة ، وعيشة رغيدة في بيتها ، وايقظت عبقريته ، فسار في طريق المجد حتى اصبح رئيسا لجمهورية الولايات المتحدة باسم جون اومز زمنا طويلا (١٧٩٧ - ١٨٢٦) ولم يكفها ذلك بل وجهت ولدها « جون ليني اومز » فاصبح رئيسا للولايات المتحدة الامريكية (١٨٢٥ - ١٨٢٨) وبذلك فقد غدت الوحيدة في امريكا التي كانت زوجة لرئيس الولايات المتحدة واما لرئيس آخر » . وكذلك كانت زوجة « ايزنهاور » ترافقه في الحروب وفي اكثر المعارك خلال الحرب العالمية الثانية . وكثيرا ما كانت تصدر قراراته عن

---

١ - منير الشريف في كتابه مستقبل المراة العربية ص ٤٨ .

راي زوجة لانها تكون قد اعدت لكل شيء عدته في الاعداد والجمع والتدابير القتالية الكفيلة لاخراج القرار الناضج المبني على المعطيات والمعلومات التي تلزم للقائد لاتخاذ قراره . وبالاضافة الى هذا فقد كانت زوجة ايزنهاور تعد له التحضيرات الخاصة في منامته وطعامه ؛ وهذا ما يميز المراة عن الرجل في خدمة الاركان فهي ترافق الرجل في حربه وراحته وطعامه وشرابه مما يتسنى لها الاطلاع على كثير من الغوامض ، ومن مشكلات الحرب ، وتراب الصدع في الثغرات ان كان هنالك ثغرات ، وتقوي ارادته وتشجعه وتبعث به الشجاعة ، اذ يكتسب القائد من هذا مزيتين هامتين ضروريتين في الحروب اولاهما صحة القرار للمعركة ، وصحة التفكير وقوة المعنويات . هكذا كانت هذه المراة رئيسة اركانه لرئيس الولايات المتحدة الامريكية جنرالا في الحرب ، وسياسيا في رئاسة الولايات المتحدة الامريكية . كانت هذه المراة صادقة لا تغش قائدها ولا تقدم له المعلومات غير الصحيحة ، حليمة عند الغضب تهدىء من روع زوجها اذا حزب الامر واشتدت الحرب ، تعلو شفتيها ابتسامة لا تفارقها ، عالمة بامور الحرب والامور الادارية والامور الخاصة بالقائد فهي تهيء له كل شيء في هذه المجالات الثلاثة ، وفوق كل هذا فهي غير متشائمة تحاول ان تبعد التشاؤم عنها وعن القائد فتتفاءل له وتبشره بأنه سينتصر ، وسيهزم عدوه . ثم تشجعه على العمل المنتج وعلى العمل الخير وتسدي له المشورة والراي كلما احتاج الى ذلك ، تحاول ان تغرس بينها وبين القائد الود والمحبة لتتوثق عرى الثقة فيما بينهما ، وكذلك كانت زوجة لا تظهر القوة امامه او تتعالى عليه او تلزمه بالمعقول وغير المعقول ، بل كانت تقدم له المعطيات والدلائل والبراهين ثم تجعله لوحده يختار الحلول المناسبة ، كما كانت تبعده كل البعد عن الاشياء الضارة التي تفسد صحة القرارات مثل شرب الخمور او لعب الميسر أو . . .

ان القرار شيء مقدس ويجب ان يحترم ويراعى لكي يصدر سليما بعيدا عن الاخطاء والارتجال ، كانت اذا رات ما يسيء الى صحة القرار بادرت بكل لباقة الى التحدث مع القائد زوجها اذ تدعوه الى الحسنى وتداريه حتى تستطيع ان تجره من حيث لا يدري الى الصواب والى صحة القرار ، وهي لم تكن لرثاره توزع الحديث الذي يجري بينها وبين القائد هنا وهناك بل كانت مقتصدة في

كلامها ، تتكلم اذا وجب الكلام ، وتكف عنه في موضع الكف ، وتتحاشاه في مواضع أخرى وفي الامكنة العامة .. هذا هو عمل الاركان بالنسبة للمرأة . غاية في الدقة وغاية في الجمال ، فلقد اوتيت المراة في هذا العمل ما لم يوته الرجل ، فهي تعرف الخاص والعام عن القائد ، وتعرف الصغيرة والكبيرة ، ولهذا تكون اقدر على ممارسة عمل الاركان .

يعتمد القرار الصحيح على المعلومات الصحيحة ، وليس المهم في صحة المعلومات فحسب ، بل المهم كذلك في طريقة تقديم هذه المعلومات ، يستطيع الاركان من الرجال ان يقدموا المعلومات الصحيحة للقائد والاستطلاع الجيد ، وجميع التامينات القتالية ، ولكن لا يمكنهم باي حال من الاحوال ان يقدموا هذه المعلومات بطريقة صحيحة ، قد تكون الطريقة التي يقدمون بها المعلومات بعيدة عن اللباقة ، وتؤثر على نفسية القائد ، وتجعله غير سوي في تصرفاته وسلوكه مما يؤثر على صحة القرار ، اما المراة فان طريقتها في تقديم المعلومات تكون مبسطة وقابلة للفهم ومريحة بنفس الوقت فهي تستطيع ان تقدم المعلومات ولو كانت هذه المعلومات سيئة . بشكل لا يتاثر فيها القائد كما حدث لام سليم بنت ملحان الانصارية عندما مات ابنها ، ولما رات ان تعلم زوجها طلحة زيد بن سهل قالت : « يا ابا طلحة الم تر الى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها ، فلما طلبت اليهم شق عليهم ؟ قال : ما انصفوا قالت : فان ابنك فلانا كان عارية من الله فقبضه اليه ... فاسترجع وحمدالله وقال : لا ادعك تغلبينني على الصبر » . ولو اقدمت هذه المراة على تقديم هذه المعلومات بطريقة غير مستساغة لرايت الرجل قد انقلب على عقبيه ، وبدا على وجهه الغضب ، وعلى سلوكه الانحراف ، مما قد يؤثر على صحة قراراته . وهذا هو سر المراة في طريقة تقديمها وفي عملها في مجال خدمة الاركان . ان النساء الارلنديات في القرن السابع عشر كن يصاحبن ازواجهن في الحروب ، وكن مثالا لخدمة الاركان ، وانموذجا في طريقة تقديم المعلومات ، وكذلك كانت « فلورانس نيتانجيل » التي قامت بدور عظيم في عمل الاركان خلال حرب القرم ، وكذلك « اومس كافل » التي كانت تصاحب القائد في كل حروبه لم تسهر الليل لتحضير متطلبات

القرار ، وتلك النسوة الامريكيات في الحرب الاهلية اذ كن يساعدن الرجال في الحروب ، ويقمن بدور عظيم في مساعدة الرجال في المعارك والقتال .

ان مهمة عمل الاركان تتطلب من المراة ان تكون على علم واسع بالحروب وبالسياسة فهما صنوان لا يمكن ان يفترقا . وقد تطرق لهذا البحث العديد من العسكريين والسياسيين . الحرب جزء من السياسة واستمرارها ، وهي المسار التي تسير عليه السياسة للوصول الى السلام . ان السياسة هي الاصل وان الحرب هي الفرع ، وتلجأ السياسة الى الحرب لتتخلص من ضيق اقتصادي او عسكري أو اجتماعي . ان الحرب هي اداة السياسة والافضلية دائما تكون سياسة ، وان الخطط الحربية التي تكون صرفة هي في نظري تافهة لان الخطط الحربية يجب ان تتضمن الخط السياسي وافكار الجهاز السياسي، وعليه فاذا كانت السياسة سليمة خرجت الخطة الحربية سليمة ، وتتطور الحرب بتطور السياسة . وما دامت السياسة تحتل هذه المكانة في علم الحرب فان على رئيس الاركان ان يكون ملما بعلم السياسة كما يلم بعلم الحرب . ولقد كانت المراة تأخذ من العلمين لا بل كانت حاذقة في السياسة فهذه « كاترينا سوفورزا » التي برعت في علم السياسة والحرب بآن واحد . وهناك في مصر برزت امراة تدعى « شجرة الدر » ـ في عهد الايوبيين ـ اشتهرت بعملها السياسي الواسع وفطنتها حيث كانت تشترك في اعداد المسائل السياسية الهامة للدولة مع زوجها الملك الصالح . ولما اقعده المرض قامت هي بادارة دفة البلاد السياسية وبقيادة مصر ، ثم ببراعتها نصبت ابنه الملك « توران شاه » الذي كان لا يصلح للحكم ، وقامت بدور الاركان مع الابن . ولما فشل توران بسياسته استلمت الحكم واستطاعت بسياستها وشخصيتها القوية ان تحكم مصر واشتهرت في ذلك حتى اطلقوا عليها « الملكة عصمة الدين » ،وكانوا يدعون لها على المنابر بقولهم : « اللهم ادم للسلطانة الستر الرفيع والحجاب المنيع ـ ملكة المسلمين ـ عصمة الدنيا والدين ، ام خليل المستعصمة » . وبذلك اتيح لهذه المراة ان تعمل كأركان مع زوجها ومع ابن زوجها مدة عشرين عاما تقريبا ، وتوفيت بالقاهرة .

لقد كان للمراة دور كبير في القيادة والاركان ، وتبوات مكان الصدارة في

كل منهما ، واعطت جهدها وامكانياتها في العملين . فعلى مستوى القيادة قادت سياسيا وعسكريا وحملت صفات ومقومات القيادة ، وما قصرت في شيء ابدا ، بل ان المراة تسلقت الفضاء وسبحت في جو السماء وهذه مهمة عجز عنها الرجال ، نرى المراة قد اقتحمها رغم خطورتهـا ، فهاهـي المراة « فالنتينا فلاديميروفنا تيرشكونا » التي ولدت في ١٩٣٧/٣/٦ في قرية « ماسلنيكوفو » في الاتحاد السوفييتي ، فهي فقيرة من والدين فقيرين . كان طموحها بان تكون سائقة قطار . حصلت على الشهادة الثانوية ودخلت احد المصانع للاطارات ، ثم عملت في الغزل والنسيج ، وحصلت على شهادة الدراسة المهنية في تكنولوجيا الغزل ، ثم عينت في ورشة التصليح والميكانيك ، وحضرت الدبلـوم ، وكانت منتسبة للطيران . سمعت بغزو الفضاء . استهواها هذا النبأ . ثم اخذت تتابع اخبار الفضاء بشغف وحب ، وبانتسابها لنادي الطيران زاد من حبها لهذا العمل الكوني . قفزت مائة وثلاثين قفزة ونجحت نجاحا متفوقا . وقد اسندت اليها عدة اعمال ادارية وصناعية واجتماعية وغيرها فكانت في كل واحدة الاولى ومن المبرزات في عملها . تنامى الى سمعها رحلة « غاغارين » فتمنت أن تكون من رواد الفضاء ، وبدات تعمل لهذه الامنية ، فاعدت بذلك برنامجا اذ اخذت تقرا المؤلفات حول غزو الفضاء ، وكتبت رسالة ترجو فيها من معهد الفضاء ان يسجلها في قائمة الملاحين الكونيين فقبلت في عام ١٩٦٢ . ومنذ قبولهـا طبق عليها برنامج صعب وقاس فكانت تنتقل من العلوم النظرية الى التطبيق العملي ، ومن التمارين الرياضية الى مراقبة الاجهزة والعمل بها . ومن التدريب الى مراقبة اللوح المهتز ، ومن درجات الحرارة المنخفضة الى درجات الحرارة العالية ، ومن حالة انعدام الوزن الى حالة الوزن على الارض . وظلت البطلـة هكذا حتى اشرفت على انهاء التدريب ومنحت لقب ضابط في معهد الفضاء . وفي يوم ١٦ حزيران ١٩٦٣ بدات مهمتها الفضائية فوقفت بكل فخر واعتزاز وقالت : « انني سعيدة ومسرورة بان اكون انا الفتاة البسيطة أول من يعهد اليها من بين نساء هذا الكوكب كله مهمة الطيران الى الفضاء ، وسانفذ هذه المهمة النبيلة كما ينبغي . » صعدت « فالنتينا » الفضاء وقادت السفينة الفضائية « فوستوك » وبقيت ثلاثة ايام انجزت خلالها (٤٨) دورة خـلال

(٧١) ساعة وقطعت خلالها مليوني كيلو متر تقريبا . لقد تحملت هذه المراة ما لا يتحمله الرجال وهذه الصفة هي من صفات القيادة . ومن الشروط المهمة لهذا العمل ان تكون المراة على قدر كبير من الاحتمال الجسمي لخضوعها للعديد من الاختبارات والتمارين القاسية ، ولتعرضها اثناء الطيران الى عديد من الصعوبات المختلفة ، وان يكون لديها الرغبة التامة في العمل الفضائي لكي يدفعها الى التحمل والنضال ، وان تكون متبعة الدورات اللازمة لهذا العمل لكي تتعرف على الاجهزة المختلفة فتديرها وتطبق التعليمات بكل دقة . وعلى مستوى القيادة ايضا استخدمت المراة الخدعة في حروبها ، والخدعة كما تعلمون مشتقة من كلمة « الستراتاجم » يعني الخدعة . فاذا كانت الاستراتيجية هي الخدعة فان المراة قد استخدمت استراتيجيتها الحربية بكل مهارة واتقان .

ان خدعة المراة تكمن في ذاتيتها فهي تملك القدرة على جذب الرجال ، كما تملك القدرة على البكاء والتظاهر بغير الحقيقة وتمثل دورها المخاتل باحسن ما يكون. ان المكر من شيمة المراة ، والخدعة من عملها . تلك الزباء بنت عمرو التي كانت ملكة على الشام والجزيرة بعد مقتل ابيها عمرو بن ظروب ، قضت على خصمها بالخدعة وخصمها كان جذيمة الابرش اذ استدرجته فارسلت في طلبه ، وكتبت اليه تقول : لم اجد في ملك النساء الا الى قبيح في السماع وضعف في السلطان ، وقلة ضبط المملكة . ولم اجد للملكي موضعا ، ولا لنفسي كفؤا غيرك فاقبل علي فاجمع ملكي الى ملكك وصل بلادي ببلادك وتقلد امري مع امرك ، فلما سمع بهذا اقبل عليها فاستقبلته بكل بشاشة ، واخذت به الى بيتها فسقت له من الخمر حتى اختمر عقله ، وذهب صوابه فأمرت الجلاد فقتله . وبذلك استطاعت بهذه الخدعة ان تقتل رجلا يباهي بنفسه ويعتد بها ، واستطاعت بنفس الوقت ان تثأر لابيها الذي قتله جذيمة في معركة سابقة ، حتى قالوا عنها بأنها امنع من عقاب الجو . واذا اضفنا هذه الصفات الى صفات الصمود والثبات ، والى الصدق والصراحة في القول والعمل ، والى العفاف والتحصن ، والى اجارة المستجير ودفع الاذى عنه كما اجارت أم هانىء الحارث بن هشام لما أوى الى منزلها مستجيرا ، والى الصفات القيادية الاخرى لرأينا ان المراة تحتل الصدارة الاولى في عالم القيادة ، ولكن عدد النساء الى الرجال قليل في القيادة اذ تظل

المراة دون الرجال في القيادة . اما على مستوى الاركان فقد نجحت المراة به نجاحا كبيرا وادت دورها كاملا فهي قد لمعت في الاستطلاع والاستخبارات لانها جمعت في ذاتها كل ما يساعد على الاستطلاع واعمال الاستخبارات فهي قد دخلت على القصور والملوك والرؤساء والامراء وقادة الجيوش واخذت منهم ما تريد بما تملك من جاذبية واغراء ، وبما تملك من قدرة كبيرة في الحصول على المعلومات، كما برعت المراة في المشورة والدبلوماسية ، وقد راينا العديد من النساء كن مع القادة كاركان على احسن ما يرام . والحقيقة ان المراة نجحت في الاركان قبل ان تنجح في القيادة ، ونجحت في المشورة قبل ان تنجح في اصدار الاوامر ، وكلا الحالتين اعطت الشيء الكثير .

* * *

الفَصْل السَّابِع

المـراة والبطولات القتاليـة

المراة قاتلت في الماضي كما تقاتل في الحاضر ، ويزداد دور المراة في القتال كلما تطور فن القتال وتطورت معه الاسلحة والاعتدة القتالية والادارية ، كانت المراة فيما مضى تحمل القوس والرمح وتمتطي فرسها ، اما الآن فهي تحمل البندقية الآلية وتمتطي الدبابة او الطيارة او الطوربيد ، وكذلك فانها تقف خلف الازرار لتضغط باصبعها فتنقذف الصواريخ وتحمل معها الدمار . ان الحرب الحاضرة حرب اعتمدت على العلم والتكنكة ، ولم تعتمد على القوة والعضلات ، وبهذا اصبح دور المراة فيها عظيما ، وكان التطور مع المراة ولصالحها .

لقد اشتركت المراة اشتراكا فعليا في القتال ودخلت حومة الوغى وقاتلت قتال الابطال ، والتاريخ خير شاهد على ذلك في القديم والحديث . كما تمرست المراة في النضال الوطني وقاومت الاستعمار ودخلت مع المقاومين ، وانتظمت في صفوف الفدائيين ، واشتركت في المظاهرات ، واسست الجمعيات ، وانضمت الى الثوار والى جبهات التحرير في بلادها ، ونقلت الاسلحة والمؤن الى الثوار في اماكنهم ، وتطوعت في الميليشيا الشعبية ، وانتسبت الى الاحزاب الثورية وناضلت من خلالها ، وطالبت بالوحدة والاتحاد والتجنيد الاجباري والانخراط في الجيش ، وتطوعت للعمل في المشافي وتقديم الاسعاف ، وحمت صغارها من بطش المحتلين ، وانفقت مالها في الاشتراك بتجهيز الجيش وتقوية الجنود الوطنيين ، وثبتت في المعارك عندما انهزم الرجال وولوا الادبار ، ورفعت الروح المعنوية لابنائها وحثتهم على القتال وغرست فيهم روح الشجاعة والصمود فقد جادت بنفسها وبمالها واولادها وزوجها ، ولعمري لهو غاية الجود . ان الحرب الشعبية تعتمد على القوة البشرية ، وبما ان النساء هن من هذه القوة فيجب الا تضيع ، وان يستفاد منها في دحر العدوان .

المراة تشترك مع الرجل في القتال :

اشتركت المراة مع الرجل قديما وحديثا ، واشتركت في الشرق كما في الغرب ، وخاضت المراة العربية المعارك في الجزائر وفلسطين ، كما خاضتها المراة الاجنبية في فيتنام وكوريا وغيرها . فلقد اشتركت معه في ساحات القتال وفي المعارك الحربية ، كما كانت معه في النضال الوطني والمقاومة الشعبية . قاتلت

في الصفوف الاولى معه ، كما قاتلت في الصفوف الثانية ، اخذت مكانه في المصانع والمعامل لياخذ دوره في جبهات القتال ، واست المنكوبين ، واسعفت المصابين ونقلتهم الى المشافي كما فعل الرجل تماما . كانت في المؤخرة وكان الرجل ايضا . واني أسوق اليك مثلا على مشاركة المراة للرجل : نشأت حرب بين قبيلتي بكر وتغلب وسميت هذه الحرب « حرب البسوس » انتهت هذه الحرب بانتصار قبيلة بكر لانها اشركت النساء معها في القتال اذ كان الرجال في الصفوف الاولى وكانت النساء في الصفوف الثانية . وكانت مهمة هذه الصفوف كما يلي :

١ ـ تقوية معنويات الرجال حتى يكونوا اشد باسا وأمضى عزيمة .

٢ ـ رد الهارب وذلك بضربه بهراوة .

٣ ـ اذا تسرب العدو قام هذا النسق « النسق الثاني » بتوقيفه وضربه بالخشب .

٤ ـ مواساة المرضى ، وتضميد جراح المصابين ونقلهم الى الخلف .

يروي هذه القصة عبد الله عفيفي . يقول : (١)« ولما تراءى الجيشان قال الحارث بن عباد للحارث بن همام : هل انت مطيعي فيما آمرك به قال : ما أنا بتارك رايك الى من هو شر منه قال : اعلم ان القوم يستقلون لقومك في السلم فزداهم جراءة في الحرب فقاتلوهم بالنساء فضلا عن الرجال قال : وكيف قتال النساء ؟ قال تعمدون الى كل امراة لها جلد ونفس فتعطي كل واحدة منهن اداوة وهراوة فاذا صفقت اصحابك فصفهن خلفهم فان ذلك مما يزيد الرجال جلد، وشدة ونشاطا ، ثم تعلموا بعلامة تعرفها نساؤكم فاذا جرح منكم انسان في القتال امرن بسقيه واذا مررن من عدوكم بانسان ضربنه بالخشب فقتلنه ففعل الحارث بن همام ما أمر به الحارث بن عباد وهو أول من أشار بحشد النساء مع الرجال فتحاشدوا لذلك وحلقوا رؤوسهم علامة بينهم وبين نسائهم ومن أجل ذلك سمي ذلك اليوم بيوم « تحلاق اللمم » وبالاضافة الى ذلك

---

(١) عبد الله عفيفي في كتابه المراة العربية في جاهليتها واسلامها جزء اول ص ١٦ .

فقد كان بعض النسوة من قبيلة بكر اشهرهن « كرمة بنت ضلع » و « أم مالك ابن زيد » ينشدن الاشعار التي تلهب الحماس ، وتدفع بالرجال لان يقدموا على الموت ومن قولهن : ـ

وغى وغى وغى وغى   حر الحرار والتظى
وملئت منه الربى   يا حبذا المحلقون بالضحى

ومن قولهن ايضا :

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق
مشي القَطَيّ البارق   المسك في المفارق
والدر في المخانق   ان تقبلوا نعانق
او تدبروا نفارق   فراق غير وامق
عرس المولي طالق   والعار منه لاحق

حقا انها معركة عبئت فيها النساء تعبئة عامة لكل من استطاعت ان تحمل السلاح ، وكان مكانهن في النسق الثاني حمين ظهر الرجال وقاتلن قتال الابطال، فكن في الحرب لظى ، وفي الاسعاف رحمة ، وفي المنويات دفعا وشدة .

لقد حرضت المراة الرجل على القتال وشجعته على المضي فيه ، وجعلته يقتحم الموت غير آبه به . والامثلة كثيرة في تاريخنا العربي . فلقد كانت حليمة بنت الحارث بنت أبي شمر الغساني (ملك عرب الشام) (١)« كانت تخلق قومها وتحرضهم على القتال وتبعث فيهم الشجاعة والبسالة . فمر شاب فلما خلقته تناولها وقبلها فشكت ذلك الى ابويها . فقالا لها : اسكتي فما في القوم اجلد منه حين اجترا وفعل هذا بك فاما أن يبلي غدا بلاءا حسنا فانت امراته واما ان يقتل فتنالي الذي تريدين منه . فابلى الفتى بلاء عظيما ورجع سالما فزوجوه

(١) عمر رضا كحالة جزء اول ص ٢٨٩

حليمة . ونسب اليها يوم حليمة وهو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ملك العراق لانها حضرت المعركة تحض عسكر ابيها وقد طيبتهم بعطر اخرجته لهم . وفي المثل اعز من حليمة . » وتلك الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد التي حضرت حرب القادسية ، وحرضت أولادها على القتال ، وشجعتهم على المضي قدما الى ساحات الوغى فقالت لهم : « يا بني اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله الا هو انكم بنو امراة واحدة ما خنت آباكم ولا فضحت ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما اعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا اصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائه مستنصرين فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وحللت نارا على إوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة . »

وقفت المراة في كثير من الاحيان لوحدها مدافعة عن كرامتها ووطنها وصغارها ، انها لا تأبه بالمخاطر ولو احيطت بها ، والشدائد ولو اطبقت عليها ، تلك المراة التي استنجدت بالبطل صلاح الدين الايوبي أن يرد عليها ابنها الضائع كانت تقول : ردوه علي او فاقتلوني معه ورمت بنفسها الى الخطر حتى وصلت الى مبتغاها فالتقت بابنها . وهذه الميزة يعجز عنها الرجال بل عجز عنها الذكور بصورة عامة ، فاسمع ما يقوله العالم « ليستر دورد » : « وليس هناك ما هو أكثر زيفا من ترديد ذلك المفهوم الذي اوحت به الى العالم الفلسفة الذكرية وهو أن الذكور الاقوياء يهبون هذه القوة المكتسبة لحماية الصغار واطعام الانثى . ان هؤلاء الذكور في الطيور والحيوانات الثديية الذين اكتسبوا قوة وجمالا مثل الطاووس والديك الرومي والدراج وديك الفراخ في الطيور والاسد والغزال والخروف في الحيوانات الثديية هؤلاء الذكور لا يفعلون شيئا لاسرهم تقريبا . انها الام والام وحدها هي التي تحمي الصغار وتطعمهم وتحارب من اجلهم عند الضرورة . انها هي التي تثبت الشجاعة الحقيقية ، الشجاعة في مهاجمة الاعداء الذين يهددون بقاء الفصيلة . ان حيوانات كثيرة مفترسة تهرب من امام الانسان

والاستثناء الوحيد هو الانثى مع صغارها . انها الوحيدة التي تمثل الخطر للانسان . » ان المراة تشعر بمسؤوليتها الدفاعية منذ ولادتها للصغير ، وتقف لوحدها تجاهد وتناضل من اجل سعادته حتى ينفصل عن امه ، ومتى انفصل لا تنقطع عنه بل تظل تشرف عليه وتحافظ على حياته وتنمي مواهبه ومداركه حتى يصير شابا قادرا لوحده على أن يدافع عن نفسه وامه ووطنه .

شاركت المراة الرجل في القتال ، ودخلت معه ميدان القتال لا ليقال عنها بانها هي الشجاعة ، ولا ليقال عنها بأنها البطلة ، ولم تدخل لمغنم او مغانم انما دخلت القتال من أجل الجهاد ولشد عضد الرجل في القتال ولمشاركته في البأساء والضراء،فتلك البطلة خولةالكندية في معركة اجنادين كرت وفرت وقاتلت وقتلت عددا كبيرا من الرجال حتى عجبت منها الفرسان ، وتمنوا ان يعرفوها لانها كانت ملثمة متنكرة لا تعرف الانانية ، ولا تعرف حب الذات . وتقول وداد سكاكيني : (١)« يا يوما لبطل مقنع ، قتل من قتل ، وطعن من طعن وهو لا يلوي على شيء ، فلما رآه خالد بن الوليد في وقعة اجنادين يحسن الكر والفر تساءل : ليت شعري من هذا الفارس المغوار ؟ ولما هجم الروم حمل عليهم الفارس المتلفع ، فكان يزعزع كتائبهم ويزحزح مواكبهم حتى ظنه الجنود انه خالد نفسه ، فسألوا قائدهم عن ذلك البطل المغامر ، ثم تنادوا اليه وناشدوه كشف الحجاب عن محياه ، فما احار الجواب ، ولما الح عليه خالد اغمد الفارس سيفه ، وازاح اللثام عن وجهه فاذا طلعة وسيمة تشرق بالبهاء والسناء ، واذا هي من بنات حواء ، فرفع اليها صرعاها رؤوسهم باسمين وهم بين الحياة والموت ، وكان آخر صوت مر بمسامعهم قول المجاهدة للزعيم الغطريف خالد بن الوليد : انا خولة الكندية اخت ضرار بن الازور من بقايا اولاد الملوك ، لم اعرض عنك الاحياء منك لاني من ذوات الخدور ، وبنات الستور ، اتيت مع نساء العرب لنشد عضدك في الجهاد . » لم تأت لوحدها بل كانت النساء معها يحاربن مع الرجال ، وكان مقصدها شد عضد الرجل في القتال ومشاركة البأساء والضراء ، هي امراة قارعت الابطال وهزمت الرجال وقاتلت قتال المغوار .

---

(١) وداد سكاكيني في كتابها انصاف المراة ص ٣١

المرأة في ميـدان القتـال :

لقد دخلت المرأة ميدان القتال فكانت في خضم المعركة كجندي مشاة تقاتل في الصفوف الاولى ، وامتطت الدبابة تقودها بين ضجيج القتال وصوت محرك الدبابات ، وقاذفات م/د ، وطارت في الجو ، وقاتلت على ظهر السفن البحرية . وفي الماضي ركبت الخيل وحملت السيف والرمح وجالت في ميدان القتال ، ومن المعلوم ان تعدد الاختصاصات في القتال الحديث جعل المراة تتسلم عددا من المهام القتاليـة .

ان المراة اذا اصيبت وجرحت بأخيها او ابيها او زوجها كانت كاللبوة فتكا وشجاعة واقداما . وتلك نسيبة بنت كعب المازنية التي اصيب ابنها في معركة احد بعد ان انكفأ المسلمون وتقهقروا ، لما رأت ابنها أقبلت عليه وضمدته في عضده اليسرى ، ثم استلت سيفها وحملت قوسها وأخذت تقاتل وكأنها بطل من الابطال ، وظلت تشق طريقها حتى مرت بالرجل الذي ضرب ابنهـا فاعترضت له فضربته في ساقه فوقع ، فأقبل الفرسان فقضوا عليه . لقـد اصيبت نسيبة في هذه المعركة بثلاثة عشر جرحا . ولما خرجت الى الحرب خرجت مع أولادها وزوجها أي ان الاسرة خرجت بكاملها الى المعركة الى ميدان القتال فكانت التعبئة العامة بالنسبة لهذا البيت اذ كان الولدان حبيب وعبد الله في طليعة المقاتلين في غزوة احد ، أما ام عمار فقد قاتلت كما قلنا حتى اصاب جسمها الكثير من الجروح ، وكان الجرح الذي اثر فيها اكثر من غيره هو الجرح الذي اصابها به من ضربة سيف ابتدرها بها عبدالله بن عمرو بن قمئة . وحين سألوها عن ذكرياتها في موقعة احد قالت : « خرجت في اول النهار انظر الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه والدولة والربح فيها للمسلمين (اي كانوا منتصرين حينئذ) فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمي القوس حتى خلصت الجراح الي » ، وحين سئلت عن جرحها العميق قالت : « ان قمئة قماه الله (اي اذله الله وحقره) . لما ولى الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل ابن قمئة يقول : دلوني على محمد

لا نجوت أن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب وعمير واناس ممن ثبت مع رسول الله فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان » . وفي معركة اليمامة اندفعت كاللبوة تقاتل لتصل الى مسيلمة وتقطعت يداها في هذه المعركة وهي تحارب ، وقد عجز الرجال علـى اللحاق بأفعال وشجاعة نسيبة ، فكان الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم يثني عليها فيقول « رحمكم الله اهل بيت ، بارك الله فيكم اهل بيت » وقال عندما رآها تتحرك في المعركة يمينا وشمالا بدون ان تترس مشيرا الى رجل لا يترس بترسه : « الق ترسك لمن يقاتل » وقال : « ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟ ». وتلك خولة بنت الازور لما جرحت بأخيها اندفعت تقاتل وقد ابلت بلاء كبيرا في ميدان القتال وقصتها معروفة . وهناك النساء الفلسطينيات والجزائريات والفيتناميات اللواتي فقدن عزيزا في المعارك ، وانظر ما تقوله ملك حفني ناصيف (باحثة البادية) في احدى مقالاتها : « وحقيقة ان النساء لم يخترعن اختراعات عظيمة ، ولكن كان منهن النابغات في العلوم والسياسة والفنون الجميلة .. وبعضهن فقن الرجال في الفروسية والشجاعة كخولة بنت الازور الكندي فقد عجب منها عمر بن الخطاب . واعجب باستقتالها في فتوح الشام حين أرادت تخليص اخيها من أسر الروم . »

المرأة في ميدان القتال تطبق المبدأ القتالي الذي يقول : الحرب خدعة . فلقد طبقت هذا المبدأ بكل دقة ، فتلك الزباء بنت عمرو التي قضت علـى خصمها جذيمة الابرش ، وتلك ازده بنت الحارث بن كلدة التي خاضت المعارك مع قومها وابلت بلاء حسنا في الحروب . كانت رابطة الجاش ، شجاعة لا تهاب الموت ، حاذقة في تدبير الخدع والحيل اثناء الحروب ، حازت على النصر في كثير من المواقع التي شهدتها بفضل حنكتها الحربية ، وخدعتها القوية لاعدائها . ومن اشهر المعارك التي خاضتها هي معركة « المرغاب » ان صح تسميتها بهذا الاسم . «(١)» فقد ذكر المؤرخون انه اجمع اهل ميسان (كورة واسعة بين البصرة وواسط) وعليهم الفليكان . فلقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب (نهر البصرة) وقد خلف العدو دون دجلة فقالت ازدة بنت الحارث : ان رجالنا في نحر العدو

ونحن خلوف ولا آمن ان يخالفوا الينا وليس عندنا من يمنعنا واخرى اخاف ان يكثر العدو على المسلمين فيهزمونهم فلو خرجنا لامنا مما نخاف من مخالفة العدو الينا ويظن المشركون ان عددا ومددا قد اتى المسلمين فيكسرهم ذلك وهي مكيدة فأجبتها الى ما رأت فاعتقدت لواء من خمارها واتخذت النساء رايات من خمرهن ومضين وهي امامهن وهي تقول : ـ

يا ناصر الاسـلام صفا بعد صف ان تهزموا وتدبروا عنا نخف

او يغلبوكم يغمزوا فينا القلف

ثم اتيتهن والمشركون يقاتلونهم . فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا ان عددا اتى المسلمين فانكشفوا واتبعهم المسلمين فقتلوا منهم عدة . » .

صمدت المرأة في ميدان القتال ، وشهدت المواقع الحربية ، واستخدمت السلاح بكل جدارة ، وشهد لها الرجال بالشجاعة والفروسية ، وثبتت في الميدان عندما انهزم الرجال ، وصاحت بالهاربين ووقفت في وجههم لتردهم الى القتال ، وحضت الابطال والرجال على القتال فكانت تلهب نفوسهم وتحرضهم . ويبدو لي ان المرأة في ميدان القتال كانت أمنع من الرجل في تطبيق الخدعة والحض على القتال ، وكان المقاتلون يعتبرونها الرمز الذي يقاتلون من أجله ويضحون لكسب وده . ومن النساء الشهيرات التي صمدت في ميدان القتال اسماء بنت ابي بكر التي شهدت وقعة اليرموك مع زوجها الزبير « واتخذت خنجرا زمن سعيد بن العاص في الفتنة فوضعتها تحت مرفقها فقيل لها : ما تصنعين بهذا ؟ قالت : ان دخل علي لص بعجت بطنه . » واسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية التي شهدت اليرموك فقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود خبائها .

وامية بنت قيس ابي الصلت الغفارية التي شهدت خيبر وقاتلت مع المقاتلين وهي يومئذ صغيرة السن . وجهيزة التي كان يضرب فيها المثل بالشجاعة والفروسية والحمق حتى قالوا : احمق من جهيزة . وام الحارث الانصارية التي ثبتت في القتال يوم حنين اذ فر الناس وبقيت صامدة مع من صمدوا من الرجال . وام جيب بنت العاص القرشية التي شهدت اليرموك

وثبتت مع الرجال الذين ثبتوا ولم تنهزم ، بل دخلت المعركة ونادت في المقاتلين: قبح الله رجلا يفر من حليلته . قبح الله رجلا يفر من كريمته فما زالت تحضهم على القتال حتى رجعوا الى مكانهم وكان سلاحها عامود الخيمة تضرب به وجوه الرجال وتوقف تقدمهم . وام حكيم بنت الحارث المخزومية التي قاتلت في معركة احد مع زوجها عكرمة ابن ابي جهل ، وقاتلت يوم الفتح ، ويوم وقعة اليرموك التي قتلت فيها سبعة من رجال الروم ، ويوم وقعة مرج قرب دمشق . وصفية بنت عبد المطلب بن هاشم التي شهدت غزوة احد وصمدت بعد ان انهزم الرجال ، وبيدها رمح تضرب به وجوه الاعداء ، وشهدت غزوة الخندق وقتلت اليهودي الذي كان يتجسس ، وشهدت غزوة خيبر وابلت بها . وغزالة زوجة شبيب بن يزيد التي كانت مشهورة بالشجاعة ، وقد كان الحجاج على قوته وبطشه يخافها ، ويخشى لقاءها ، وقد كانت في ميدان القتال تقاتل بالسيف كأعظم مقاتل . وتلك الزرقاء ابنة عدي التي كانت تمتطي جملا في موقعة (صفين) ، وتحرض المقاتلين وكانت في مقدمة الصفوف ، وهاهي عكرشة بنت الاطرش التي كانت منتصلة سيفها تنادي على اصحابها : « يامعشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم فكأني بكم وقد لقيتم اهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير » . وكانت ام الخير بنت حريش تجول في ميدان القتال تنادي بأعلى صوتها : « جاهدوا قبل ان تبطل الحقوق وتعطل الحدود ويظهر الظلم . » على الرغم من تقدم وتطوير اساليب القتال ، وتعدد الاعتدة، وتقدم المرأة في جميع الميادين نرى انها لاتشترك الاشتراك الفعلي في ميدان القتال كما كانت تشترك في السابق وكذلك نرى ان عدد النساء اكثر نسبة من عدد النساء اللاتي يحضرن المعارك في الوقت الحاضر ، كما ان هناك ميزة مهمة هي ان المرأة كانت تنفر الى القتال تعلن التعبئة العامة فلا يبقى في المؤخرة او البيت سوى الضعفاء الذين لايستطيعون الحرب . ومما يميز المرأة انها كانت في مقدمة الرجال تحضهم على القتال وتنادي فيهم ... فتكون بذلك عونا للرجل ومشاركة له في حروبه وفي ساحة المعركة وعند قعقعة السلاح ودوي الرصاص، وازيز القنابل ، وصوت المتفجرات. هذه هي المرأة وهذا هو عملها في ميدان القتال.

لاننسى عمل المراة في القوات البحرية الذي لايقل عن عملها في القوات البرية ، ولقد حضرت القتال في البحر وحاربت على ظهر السفن .

ولقد كانت « ام حرام » العربية أول من ركب في اسطول عربي ، وقاتلت في البحر الابيض المتوسط مع المقاتلين . وعمت الاضرابات النسائية ارجاء مصر عام ١٩٢٢ ، وحين طالبت المتظاهرات بمقاطعة (لجنة ملز) ومغادرتها البلاد ، هب مدير البوليس (واسل باشا) وامر جنوده للتصدي للمظاهرات ، وتفريقهن بالقوة والسلاح ، فالقت النسوة بانفسهم في النيل مستخدمات القوارب لتصل الى الشاطيء المقابل لتعيد تنظيم التظاهر والتصدي للعدو من جديد .

كما لاننسى عمل المراة في القوات الجوية ، فهي كما قدمنا في الفصل الاول ركبت الطائرة وقادتها بعض الدول الاوروبية ، الا ان الغالبية العظمى من النساء كن يعملن كمعاون للطيار ، او كفني او من الركب الطائر . ولقد سبحت المراة في الفضاء فهاهي « فالنتينا » السوفييتية التي دارت حول الارض بمركبتها الفضائية واثبتت قدرتها وجدارتها في هذه المهمة الشاقة التي عجز عنها كثير من الرجال . وبهذا نرى المراة قاتلت في ميدان القتال على المستوى البري والبحري والجوي وتصدت للمصاعب والاخطار ، وصمدت امام الشدة والباس .

هل استطاعت المراة ان تقاتل لوحدها ، وان تتصدى للاخطار بمفردها، وان تعد عدة القتال وتدخل المعركة بدون الرجل ؟ لم يثبت التاريخ على ان المراة انفردت بالقتال دون الرجل الا في مواضع فردية تدافع بها عن نفسها ، او في امكنة تضطر فيها لقتال العدو ، أما وانها استقلت بالقتال فلم يكن ذلك. الا انهم ذكروا فيما مضى ان جيشا من النساء كان يسكن شواطيء البحر الاسود ، وكان على راس هذا الجيش ملكة تقود هذا الجيش وتغزو به البلاد المجاورة وغير المجاورة. وهذا الجيش من النساء . كان يقتل الذكور ويستحيي النساء . ففي كل عام يهاجرن الى بلاد اخرى ليتصلن برجال ثم يلدن، فالذكر يقتل او يسترد الى قومه ، والانثى تبقى وتعلم على فنون القتال والرمي وركوب الخيل والضرب بالسيف . هذا الجيش كان يطلق عليه «الامازون»وهو اسم النهر الذي خلد ذكر هذا الجيش الغريب من النساء .

ساهمت المراة العربية في القتال مساهمة فعلية فهي قد دخلت القتال وحملت السلاح وقادت الجيوش امثال خولة ونسيبه ونازك العابد وغيرهن . ولهذا كانت المراة تربى على هذه الحياة وتعيش على هذه التقاليد ، فهي لاتخشى موتا ولا عذابا ، بل تتصدى للرجال المقاتلين وكانها رجل ، وتنقض على صفوف الاعداء فلا تهابهم . وبالاضافة الى ذلك فقد اثارت المراة العربية الهمم ، وغرست في الرجال الصمود والشجاعة والاقدام . وهناك الامثلة الكثيرة على ذلك ، واشهرها ماقامت به نساء بكر يوم « تحلاق اللمم » فقد اقدمت ابنتا الفند الزماني على حسر خماريهما وتقدمتا نحو الفرسان وهما تنشدان :

وغى وغى وغى وغى   حسر الحرار والتظى

وملئت منه الربى   يا حبذا المحلوق بالضحى

كما قامت نسوة ينشدن نشيد الحماس وعلى راسهن « كرمة بنت ضلع » قائلات :

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق

مشي القطي البارق   المسك في المفارق ... الخ

وفي معركة بدر كانت نساء المشركين يضربن الطبول ويغنين خلف الرجال، ويبكين قتلى بدر لايقاد نار الثار في هذه المعركة ، وبهذا ثارت حمية الرجال فاندفعوا نحو الموت . وكانت هند بنت عتبة في مقدمة النساء تحضهم على القتال وتنشد :

وبها بني عبد الدار   ويها حماة الديار

ضربا بكل وتار

وهناك الاشعار والاقوال الحماسية الكثيرة ان المقاتل كان يخشى العار من ان يلحق به نتيجة فراره او تناقله او جبنه ، ولذلك تراه يقدم على القتال مخافة ان تعير به امه او اخته او زوجته او من يلوذ به من النساء .

المراة محور القصص الحربية ، ففي اغلب الحروب تبرز المـراة بدور مباشر او غير مباشر ، رئيسي او غير رئيسي ، فتجدها في ميدان القتال قائدة، كما تجدها جنديا من جنود القتال ، تقوي المعنويات كما تثبطها ، وتزرع الامل كما تزرع الياس . لقد احصى ابو الفرج الاصفهاني ايام العرب ووقائعها فوجد الفا وسبعمائة وقعة كانت المراة فيها عنصرا اساسيا . ففي حرب «منعج» بين قبيلتي غنى وبني عبس كان سببه اغتسال شاس بن زهير زعيم عبس في الماء عاريا امام زوجة احد افراد قبيلة غنى فكان الاقتتـال . وفي حرب « البسـوس » بين قبيلتي بكر وتغلب كان سببه ان البسوس قد شرد لضيفها ناقة دخلت مـع نياق كليب بن ربيعة من قبيلة تغلب فضربها بسهم اصابت ضرعها فانطلقت وهي تشخب دما ، ولما رات البسوس وهي من قبيلة بكـر صاحت : واذلاه واجاراه ، فسمعها ابن اختها الجساس بن مرة من قبيلة بكر فقال لخالته : اسكتي فاني سأقتص لك ، ثم قتل كليبا ودارت الحرب بين هاتين القبيلتين دامت اربعين عاما . وفي حرب وقع بين سليم وغطفان كان سببه ان معاوية بن عمر ابن الشريد السلمي اعجب بامراة من بني مرة فدعاها في سوق عكاظ فـأبت فثارت حمية قومها ووقع القتال بين القبيلتين . وفي حرب وقـع بين كنانـه وحلفائها وبين هوزان كان سببه ان تحرش فتية من قريش حلفاء بني كنانـة بامراة من هوازن فوقع حرب الفجـار . وفي الوقت الحـاضر تغيرت الصورة بعض الشيء فاصبح محور القصص الحربية هو الاقتصاد . صحيح ان المراة تشترك في الحروب وتكون سببها الا ان السبب يكون في اغلب الاحيان غـير مباشر ، اذ تتدخل المراة من خلف زوجها او ابنها او اخيها فتجعله يصمم على فكرة الحرب والدخول في جحيمها .

المراة والنضال الوطني والحروب الشعبية :

لقد اشتركت المراة في النضال الوطني والحروب الشعبية اشتراكا فعليا فحملت السـلاح ، وقاتلت مع المقاتلين ، وانضوت تحت فصـائل المقاومة ، وتراست المقاتلين ، وقادت الاضرابات ، ونظمت المظاهرات ، ووقفت وقفـة جريئة امام المستعمر ، واستخدمت قلمها وفكرهـا لتعبر عـن استنكارهـا وغضبتها ، وحمت المقاتلين من باس المستعمرين وخبائهم ، ونقلت لهم الطعام

والمؤن ، كما نقلت لهم الذخائر في جنح الليل وعلى ظهرها وراسها ، وسارت مئات الكيلو مترات لتوصل مهمتها الى المكان المناسب .. وكان للمراة دور كبير في انتصار الشعوب المناضلة . المراة العربية الفلسطينية والجزائرية والمصرية والسورية .. والمراة الفيتنامية والكوبية والكمبودية والكورية والافريقية .. كلهن قاتلن مع الرجل جنبا الى جنب في الغابات والادغال والمغاور والتسلل والانقضاض والانسحاب وغير ذلك .

بطولات المراة الفلسطينية جزء من بطولات المراة العربية التي ناضلت منذ فجر تاريخها ، وقدمت التضحيات في سبيل الدفاع عن الوطن والشرف والكرامة . برزت المراة الفلسطينية للنضال منذ عام ١٩٢٠ يوم كانت تظهر الاشمئزاز من الاستعمار البريطاني البغيض ، وقد أعدمت سلطات الانتداب عددا كبيرا من النسوة الفلسطينيات . كانت المراة تتلقى الموت بكل شجاعة واقدام ، بالاضافة الى تهوين الموت والعذاب على ابنها وأخيها وزوجها اذ كانت تحثهم على القتال ، وتحضهم على الموت في سبيل الوطن ، تزغرد يوم يأتيها نبأ موت اخيها ، وتفرح يوم يأتيها خبر استشهاد ابنها ، وتطرب يوم يأتيها خبر قتل زوجها ، وتنادي بأعلى صوتها ان اخرجوا ايها الغزاة والمحتلون . تتظاهر في الشوارع معبرة عن سخطها ، وتلقي الخطب منددة بالاستعمار والاحتلال وتقابل الغزاة وجها لوجه ، ويتساقط العدد الكبير من النسوة ، وتمتلىء السجون بهن ، حتى اذا كان عام ١٩٣٦ شمرت المراة عن ساقيها ، ولثمت وجهها ، وتمنطقت بالذخيرة ، وحملت السلاح ، وقاتلت مع الرجل قتالا فعليا. وفي عام ١٩٤٨ دخلت معترك النضال ، وقاتلت وقتلت ، ومن اهم النساء اللاتي شاركن في النضال فرقة النساء التي اطلقت على نفسها اسم « زهرة الاقحوان » ، وفرقة فاطمة ابو الهدى التي ضمت العديد من النسوة أشهرهن جميلة احمد وحلوة زيدان وجوليت نايف وعبلة شفق طه وشادية ابو غزالة. ان نضال المراة الفلسطينية تميز بما يلي :

١ ــ قاتلت المراة الفلسطينية مع الرجل جنبا الى جنب ، وكانت تخوض القتال وتشهد المعارك .

٢ ـ قامت بدور اداري مهم اذ كانت تسعف وتمرض وتداوي وتخيط الملابس ، وترافق المقاتلين لتحمل لهم الزاد والطعام ، ولتحضهم على القتال، ولتبارك فيهم الشجاع ، ولتدب فيهم روح النخوة ، ولتقوي في اوصالهم الروح المعنوية .

٣ ـ اسست جمعيات هدفها مواساة الايتام وابناء الشهداء ، وتقديم كل مايحتاجون اليه من رعاية وعطف وحنان ومواد غذائية ، وآخر مافكرت به المراة الفلسطينية اقامة مدينة لابناء الشهداء تكفل لهم التربية والتعليم.

٤ ـ تظاهرت ضد العدو ، وقامت في الشوارع معلنة سخطها وغضبها على المحتلين والغاصبين ، واعلنت استنكارها على اجراءات العدو التعسفية، فتعرضت لقاء ذلك الى الاعتقال والسجن ، ومن اهم النساء اللاتي اعتقلن : جميلة الرمحي ورندة النابلسي وسهام الوزي وزين عرفات والدكتورة هبه خياط ووداد ناصر الدين وسهام الجندي ، وكذلك تظاهرت ٣٠٠ سيدة في القدس احتجاجا على العرض العسكري الاسرائيلي ، وتظاهرت المراة في كل المدن الفلسطينية وسمع بها القاصي والداني ، واسمعت صوتها الى كل نساء العالم ، وايدتها الثورات التحررية في العالم ، فخرجت من الرقعة المحلية الى المكانة الدولية ، واشتركت في عدة مؤتمرات اهمها المؤتمر العالمي للمراة في عام ١٩٧٥ .

٥ ـ القت الخطب ووزعت المناشير وعملت في المقاومة السرية ، وقدمت الاحتجاجات المكتوبة والشفهية الى المسؤولين المحتلين وكان شعارها « كلنا فدائيون » و « لن نتزح ولن نستسلم للمحتلين » ..

٦ ـ اتخذت من بيتها ومقر عملها مكانا للتدريب على السلاح او مخزنا له ، او ماوى للمناضلين والمقاتلين .

٧ ـ قادت بعض فصائل المقاومة ، وكان لها دور قيادي في الساحة النضالية .

٨ ـ انشات الاطفال الصغار على حب المقاومة ، فكان الاطفال وهم في

سن مبكرة يدخلون ساحات النضال ، ويقاتلون قتال الابطال جنبا الى جنب مع الرجال ، ولا أدل على ذلك من موقف التلميذة منتهى الحوراني التي داست دبابات الاحتلال جسدها الغض .

٩ ـ تركز نضال المراة الفلسطينية بالاضافة الى نضالها العسكري على النواحي الثقافية والاجتماعيةوالسياسيةفكانت مضطرة لان تدافع عن وجودها، كما هي مضطرة لان تحمل مشعل الثقافة والتعليم .

١٠ ـ تشتت نضال المراة الفلسطينية اذ تفرقت في البلاد العربية والاجنبيه بحثا عن العمل وتفتيشا عن لقمة العيش . وبهذا التفرق ضاع القسم الاكبر من قوة المراة الفلسطينية ، وبدت عليها الصعوبة في جمع شمل هذه الاعداد الكبيرة المتفرقة ، ومع ذلك فهي تحاول جاهدة لان تجتمع من جديد . وتجتمع ولو في بقعة معينة ترتكز عليها ، فتكون هذه البقعة هي محور النضال والمنطلق للتحرير واعادة الارض المحتلة. ان الارض هي التي تعمل على ضم شمل النساء ، وتقوي فيهن روح العزيمة والنضال . ولم تكن المراة السورية باقل من اختها الفلسطينية في النضال . فهاهي عادلة بيهم الجزائري التي برزت كمناضلة في القطر العربي السوري ، واعطت درسا في تنظيم المقاومة السرية اثناء الانتداب ، والحرب العالمية الاولى . عندما تاسست جمعيات سرية للدفاع عن الوطن كانت هذه المراة اول من لبت هذه الدعوة . وقد كلفت بمهام عديدة نفذتها جميعا بكل بطولة واباء . وفي عام ١٩١٥ اسست جمعية يقظة الفتاة العربية التي كان من غايتها ايقاظ الوعي القومي العربي النسوي. وفي نهاية عام ١٩٢٠ طالبت « كرين » الاميركي الذي زار بيروت آنذاك على راس لجنة استفتائية باستقلال البلاد العربية ورفض الوصاية والحماية والانتداب . واشتركت في اغلب المظاهرات مطالبة بحقوق الشعب العربي . ثم كانت في اوائل الذين ثاروا في وجه الافرنسيين وكان لها اليد الطولى في الاستقلال . واشتركت في عام ١٩٢٨ بتاسيس جمعية دوحة الادب التي كان من غايتها ادخال العنصر النسائي في النضال الوطني . انتخبت رئيسة الاتحاد النسائي العربي السوري في عام ١٩٢٣ . كانت تعمل واخواتها بتامين كل مايلزم للمقاتلين . وفي عام ١٩٣٨ اثارت موضوع القضية الفلسطينية والخطر

الصهيوني على الامة العربية في اجتماع عقد في القاهرة بدعوة من السيدة هدى الشعراوي . وفي عام ١٩٥٤ دعت لمساعدة الجزائر ماديا ومعنويا ، وفي اسبوع التسليح للجزائر كانت عضوا في اللجنة المركزية العليا وفي اللجنة التنفيذية. وفي عام ١٩٥٦ طالبت المسؤولين في القطر العربي السوري باشراك المراة رسميا في النضال الوطني ، ولبي طلبها . واشتركت المراة في المقاومة الشعبية والدفاع المدني . وأثناء تأميم قناة السويس كانت اول من دعت الى جمع المال والتطوع من أجل نصرة القطر العربي المصري. ودعت الى الوحدة العربية التي اقيمت بين مصر وسوريا . ارتقت المجلس الوطني وكانت عضوا فيه في عام ١٩٦٦ . وفي عام ١٩٧٣ شاركت اليوبيل الذهبي لتأسيس الاتحاد النسائي المصري بالقاهرة. واشتهر العديد من النساء السوريات في النضال الوطني أمثال نازك العابد التي حكم عليها بالاعدام ، وزكية هنانو التي كانت تقود المتظاهرات ، وحبابة زوجة المناضل الكبير الشيخ صالح العلي حيث كانت تقاتل مع زوجها الذي كان يحمل بندقيته كرامي بينما تتولى هي تذخير البندقية الفارغة ، ثم كانت تجيد الرماية وتصيب الهدف ، وتلك الشهيرة « رندة » الملقبة بالفارس الملثم التي لم تشأ ان تتزوج الا بعد الانتصار على الغزاة ، واشتهرت « أم عبده » من دمشق التي كانت تحمل للثوار الاسلحة والقنابل في سلال الفواكه ، وفي جبل العرب اشتهرت من النساء « أم محمود » التي كانت تحمل لابنها الحجارة ، ولما استشهد خلفته وكانت تقول : « لم يمت ابني رخيصا وها أنا اعيش وقد اكتحلت عيناي بالحرية تعم وطني وقد حكمني من ابناء أمتي من يحس بالمي والحمد لله . » .

وهاهي زكية مرشد الحجي التي قاومت الاستعمار الفرنسي في القطر العربي السوري ، وقد تظاهرت ضد السلطات وطالبت بالاجلاء عن بلدها فاصابها وابل من رصاص العدو ، وبترت رجلها اليسرى ، وهاهي ايفيت خوري التي كانت تدافع عن لواء اسكندرون وعن عروبته . هي المراة السورية نفسها تتصدى للاحتلال الافرنسي في عام ١٩٥٤ وترغمه على الرحيل ، ومن أشهر النساء التي تصدت للاحتلال ثريا الحافظ التي ذاقت انواعا من التعذيب. وفي عام ١٩٤٨ دخلت المرأة السورية المقاومة وتدربت على حمل السلاح . وفي

عام ١٩٥٦ هبت للدفاع عن عروبة مصر أثناء العدوان الثلاثي عليها وفي عام ١٩٥٨ قامت تطالب بالوحدة بين مصر وسوريا . وفي عام ١٩٦٧ قامت تطالب بالتجنيد الاجباري والانخراط في الجيش . وفي عام ١٩٧٣ دافعت عن وطنها وكانت تقوم بالاسعافات ، وتطوعت نساء كثيرات للعمل في المشافي . تقول وداد سكاكيني : (١) « ولقد بقيت هذه الروح النسوية الحماسية قوية مفدية،تكمن في الاحياء الحديثة حينا ، وتظهر في الاحياء القديمة احيانا ، منسرحة من اعماق الميدان الى جنبات الشاغور ومن سفوح الصالحية الى عطفات السمانة والقيمرية ، وما من هبة مواتية او وثبة سانحة للرجال في هذا النضال الا كانت المراة فيها الروح التي لاتنام على ضيم ، ولا تستخذي لضعف او اضطهاد، تستوي في ذلك المتعلمة وغير المتعلمة لان الشعور الوطني لايعوزه الا قلب خفاق بحب الوطن ، ومؤمن بحقه وحريته والنضال من اجله وفي سبيله حتى الفداء.» وتقول : « واذا كتبت الصفحة الاخيرة من تاريخ النضال للاستقلال كان للسوريات الابيات يوم محفوف بالدم والنار ، استخفض فيه الخوف ،ورضين بالجراح حين تعرض للموت والخطر فكانت الفئة الاولى التي اسست الهلال الاحمر السوري اول من خف من نسوة الشام الى العون والفداء في سبيل الجلاء ، وفيهن فوج مغامر من اصيلات الوطنية والجهاد هن السيدات : اسماء خوري ، ثريا حافظ الريس ، فاطمة وفلك دياب ، سنية وبدرية أيوبي، سامية مدرس ، وحياة وسارة العظم ، وسواهن من المناضلات ، وفيهن السيدة الجليلة زهراء العابد . وما تزال المراة السورية على طوابعها الروحية وحماستها الوطنية لم تتخلف عن النضال في زمن الاحتلال أو في عهد الاستقلال متتبعة آثاره واطواره ، لم يتسرب اليها الوهن والضجر على الرغم من طول الجهاد والنضال، وبغتات الانقلاب بعد الاستقلال، فاذا فترت الاحداث والخطوب هدا النضال النسوي حينا ، وسرعان مايستجيب بغتة مستجيبا للحاجة والشعور . » .

---

(١) وداد سكاكيني في كتابها انصاف المراة ص ١٢ – ص ١٤ .



نازك العابد

شكلت نازك العابد السورية جمعية أطلقت عليها « جمعية نور الفيحاء » وذلك في عام ١٩١٨ ، ثم تراست جمعية النجمة الحمراء في عام ١٩٢٠ وكانت غاية هذه الجمعية مقاومة الانتداب الافرنسي ، والقيام بخدمة المستشفيات وأعمال التمريض والاسعاف ، ثم لما ارادت فرنسا ان تغزو دمشق برئاسة

الجنرال «غورو» قامت هذه الجمعية بأعضائها يرافقن الجيش في ميدان القتال برفقة وزير الدفاع آنئذ يوسف العظمة ليلاقين العدو على مشارف دمشق في ميسلون . كانت نازك العابد بلباسها العسكري تحث اخواتها من المقاتلات على الصبر والثبات اذ كانت برتبة نقيب في الجيش العربي السوري ، وقد حصلت على هذه الرتبة بموجب المرسوم رقم ١٦٧٢ تاريخ ١٩٢٠/٧/١٧ .
وها هي صورتها ببزتها العسكرية أثنـاء مرافقتها الجيش مع ثلة من اخواتها المقاتـلات .

لقد انخرطت المراة السورية في الحياة العسكرية ، ودخلت معترك النضال، وقاومت ضد المستعمر وقاتلت وقتلت . يصف الكتاب والمؤرخون عن معارك سورية ضد المستعمر الافرنسي كثيرا من النساء اللاتي استشهدن دفاعا عن الوطن . فهذا جميل علواني يصف في كتابه « نضال شعب وسجل خلود » معركة جبل الاربعين عام ١٩٢١ فيقول : « رغم تفوق القوات الفرنسية بعددها وسلاحها على سلاح الثوار الذي يقتصر على البندقية فقط ، فقد اصيبت بهزيمة منكرة ، وما كاد المساء يقترب حتى انسحبت من حيث أتت تاركة في ساحة المعركة سبعين قتيلا .. وكان لنساء الجبل الاشم في هذه المعركة القدح المعلى ، اذ اظهرن من الشجاعة والاستهانة برصاص الاعداء وقنابلهم ، ما يسجل لهن بمداد الفخر ، فكن يتنقلن في خطُوط القتـال بين صفوف المجاهدين ، يحمسنهم بأهازيجهن ، ويقدمن لهم الماء والعتاد ، وكان بين شهداء المجاهدين في هـذه المعركة المجاهد « ابو عدلة » من جبل الزاوية الذي كان مجرد اسمه يثير الهلع في الفرنسيين واعوانهم ، وكانت اخت هذا البطل الشهيد في مقدمة نساء الجبل اللواتي اتين على ذكر ما قمن به وما اظهرن من بطولة وفداء . واستشهد الكثير من النساء حتى بلغ خمسا وتسعين شهيدة . ولقد برهنت المراة المصرية ايضا على قدرتها على النضال والحروب الشعبية ، فقد عاصرت الثورات الوطنية ففي عام ١٩١٩ اقدمت على نسف الجسور والطرق ومواصلات العدو ، ومنعت وصول الامدادات المختلفة الى الجيش الانكليزي المحتل ، فسقط منهن شهيدات في هذه الحروب ومن اشهرهن : نعيمة عبد الحميد محمد من نفر الشوام وفاطمة محمود وحميدة سليمان من الفيوم ويمن صبيح من الشرقية وسيدة بدران من

قرية كفر الوزير وشقيقة محمد من القاهرة . وفي يوم ١٢ نيسان ١٩١٩ قام النساء في القاهرة بتشييع جثمان السيدات الشهيدات فتبعتهم رصاصات العدو وسقط منهن الكثيرات اشهرهن حميدة خليل من حي الجمالية .. وبهذا فقد اشتركت المراة المصرية في الحروب الشعبية والنضال الوطني اشتراكا فعليا واثبتت كفاءتها وقدرتها ، مما دفع العديد من الصحف ودور النشر والدول الصديقة والعدوة ان تعترف بحق المراة المقاتلة ، وان تكسب ثقة المجتمع المصري ، وان تكون على شفة الشعراء والكتاب امثال حافظ ابراهيم الذي قال في قصيدته المشهورة : ـ

خرج الغواني يحتجج ... ن ورحت أرقب جمعنه

فاذا بهن تخذن من ... سود الثياب شعارهنه

....

واذا بجيش مقبل ـ ... والخيل مطلقة الاعنه

واذا الجيوش سيوفها ... قد صوبت لنحورهنه

واذا المدافع والبناء ... دق والصوارم والاسنه

والخيل والفرسان قد ... ضربت نطاقا حولهنه

فتطاحن الجيشان سا ... عات تشيب لها الاجنه

وبهذا النضال تكون لدى المراة المصرية شعور بالمسؤولية ، واصبحت لها شخصية مستقلة ، طالبت باستقلال البلاد وطالبت بحياد قناة السويس وتصحيح حدود الدولة ، وتعديل قوانين الانتخاب وغير ذلك من الامور الدفاعية كتنظيم الجيش ووسائل النقل والمواصلات ، وحفظ سلامة البلاد ، وطالبت ايضا بتنمية الموارد الاقتصادية ، وساعدت في تهريب المسجونين ، وخطبت في التجمعات النسائية ، وبرز نشاطها في جميع الميادين .

نشطت المراة المصرية والسورية والاردنية في اعقاب العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ، وفي عام ١٩٦٧ ، وفي عام ١٩٧٣، فشاركت في الدفاع عن وطنها ، وكانت اهم اعمال المراة تتجلى في الانواع القتالية التالية :

١ ــ عملت كممرضة خلف الخطوط ، وفي المستشفيات ، وفي تقل المرضى والمصابين الى المستوصفات ، وضمدت للمقاتلين الجراح .

٢ ــ كانت تعمل كمحرض للمقاتلين ودافع معنوي لهم ، وبالرغم من ان المراة المصرية فقدت الولد او الاخ او الاب فقد اثبتت انها لا تقل عن الخنساء شجاعة وصبرا ، فكانت بور سعيد تضج بآلاف الاصوات من النساء مكبرات مهللات . .

٣ ــ حملت السلاح مع المقاتلين وقاتلت معهم ، واستشهد منهم العديد تحت انقاض المنازل في مدن القنــاة .

٤ ــ كانت تؤوي الفدائيين ، وتعمل على تضليل العدو .

٥ ــ كانت تسهل لهم اخفاء الذخائر والاسلحة والمعدات الحربيــة ، وتقوم بدور كبير في ايصال هذه الذخائر والاسلحة الى المقاتلين مستخدمة في ذلك اية وسيلة كانت ، وكثيرا ما كانت تحمل ذلك على راسها أو على ظهرها .

٦ ــ القسم الاكبر من النساء الريفيات والعاملات يقمن على حراثــة الارض ، ويشرفن على الانتاج ، ويقدمن للمقاتلين كل ما يلزمهم ، ويحللن محل الرجال في سقي الاراضي وزراعتها وجنيها .

٧ ــ مساعدة أسر الشهداء والجرحى والاسرى بكل ما يلزم من الناحيتين المادية والمعنوية .

لا شك ان المراة في كل اقطار العالم بدات تناضل وتدافع عن حقها ووطنها ، وتدخل معترك الحياة في كل جوانبها ، فقامت ثورات ، وتمرد النساء على الواقع البغيض . ففي البلدان المتخلفة نجد المراة تقاسي من الآلام والاضطهاد . ان المستعمر يقسم المشاريع الصناعية الى قوائم يعدونها استنادا الى معايير عرقية وجنسية ، فالمستعمرون من الرجال يحتلون رأس الهرم ويتسلمون الوظائف ذات الاهمية والتي تدر عليهم الاموال الطائلة ، في حين ان النساء الوطنيات يعملن في المهام الثانوية وذات الاجور الزهيدة ، وليست المراة في هذه البلدان الا لعبة . ولقاء هذا الوضع الشاذ اتخذت المراة اشكالا عديدة من

النضال ، ففي عام ١٩٢٩ نظمت النساء العربيات في فلسطين مؤتمراً طالبن فيه بتخفيف الاحكام على الجنح السياسية وتحظير توريد الاسلحة الى فلسطين . وفي الهند اعلنت النساء حركة العصيان عام ١٨٥٧ وقاومن بشجاعة احتلال العدو . وفي فيتنام قاومت المراة وكذلك المراة الكوبية والكمبودية . ان المستعمر قد وطد الفقر والجوع في البلد الذي يحل فيه ، وكان يستخدم النساء في المناجم ومصانع النسيج وكن يعانين من الاستغلال الاقتصادي . . دخلت المراة النضال لتتخلص من المستعمر ومن الآثار التي ترتبت على الاحتلال فنظمت صفوفها ، واسست الاحزاب الشيوعية والاشتراكية ، وانشات النوادي ، ودخلت الاتحاد النسائي ، واشتركت بتأسيس الجمعيات المختلفة ، وتضامنت مع نساء العالم ، واتصلت بالعالم الخارجي لتقوي نضالها وليسمع صوتها على مستوى العالم ، ومن الامور التي سلكتها المراة في النضال ايضا الدخول في جمعيات سرية منظمة ، كانت المراة من خلال هذه المنظمة تقوم بنقل المعلومات الى المقاتلين الوطنيين وتبلغهم عن تحركات العدو ، وقد لعبت المراة دورا مهما في هذا المجال .

الاصل في المراة ان تدافع عن وطنها كما يدافع الرجل . ان حق الدفاع حق غريزي لدى الرجل والمراة على السواء ، ومادام الغرض من الدفاع هو درء الخطر فان المراة تقوم بقسط منه في حدود طاقتها وجهدها . يتناول موضوع الدفاع والانخراط في تشكيلات نظامية ، أو شبه نظامية ، ان الضرورة تبيح للمراة ان تعمل في الاعمال الادارية والقتالية على السواء ، فهي قد دخلت القوات المسلحة على شكل تجنيد اجباري او على شكل تطويع او على شكل « مليشيا شعبية » . وفي كل الاحوال فان المراة قد مارست معظم اعمالها العسكرية في التمريض والاسعاف والتموين ، والعمل في المكاتب ، واعمال الدفاع المدني ، واعمال الخياطة وغيرها . .

ان العامل الحاسم في الحروب الشعبية هو الانسان الذي يتالف من الذكر والانثى ، تشكل الانثى نصف الانسان ، ومادامت تشكل هذه النسبة فانه من السفاهة أن تضيع هذه الطاقة التي تكمل الجانب الآخر من طاقة الرجل .

ان الاهمال لهذه الطاقة سوف يجرنا الى الانكسار والى التلاشي امام عدو عبأ جميع امكانياته البشرية ونظمها يقول « ماوتسي تونغ » : « ان السلاح عامل مهم في الحرب لكنه ليس عاملا حاسما ، فالعامل الحاسم في الحرب هو الانسان « المادة » والحرب الشعبية تعتمد على القوة البشرية ، وعلى الاستفادة من كل الطاقات كبيرها وصغيرها ، ومادامت المراة تشكل نصف الطاقة البشرية فانها تساهم مساهمة فعالة في هذه الحرب التي لا تتطلب من المراة الا ان تقدم طاقتها وجهدها . » وفعلا فقد اثبتت المراة الفيتنامية قدرتها على تحرير اراضيها باشتراكها في الحرب الشعبية ، وكذلك اثبتت المراة العربية الجزائرية والفلسطينية جدارتها بهذه الحروب فاشتركت المراة فيها اشتراكا فعليا ، فكانت تحمل الرشاش ، وتنتقل بين الجبال ، وتقود الجند لساحة القتال ، وتؤوي المقاتلين ، وتنقل الطعام ، وتداوي المرضى . فها هي حلوة زيدان الفلسطينية التي قتلت في عام ١٩٤٨ في معركة دير ياسين ، وذلك عندما تناولت البندقية من ولدها وهجمت على الاعداء الصهاينة الذين دمروا القرية وقتلوا أهلها ، وبينما كانت تهاجم العدو ببندقيتها اذ اصابتها عدة رصاصات ، فخرت صريعة الواجب والتحرير ، وتلك حياة البلبيسي التي قتلت ايضا في هذه المعركة ، وذلك بأن مزقت غطاء راسها لتربط به ساق رجل مصاب ، ولما راى العدو ذلك اطلق عليها النار فارداها . وتلك فاطمة خليل غزال التي قتلت في عام ١٩٣٦ ابان الثورة الكبرى ، وتلك نساء كثيرات غيرهن ..

للمرأة عفتها وكرامتها وصلابتها وصمودها ، فهي ان ربيت على عدم الخوف من الموت او الشدائد ، كانت اشد فتكا من الرجل ، واقوى جاشا ، واثبت صمودا . تلك « ضمرة بنت جابر » التي وقفت امام « عمرو بن هند » بكل قوة ورباطة جاش عندما قدم ليثأر لاخيه « سعد بن هند » الذي قتلوه قوم ضمرة ورباطة جاش عندما قدم ليثأر لاخيه « سعد بن هند » الذي قتله قوم ضمرة فظنها أعجمية لحمرتها فقال لها : اني لاحسبك أعجمية فاجابته بعنف وكبرياء : لا والذي أساله ان يخفض جناحك ويهد عمادك ، ويضع وسادك ، ويسلبك

---

١ ـ الدكتورة ليلى صباغ في كتابها المرأة في التاريخ العربي ص ٢٤٥

بلادك ، ما انا باعجمية . قال : فمن انت ؟ قالت متفاخرة : انا بنت ضمرة ابن جابر ساد معدا كابرا عن كابر ، وانا اخت ضمرة بنت ضمرة . قال : فمن زوجك ؟ قالت : « هوذه بن جرول » قال : واين هو الآن ؟ اما تعرفين مكانه ؟ قالت بعنفوان واستهزاء : هذه كلمة احمق . لو كنت أعلم مكانه حال بيني وبينك قال : واي رجل هو ؟ قالت : هذه احمق من الاولى . اعن هوذه يُسال ؟ هو والله طيب العرق ، سمين العَرق ، لا ينام ليلة يخاف ، ولا يشبع ليلة يضاف ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد . فقال عمرو : اما والله لولا اني اخاف ان تلدي مثل ابيك واخيك وزوجك لا ستبقيتك فقالت : انت والله لا تقتل الا نساء اعاليها ثدي واسافلها دمي . والله ما ادركت ثارا ولا محوت عارا ، وما من فعلت به بغافل عنك . ومع اليوم غد . فامر باحراقها . »

قتال المراة بين الحاضر والماضي

القتال في الازمنة الغابرة يحتاج الى قوة عضلية ، وبنية قوية ، واحتمال كبير على المشاق وقطع المسافات البعيدة التي يتحملها المقاتلون مشيا على الاقدام او امتطاء لدابة . واذا مشى على قدميه او امتطى دابته فانه يحمل معه عدة القتال والادوات الاخرى التي تعينه على متابعة القتال ، وكان المقاتل ينوء بهذه الاحمال حتى اذا بدا للمعركة بدا متثاقلا ، فالمقاتل في تلك الازمنة يحتاج الى قوة يستطيع بها ان يتحمل ما يتحمل ، وهذا لا يتوفر الا في الرجال وقليل من النساء . اما في الوقت الحاضر فقد تغيرت المفاهيم القتالية ، والتكتيكيات والاعتدة ، وتطور السلاح بحيث تستطيع المراة ان تؤدي دورها كاملا في ساحة المعركة ، وعلى جميع الاصعدة القتالية . ومن هنا يتضح لنا ما يلي :ـ

١ ـ المراة التي تستطيع القتال وتتحمله هي امراة تستطيع ان تخوض الحرب كما يخوضها الرجل ، اذ يجب ان تكون لديها البنية القوية ، والقوة العضلية ، وقوة الاحتمال على مكاره الحرب والشدائد .

٢ ـ المراة التي تستطيع حمل الميزات النفسية كالشجاعة والاقدام في ساحة الوغى لهي امراة قادرة على ان تبرز في الاعمال القتالية ، وان تكون مع الرجال ، وفي مستواهم القتالي .

٣ ــ ان اهم ما يميز القادة في القتال هو اعطاء القرار ، واصدار الاوامر القتالية في جو المعركة المتبـدل ، وفي ضباب الحيرة ، وبين الاشلاء المتناثرة . ودوي القنابل والقذوفات المختلفة ، فالمراة التي تكون لديها صفات القيادة في مثل هذه الحالات هي امراة قادرة على القيـادة ، مثلها في ذلك مثل الرجال . وقد ذكر التاريخ الاعداد الكثيرة من النسـاء اللاتي خضن الحرب وقدن المعركة مثل اليزابيت في انكلترا ، وكاترين في روسيا ، وخولة بنت الازور في الوطـن العربي ، وزنوبيا في تدمر . .

٤ ــ تطور فن الحرب ، وتطورت اساليب القتال ، وتطـورت الاعتـدة والادوات القتالية . وبهذا التطور تغيرت متطلبات القتال : فاصبح يعتمد في الوقت الحاضر على الخفة والحركة بدلا من الاعتماد على المشقة والصعوبة فيما مضى ، واصبح يعتمد علـى الازرار والمفاتيح بدلامن ان يعتمد على ادوات القتال التي تحتاج لجهد فعلي وقوة بدنيـة . وبهذا فان المراة اصبحت قادرة بفضل خفتها وحركتها ودقتها في استخدام هذه المفاتيح ان تخوض الاعمال القتالية بكل كفاءة وجدارة . حقا ان التطوير التكنولوجي كان لصالح المراة فيما يتعلق بالاعمال القتالية .

٥ ــ لقد ثبت لبعض العلماء والمحققين ان المراة هي اصبر من الرجـل على المكارة ، واصبر منه على الالم لما تعودته من آلام الحمل والولادة ولما تحملته من اضطهاد في العصور الغابرة . وبهذه الميزة تستطيع المراة في القتال الحديث، وفي الحروب الحديثة ان يكون لها دور كبير وايجابي .

٦ ــ ولكن الذي يلفت النظر في المراة قديما وحديثا في الحروب القديمـة وفي الحروب الحديثة انها اختصت بالجانب الاداري في القتال اكثر من تصديها المباشر للمقاتلين ، فهي قد اتصفت بصفات تؤهلها لان تكون من عناصر الشؤون الادارية ومن عناصر المؤخرة . فهي قد عملت في مواسـاة الجرحى وتطبيبهم ، وهي التي مدت الجنود بالتموينات المختلفة وبالامدادات المتنوعة ، وهي التي حملت الى المقاتلين جرار المياه وسلال الخبز ، وانواع الطعام الى مسـافات بعيدة وهي بالاضـافة الى ذلك فقد حلت محل الرجال في المصانع والمعامل يوم سيق

الرجال الى جبهات القتال في الحربين العالميتين ، وهي التي عملت في الدفاع المدني في جميع فروعه .

٧ ـ لقد تميز العصر الحديث بالقسوة والفظاظة ، وحمل في طياته الضغائن والاحقاد . تطور فن القتال وتنوعت وسائله ، وقويت آلاته شدة ودمارا ومذابحا فها هي القنابل النووية التي تكاد تصبح ملك كل دولة من دول العالم ، وهذه الوسائل الكيميائية والجرثومية تنتشر في العالم وتتكدس في الدول الكبرى ، وهذه الاموال الطائلة ترصد لتنفق على الدراسات والابحاث بغية زيادة قوة وفعالية الاسلحة التدميرية الفتاكة . فويل للعالم اذا اقدم على حرب ثالثة ، وويل للدول التي تمعن في قتل الناس وتشريدهم والاستيلاء على أموالهم واراضيهم ، وبل لكل من يدرك الخطورة ثم لا يتقيها .. ما دام العصر الحديث قد تميز بهذا ، فما علينا الا ان نجد من الاسباب ما يخفف القسوة ، ويقف امام الحروب المتأججة ، واللظى المنتشر ، وليس اقدر من المراة ان تقف بعطفها ومعونتها ورحمتها وبرها امام هذه الفظاعة فتجعل منها مودة ورحمة لتقدم للانسانية ثمرات السلام ، وشجرات العطف والحنان . فالانسانية تنتظر من المراة ان تمد لها يد العون فهي تستغيث بها لتجنبها ويلات الحروب والتنازع والخصام ، انمهمة المراة مهمة انسانية ، وهذه المهمة تعتبر من اقدس المهمات، وانبل الاعمال .

٨ ـ ان الضرورة تبيح للمراة ان تقاتل في صفوف المقاتلين ، وقد ضربت المراة في القتال اروع الامثلة ، واقدس التضحيات ،وان الضرورة تبيح للمراة ايضا ان تقاتل وتعمل لخدمة المعركة في الشؤون الادارية ، وفي مؤخرة البلاد ، وفي الوظائف الادارية المختلفة ، وقد برعت المراة في مثل هذه الاعمال ، بل بلت الكثير من الرجال . ولكن الانسانية تواقة الى المراة وعملها ، والى عطفها وحنانها والى مواساتها وتمريضها ، والى مودتها ورحمتها . اليك ايتها المراة يا رمز كل المعاني الانسانية كل تقدير واحترام .

ان الشؤون الادارية هي جزء كبير من الاعمال الانسانية ، فهي تختص بالتمريض والمواساة والامداد والاطعام والاكساء ومساعدة المنكوبين وانقاذ

الجنود من بؤسهم وشقائهم ، ومساعدة عائلاتهم واطفالهم . فالانسانية هي العنوان الكبير وهي الاصل الذي تختص به المراة ، والشؤون الادارية هي الفرع الذي تعمل في مجاله المراة وتخصه كل عنايتها وعطفها ، وتعطيه كل وقتها وامكانياتها . ان الانسانية والشؤون الادارية توامان لولادة المراة .

ما اعذب رحمة الامومة فانها مصدر الانسانية عند المراة ، وما اعظم حماس الام عندما تقذف بابنائها الى ساحة الوغى وهي راضية ، وما اشد حزنها عندما تفقد وليدها . هذه المعاني الانسانية تتجسد في المراة فنراها بين رحمة وحماسة وحزن ، ولكن الغالب في هذه الصفات هي صفات الرحمة ، فهي لرحمها ابر ، وهي لولدها ارحم .

آثار الحروب على المراة

للحروب آثار عديدة على المراة اهمها

١ ـ اطلاق حرية العمل اذ نراها هجرت البيت والتحقت في المعامل والمصانع لتقوم بدور الرجل الذي سيق الى الجبهات القتالية ، والتحقت في المزارع لجني المحاصيل الزراعية ، وقادت القطارات والمركبات المعباة بمستخرجات المناجم ، ونضدت الحمولات المعدة للجنود في مركبات النقل ، ونزلت الى المنجم لتستخرج المواد الاولية من انفاق الارض ، وهي مهمة صعبة حتى على الرجال ، ودخلت مصانع الطائرات والدبابات والادوات الالكترونية الدقيقة ، ومصانع الذخيرة بانواعها ، واشتغلت في صناعة النسيج والمهمات ، وكل ما تستلزمه المعركة على المستويين الاقتصادي والحربي ، وانضوت في سلك الشرطة العسكرية والمدنية مثل المراة الانكليزية ، واستلمت احد اقسام المؤخرة في القوات المسلحة ، ومارست كل الاعمال المدنية والعسكرية . وبذلك اتيح للمراة ان تمارس جميع الاعمال ، وان تنطلق في مجال العمل لتبرهن على انها قادرة على العمل ، وعلى استيعاب ظروف التطور والمتغيرات الجديدة .

٢ ـ قدمت المراة التضحيات العديدة . فهي محاربة في ساحة الوغى ، ومديرة في معمل او مصنع ، هي عاملة في المصانع ، ومزارعة في الحقول ،

وهي سائقة لقطار ، وادارية في فروع ومكاتب المؤخرة . فقد اثبتت جدارتها بكل ما أوكل اليها ، وتبرز تضحياتها عندما كانت تقوم بخدمة المعركة اقتصاديا او حربيا او اداريا او تنظيميا . فكانت على المستوى الاداري تقوم بالتمريض والاسعاف ، ونقل المؤن والذخائر ، وتصليح الطرقات ، ونقل البريد ،واجراء الاتصالات السلكية واللاسلكية . . اما على المستوى الحربي فكانت تقاتل بالطائرة والسفينة والدبابة . والكثير من النسوة قاتلن قتال الرجال في جبهات القتال ، وساهمت المراة بدور فعال في حروب التحرير والنضال والمقاومة والاعمال السرية بالرغم من خطورة هذه الاعمال . . اما على المستوى الاقتصادي فكانت تعمل في المعامل والمصانع اذ كانت تشكل نسبة ٧٥٪ ابان الحروب ، وفي عام ١٩٦٠ كانت نسبة ٥١ بالمئة ، وبعد عام ١٩٦١ نقصت النسبة الى حوالي ٤٥٪ من مجموع اليد العاملة .

٣ ــ ان الخسارة التي حصلت في الرجال كانت كبيرة مما سبب نقصا في الرجال وازديادا في النساء ، الامر الذي دعا المراة لان تدخل ميدان العمل من جميع ابوابه لتشارك الرجل في البناء واعادة الوضع الى ما كان عليه قبل الحروب . ففي فرنسا بلغت نسبة النساء الى الرجال ــ ٥٠ ــ انثى بجانب ــ ١٠ ــ ذكور بعد الحرب العالمية الاولى . وهذا الوضع لوحده احدث تبدلا كبيرا في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

٤ ــ حصلت المراة نتيجة الحروب على حق التصويت ، وعدلت القوانين على اساس ذلك فكان هذا الحق مكسبا سياسيا وملأت الشواغر في الوظائف الحكومية فنالت بذلك حقا كانت تنادي به من قبل « المساواة مع الرجل » . ان الحرب كانت الخطوة الاولى جعلت المراة تثبت قدمها لتطالب بعدئذ بحقوقها فقد اسرعت روسيا عام ١٩١٧ الى الغاء الزواج الديني والغاء النظامالبورجوازي واعطاء المراة حقوقها الاجتماعية . .

٥ ــ اشتركت المراة اشتراكا فعليا في الامور العسكرية ، وارتدت البلة العسكرية ، وانتظمت مع صفوف المقاتلين ، وابلت بلاء حسنا في حروب التحرير ،

وفي الحروب السرية ، وكان لها دور عظيم في الاستخبارات ، والحقيقة انها بلت الرجل في هذا النوع من الحروب .

ومما لا شك فيه ان المراة قد اصابها القتل والتدمير مثل ما أصاب الرجل تماما ، فالطائرات والصواريخ التي تدمر المدن لا تفرق بين رجل وامراة ، بل على العكس فان ما يصيب المراة في هذه الحالة من خسائر هي أعظم بكثير مما يصيب الرجل لان الرجل لديه وسائط الوقاية والحماية من بعض الاسلحة يستطيع بها حماية نفسه سيما اذا كان في موضع دفاعي حيث تتوفر لديه ملابس الوقاية والملاجىء المهواة والمصفاة ، بينما لا يتوفر للمراة مثل هذه الحماية في المؤخرات وفي بيوتات السكن وفي أمكنة اقامتها في المصانع والمعامل والمزارع والحقول .

* * *

الفَصْل الثّامِنْ

مكانـة المـــراة

لقد اختلفت مكانة المراة بين امة وامة ، وبين عصر وعصر . وبين مكان ومكان . ان الامة المصرية القديمة كانت تعظم المراة وتعطيها دورا رئيسيا في الحياة فكان ينسب اليها الابناء ، وكانت منهن الملكة والالهة والقائدة والحاكمة . وان الامة البابلية كانت ارحم الامم في زمانهم بالمراة اذ كانت « عشتار » هي التي طلبت « جلجامش » ليكون لها زوجا ، الا ان الطلاق كان بيد الرجل وله ان يتزوج باكثر من واحدة ، ويميزون الزوجة الاولى على سائر الزوجات وعليهن تقديم الولاء للزوجة الاولى وغسل قدميها والقيام على خدمتها . وقد دلت الآثار عن مدارس لتعليم البنات وصلت حتى مستوى التعليم الجامعي ، كما دلت الآثار ايضا على رفعة مكانة المراة في حاشية الملك . واما الامة العربية فكانت المراة محترمة الا من بعض القبائل التي كانت تئد البنات في العصر الجاهلي ، وتغير هذا المفهوم في العصر الاسلامي فانقذ البنات من الواد وامر برحمتهن وورثهن وحرر رقابهن ، وقد شرع للمراة حق التعليم والحق السياسي والحق الاجتماعي وغيره .

لقد كانت العصور القديمة بصورة عامة تمتهن المراة ، فالمراة في العهد الروماني مثلا كانت لا شيء . فالكاهن هو الذي براس العبادات ومن عنده تصدر ، وهو المرجع الوحيد ، والرجل له الحق في تربية اولاده او رفضهم او طردهم ، وليس للمراة ان تعترض على ذلك ، او ليس لها الحق في ان تقوم بتربية اولادها ، والرجل يقوم على بيع الاولاد امام المحاكم ، وهو الذي يزوجهم، وبالاضافة الى ذلك فان الرجل كان يحكم بالموت على زوجه لامور بسيطة ، ويتصرف بها كما يتصرف في متاع . المراة في العصر الروماني قاصرة ليس لها الحق في ان ترث او تكون وصية على اولادها او بيتها وكانت المراة الفرنسية القديمة محرومة من كل شيء حتى من التعليم حيث يقتصر تعليمها على الرقص والغناء . وكانت المراة في العصر الجاهلي لا تعد شيئا ثم الى العصر الاسلامي فاعتبر الخيار الذين يكونون خيارا لنسائهم .

لا تزال بعض الاقوام منتشرة في الارض حتى الآن في افريقيا ، المراة منهم هي التي تختار الرجل والرجل لا يستطيع ان يرفضها ، وهي فوق ذلك فانها ان

لم تنجب منه طفلاً خلال السنة الاولى من علاقتهما تطرده وتتزوج رجلاً غيره .

مكانـة المراة العربية في جاهليتها واسلامها :

المراة العربية في جاهليتها : يقول ابو الفرج الاصفهاني في كتابه الاغاني : « والبدويات منهن حين يطلقن ازواجهن يحولن اخيامهن ان كانت الى الشرق فالى الغرب او كانت الى الجنوب فالى الشمال » . وتقـول الدكتورة نوال السعداوي: «وقراءة تاريخ العرب ابان العصر الجاهلي تقودنا الى انندرك ان العبيد والاماء (الرقيق) كانوا قوام الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت وانهم كونوا من كثرتهم طبقة اجتماعية كبيرة وكانت الاماء العبيد من النساء يستخدمن بواسطة مالكهن في الخدمة بالبيت والطهي وجمع الحطب والغناء والرقص واشباع رغبات الرجل الجنسية ايضا ، وفي بعض الاحيان كان المالك يشغلهن بالبغاء من اجل كسب المال من ورائهن » .

المراة في العصر الجاهلي ، وفي بعض القبائل العربية كانت تتمتع بقسط كبير من حريتها . الخنساء ابت ان تساق او تزف الى دريد بن الصمـة ، وهند بنت عتبة رفضت زواج سهيل بن عمر وآثرت ابا سفيان ، ورفضت بنت علقمة الطائي الحارث بن سليل الاسدي من سادات العرب حين خيروهـا . الزواج عند المراة في الجاهلية شيء يتمثل فيه كل معاني الرجولة والشجاعة والكرم ، فهذا أوس بن حارثة وحاتم بن عبدالله الطائيان ذهبا في خطبة ماوية ابنة عفزر فقالت لهما : ليصف كل انسان منكما نفسه فوصفا لها فاختارت حاتم لكرمه وقرب حسبه . وكانت المراة تدعو الخطاب فتسالهم عن مسائل فان هم اجابوا اختارت من كان جوابه ملائما لما في نفسها . ويقال ان احدى بنات بني كنانه دعت ثلاثة رجال وسالتهم على انفراد وقالت : ان نفسي تحدثني انخيلا تغير على الحي فكيف ان زوجتك نفسي فوقع اختيارها على ربيعة بن مكدم وزوجته نفسها . اذا كان الزواج بيد المراة في الجاهلية فان الطلاق كان بيدها ولها الحق في ذلك فهاهي ماوية بنت عفز تطلق زوجها حاتما حين ذهب كرمه المفرط بالبلغة ، وكانت تصرح بالطلاق او تلمح به باشارات او اعمال فاما ان تغير وجهة خيمتها ، او تمتنع عن صنع الطعام للزوج او تغلق دونه الباب .

بعض النساء كانت تشترط على الزوج الزواج والطلاق ، وبهما ان يكون بيدها ، فهاهي عائشة بنت يحيى بنت يعمر الخارجية خطبها محمد بن بشير فأبت ان تتزوجه الا ان يقيم معها بالبصرة وشرطت عليه ان يكون بيدها الطلاق والفراق ، وتكلم محمد مع ابيها فقال له : انها امراة برزة عاقلة ولا يفتات على مثلها بأمرها وما عنك من رغبة ولكنها امراة في خلقها شدة . فأبت عائشة ان تنزل على راي زوجها او ابيها وترك لها ابوها الحرية في الزواج ...

قدروا المراة فكان الرجال يدعون لامهاتهم كالمنذر بن ماء السماء، وعمرو بن هند ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاذ بن عفراء . وكانت بعض القبائل العربية تسمى بأسماء مؤنثة كجديلة ومزينة وخندق وعفراء وغيرها . وكانت الالهة تسمى بأسماء انثوية . وكذلك المعلقات والقصائد كانت تفتتح بالتغزل بالانثى ، والاخ يدعى باخته فيقال : انا اخوك يا فلانة اذا كانوا يفاخرون بأمهم واختهم وقبيلتهم وعشيرتهم . كان العرب يطلقون على المراة اذا انجبت اطفالا بالمنجبة . وكان الاطفال يلقبون بامهم واشتهر منهن فاطمة بنت الخرشب وخبيثة بنت رباح الغنوية وعاتكة بنت هلال السلمية وريحانة بنت معد يكرب . كان المراة هي التي تسمي وليدها وتقوم بتربيته وتعده للقتال والمفاخر فكانت تسمياتهن لاولادهن تدل على القوة والانفة والشجاعة (حرب ، صخر ، علقمة ، اسد ، حنظلة) ويروى ان اسماء بنت دريم مر بهـا وائل بن قاسط فنظر اليها نظرة سيئة فقالت : اذهب والا استصرخت عليك اسبعي فقال : ما في هذا الوادي من السباع . فرفعت صوتها : يا كلب ، يا ذئب ، يا فهد ، يا دب ، يا سرحان، يا اسد ، فجاء بنوها يقولون ما خبرك يا اماه) قالت : ضيفكم فاكرموه فذبحوا له واطعموه فذهب متعجبا . وسمي ذلك الوادي حتى اليوم بوادي السباع . ومن اجل هذا كانت الام مثالية في احترامها لولدها وفي تنشئته على القيم والاخلاق ، وعلى هذا فان الابن يبقى مرتبطا بامه ويقابلها العطف بالعطف والحنان بالحنان فكان ياخذ برايها ويقتحم المصاعب من اجلها ومن اجل القيم التي علمته اياها .

كان للبنت راي ومشورة في امر تزويجها ، فهذا اوس بن حارثة يستشير

بناته في الحارث بن عوف عندما أتى خاطبا ، فقد استشار واحدة واحدة أنتهى بتزويج ابنته الثالثة بهية ، وتبتدىء تلك العلاقة بين البنت والاب عندما يقف بجانبها يدافع عنها بكل عطف ابوي ، وهذا عتبة بن ربيعة يدافع عن ابنته هند عندما اتهمت بالفحشاء ويقف بجانبها اثناء المحنة . ثم اذا طلقت الابنة كان الوالد يكرمها ويضم الاولاد الى عشيرته ، غير ان معظم القبائل العربية كانت تحتقر المراة وتمنعها من مزاولة حقوقها وحرياتها . كان النظام القبلي هو السائد والقبيلة تضم وتربط الاقارب برباط الدم او برباط الولاء (ورباط الولاء هو ان يتحالف شحص مع آخر على النصر) وكان المتحالف يرث كما يرث الاقارب فكان له سدس الميراث من حليفه . ان رئيس القبيلة او العشيرة هو الذي يختار من بين الرجال ليراس وليدير شؤون القبيلة بمؤهلاته الفطرية التي يمتاز بها عن غيره من افراد القبيلة ، وكانت المراة تخضع في العصر الجاهلي الى : ــ

آ ــ رئيس القبيلة الذي كان من الذكور حيث كان يتولى تطبيق الحقوق العامة المتعارف عليها ضمن القبيلة .

ب ــ ابيها او اخيها او عمها قبل الزواج .

حـ ــ زوجها بعد الزواج وذلك بما يشبه السيادة في القانون الروماني، وكانت المراة تعتبر من الاموال او الامتعة يرثها من بعد زوجها(١) ابنها وله ان يتزوجها او يزوجها غيره او يمنعها عن الزواج ، والمراة في العصر الجاهلي كانت تتمتع ببعض الحقوق الشخصية والمالية ، وبصورة غالبة انها كانتمحرومة من الميراث اذ ان الميراث ينتقل الى الذكور ومقصورا عليهم وعلى المقاتلين ، وممنوعا على النساء والصغار وكانوا يقولون : كل ما لم يقاتل على ظهور الخيل ويحوز الغنائم فليس له اي حق من حقوق الميراث. لقد وصل الامر في بعض القبائل الى واد البنات . وكان الرجل يجمع زوجات متعددة وله الحق في تطليق بعضهن او كلهن او يراجع احداهن او يطلقهن لاجل محدود ، وكان زواج المتعة

١ ــ يتزوج المراة بعد موت زوجها الابن الاكبر وكان يسمى هذا الزواج بزواج المقت .

ساريا بين القبائل ، وهكذا فان نظام الزواج والطلاق في العصر الجاهلي مباح لا تحده حدود ولا تضبطه قوانين او اعراف .

لقد جاء الاسلام فخلص المراة من العثرات ومن الصفات الذميمة ، وابقى لها المكرمات ، ويقول الاستاذ اسماعيل مظهر في كتابه المراة في عصر الديموقراطية «(١) لقد كانت المراة في شريعة الجاهلية « شيئا » لا « كائنا بشريا » . كانت تقتل خشية الاملاق وكانت تورث مع ما يورث من المتاع والحطام ، لم يعترف بأن لها عقلا او شعورا او كينونة مستقلة تمثل ارادة قائمة بذاتها ، فمحى الاسلام ذلك بشرائعه الرائعة . ولكن ما اثبت الاسلام للمراة من الحقوق لم يعترف بها البغاة الذين ورثوا جاهلية القرون الاولى . لقد اتجروا بالنساء بيعا وشراء واستغلالا ، وحرموهن حق التمتع بما يملكن من حطام الدنيا عقارا كان او مالا ، وردوهن شيئا من الاشياء . لقد اغروهن على الفسق والفجور ، واسترقوهن واستعبدوهن ، فانتزعن انتزاعا من احضان الاب والام والاسرة ليكن خادمات او سراري او حظيات او مومسات ، وبعن في الاسواق بيع السوائم او الاشياء . وتقول لجنة الدراسات المركزية في الاتحاد النسائي السوري (٢)« وابى الاسلام الا ان يكفل لها حسن المودة كما كفل لها حسن المعاملة ؛ وان يوسع لها من حقوق البر والعطف كما وسع لها في حكم الشريعة فأوصى المسلمين ان يستقبلوا ولادتها بالرضى ، وزجر الذين يستقبلونها على غيظ « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب ، الا ساء مايحكمون » . انقذ الاسلام البنات من الواد ، وامر برحمتهن فهذه امامه بنت أبي العاص تركب على عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فاذا ركع وضعها واذا رفع رفعها . وحرر الرقاب ، وورث البنات فالمراة قسيمة الرجل ، كانت تجلس مجالس العلماء وتستمع وتتحدث . وقد شرع لهن المبايعة ، والحقوق السياسية ، والتعليم ،

---

١ ـ كتاب المراة في عصر الديموقراطية ص ١١٥

٢ ـ نساء من التاريخ ص ٧

ووجوب مساعدتهن في البيت ، وقد سئلت عائشة عما كان يعمل النبي محمد صلى الله عليه وسلم في بيته فقالت : كان في مهنة اهله حتى يخرج الى الصلاة . وكذلك كانت المرأة تساعد الرجل في أمور حياته فها هي فاطمة بنت رسول الله تقوم بالطحن والعجين وعلي زوجها يقوم بتحضير الماء وتهيئة . وها هي امية بنت قيس الغفارية التي اتت الرسول في نسوة من بني غفار وطلبت منه أن يخرجن معه الى الحرب في غزوة خيبر . لقد قال الرسول : « استوصوا بالنساء خيرا » وقد فصم عقد زواج الخنساء بنت خدام الانصارية لانها كانت مكرهة على ذلك . قالت : « ان ابي زوجني من ابن اخيه وانا لذلك كارهة فقال صلى الله عليه وسلم اجيزي ما صنع ابوك فقلت : ما لي رغبة فيما صنع ابي فقال : اذهبي فلا نكاح له انكحي من شئت فقالت : اجزت ما صنع ابي ولكني أردت أن يعلم الناس ان ليس للآباء من امور بناتهم شيء ، ولم ينكر عليه الصلاة والسلام مقالتها » .

الشؤون الاجتماعية والسياسية في الاسلام مصانة ، يقول عبد الله عفيفي : (١)« وكان عبد الله بن جعفر قد زوج ابنته من الحجاج بن يوسف على كره منها لانه ليس في شيء من سناء نسبها ولا كرم سجاياها ، وما حمله على ذلك الا ضيق ذات يده ، والف الف درهم حملت مهرا اليه . فلما زفت نظر الحجاج الى عبرتها تجول في عينها فقال : بأبي انت وامي مم تبكين ؟ فقالت : ابكي من شرف اتضع ، ومن ضعة شرفت . حتى اذا علم عبد الملك بن مروان بأمرها كتب الى الحجاج بطلاقها فقال لها : ان امير المؤمنين كتب الي بطلاقك فقالت : هو والله ابر بي ممن زوجنيك » . ويقول منير الشريف : (٢)« في الحق ان المرأة العربية قد ارتفع شأنها في اوائل العصور الاسلامية ففتحت ابواب السعادة والهناء وحلقت في سماء العروبة ونشرت أجنحتها العطرة فوق امتها وفرضت على الرجل احترامها لمزاياها العالية وما وصلت اليه من العلم وفنون الادب » . وحد الاسلام نظام الزواج والطلاق بعد ان كان الزواج متعددا

---

(١) ـ في كتاب المرأة العربية في جاهليتها واسلامها جزء ثان ص ٥٢

(٢) ـ كتاب مستقبل المرأة العربية ص ٨

(زواج البدل ، الشغار ، الرهط ، الاستبضاع ، الخدن ، السفاح ، البعولة ، متعة ، زواج موقت ، زواج المقت) والطلاق متعددا (الايلاء ، الظهار . .) «وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا » (الآية ٢٠ من سورة النساء) وقال الله تعالى : « ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا » (الآية ٢٢٩ من سورة البقرة) ثم انه في بعض الحالات أجاز الاسلام للمراة حق طلب الطلاق وذلك فيما اذا امتنع زوجها ، او كان عاجزا عن ذلك ، او كان في الزوج جنون او عنه او خصاء، او كان غير قادر على الايلاء او وقع الضرر على المراة بالضرب والشتم . . ومن جهة ثانية قيد الاسلام الطلاق فجعله على مرحلتين « الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان » ، ثم كان الطلاق ابغض المباحات لقول الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم : « ان ابغض الحلال عند الله الطلاق » ، ثم امر بالصلح قبل ان يقع الطلاق بين الزوجين « فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » ، ثم قيد الاسلام تعدد الزوجات الا لضرورة ملحة وبعد اخذ راي المراة . ان تعدد الزوجات كان سائدا فيما مضى فأتى الاسلام بهذه القواعد وذلك لحكمة التدرج في العادات التي كانت موروثة في زمن الجاهلية . يقول الله تعالى « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » (الآية ٣ من سورة النساء) . واني يتحقق العدل ؟ وقال : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» اشارة من الله الى ان العدل مستحيل بين النساء، وما دام العدل مستحيلا فكيف يتسنى للرجال الزواج بأكثر من واحدة ؟. ان هذه القيود والشروط كافية لان يبقى الرجل على واحدة مع بقاء القاعدة بتعدد الزوجات قائمة . وهناك ظاهرة اجتماعية هي ان الاناث هن اكثر عددا من الذكور لتعرض الذكور للموت الطبيعي وللحروب والاعمال الخطرة وهذا ما اثبته علم الاحصاء . وهناك الضرورات الشخصية كالعقم او الاصابة بمرض يمنع تحقيق غرض الزواج . كل ذلك لتبقى القاعدة ممكنة التطبيق في الحالات الاضطرارية . كما نلاحظ ان الاسلام قيد الطلاق وراعى فيه النواحي الصلحية واناطه بالزوج ، ورتب على الزوج نفقات مالية بعد وقوعه « وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » . (الآية

٢٣٩ من سورة البقرة) وقال أيضا « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا » (الآيتان ١٩ ، ٢٠ من سورة النساء) . وقد قرر الاسلام مبايعة النساء « يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر الله ان الله غفور رحيم » (الآية ١٢ من سورة الممتحنة) . للمراة الزوجة حقوق ، وأساس هذه الحقوق هو الصفة المتبادلة بين الزوجين ، وتحقيق التوازن بينهما ، فللمراة على زوجها الانفاق والمسكن . قال الله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » . (الآية ٢٢٤ من سورة البقرة)، اما واجباتها فهي مزاولة تدبير المنزل ، والاعتناء بطفلها منذ حمله وحتى فصله ، ومتابعة زوجها في السكن . وفي هذا يتبين ان الرجل ملزم بالعمل والكسب ، والمراة ملزمة بالرعاية البيتية انسجاما مع الفطرة التي جبلا عليها .والقوامة في الاسلام شيء ثابت للرجل فهو رئيس الاسرة وهو رئيس هذه المؤسسة التي لا يمكن ان تكون بدون رئيس . قال الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » . (الآية ٣٤ من سورة النساء) . يقول الدكتور نور الدين عتر(١) « والنطاق الذي تشمله قوامة الرجل لا يمس حرمة كيان المراة ولا كرامتها ، وهذا هو السر العظيم في ان القرآن لم يقل : « الرجال سادة على النساء » ، وانما اختار هذا اللفظ الرقيق « قوامون » ليفيد معنى عاليا بناء ، يفيد انهم يصلحون ويعدلون ، لا انهم يستبدون ويتسلطون ، فنطاق القوامة محصور اذن في مصلحة البيت،والاستقامة على امر الله وحقوق الزوج ، واما ما وراء ذلك فليس للرجل حق التدخل فيه ابدا ، ومن ذلك : انه ليس للزوج حق التدخل في مصلحة الزوجة المالية ... وليس للزوج على زوجه طاعة الا في حدود الشرع ... وان صلاحية القوامة للرجل مهمتها حفظ الحقوق لتنظيم الاسرة » . ان المساواة العادلة بين الرجل

---

١ ــ كتاب ماذا عن المراة ص ١٣٤

والمراة هي ان يعطي لكل واحد منهما حقه غير منقوص تبعا لكفاءتهما واعمالهما . يقول عباس محمود العقاد : (١)« فالمساواة ليست بعدل اذا قضت بمساواة الناس في الحقوق على تفاوت واجباتهم وكفاياتهم واعمالهم ، وانما هي الظلم كل الظلم للراجح والمرجوح . فان المرجوح يضيره ويضير الناس معه ان يأخذ فوق حقه ، وان ينال فوق ما يقدر عليه ، وكل ما ينقص من حق الراجح يضيره لانه يغل من قدرته ، ويضر الناس معه لانه يحرمهم ثمرة تلك القدرة ، ويقصرهم عن الاجتهاد في طلب المزيد من الواجبات ، مع ما يشعرون به من بخس الحقوق » .

لقد عني الاسلام بشؤون المراة الشخصية والعامة كما عني بغيرهما . يقول عباس محمود العقاد : (١)« جاء القرآن الكريم الى هذه البلاد كما جاء الى بلاد العالم كله بحقوق مشروعة للمراة لم يسبق اليها دستور شريعة او دستور دين ، واكرم من ذلك لها انها رفعها من المهانة الى مكانة الانسان المعدود من ذرية آدم وحواء بريئة من رجس الشيطان ومن حطة الحيوان » . وتقول وداد سكاكيني : (٢)« لقد رفع شأنها بنتا وزوجا وأما بعد ان كانت لا تعد شيئا كما قال عمر في الجاهلية ، فشرع لها ما لم تأت بمثله احدث الشرائع والقوانين في ارقى الامم الغابرة والمعاصرة في الشرق والغرب اذ ساوى بين الرجل وبينها في الحقوق والتكاليف ، الا فيما اقتضت الحاجة والضرورة ، فاذا رجحت كفة الرجل في شأن ، عوض على المراة فيما يوافقها من امر آخر » . لم يفرق الاسلام في المعاملة الشخصية والعامة بين الرجل والمراة . يقول الله تعالى : « وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا » (سورة النساء الآية الاولى) وفي الحديث « النساء شقائق الرجال » . المراة مسؤولة عن تصرفاتها كما للرجل « فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن

(١) ــ كتاب المراة في القرآن الكريم ص ١١٠

(٢) ــ كتاب انصاف المراة ص ١٢٥

الثواب » . (الآية ٩٥ من سورة آل عمران) « من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (الآيتان ١٢٣ ، ١٢٤ من سورة النساء) . حث الاسلام على معاملة المراة معاملة حسنة في حديث شريف «أيما رجل كانت عنده وليده فعلمها فاحسن تعليمها وادبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران » . وبلغت المراة مكانة عظيمة اذ امر الرجال ان يستجيبوا لخدمة زوجاتهم : ففي الحديث : « خدمتك زوجتك صدقة » وفي الحديث ايضا « اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله » وهناك قصة لامراة يقال لها حواء بنت يزيد الانصارية التي كانت تحت قيس بن الخطيم الشاعر فأسلمت فقسي عليها زوجها فأتاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقال له « يا ابا زيد ان صاحبتك حواء قد بلغني انك تسيء صحبتها قد فارقت دينك فاتق الله واحفظني فيها ولا تعرض لها » . قال : نعم وكرامة . وحفظها فما نالها بعد بسوء . وها هي « ام ابان بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس » تختار الزوج اللطيف معها ، والتي تراه انه يحسن معاملتها . تأيمت هذه المراة فعرض عليها عمر بن الخطاب فابته فقيل لها لم ؟ قالت : ان دخل دخل بيباس وان خرج خرج بيباس قد ادخاه أمر اخرته عن أمر دينه كانه ينظر الى ربه بعينه ، ثم خطبها الزبير بن العوام فابته فقيل لها : لم ؟ قالت ليس لزوجته منه الا قضاء حاجته . ويقول كنت وكنت وكان وكان . وخطبها علي فابته فقيل لها : لم ؟ قالت : ليس للنساء منه حظ الا ان يقعد بين شعبهن الاربع لا يصبن منه غيره . وخطبها طلحة فرضيت عنه قالوا : وكيف ؟ قالت : اني عارفة بخلائقه ان دخل دخل ضاحكا وان خرج خرج بساما ان سالت اعطى وان سكت ابتدا وان عملت شكر وان اذنبت غفر . والرفق يبلغ حد العشرة بالمعروف والمعاونة « وعاشروهن بالمعروف » . « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » كما جددت العلاقة بين الرجل والمراة علاقة ود ورحمة في قوله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وفي حديث « ما زال جبريل يوصيني بالنساء حتى ظننت انه يحرم طلاقهن » وفي حديث آخر « ما اكرم النساء : الا كريم ولا

اهانهن الا لئيم » وكرمت الام للحديث التالي : جاء رجل الى النبي يسأله من احق بحسن صحابتي يا رسول الله ؟ قال امك قال الرجل ثم من ؟ قال امك قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال ابوك . فجعل للام ثلاثة ارباع الحق وجعل لوالده ربعا واحدا وهكذا يظهر من الآيات والاحاديث ان المراة مكرمة معززة لها مكانتها الشخصية والعامة .

واذا نسينا فلا ننس اهتمام الاسلام بشؤون المراة المالية والاقتصادية . فقد شرع للمراة حق التصرف بنفسها . قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . (الآية ١٩ من سورة النساء) وقال « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها » وفي حديث « دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك ، اعظمها اجرا الذي انفقته على أهلك » . ان المهر تكريم للمراة وتقديس لمكانتها ووفاء للحقوق الزوجية . قال الله تعالى : « وآتوا النساء صداقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » . فالمهر حق للمراة لا لابيها او اخيها وهو حق مفروض . فلا مقايضة بين النساء ، ولا مغالاة في المهور ، ولا هو شراء للمراة يقول الدكتور نور الدين عتر(١) « ان المهر حق مفروض للمراة فرضتهلهاالشريعة ليكون تعبيرا عن رغبة الرجل فيها ورمزا لتكريمها واعزازها ، وقديما صرح الفقهاء بقولهم : « المهر فرض شرعا لاظهار خطر المحل » ولقد حرست الشريعة للمراة هذا الحق فحرمت على اي انسان اكله او التصرف به بغير اذنها الكامل ورضاها الحقيقي » . للنساء التصرف في اموالهن . يقول الله تعالى « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله انه كان بكل شيء عليما » . الارث حق طبيعي للمراة ، فالمراة في بعض الحالات ترث اكثر من الرجل او تتساوى

---

١ ـ كتاب ماذا عن المراة ص ٦٦

معه . يقول الاستاذ حسني نصار : (١)« اراد الاسلام ان يختص به المراة ان ترث بهذه الطريقة في ثمان حالات هي : الام ، والجدة الصحيحة ، والبنت ، والاخت الشقيقة ، والاخت لاب ، والاخت لام ، وبنت الابن ، والزوجة ، وذلك في الوقت الذي لا يرث فيه الرجال بطريق الفرض الا في اربع حالات هي : حالة الاب والجد والزوج والام الام » ـ ثم يقول « فالتمييز في الميراث في الشريعة الاسلامية بين الرجل والمراة ليس تمييزا قاصرا على الرجل دون المراة ، بل انه يصيب المراة احيانا دون الرجل ، ومن ثم فهو تمييز لا يقوم على اساس عدم المساواة في المعاملة او الاعتبار بين الرجل والمراة ، وانما هو تمييز دعت اليه الضرورات الاجتماعية التي فرضتها طبيعة تكوين المراة ودورها ونشاطها في المجتمع البشري اي ان التمييز المذكور لم يقصد به اطلاقا التهوين من شأن المراة او التقليل من اعتبارها ازاء الرجل » . فالمراة في بعض الحالات تساوى مع الرجل او تزيد فاذا مات زوج عن زوجة سبعة اولاد ذكور وام فان للام السدس وللزوجة الثمن . وفي هذا المثال فان الام ترث القسم الاكبر من الميراث ثم الزوجة ثم الاولاد الذكور .. وان التمييز بين الرجل والمراة في الميراث ما هو الا اعتبارات اقتضتها الظروف المذكورة ، ثم ان المراة غير ملزمة بالانفاق على زوجها فيظل ما لها محفوظا لا تاكله كثرة النفقات والاستهلاكات التي تصرف في الاوجه المختلفة ، وكذلك حفظا على الاموال لتظل في الاسرة ولا تنقل الى الاصهار وبذلك تبدد الثروة وتضيع الاموال في زواج البنت او الاخت .. المراة لها الحق في صداقها كما قلنا واستقلالها عن زوجها ماليا وادارة اموالها « ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا » وهكذا فان مكانة المراة القانونية (العقيدة ، الحق السياسي ، الاجتماعي ، المالي ، الميراث ، الانتخاب ، التعليم ، حضور الندوات العلمية والاجتماعية ، حق اختيار الزوج .. الخ) والنسبية (احترام الام ، الاخت ، البنت ، الزوجة ، المحارم ...) والادبية (الاحترام للنساء من قبل الرجال ..) والاجتماعية والسياسية قد رعاها الاسلام وحافظ عليها .

---

(١) ـ كتاب حقوق المراة ص ٧٠ ـ ٧١

مكانة المرأة في الشرائع القديمة

اولا مكانة المرأة المصرية :

لقد دلت الآثار المصرية ، والكتب القديمة على ان الابن كان يدعى لامه في كثير من الاحيان ، كما كان للمرأة حق الملكية والميراث ، بل ان الميراث كان يؤول الى الاناث ، والبنت الكبرى هي التي ترث . اشتغلت المرأة في العهد المصري القديم كل الاعمال ومارست الحكم والملك والكهنوت ، واشتهر منهن الملكات حبت وكاوس وكليوباترة ونفرتيتي وحتشبسوت التي اشتهرت بقدرتها في تسيير امور المملكة والقيادة وتميز عصرها بالرقي والعمران وغيرها ، وظهرت هذه الملكة في جمهورية مصر حتى الآن على شكل تمثال (ابي الهول) الذي يمثل القوة في جسد الاسد والعقل في رأس الانسان ، اجتمعا لها قوة الجسم وقوة العقل معا . لقد كانت المرأة المصرية هي التي تختار زوجها وتقول له : « اتخذني سيدة بيتك » وكان تعدد الزوجات عندهم شائعا ، الا ان المرأة الاولى لها حق التعويض اذا جمع الرجل بينها وبين امرأة اخرى . وقد دلت آثار مصر ايضا عن تماثيل للملوك وملكات على مستوى واحد وعلى مكانة واحدة ، وكانت المرأة عظيمة في اعين الحكماء والفلاسفة اذ ينصحون دائما باحترام الام والزوجة . فمن وصايا البروي وصية اب لابنه يقول له : « ضاعف ارغفة الخبز التي تعطيها امك ، واحملها كما حملتك . . ولا تنس حين تتزوج ايام طفولتك وعناء تربيتك» ومن الوصايا ايضا وصية « متاح حوبت » للشاب : « ان يتخذ له بيتا وان يحب زوجته حب الصدق والوفاء ، وان يملأ بطنها طعاما ويضفي على ظهرها الكساء، وان يفرح قلبها ما عاش ، ولا يدخل معها في لجاج » . فلقد برزت المرأة المصرية وعاشت حياة عائلية واجتماعية وسياسية واقتصادية وادارية راقية ، حيث تساوت مع الرجل في كل هذا وادت دورها كاملا داخل المنزل وخارجه وتولت اعلى المناصب وقد قالت الالهة « بنت » : « انا كل شيء كان وكائن وسيكون ، ولم يرفع احد من البشر قناعي بعد » .

ثانيا : مكانة المرأة الهندية :

«(١) وتنص الشريعة الهندية البرهمية على ان المرأة تظل طول حياتها

---

١ ـ الدكتورة نوال السعداوي في كتابها المرأة والجنس ص ١٧٤

تحت سيطرة الرجل ، وتنص المادتان ١٧٤ ، ١٤٨ من قوانين « مانو » على انه لا يحق للمراة في اية مرحلة من مراحل حياتها ان تجري اي امر وفق مشيئتها ورغبتها الخاصة حتى ولو كان ذلك الامر من الامور الداخلية لمنزلها (مادة ١٤٧) ففي مراحل طفولتها تتبع والدها ، وفي مرحلة شبابها تتبع زوجها ، فاذا مات زوجها تنقل الوصاية عليها الى ابنائها الذكور فاذا لم يكن له ابناء انتقلت الوصاية الى عمومتها او الاقرباء ، وفي حال عدم وجود هؤلاء انتقلت الولاية الى الحاكم (مادة ١٤٨) وورد في المادة الثالثة من قوانين (مانو) (وهو كتاب مقدس لديهم يؤمنون ان مؤلفه اله منبثق عن الاله الخالق (براهما) انه : « اذا استولى رجل على امرأة بالقوة وسباها من منزل اهلها وهي تبكي وتصرخ في طلب النجدة ، وانتصر على من حاولوا مقاومته فقتلهم او جرحهم فان طريقته هذه تسمى طريقة الجبابرة او العمالقة وتنص المواد : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ من الكتاب الثالث على ان طريقة الجبابرة طريقة مشروعة للزواج في طبقة الكشتريين (رجال الحرب) . وهكذا فان شريعة (مانو) انكرت حق المراة واعتبرته مرتبطا بابيها وزوجها وولدها واقاربها من الرجال ، فالمراة عند الهنود تباع بيع المتاع فهي اذن لا ترث لانها تباع ولا تعتبر ولذا لانها تعتبر من المعروضات . وفي بعض الولايات الهندية لا تزال المراة حتى الآن تحت اختيار الالهة في المعابد ... كما يعدون المراة من فصيلة الاماء . يقول الاستاذ غوستاف لوبون : « تعد بعلها ممثلا للآلهة في الارض . وتعد المراة العزب والمراة الايم على الخصوص منبوذتين من المجتمع الهندوسي ، والمنبوذ عندهم في رتبة الحيوانات ، ومن الايامى الفتاة التي تفقد زوجها في اوائل عمرها ، فموت الزوج الهندوسي قاصم لظهر زوجته فلا قيام لها بعده ، فالمراة الهندية اذا آمت اي فقدت زوجها ظلت في الحداد بقية حياتها ، وعادت لا تعامل كانسان ، وعد نظرها مصدرا لكل شؤم على ما تنظر اليه ، وعدت مدنسة لكل شيء تمسه ، وافضل شيء لها ان تقذف نفسها في النار التي يحرق بها جثمان زوجها ، والا لقيت الهوان الذي يفوق عذاب النار » فكأن المراة ملحقة بالرجل في حياته وبعد مماته .

ثالثا : مكانة المراة الرومانية :

المراة عند الرومان قاصرة،لقد اعتبرها القانون الروماني كما اعتبرها القانون

الهندي ، بل زاد في الجور عليها ، وسلبها كل حقوقها فكـان الاب يبيع البنت بيع الرقيق ، كما يحق له قتلها والتصرف بها كيف يشاء ، لم تنتقل هـذه السيطرة من الاب الى الزوج بعد زواج البنت . الاحكام كانت تصدر عن الكاهن الذي بيده اصدار اي تشريع ضد المراة ، والرجل يستمد قوته من هذهالشرائع التي اعتبرت المراة بدون عقل ولا حرية ، اذ كان ليس لها الحق ان تعترض على عمل الزوج ولو كان مشينا ولو كان خارجا عن نطاق اللامعقول فالقتل كـان مسموحا والبيع كان كذلك ، فلا ترث ولا يصح ان تكون وصية حتى علـى اولادها ، ولا يجوز لها ان تعترض امام المحاكم مهما كان الجرم الذي اصابها من قبل الرجل . وكان الرومان من جملة ما ينسبون الى المراة « العته الطبيعي »

رابعا : مكانة المراة اليونانية :

المراة عند اليونان مسلوبة الحرية ، غير صالحة لاي عمل وجودها شر ، وعذابها مسموح به ، حظروا عليها الخروج من البيوت ،بل واعتبر البيت سجنا لها هذا السجن الذي يخلو من كل نافذة ، فصلوها عن الرجل فصلا تامـا ، اعتبروها قاصرة غير اهل لان تتمتع بالحرية او تنعم بها . يقول الاستاذ عباس محمود العقاد(١) « وكان الرومان يسكبون الزيت المغلي على النساء ويربطوهن باذناب الخيول ثم يجرونهن بسرعة ، وكانوا يستخدمون انواع التعذيب الجسدي والروحي للنساء » « وكانت المراة عند اليونانيين الاقدمين مسلوبة الحريةوالمكانة في كل ما يرجع الى الحقوق الشرعية ، وكانت تحل في المنازل الكبيرة محلا منفصلا عن الطريق ، قليل النوافذ ، محروس الابواب ، واشتهرت اندية الغواني في الحواضر اليونانية لاهمال الزوجات وامهات البيوت ونـدرة السماح لهن بمصاحبة الرجال في الاندية والمحافل المهذبة ، وخلت مجالس الفلاسفة من جنس المراة ، ولم تشتهر منهن امراة نابهة الى جانب الشهيرات من الغواني او مـن الجواري الطليقات » . صحيح ان اليونان قد جمعوا العلم فكان حظهم موفورا ، الا انـه على وفرة العلم والفن والفلسفة لم يعطوا للمراة مكانة سوى مكانة الخادمة او مدبرة البيت . كان الرجال يمنعون زوجاتهم من الخروج في حين

---

١ ـ كتاب المراة في القرآن ص ٨٤ .

انهم كانوا يسمحون لانفسهم بمصاحبة الفانيات « الهيتير » . وفي البيت لم يعتبروها خادمة فحسب بل انهم حبسوا عنها حرية التصرف في البيت فهي تابعة للرجل ، ففي بيت زوجها تابعة له ، وفي بيت اخيها تابعة له ، وفي بيت اقاربها تابعة لوصاية احد الاقارب . كانت المراة اليونانية معدومة الثقافة والتعليم بجانب وفرتهما ، وقدنوه الى ذلك ارسطو ونسب اليها قلة العقل . اما في الميراث فلم يورثوا المراة ، ولم يعترفوا بحق من حقوقها .

خامسا : مكانة المراة الصينية :

اجبر المراة القانون الصيني على اطاعة زوجها اطاعة عمياء ، وقد ذهب « كونفوشيوس » الى اعتبار المراة كأنها متاع تباع وتشترى ، وبقيت المراة على هذه الصورة المؤلمة ، ومن زمن غير بعيد اي في عام ١٩٣٧ كان في الصين حوالي ثلاثة ملايين أمــة .

كانت المراة الصينية فيما مضى مهانة مستضعفة محرومة من الارث ، لم تكن تملك شيئا عند ابيها او زوجها ، ولم تكن مستقلة استقلالا ماليا وذاتيا ، ولم يكن معترف لها بأي حق من الحقوق ، ولا حتى بحق الحياة اذ كان مرتبطا بعشيرتها . وكانت طيلة حياتها خاضعة لطاعات ثلاثة : طاعة ابيها وزوجها ، واخيها البكر في حال غياب ابيها ، او ابنها في حال غياب زوجها . والصينيون يعتبرون المراة قاصرة ، وهي تشكل عبئا ثقيلا على كواهلهم فكانوا في اغلب الاحيان يتخلصون منها باغراقها في الماء ، او تقديمها طعاما للخنازير ، واذا عاشت فانها تعيش على الكفاف فلا تلبث ان يداهمها الموت من قلة التغذية ، او كانت تباع بثمن بخس ، فكان من جراء ذلك ان انتشر الرق انتشارا واسعا في الصين . وبالاضافة الى ذلك فان النســاء يتعرضن للضرب والاهانــة ـ فهن كالبغال والحمير ـ من قبل الاب أو الزوج . وللزوج أن يصرفها متى شاء او ان يبيعها ، وليس لها الحق ان تطلب الطلاق او تفلت من زمامه . ومن الملاحظ ان المراة الوحيدة التي تحظى بالاحترام هي « الحماة » التي كانت تسيطر على غيرها من النساء ويخضعن جميعهن لارادتها ، وكثيرا ما كانت الحماة تضرب زوج ابنها وتؤدبها

بالطريقة التي تراها مناسبة . وكانت الغانيات ممن اشتهرن بالاقدام الصغيرة حتى غدت هذه العادة وكأنها قانون وظلت هذه العادة متبعة حتى القرن التاسع عشر حين اعلن بعض الكتاب تمردهم على هذا الظلم ودافعوا عن المراة الى ان فتحت المدارس الابتدائية في عام ١٨٦٠ . وفي عام ١٨٩٨ اشيدت جامعة « تين ـ تسن » وخصص فرع خاص للنساء ، وافتتحت مدارس المعلمات في عام ١٩٠٣ وفي عام ١٩١٧ برزت حركة « ٤ ايار » تطالب بدستور ديموقراطي يعيد للمراة حقوقها . وفي عام ١٩١٩ تم افتتاح اول مدرسة ثانوية . وفي عام ١٩٣١ صدر قانون الاسرة الذي يعطي للمراة حق الارث ، كما يعطيها حق اختيار الزوج باعتبار الزواج ليس تجارة . وفي عام ١٩٥٠ صدر قانون الزواج الذي يؤكد حرية الافراد والمساواة بين الجنسين ، ويلغي الاعراف القديمة ، ويدين قتل الاطفال ، ويمنع تسلط الحماة ، ويمنح المراة كالرجل حق الطلاق ، ولا يعترف باية هيمنة من قبل الاب على الاسرة . وفي عام ١٩٤٩ تم انشاء اتحاد نسائي وتكونت « روابط نسائية » في جميع المدن والقرى وكان من اهدافها تطبيق قانون الزواج وعلى اثر ذلك كثر الطلاق بصورة تلفت النظر اذ بلغت حالات الطلاق في عام ١٩٥٢ حوالي ـ ٣٩٦,٠٠٠ ـ . وفي عام ١٩٥٥ اعلن الاحتفال بـ « عيد النساء » وفي عام ١٩٥٦ اكد المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني على الاجهاض وتحديد النسل ، واكد النظام الشيوعي على تنظيم الاسرة بما يتفق والمبادىء الشيوعية. والمراة الصينية في الوقت الحاضر لا تتزوج قبل بلوغها الخامسة والعشرين ، واذا تزوجت فرض عليها الا تنجب اطفالا .

اما المراة عند الاغريق فكانوا ينظرون اليها نظرة سيئة ، فلا تصلح بنظرهم لاي عمل فكري او جسمي ، وكانوا يعتبرون ، المراة السيئة على انها لا تصلح لها اي علاج الا علاج الموت . وكتب « سقراط » يقول : « ان وجود المراة هو اكبر منشأ ومصدر للازمة والانهيار في العالم . ان المراة تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل ، ولكن عندما تاكل منها العصافير تموت حالا » . هكذا كانت المراة عند الاقدمين منبوذة ملعونة تباع وتشرى بيع المتاع فلا قيمة لها ولا حقوق .

سادسا : مكانة المراة الافرنسية :

لم تكن المراة الفرنسية باحسن حظ مما كانت عليه المراة في العصر الروماني فالافرنسيون يحرمونها من كل شيء حتى من حق التعليم ، اذ يقتصر تعليمها على الرقص والغناء والخضوع والاستعباد . وكان الرجل منهم يتزوج المراة دون رضاها ، بل كان يتزوجها وهي صغيرة حتى ان الدوق « هنري دوروهان » (١٥٧٩ ــ ١٦٢٨) تزوج الآنسة « سوللي » ١٦٠٥ التي كانت صغيرة جدا . وتزوجت الآنسة « دي بوربون » وعمرها اثنا عشر عاما من رجل قبيح الوجه ولما سئلت قالت : سأتزوجه لان ابي اراده ولكني لن احبه. والمراة عندالافرنسيين لا ترث (راجع كتاب الجماعة في النظام القديم لمؤلفه فرونك برنتانو ص ١٠ــ١٢)

سابعا : مكانة المراة الانكليزية :

بقي القانون الانكليزي حتى منتصف القرن التاسع عشر يعامل النساء وكأنهن غير معدودات « من الاشخاص » او « المواطنين » فلم يكن للمراة اي حق شخصي او مالي ، ولا حتى في الملابس . ويقول هربرت سبنسر في كتابه (وصف علم الاجتماع) : « ان الزوجات كانت تباع في انكترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر ... وشر من ذلك كان للشريف النبيل روحانيا كان او زمنيا الحق في الاستمتاع بامراة الفلاح الى مدة اربع وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها على الفلاح » . والى الآن لا تزال في بعض الارياف الانكليزية من يبيعون نساءهم بثمن بخس جدا وتقدر بشلنات معدودات .. وقد نوه بذلك الاستاذ محمد رشيد رضا الذي قال : « من الغرائب التي نقلت عن بعض صحف انكلترا في هذه الايام انه لايزال يوجد في بلاد الارياف الانكليزية رجال يبيعون نساءهم بثمن بخس جدا كثلاثين شلنا وقد ذكرت ــ اي الصحف الانكليزية ــ أسماء بعضهم » .

ثامنا : مكانة المراة الاميركية :

احتقرت المراة الاميركية اجتماعيا ومدنيا ودينيا . فكانت القوانين تعتبر المراة قاصرة ولو بلغت من العمر عتيا ، ومن الثقافة والتعليم طولا ، وهي دون

الرجل في الاستمتاع بالحقوق المدنية والاقتصادية والسياسية . قبل الزواج يكون ابوها او وليها المتصرف بامرها ، وبعد الزواج تصبح ملكا للزوج . ويحرم على المراة التقدم للقضاء بالشكاوي مهما كان نوعها . الزوج هو الذي له الحق في ضرب امراته واولاده وكلبه ، وهو مطلق الصلاحية في التصرف بمال المراة ، وهو المالك لها ولاولادها وصاحب الحق في ذلك حتى ولو ثبت انه غير اهل للقيام بذلك . لقد وجدت بعض الاقوام الاميركية التي تعير نساءها لمدة معلومة، ثم يسترجع كل واحد زوجه ، وكأن المراة دابة او متاع او شيء يعار ثم يعاد . بلغت نسبة الطلاق في امريكا ٢٤٪ وهي اعلى نسبة في دول العالم المتطور .

ان المراة في اغلب الدول الغربية تفقد اسمها بمجرد زواجها وتذوب شخصيتها في شخصية زوجها ، تقول الدكتورة نوال السعداوي : (١)« وفي معظم القوانين في اوروبا وامريكا حتى اليوم تفقد المراة اسمها بمجرد الزواج وتحمل اسم زوجها رسميا ، وهذا يدل على الغاء المجتمع لشخصية المراة ، ولتضع شخصيتها فيشخصية زوجها ، تقولالدكتورة نوال السعداوي : (١)« وفي معظم والقمع وغيرها من العمليات التي تسد منافذ الوعي عند المراة ليست في حقيقتها الا محاولات لقطع اواصر تلك الحلقات الزمنية المتصلة في حياة الانسان وفصل الماضي عن الحاضر عن المستقبل ، ويصبح من الخطر على المراة ان تحتفظ بما فيها كجزء متصل بحاضرها ومستقبلها ، ولهذا تبتر المراة ماضيها عن حياتها وان عجزت عن بتره تماما ، فهي تحمله معها لا كجزء منها ، وانما كجسم غريب عنها تضطر لحمله معها ، او فوق كاهلها كالعبء ولهذا كثيرا ما تسبباحداث الماضي في حياة الفتيات والنساء مشاكل نفسية وعصبية » .

احتقرت المراة في الازمنة البدائية ، وظهرت في الامم الماضية مسلوبة الحرية ناقصة قاصرة ، ليس لها من الحقوق حتى حق الحياة فانه مرهون بغيرها من الرجال . وتقول الكاتبة « سيمون دي بوفوار » : (٢)« لا يعي الرجل نفسه ابدا الا اذا وعى هذا « الجنس الآخر » ولا يكتنه العالم الا من خلال

---

١ ــ كتاب المراة والجنس ص ١٧٨ وما يليها .
٢ ــ كتاب الجنس الاخر ص ٢٤

الازدواج الذي ليس له صفة جنسية في البداية . ولما كانت المراة مختلفة عن الرجل الذي يعتبر نفسه الاصل فانها تصنف في زمرة « الجنس الآخر » وان ذلك ليزداد وضوحا بازدياد دورها . حينئذ تظهر « الآلهة الانثى » التي تعبد من خلالها فكرة الخصب . هذه الالهة تتصف بالتقلب والقسوة شأنها في ذلك شأن الطبيعة وقد اطلق عليها اسم « عشتار » و « ايزيس » في مصر . واذا كانت هذه المرحلة لم تترك لنا ادبا فان المرحلة الابوية تحفظ في اساطيرها وتقاليدها ذكريات عهد كانت النساء فيه تحتل مكانا عاليا جدا » .

لم تتح الفرصة للمراة بأن تكون اقوى من الرجل الا في فترات قصيرة جدا وفيما عدا ذلك فان الرجل هو الذي كانت بيده السيطرة والسيادة . وارتبطت فكرة « الآلهة ــ الانثى » بالزراعة التي تخضع للمشيئة الغيبية فكانت المراة رمزا للمكانة اللائقة . وعندما انشئت الصناعة وازداد سلطان الرجل عليها ارتبطت فكرة الابوة والرجال بالصناعة التي يستطيع الرجال التكيف بها وبالانتاج . . وفيما بين العصرين عهد انتقال شاركت فيه المراة والرجل على السواء . فالابوة منذ القدم هي الاصل ، اعطيت للمراة فترة من الزمن ثم استرجعت . وقد صور الاقدمون وبعض الفلاسفة الصراع بين الرجل والمراة صراعا على السلطة وكل واحدمنهما يحاول بما اوتي من تثبيت حقه . ويقول « فيتاغورس » : « هناك مبدأ خير انبثق من النظام والنور والرجل ، ومبدا شر خلق الفوضى والظلمة والمراة » . ففي القرون الوسطى كان الرجال يتزوجون بعدة نساء ، ولم يكن على الزوج أن يأخذ موافقتها كما كان له الحق في هجرها وطلاقها وموتها . . . وكانت تعامل كخادمة ولا سيما في عهد الاسرةالكارولانجية وفي عهد الاقطاع كان التناوب في السيادة تارة للرجل واخرى للمراة ، وهذا التناوب يعطي للمراة الارتفاع مرة والانخفاض اخرى ، ويجعل مكانتها دون مكانة الرجل ، والاقطاعي يستطيع ان يتزوج امراة الفلاح او يغتصبها أو تمر عليه قبل زواجها بالفلاح . والمراة المتزوجة في هذا العهد تتمتع بأقل ما تتمتع به المراة الايم .

اما مكانة المراة الاوربية بصورة خاصة فقد عبر عنها الكاتب الكبير عباس

محمود العقاد بقوله : « ظلت المراة في القارة الاوروبية الى القرن التاسع عشر وهي محرومة من التعليم ، محرومة من الاستقلال من زوجها في ادارة ثروتها او مباشرة عمل من أعمال الحياة العامة ، ولكنها في منتصف القرن التاسع عشر اخذت نصيبا من التعليم والتفت العلية والاوساط الى تعليم بناتهم كما يعلمون ابناءهم ، ثم تقرر التعليم الاجباري للبنات بعد انتصاف القرن بنحو عشرين سنة . وبدا القرن العشرون وفي البلاد الاوروبية المتقدمة جيل من الفتيات تعلمن ما يتعلم انداذهن من الفتيان ، ونشطن لطلب الحقوق السياسية عندما اخذت امم اوروبا الدستورية في توسيع حقوق الانتخاب ، بعد ان كانت مقصورة على طائفة محدودة من الرجال ، على ان حق الملك والتصرف في الاموال بقي محصورا في الازواج دون الزوجات الى اواخر القرن التاسع عشر ، وابيح طلب الطلاق في هذه الاثناء للزوج الذي يتهم زوجته ، ولم تعط المراة هذا الحق نفسه ولو اتهمت زوجها بالخيانة ، ويمكن ان يقال ان القرن التاسع عشر قد انتهى في اوروبا ولم تنل المراة من الشرائع الحديثة ما نالته في الشريعة الاسلامية قبل ثلاثة عشر قرنا من حق التعليم وحق التصرف وحق طلب الطلاق لمضارة الزوج لها كيفما كانت المضارة ، ولو كانت أهون من الخيانة » .

مكانة المراة في الشرائع الحديثة :

اولا : مكانة المراة الشيوعية :

ينظر الحزب الشيوعي الى المراة على انها الجزءالاساسي من حركةالجماهير ويعترف لها بالمساواة الاجتماعية الكاملة بينها وبين الرجل . ويقف هذا الحزب من المراة موقف الاحترام فهو ضد الاباحية والتهتك . وهو يقر لها بان تاخذ مكانتها اجتماعيا وسياسيا وعسكريا . يقول « هنري لوفيفر » في كتابه « فكر لينين » : « كثيرا ما تحدث لي الرفيق لينين عن المسالة النسائية . كان يعلق عليها اهمية كبرى باعتبار ان الحركة النسوية كانت في تقديره جزءا اساسيا ، وفي بعض الظروف جزءا حاسما من حركة الجماهير . ومن نافلة القول انه كان يعتبر المساواة الاجتماعية للمراة من مبادىء الشيوعية لامراء فيه . وقد جرى اول حديث بيننا بهذا الخصوص في خريف ١٩٢٠ وقد

أستهل الحديث بقوله : ان علينا قطعا أن ننشيء حركة نسائيـة دولية قوية تقوم على اساس نظري واضح محدد . ومن الواضح انه لا يمكن ان توجد ممارسة جيدة بلا نظرية ماركسية . ان علينا نحن الشيوعيين ان نلتزم في هذه المسألة بكل ما فيها من طهر . ان علينا ان نفترق بوضوح عن سائر الاحزاب الاخرى » .

« لقد كان لينين يقف بآن واحد ضد التبتل وضد الاباحية الجنسية (لاراهبه ، ولا دون جوان ، ولامراء كحل وسط) . وكان ينتقد بعنف النظرية الفوضوية النزعة التي كانت تعتبر تحررية، والتي كانت ترى ان العمل الجنسي يستجيب لحاجة فيزيولوجية ، وليس له من الاهمية اكثر من تناول كأس من الماء حين يكون المرء عطشانا » . يقول هذا القول بعض الشيوعيين : « انني أعتبر كأس الماء معادية للماركسية والمجتمع » . ويقول : هنري لوفيفر « اني احذر اولئك الذين تستغرقهم باستمرار وبعناد مسائل الجنس . ان المسألة الجنسية والمتعلقة بالزواج لا تفهم كأجزاء من المسألة الاجتماعية الرئيسية ، بل بالعكس فان المسألة الاجتماعية الكبرى ذاتها تبدو جزءا بل ملحقا بالمشكلة الجنسية » . ويقول لينين : « انها ظاهرة ازمة وتحول ثوري ولكنها فقط الجانب السلبي من الازمة . ان القيم الايديولوجية القديمة تنهار بينما لا تتبلور القيم الجديدة الا ببطء . ان الافكار حول العلاقات بين الرجل والمراة قد اختلطت ويجري الآن من جديد تحديد حقوق الفرد وواجباته » . . . « وان هذه عملية تلاش وولادة بطيئة وموجعة في اكثر الاحيان » . . « ويصدق ايضا في مجال العلاقات الجنسية والزواج والاسرة ، وهي مجال تثير فيه دناءة البورجوازية وريادها اشمئزاز خيرة الناس وبخاصة النساء والشبان . بيد ان العلاقات الجنسية هي علاقة بين كائنين بشريين يولد منهما كائن ثالث ، وهنا ينشأ الواجب تجاه المجموع » . يقول لينين : « اذا لم تشرك المراة في الانتاج الاجتماعي ، والجندية والحياة السياسية ، واذا لم ننقذها من المنزل والمطبخ فلن تستطيع اكتساب الحرية وتأييدها » . ان لينين هو ضد « الحب الحر » وضد نظرية « كأس الماء » هذه النظرية التي اعتنقها كثير من الشيوعيين . ويقول الدكتور احمد خليل في مقاله « المراة العربية والتغيرات الرئيسية في عصرنا » . « واذن كيف تنظر

الشيوعية الى الزواج ؟ يقول دافيد ريازأنوف : ان الغاء الملكية الخاصة يحرر المراة ويهدم تبعيتها للزوج ، وتبعية الاولاد للاهل . فالزواج هو « اتحاد حر مفتوح لرجل مع امراة » والطلاق حر ايضا . والشيوعية الماركسية تقف ضد الشيوعية الجلفة التي تعتبر المراة مشاعا وملكية عامة » .

هدف الفكر الشيوعي فيما هدف اليه الى تقويض الاسرة القديمةالفردية واحل مكانها اسرة جماعية منتجة قادرة على العطاء ، وساوى بين الرجل والمراة وانشأ المؤسسات الجماعية لتربية الاولاد ، وقنن الاتصال الجنسي واقتصر على اوقات الفراغ ، ونادى بالحب الحر فسهل الطلاق كما سهل الزواج ، وكان من نتيجة ذلك ان كثر الطلاق وبخاصة في العمال حتى بلغت نسبة الطلاق ٤٠ ٪ من مجموع اليد العاملة ، فتنبه المسؤولون الى هذه البادرة الخطيرة مما اضطر ستالين ان يقوم باصلاحات اسروية ، وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية شجع الزواج ، ومنح التعويضات والاوسمة للمتزوجين ، وفرض ضريبة على العازب ، وقد دل احصاء عام ١٩٥٩ ان نسبة الزواج كانت في الاتحاد السوفييتي ١٢ ٪ مقابل ٨ر٣ في الولايات المتحدة الامريكية و ٧ ٪ في فرنسا ، بينما كانت نسبة الطلاق ٧ ٪ في الاتحاد السوفييتي و ٢٤ ٪ في الولايات المتحدة الامريكية . ثم اصبح للزواج معنى وشيد لهذا « قصر الزواج » الذي يرتاده السياح .«(١)وقد يستغرب القارىء اذا علم ان الاتحاد السوفييتي تخلى عن التعليم المختلط وفصل مدارس البنات عن مدارس الصبيان » . ثم حدد الفكر الشيوعي بعد ذلك الضوابط للطلاق والزواج والاختلاط ، واعد المراة لتكون عضوا نافعا في المجتمع ...

دخلت المراة الصعيد السياسي ، الا انها بقيت متخلفة عن الرجل ففيعام ١٩٥٩ كانت تشكل المراة ٢٠ ٪ من مجموع اعضاء الحزب الشيوعي وكانت تشكل نسبة ٣٧ ٪ من مجالس السوفييت المحلية ، ولم يكن للمراة نصيب يذكر في مجلس السوفييت الاعلى فقد كانت امراتان من اصل ٣٢ مقعدا في هذا المجلس .

---

١ ـ المراة ذلك اللغز ص ٢٧ .

مكانة المراة غير الشيوعية :

لقد حاول نساء العالم ان يصلن الى حقوقهن ، فطالبن المساواة بين الرجل والمراة ، ففي كل دولة من دول العالم نشا ما يسمى روابط نسائية ، اواتحادات او جمعيات . هذه المؤسسات تستطيع ان توصل صوت المراة الى المسؤولين ، وان تحصل على حقوقها شيئا فشيئا . وبدات تتصل بالعالمعن طريق مؤتمرات عالمية . اهتمت المراة بالنشاطات المتباينة منذ مطلع القرن العشرين ، واختلف حال المراة من دولة الى اخرى تبعا لدرجة الوعي . ففي المانيا اعترف لها بحق التصويت منذ عام ١٩١٩ ، وفي انكلترا منذ عام ١٩١٨ وفي اسبانيا منذ عام ١٩٣١ ، وفي السويد منذ عام ١٩٢٠ ، وفي تركيا منذ عام ١٩٤٣ وفي الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٢١ ، وفي امريكا اللاتينية في أعوام مختلفة ففي الاكوادور منذ عام ١٩٢٩ ، وفي كوبا منذ عام ١٩٣٤ ، وفي البرازيل منذ عام ١٩٣٢ . وفي الوطن العربي في أعوام مختلفة ففي مصر منذ عام ١٩٥٦ . وفي غيرها كانت قبل او بعد هذا التاريخ . هذا على مستوى كل دولة ، اما على المستوى العالمي فقد ظلت المراة تكافح للوصول الى حقها ومكانتها .. فهذا المؤتمر الدولي الذي عقد في عام ١٩٠٢ ، والمؤتمر الامريكي السادس فيهافانا عام ١٩٢٨ ، وهذا ميثاق عصبة الامم في عام ١٩٢٠ ، وهذا المؤتمر الخامس للجمهوريات الامريكية الذي عقد في عام ١٩٢٣ . وهيئة الامم المتحدة في عام ١٩٤٥ الذي تفرع عنه عدة لجان ومنها اللجان الخاصة بالمراة . وقد اعارت لجنة حقوق الانسان اهمية كبرى للمراة وكانت مما تضمنته المادة ـ ٢٢ ـ : ان العائلة هي العنصر الطبيعي والاساسي للمجتمع وتتمتع بحق حماية الدولة لها ، والا يعقد اي زواج الا بموافقة كل من الزوجين وبملء حريتهما . واجازت المادة ـ ٢٣ ـ حق التصويت والترشيح وتولي الوظائف العامة . وقد دابت اللجان المتخصصة في دراسة المساواة في الحقوق السياسية والمدنيةوالعلاقات الزوجية ، والغاء العادات والتقاليد التي تعطل او تعيق تقدم المراة او تضيع عليها مكانتها ، وفي الحقوق الاقتصادية والاجتماعية ساوت بينها وبين الرجل في الاجر ، وحمت الامومة ، وفي الحقوق الثقافية نادت بحق التعليم . وقد صدر عن هذه اللجان ايضا حق المراة في التصويت في اية انتخابات ، واعطت

هذه الحقوق الفرص المتساوية مع الرجال في التمثيل وفي الوظائف العامة وفي الحقوق المدنية ، وفي الحقوق والواجبات بين الزوج وزوجه في الشؤون العائلية ، وحق المراة في الاهلية الكاملة والعمل والتملك والادارة .. والمساواة في حرية الاقامة والتنقل ... وقد اختلفت هذه الحقوق من بلد الى آخر ففي بعض البلدان لا يعترف مثلا للمراة بأن تنتقل او تأوي الى مكان غير المكان الذي يأوي اليه زوجها ، ولذا فان المراة تتبع الرجل في الاقامة والتنقل ليظل رباط الاسرة معصوما من كل خطأ وزلة . ان القرار رقم ٣٠١٠ الذي صدر في عام ١٩٧٢ من الهيئة العامة للامم المتحدة نص على ان عام ١٩٧٥ عام دولي للمراة . وفيه دعوة صريحة للمساوا ةبين الرجل والمراة ، والمشاركة الاعمق في الانتاج ، وفي التعاون من اجل السلام ، وشكلت من اجل ذلك عدة لجان عهد اليها بدراسة الخطوط العريضة للتعاون والمساواة . وقد عقد المؤتمر العالمي في حينه في برلين عاصمة المانيا الديموقراطية ما بين ١٩ ــ ٢٤ تشرين الاول عام ١٩٧٥ وكان اهم ما جاء فيه بمناسبة السنة العالمية للمراة : ــ

١ ــ الاعتراف بمساواة المراة في الدساتير والقوانين ووضعها موضع التنفيذ .

٢ ــ اسهام المراة في الحياة السياسية والاجتماعية وضمان حقوقها في الانتخابات ،وممارسة كل المناصب الرسمية .

٣ ــ ضمان حق النساء في التعليم والتدريب المهني على كافة المستويات .

٤ ــ المساواة في العمل المهني ورفع الاجر نفسه ، وتقديم الرعايةالاجتماعية والطبية لهن .

٥ ــ المساواة في الحقوق والواجبات العائلية وتربية الاطفال ، والاعتراف بالامومة كمهمة اجتماعية ، ورعاية الامومة والطفولة .

مكانة المراة في ظل التطورات الجديدة

اولا : تطور مكانة المراة :

لقد عصفت بالمراة تيارات قوية حملتها من حال الى حال ، ومن نظم

الى نظم . وفي كل قفزة تتطور بها المراة يعقبها تغيير او تبديل في بعض النظم والمذاهب الاقتصادية والسياسية . ولما كان التطور ضرورة لا سبيل الى تجاهلها فان هذا التطور سوف يصيب المراة واوضاعها المادية وغير المادية ، الامر الذي يستلزم معه وجود افكار جديدة . ان حق المراة في العمل اصبح ضرورة اجتماعية واقتصادية ، وان حق التصويت والترشيح والتمثيل اصبح ضرورة سياسية . ونجد المراة تتفاوت في هذه المكانة من بلد لآخر ، فالضرورة المادية او الاجتماعية في بعض البلدان لم تكن ملحة لان تمارس المراة هذه الحقوق بينما نجدها في بلدان اخرى ملحة وضرورية .

كانت المراة فيما مضى مسترقة ، تباع وتشترى وتستخدم في الارض ، ويرجع نظام الرق الى سيطرة القوي على الضعيف ، وعلى اساس السيطرة المادية والمعنوية ، واول ما نشأت هذه السيطرة بين الرجل والمراة . انتابت المراة فترات كانت تخضع فيها خضوعا تاما لسلطة الرجل مما افقدها مكانتها وحقوقها . ان المراة المصرية في عهد الفراعنة كانت تتمتع بمكانة سامية ، فلم تكن تخضع للسلطة الابوية او الزوجية ، وكانت لها اموالها تتصرف فيها كيف تشاء دون الرجوع الى زوجها او ابيها . وقد توالى في عهد الفراعنة النظام الاقطاعي والنظام الاشتراكي ، ويقسم تاريخ مصر الفرعونية الى ثلاثة عهود : عهد الدولة القديمة ، وعهد الدولة الوسطى ، وعهد الدولة الحديثة . ففي عهد الدولة القديمة اكتسبت المراة الشخصية المستقلة والمكانة المرموقة ، فكانت تملك ما تشاء وتتعاقد ، ولها في اموالها الخاصة حق التصرف بل كانت اموال الاب والام تؤول عند وفاتهما الى الاولاد ، ويتساوى في ذلك الذكر والانثى . وكان رب الاسرة رئيسا ومشرفا على الاسرة فقط . اما في عهد الدولة الوسطى فقد ساد عهد الاقطاع في فترة منه اذ كان الابناء فيه يخضعون لسلطة الاب ، فالبنت تخضع لسلطة ابيها واخيها الاكبر بعد ابيها ، والزوجة تتبع الزوج وتخضع من بعده لسلطة ابنه الاكبر او للوصي . فلم تكن المراة تتمتع باهلية كاملة ، وانتشر تعدد الزوجات ، والمخالطة غير المشروعة حيث كان الابن غير الشرعي يلحق بأمه .. اما في عهد الدولة الحديثة فقد انتشر النظام الاشتراكي وعادت للمراة مكانتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى ان المراة كان

لها حق الاشراف على الاسرة ، ولها ان ترث كما يرث الذكر ، وتؤول رئاسة الاسرة الى اكبر الابناء من الذكور والاناث على السواء ، كما تؤول تركةالزوجين الى الاولاد من الذكور والاناث . لم تكن المراة عند الرومان باقل تعاسة من المراة في عهد الدولة الفرعونية الوسطى اذ كانوا يعتبرونها كالصغير او المجنون الناقص الاهلية ، وكانت المراة تتساوى مع الرجل في الميراث الا ان هذا الميراث لا تستطيع ان تتصرف به ، وكان الزواج زواج سيادة بان تدخل الزوجة سلطة زوجها وتعتنق مبادئه ودينه وتخضع له خضوعا تاما ، او يخضع الزوجان الى والد الزوج،وللزوج بيعها او تطليقها او تعذيبها ، واما الزواج الديني فلا يختلف في جوهره عن زواج السيادة ، واما الزواج بدون سيادة فهو الزواج الذي تشارك فيه الزوجة زوجها المركز الاجتماعي ، ولا تنضم الى اسرته ، وتظل محتفظة باستقلالها وبمالها فان كانت خاضعة لرب اسرة بقيت خاضعة له بعد الزواج ، والمراة في هذا الزواج تظل ملتزمة بطاعة زوجها . ان الطلاق مباح في كل الاحوال دون التقيد باي اعتبار او نظام . المراة مقيدة لا تستطيعالافلات من قيد الرجل الا في حالتي الوفاة والطلاق . فهي تحت سلطة ابيها قبلالزواج وتحت سلطة زوجها بعد الزواج ، او سلطة الوصي ، او سلطة القاضي ان لم يكن لها وصي ذكر . وهكذا كانت المراة ثيبا كانت ام بكرا تحت سلطة الرجل . ان المراة الرقيق لم تكن تملك من امرها شيئا وقد كانت تستخدم في فلاحة الارض وفي تكثير الثروة ، وتعتبر جزءا من ثروة سيدها ، ولم يعترف الرومان اطلاقا بزواج الامة والمراة الاجنبية ان كانت متزوجة من روماني . انتشرت الديانة المسيحية عند الرومان في القرن الرابع الميلادي ، وكانلانتشارها اثر كبير على المراة إذ الغيت السيادة او السلطة الذكرية ، كما خففت من سلطة الاب وجبروته . وجعلت الميراث على اساس القرابة ، وتوارث الزوجان كل من احدهما ، ومنحت البنوة الشرعية للابن غير الشرعي الذي كان القانون الروماني يحرمه . والزواج لا يتم الا برضاالزوجين ، كما حرمت الديانةالمسيحية اعدام الاولاد او نبذهم ، وحرمت الطلاق الا في اعتبارات الزنا والتسميم وكان للمراة ايضا مثل هذا الحق في اعتبارات اشتراك الرجل في مؤامرة ضد سلامة الدولة او الزنى ، والغي زواج السيادة . وبصورة عامة فان الشريعة المسيحية

بالقانون الكنسي اقر للمراة حق المساواة مع الرجل وان كان الرجل يتميز بنوع من الهيمنة اذ لا يزال حتى الآن : لا يجوز للمراة التصرف في اموالها الا باذن زوجهـا .

لقد راينا في هذا الفصل كيف تطورت الامم القديمة كذلك امثال المـراة الهندية والمراة الصينية والمراة الاوروبية وقد تعثرت حينا وقامت حينا آخر، وهي في تطورها حتى الآن لم تستطع ان تصل الى ما كانت تحلم فيـه الا قليـلا .

مكانة المراة في ظل التطورات الجديدة :

لقد شهد العالم تبدلات جذرية اذ ازداد الوعي القومي ، وانطلقت الثورات في العالم منادية بمكانة لائقة للمراة ، وانحسر المد الاستعماري والاستغلالي ، وانبثقت بعض المفاهيم الاشتراكية التي تنادي بوضع المراة في مكانها الصحيح، وانطلقت صيحات المصلحين والفلاسفة داعية الى اعتبار المراة نصف المجتمع ، وهمت كل دولة بانظمتها القديمة والباليـة لتضعها وراءها ظهريا . فالمراة في كل عصورها كانت مهانة ذليلة الا في بعضها الذي اعترف لها بحقها ، وروعيت كرامتها ، الا ان هذه الحقبة من الزمن لم تكن الا شامة بيضاء في جسم ثور اسود . فالمراة العربية وان بدا عليهـا انها قد احتلت مكانة في الحرية والحياة، الا ان الاستعمار لا يزال قريبا منها يمنع عنها لذة التحرر والانطـلاق ، اذ ان الصهيونية لا تزال جاثمة في أرض الوطن العربي تدنسه ، والامبريالية تحـاول جاهدة تثبيت اظافرها بكل ما اوتيت من قوة ، والاقطاع لا يـزال منتشرا ، والراسمالية تذر قرنها في كل قطر ومصر ، والتخلف يصيب بمآسيه عامة الناس والتقاليد والعادات السيئة تطغى بسلبيتها على التقدم والتطور ، ومع هـذا فان المراة العربية سارت اشواطا بعيدة لتحصل على مكانتها تحت الشمس . فها هي المراة السورية التي شاركت الرجل في الوظائف الادارية ، وفي المؤسسـات وفي الصناعة والزراعة ، فهي الطبيبة في الوزارة والمستشفى والجمعيات ،والقوات المسلحة ، وهي المعلمـة والموظفـة والمديرة ، والمهندسـة ، وهي في الصفوف الاولى في القتـال كمـا هي في الصفوف الثانيـة تـداوي وتسعف وتقـدم

الامـدادات المختلفـة . وقـد اعطـت الثورة المـراة العربية اندفاعـا قويا فرفعت مستواها ، واعبترتها جزءا لا يتجزأ من الثورة . كذلك فان المراة المصرية قد دخلت لتسهم في تطوير المجتمع حيث كانت الثورة في مصر تهدف الى توعية المراة سياسيا وثقافيا واجتماعيا وعسكريا . ففي المجال السياسي ارتقت الى منصب وزير الدكتورة عائشة راتب ، وعلى مستوى التمثيل الشعبي دخلت المراة مجالس الشعب ، ونظمت في الاتحاد الاشتراكي العربي ، وشاركت في الندوات والاجتماعات الحزبية ، وفي مجال الثقافة نظمت النشاطات الخاصة للعمـل على محو الامية ، وتثقيف القيادات في التنظيم النسائي واعـداد الموجهات السياسيات ، وفي مجال الحياة الاجتماعية عملت المراة على حلمشاكل الاسرة وقدمت خدمات كبيرة الى اسر المجندين وتنظيم احوالهم الاجتماعية وفتحت دورا للاطفال والعجزة ، وفي مجال الشؤون العسكرية ساهمت بالتبرع بالدم وعملت في حقل الاسعاف والتمريض وتطوعت في الجيش . وتلك المراة اللبنانية التي اقبلت بكليتها على الادب والعلم والطب ، وكذلك فان المراةالسودانية التي رسمت اهدافها بمحو الامية وافتتاح المدارس ، ومحاربة الدجل واعـداد الفتاة اعدادا يتلاءم مع التطور ، وتلك المراة العراقية والاردنية والجزائرية التي خطت خطوات واسعة كأختها في سوريا ومصر . اما المراة الاوروبية فقـد انتابتها هزات ونكبات ، فالحروب اتت عليها بأوزارها ولا سيماالحربين العالميتين فقد افقدتها زوجها أو ابنها او اخاها او اباها ، وحرمتها من لقمة العيش ، ونزعت عنها لباسها ليفتك بها البرد ، واصبحت بلادها مهدمة ، تعيش المراة في هذه الظـروف تحت السماء . ازاء هـذه العوامـل القاسية فلا بـد للمراة ان : ــ

١ ــ تدخل ميدان العمل ، اذ اصبح نسبة العاملات ٧٥ ٪ من مجموع النســاء .

٢ ــ تدخل المعامل والمصانع لتحل محل الرجال الذين قتلوا او ذهبوا للحــرب .

٣ ــ عملت المراة على ازالة آثار الحروب واطلقت شعار « ان المراة هي التي تزيل آثار الحرب » .

٤ ـ عملت في الشؤون الادارية بكافة اقسامها فخاطت الملابس للجنود ، وامنت الطعام للمقاتلين ، وعملت في مصانع الاسلحة والذخيرة تحت شعار « اعمل وكل » وقامت على تربية الدواجن والابقار ، واشرفت على الزراعة وحلت محل الرجال في كثير من الاعمال .

٥ ـ دخلت المراة في كل ميدان : في المصنع، في الوظيفة، في المزرعة، في الجيش وكثير من النسوة حملن مختلف الرتب العسكرية وخدمن في المقاومة الشعبية والدفاع المدني ، واشتركت في النشاط السري ، وقامت بدور كبير في تنظيم الاتصال . وهذه الظاهرة كانت تتجلى في المراة الكوبية التي ضربت المثل لبنات حواء في العمل ، واصبح لها مكانتها في جميع الاعمال الادارية .

٦ ـ ان الذي يميز عمل المراة الاداري هو اشتراكها في الزراعة والصناعة والطب والامداد والنقل والاطعام وصنع الملابس ، وفي هذا انطلقت المراة الفيتنامية تزرع وتفلح وتدير المعمل وتعمل على زيادة الانتاج ، وتمنح الرجل الفرصة لكي يقاتل ضد الغزاة الاميريكيين . وكانت المراة الفيتنامية تقوم بمهنة الطب والتمريض والخياطة وتهيئة الطعام وتضميد الجروح . كما انها بالاضافة الى ذلك انخرطت في صفوف المقاومة والدفاع عن الوطن فكان لها مكانة رفيعه في كل الاعمال الادارية .

٧ ـ عملت المراة في مجال التقنين والاستهلاك ، وسارعت الى سياسة التقشف ، وانتقلت من الاقتصاد البيتي الى الاقتصاد الوطني ، فاقامت في المعامل وحرثت الارض ، وحملت السلاح ، وقاومت الاغراءات تلك هي المراة الصينية التي قال عنها « ماوتسي تونغ » : قال : « مكنوا كل الايدي العاملة من النساء من ان تحتل مكانها في جبهة العمل تحت مبدأ : الاجر المتساوي للعمل المتساوي » .

٨ ـ تحملت المراة الاعباء الكبيرة والعمل الشاق ، ورفعت الروح المعنوية للمقاتلين ، وحلت محل الرجال في المصانع وكانت المراة السوفييتية في مقدمة النساء اللاتي نزلن الى المصانع ، اذ كانت تعمل اربع عشرة ساعة ، وتتابع

الاعمال الاخرى في المشافي وتضميد الجراح والاعتناء بالاطفال ، وتقوم باعمال الدفاع المدني ، وتبطل القنابل الموقوتة التي لم تنفجر .

المراة لا تزال مكانتها دون الرجل حتى يومنا هــذا :

تقول الكاتبة « سيمون دي بوفوار » : « لم تعد اغلبية القوانين المدنيــة تتضمن نصوصا تلزم المراة المتزوجة بطاعة زوجها والولاء له ، كما ان كــل مواطنة اصبحت تتمتع بحق التصويت . لكن هذه الحريات تبقى خيالية اذا لم يصحبها استقلال المراة الاقتصادي ، وما دامت المراة تعيش على عاتق الرجل ـ سواء كانت زوجة او محظية ـ فان بطاقة الانتخاب لا تكفي لتحريرهــا من سيطرة الرجل ، واذا كانت العادات في الوقت الحاضر تفرض عليها التزامات اخف وطاة مما كانت عليه في الماضي ، فان هذه الحريات السلبية التي حصلت عليها لم تغير حالتها ووضعيتها بصورة جلدرية ، فهي لا تزال تعيش ضمن نظــام التبعية للرجل . وقد قطعت المراة خطوات واسعة من المسافة التي تفصلها عن الرجل بفضل العمل الذي يستطيع لوحده ان يضمن لها ان تتمتع بحرية واقعية ملموسة وان تشعر بالنتيجة بمسؤولياتها بواسطة الاموال والحقوق التي تملكها وتمس بشخصيتها المستقلة ، الا انه يجب علينــا ان لا نعتقد ان مجرد حصول امراة على حق معنوي ومزاولتها مهنة من المهن يشكل بحد ذاته تحريرا كاملا لشخصية المراة . ان العمل في يومنا هذا لا يعني مطلقا الحرية ، ولا يمكن للمراة ان تتحرر تحررا تاما بواسطة العمل الا ضمن المجتمع الاشتراكي » . ان المراة بالرغم من تقارب المسافة بينها وبين الرجل فهي لا تزال مكانتها دون مكانة الرجل لعدة أسباب اهمها : ـ

١ ـ تخلف المراة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، فهي حتى الآن رغــم نضالها والمطالبة بحقوقها لم تتوصــل الى مكان يجعلهــا تتساوى مع الرجــل او تبذه . فعلى المستوى السياسي لم تدرك المراة كامل حقوقها حتى في الدول المتقدمــة والاشتراكيــة اذ لا تــزال دون تمثيل الرجــال في المجــالس الشعبيــة وفي المجــالس الاخرى ... وعــلى المستوى الاقتصــادي فانهــا لم تتمكن حتى الآن من الوصول الى حقوقها الاقتصادية كاملة فهي في المعامــل

والمصانع دون الرجال ، وهي في الاعمال المالية والادارية دونهم ايضا . وعلى المستوى الاجتماعي ايضا هي دون الرجال . ان تخلفك يا سيدتي وعدم اقدامك الشجاع على دخول مجالات الحياة ، انما يفقدك بعض حقوقك . ان الاقدام في هذه الاحوال مطلوب من المراة ان تناضل من اجل ذلك ، فاذا لم تتح لك الفرص حاولي مرة ومرات . ان عدم الاهتمام بممارسة هذه الحقوق يجعل المراة متخلفة ..

٢ ــ عجز المجتمع عن ادراك اهمية المراة . لقد امست بعض المجتمعات لا تعير اية اهمية للنساء ، بل ان هذه المجتمعات تنكر على المراة كل حقوقها او بعضها ، ويشعرون انهم ليسوا بحاجة اليها . لقد وضعوا العراقيل امامها فكلما تقدمت خطوه ونفوا في طريقها وكلما مارست حقا من حقوقها منعوها ، وكلما طالبت فوتوا عليها الفرص . وهذه المجتمعات اما متخلفون فكريا او اقتصاديا ، او انهم وجدوا آباءهم على هذه الحالة من ازدراء النساء فقلدوهم .

يرجع تخلف المراة في المقام الاول(١) « الى ضآلة النشاط الفردي والجماعي للنساء في الميادين العامة ، وقصر نشاطهن على الاعمال المنزلية ، او الاهتمام بالمظاهر الاجتماعية ، او مظاهر الترف وحدها . ولم يكن للمراة اجمالا ــ اي نشاط ملحوظ في ميادين السياسة او الاقتصاد او الثقافة » .

هذه هي المراة ، لقد بينت الذي لها والذي عليها في فصول هذا الكتاب ، وحاولت جاهدا ان ابين فضلها وبرها في جميع الميادين ، وبخاصة الاعمال الادارية ، ولم انس شجاعتها في البطولات القتالية ، وفي ساحات النضال ، وفي التربية وبناء الاجيال ، فلها الشكر كل الشكر على ما عملت من خير ، وما تركته من اثر طيب في نفوس القادة والعظماء .

* * *



(١) الاستاذ حسين نصار في كتابه حقوق المراة ص ٨٣ .

اهم المراجع

مسلسل	الكتاب	المؤلف	المطبعة ومكان الطباعة
١	القرآن الكريم	—	
٢	التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول (خمسة أجزاء)	الشيخ : منصور علي ناصيف	القاهرة
٣	المرأة في القرآن الكريم	عباس محمود العقاد	دار الهلال
٤	المرأة العربية في جاهليتها واسلامها (اربعة أجزاء)	عبد الله عفيفي	مطبعة الاستقامة بالقاهرة
٥	المرأة المستنيرة	الدكتور « لودفيج ليفي لينز » نقله الى العربية : محمد مظلوم الشامي	دار المعارف بمصر
٦	المرأة في عصر الديموقراطية	اسماعيل مظهر	مكتبة النهضة المصرية
٧	انصاف المرأة	وداد سكاكيني	مطبعة الثبات بدمشق
٨	مستقبل المرأة العربية في المجتمع والبيت	منير الشريف	المطبعة العموميةبدمشق
٩	المرأة والجنس	الدكتورة نوال السعداوي	المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت
١٠	المرأة العربية والتغيرات الرئيسية في عصرنا	مقال للدكتور احمد خليل	مجلة دراسات عربية السنة التاسعةالعدد الثامنحزيران ١٩٧٣ بيروت
١١	المرأة الحمصية	محمد شاهين	
١٢	فكر لينين	هنري لو فيفر ترجمة ومراجعة : الدكتور كمال العالي ، أديباللجمي	منشوراتوزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق
١٣	المرأة العربية في القطر العربي السوري	الاتحاد العام النسائي	المطبعة والجريدة الرسمية
١٤	نساء من التاريخ	الاتحاد العام النسائي السوري	لجنة الدراسات المركزية عام ١٩٧٣
١٥	النساء في القوات المسلحة لحلف شمال الاطلسي	مقال لـ «نانس.ل.غولدمان » ترجمة محمد أكرم العطار	مجلة الفكر العسكري ـ السنة الثالثة ـ العددالثاني ١٩٧٥ ـ تصدر عن كلية القيادة والاركان السورية

مسلسل	الكتـــاب	المــؤلف	الطبعة ومكان الطباعة
١٦	المجموعةالاحصائية لعام١٩٧٤	المكتب المركزي للاحصاء في الجمهورية العربية السورية	
١٧	احصاءات فلسطينية	اعداد الياس خوري	مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية
١٨	الجنس الآخر	الكاتبة « سيمون دي بوفوار »	منشورات المكتبةالاهلية بـيروت طبعة خامسة ١٩٦٦
١٩	لينين والمرأة	تعريب زينب نبوة	اصدار دار الجماهير ـ دمشق ١٩٧٠
٢٠	كفاح المرأة على الصعيدين العالمي والعربي (الفلسطيني)	وفيقة حمدي الشاعر	ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني دمشق ١٩٧٣
٢١	المرأة وفلسفة التناسليات (الجزء الاول والثاني)	الدكتور فخري فرج	
٢٢	حقوق المرأة	حسني نصار	دار نشر الثقافةللطباعة والنشر بالاسكندرية طبعة أولى ١٩٥٨
٢٣	المرأة والاشتراكية	لينين ، رياز الفرف ، بابي فريفيل ، دوبوفوار دوبون آخرون ترجمة وتقديم :جورج‌طرابيشي	دار الاداب بيروت‌طبعة ثانية حزيران ١٩٧٣
٢٤	المرأة ذلك اللغز	عباس محمود العقاد	دار الكتاب العربي بيروت ـ الطبعة الاولى ١٩٧٠
٢٥	هذه الشجرة	اعداد عامر العقاد عباس محمود العقاد	دار الكتاب العربي بيروت الطبعةالثالثة ١٩٧١
٢٦	عالم المرأة	سكينة الزيدي ، لولوجيد ، كولر كوجك	عالم الكتب ـ القاهرة.
٢٧	الثورة وتحرر المرأة	شيلا روبتهام	دار الطليعة بيروت ـ الطبعة الاولى نيسان ١٩٧٥
٢٨	ماذا عن المرأة ؟	الدكتور : نور الدين عتر	دار الفكر دمشق ـ الطبعة الثانية١٩٧٥

مسلسل	الكتاب	المؤلف	الطبعة ومكان الطباعة
٢٩	تحرر المرأة العاملة	الكسندرا كولونتاي ترجمة : فواز طرابلسي وطلال الحسيني	دار الطليعة ـ بيروت الطبعة الاولى كانون الاول ١٩٧٢
٣٠	امرأتان في امرأة	الدكتورة : نوال السعداوي	دار الآداب ـ بيروت آذار ١٩٧٥
٣١	أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام (خمسة أجزاء)	عمر رضا كحالة	الطبعة الهاشمية ـ دمشق الطبعة الثانية ١٣٥٩ـ ١٩٥٩
٣٢	دور المرأة في التقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي	وفيقة حمدي الشاعر	منشورات الطلائع ١٩٧٥
٣٣	المرأة في القرن العشرين	جروان السابق	مطبعة جوزيف سليم صيقلي ـ بيروت
٣٤	تحرير المرأة	قاسم امين	دار المعارف بمصر
٣٥	التبرج	نعمت صدقي حرم الدكتور محمد رضا	دار الاعتصام ١٩٧٥
٣٦	المرأة في التصور الاسلامي	عبد المتعال محمد الجبري	مكتبة وهبه
٣٧	مركز المرأة في الاسلام	المستشار : احمد خيرت	دار المعارف بمصر
٣٨	فتاة الشرق في حضارة الغرب	محمد جميل بيهم	مطبعة قلفاط ـ بيروت
٣٩	السعادة .. امرأة	تأليف : لورانس وماري فرانك ترجمة : عبد المنعم الزيادي	مكتبة الحياة السعيدة
٤٠	المفهوم الاسلامي لتحرير المرأة	الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء »	
٤١	الحركة النسائية الحديثة	الدكتورة : اجلال خليفة	المطبعة العربية الحديثة في مصر
٤٢	اعداد من مجلة المرأة العربية السورية	الاتحاد العام النسائي في القطر العربي السوري	
٤٣	المرأة في المجتمع المعاصر	محجوب النابلسي	دمشق ـ مطبعة المدينة ١٩٧٥
٤٤	الثورة العلمية التقنية في العمل العسكري	اللواء الركن مصطفى طلاس	مطابع الادارة السياسية في الجيش العربي السوري دمشق ١٩٧٥
٤٥	اعداد من مجلة عالم المرأة	شركة ايديتريد ـ شركة مساهمة سويسرية ـ جنيف	مطابع الاهرام التجارية

مسلسل	الكتاب	المؤلف	المطبعة ومكان الطباعة
٤٦	مشاركة المرأة في الحياة العامة في سورية منذ الاستقلال ١٩٤٥ وحتى١٩٧٥	نبيلة الرزاز	مطبعة وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٧٥
٤٧	المرأة في التاريخ العربي في تاريخ العرب قبل الاسلام	الدكتورة : ليلى صباغ	مطبعة وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٧٥
٤٨	أعداد من مجلة « المرأة الجديدة » .	لسان حال : جامعة السيدات	بيروت

* * *

الفهرس

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الفصـل الثـاني

الفصـل الثـالث

الفصــل الرابــع

الموضـــوع	الصفحة

الفصـل الخـامس

الفصـل السـادس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة